شرح
نهج البلاغة

السيد عباس علي الموسوي

الجزء الخامس

دار الرسول الأكرم ص

دار المحجة البيضاء

شرح
نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح
نهج البلاغة

السيد عباس علي الموسوي

الجزء الخامس

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الرسول الأكرم
طباعة - نشر - توزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك شارع القسيس خلف البلدية - ص.ب ٨٦٠١ / ١١
هاتف ٨١٤٢٩٤ / ٠٣ - فاكس ٨٢٣٥١٩ / ٠١ - ٠١٦٠١٠١٩

٥٣ - ومن كتاب له عليه السلام

كتبه للأشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن

بسم الله الرحمن الرحيم

هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ(١) خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَٱسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى ٱللهِ، وَإِيثَارِ(٢) طَاعَتِهِ، وَٱتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ(٣) وَسُنَنِهِ(٤)، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى(٥) إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا(٦)، وَأَنْ يَنْصُرَ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ ٱسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ(٧) مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا(٨) عِنْدَ ٱلْجَمَحَاتِ(٩)، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ ٱللهُ.

ثُمَّ ٱعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ(١٠) عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ(١١)، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ ٱلْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي ٱللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ

الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ(١٢) ٱلْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَٱمْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ(١٣) بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ ٱلإِنْصَافُ(١٤) مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ(١٥) قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ(١٦)، وَٱلْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ(١٧) بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً(١٨) ضَارِياً(١٩) تَغْتَنِمُ(٢٠) أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ(٢١) لَكَ فِي ٱلْخَلْقِ، يَفْرُطُ(٢٢) مِنْهُمُ الزَّلَلُ(٢٣)، وَتَعْرِضُ(٢٤) لَهُمُ ٱلعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ(٢٥) فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي ٱلأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَٱللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ(٢٦) أَمْرَهُمْ، وَٱبْتَلاَكَ بِهِمْ. وَلاَ تَنْصِبَنَّ(٢٧) نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللهِ فَإِنَّهُ لاَ يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ(٢٨)، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلاَ تَنْدَمَنَّ(٢٩) عَلَى عَفْوٍ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ(٣٠) بِعُقُوبَةٍ، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ(٣١) وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً(٣٢)، وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ(٣٣) فِي ٱلْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ(٣٤) لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً(٣٥) أَوْ مَخِيلَةً(٣٦)، فَٱنْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ ٱللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ(٣٧) إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ(٣٨)، وَيَكُفُّ(٣٩) عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ(٤٠)، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!.

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ ٱللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ(٤١)، فَإِنَّ ٱللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ(٤٢).

أَنْصِفِ(٤٣) ٱللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللهِ كَانَ ٱللهُ

خَصْمَهُ(٤٤) دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللهُ أَدْحَضَ(٤٥) حُجَّتَهُ، وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ(٤٦) أَوْ يَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى(٤٧) إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ(٤٨) مِنْ إِقَامَةٍ(٤٩) عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ(٥٠)، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِٱلْمِرْصَادِ(٥١).

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي ٱلْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي ٱلْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ(٥٢) ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ(٥٣) بِرِضَى ٱلْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى ٱلْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى ٱلْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِٱلإِلْحَافِ(٥٤)، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ(٥٥) الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ(٥٦) ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱلْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، ٱلْعَامَّةُ مِنَ ٱلأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ(٥٧) لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ(٥٨) عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، ٱلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَٱللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَٱسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ(٥٩) مَا ٱسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ ٱللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ، أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَٱقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ(٦٠)، وَتَغَابَ(٦١) عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَكَ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ(٦٢) غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ(٦٣) بِكَ عَنِ ٱلْفَضْلِ(٦٤)، وَيَعِدُكَ ٱلْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ ٱلأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ(٦٥)

بِٱلْجَوْرِ(٦٦)، فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ وَٱلْجُبْنَ وَٱلْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِٱللهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَاءِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي ٱلآثَامِ(٦٧) فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً(٦٨)، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ(٦٩) ٱلأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ ٱلْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ(٧٠) وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ: أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى(٧١) عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَٱتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ(٧٢)، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ(٧٣) عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ ٱلْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ ٱللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَٱلْصَقْ(٧٤) بِأَهْلِ ٱلْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ(٧٥) عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ(٧٦) وَلاَ يَبْجَحُوكَ(٧٧) بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ(٧٨)، وَتُدْنِي مِنَ ٱلْعِزَّةِ.

وَلاَ يَكُونَنَّ ٱلْمُحْسِنُ وَٱلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ ٱلإِحْسَانِ فِي ٱلإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ ٱلإِسَاءَةِ عَلَى ٱلإِسَاءَةِ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ ٱلْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ ٱسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْس لَهُ قِبَلَهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً(٧٩) طَوِيلاً. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ(٨٠) عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً(٨١) صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ(٨٢) هذِهِ ٱلأُمَّةِ، وَٱجْتَمَعَتْ

بِهَاٱلأُلْفَةُ(٨٣)، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ ٱلأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَٱلْوِزْرُ(٨٤) عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ(٨٥) مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ، وَمِنَاقَشَةَ(٨٦) ٱلْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ(٨٧) مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ(٨٨) لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ ٱللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ ٱلْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ ٱلإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ ٱلْجِزْيَةِ(٨٩) وَٱلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ(٩٠) وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى ٱللهُ لَهُ سَهْمَهُ(٩١)، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَٱلْجُنُودُ، بِإِذْنِ ٱللهِ، حُصُونُ(٩٢) الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ ٱلْوُلاَةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ(٩٣) ٱلأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ(٩٤) الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَٱلْعُمَّالِ وَٱلْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ(٩٥)، وَيَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ(٩٦) ٱلأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ(٩٧)، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ(٩٨) بِأَيْدِيهِمْ مَا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ

الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ(٩٩) وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي ٱللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلاَّ بِٱلاهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِٱللهِ، وَتَوْطِينِ(١٠٠) نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ ٱلْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً(١٠١)، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِىءُ(١٠٢) عَنِ ٱلْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ(١٠٣) بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو(١٠٤) عَلَى ٱلأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ(١٠٥) ٱلْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ ٱلْصَقْ بِذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ(١٠٦) وَٱلأَحْسَابِ، وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ ٱلْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ(١٠٧) وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ(١٠٨) مِنَ ٱلْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ(١٠٩). ثُمَّ تَفَقَّدْ(١١٠) مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ(١١١) فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً(١١٢) تَعَاهَدْتَهُمْ(١١٣) بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ ٱتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ(١١٤) رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ(١١٥)، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ(١١٦) أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ(١١٧) ٱلْوُلاَةِ ٱسْتِقَامَةُ ٱلْعَدْلِ فِي ٱلْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ. وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ(١١٨) عَلَى وُلاَةِ ٱلأُمُورِ، وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقَالِ(١١٩)

دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ ٱسْتِبْطَاءِ ٱنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَٱفْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو ٱلْبَلاَءِ(١٢٠) مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ(١٢١)، وَتُحَرِّضُ(١٢٢) النَّاكِلَ(١٢٣)، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلاَ تَضُمَّنَّ بَلاَءَ ٱمْرِىءٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِىءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَ ضَعَةُ ٱمْرِىءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَٱرْدُدْ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ(١٢٤) مِنَ ٱلْخُطُوبِ(١٢٥)، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَالرَّسُولِ﴾** فَالرَّدُّ إِلَى ٱللهِ: ٱلأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: ٱلأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ ٱلأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ(١٢٦) ٱلْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى(١٢٧) فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ(١٢٨) مِنَ ٱلْفَيْءِ(١٢٩) إِلَى ٱلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِٱلْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً(١٣٠) بِمُرَاجَعَةِ ٱلْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ ٱلأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ(١٣١) عِنْدَ اتِّضَاحِ ٱلْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ(١٣٢) إِطْرَاءٌ(١٣٣)، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ(١٣٤)، وَأُولئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ(١٣٥) قَضَائِهِ، وَٱفْسَحْ لَهُ(١٣٦) فِي ٱلْبَذْلِ(١٣٧) مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ(١٣٨)، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ. وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ

بِذلَكَ ٱغْتِيَالَ(١٣٩) الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَٱنْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِٱلْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَٱسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِبَاراً(١٤٠)، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً(١٤١) وَأَثَرَةً(١٤٢)، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيَانَةِ. وَتَوَخَّ(١٤٣) مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَٱلْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَٱلْقَدَمِ فِي ٱلإِسْلاَمِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي ٱلْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ ٱلأُمُورِ نَظَراً. ثُمَّ أَسْبِغْ(١٤٤) عَلَيْهِمُ ٱلأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ(١٤٥). ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ(١٤٦) مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ(١٤٧) لَهُمْ عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، ٱكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ(١٤٨) بِمَقَامِ ٱلْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ(١٤٩) بِٱلْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ(١٥٠) عَارَ التُّهَمَةِ.

وَتَفَقَّدْ(١٥١) أَمْرَ ٱلْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاَحِهِ وَصَلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ(١٥٢) عَلَى ٱلْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ، وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ ٱلأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلاَبِ ٱلْخَرَاجِ، لأَنَّ ذلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِٱلْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ ٱلْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ ٱنْقِطَاعَ شِرْبٍ(١٥٣) أَوْ بَالَّةٍ(١٥٤)، أَوْ إِحَالَةَ

أَرْضٍ(١٥٥) ٱغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ(١٥٦) بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلاَدِكَ، وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ ٱسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ(١٥٧) بِٱسْتِفَاضَةِ ٱلْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ(١٥٨) لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ ٱلأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ(١٥٩) فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ ٱحْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ ٱلْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ ٱلأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ(١٦٠) أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ ٱلْوُلاَةِ عَلَى ٱلْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِٱلْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ ٱنْتِفَاعِهِمْ بِٱلْعِبَرِ(١٦١).

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ ٱلَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ(١٦٢) وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ ٱلأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ(١٦٣) ٱلْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِيءَ(١٦٤) بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَفٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاءٍ(١٦٥)، وَلاَ تَقْصُرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى ٱلصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلأُمُورِ، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ. ثُمَّ لاَ يَكُنِ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ(١٦٦) وَٱسْتِنَامَتِكَ(١٦٧) وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ ٱلرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ ٱلْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا(١٦٩) لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَٱعْمِدْ(١٧٠) لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِٱلأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ. وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ

أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ(١٧١) كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ(١٧٢) عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ(١٧٣)، وَٱلْمُتَرَفِّقِ(١٧٤) بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ(١٧٥) ٱلْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ(١٧٦)، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ(٧٧) النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ(١٧٨)، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ(١٧٩). وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي(١٨٠) بِلاَدِكَ. وَٱعْلَمْ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً(١٨١) قَبِيحاً، وَٱحْتِكَاراً(١٨٢) لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي ٱلْبِيَاعَاتِ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ(١٨٣) لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلاَةِ. فَٱمْنَعْ مِنَ ٱلاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً(١٨٤): بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لاَ تُجْحِفُ(١٨٥) بِٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ. فَمَنْ قَارَفَ(١٨٦) حُكْرَةً(١٨٧) بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ(١٨٨)، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ(١٨٩).

ثُمَّ ٱللهَ ٱللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ ٱلْبُؤْسَى(١٩٠) وَالزَّمْنَى(١٩١)، فَإِنَّ فِي هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً(١٩٢) وَمُعْتَرّاً(١٩٣)، وَٱحْفَظْ للهِ مَا ٱسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي(١٩٤) ٱلإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ(١٩٥)، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ(١٩٦) لإِحْكَامِكَ ٱلْكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ. فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ(١٩٧) لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ

إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ ٱلْعُيُونُ(١٩٨)، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لأُولئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ ٱعْمَلْ فِيهِمْ بِٱلإِعْذَارِ(١٩٩) إِلَى ٱللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى ٱلإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى ٱللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْيُتْمِ(٢٠٠) وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ(٢٠١) مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ(٢٠٢) لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى ٱلْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللهِ لَهُمْ.

وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ(٢٠٣) وَشُرَطِكَ(٢٠٤)، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ(٢٠٥)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ(٢٠٦) مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ(٢٠٧)، وَنَحِّ(٢٠٨) عَنْهُمُ الضِّيقَ وَٱلأَنَفَ(٢٠٩) يَبْسُطِ ٱللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ(٢١٠) رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!.

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا(٢١١) عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ(٢١٢) حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ(٢١٣) بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ. وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ. وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ(٢١٤) تِلْكَ ٱلأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ للهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ ٱللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى ٱللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ(٢١٥) وَلاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى ٱلْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».

وَأَمَّا بَعْدُ، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجَابَكَ(٢١٦) عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ ٱحْتِجَابَ ٱلْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ(٢١٧) مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِٱلأُمُورِ، وَٱلاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيحُ، وَيُشَابُ(٢١٨) ٱلْحَقُّ بِٱلْبَاطِلِ. وَإِنَّمَا ٱلْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى(٢١٩) عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ ٱلأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى ٱلْحَقِّ سِمَاتٌ(٢٢٠) تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ(٢٢١) الصِّدْقِ مِنَ ٱلْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا ٱمْرُؤٌ سَخَتْ(٢٢٢) نَفْسُكَ بِٱلْبَذْلِ(٢٢٣) فِي ٱلْحَقِّ، فَفِيمَ ٱحْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ(٢٢٤)! أَوْ مُبْتَلًى بِٱلْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ(٢٢٥) مَظْلَمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ ٱسْتِئْثَارٌ(٢٢٦) وَتَطَاوُلٌ(٢٢٧)، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَٱحْسِمْ(٢٢٨) مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ ٱلأَحْوَالِ. وَلاَ تُقْطِعَنَّ(٢٢٩) لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ(٢٣٠) قَطِيعَةً، وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي ٱعْتِقَادِ(٢٣١) عُقْدَةٍ(٢٣٢)، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ

مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ[٢٣٣] ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ ٱلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَٱلْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَٱبْتَغِ[٢٣٤] عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ[٢٣٥] ذلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً[٢٣٦] فَأَصْحِرْ[٢٣٧] لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ رِيَاضَةً[٢٣٨] مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى ٱلْحَقِّ.

وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَللهِ فِيهِ رِضًى، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً[٢٣٩] لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ ٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ. فَخُذْ بِٱلْحَزْمِ، وَٱتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِٱلْوَفَاءِ، وَٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِٱلأَمَانَةِ، وَٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً[٢٤٠] دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ ٱللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ ٱلْوَفَاءِ بِٱلْعُهُودِ. وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ ٱلْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا[٢٤١] مِنْ عَوَاقِبِ ٱلْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ[٢٤٢]، وَلاَ تَخْتِلَنَّ[٢٤٣] عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِىءُ عَلَى ٱللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ[٢٤٤] بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً[٢٤٥] يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ[٢٤٦]، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ، فَلاَ إِدْغَالَ[٢٤٧] وَلاَ مُدَالَسَةَ[٢٤٨] وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ ٱلْعِلَلَ[٢٤٩]، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ[٢٥٠] بَعْدَ التَّأْكِيدِ

وَالتَّوْثِقَةِ. وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ، لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللهِ، إِلَى طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو ٱنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ، لاَ تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا[٢٥١] بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَٱنْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَٱللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِىءٌ بِٱلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ ٱلْعَمْدِ، لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ[٢٥٢] ٱلْبَدَنِ. وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ[٢٥٣] عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِٱلْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ[٢٥٤] فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ[٢٥٥] بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَٱلإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ ٱلإِطْرَاءِ[٢٥٦]، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ[٢٥٧] مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ ٱلْمُحْسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ[٢٥٨] فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ[٢٥٩] عِنْدَ ٱللهِ وَالنَّاسِ. قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾.

وَإِيَّاكَ وَٱلْعَجَلَةَ بِٱلأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَقُّطَ[٢٦٠] فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا،

أَوِ اللَّجَاجَةَ(٢٦١) فِيهَا إِذَا تنكَّرَتْ(٢٦٢)، أَوِ ٱلْوَهْنَ(٢٦٣) عَنْهَا إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ. فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَٱلاسْتِئْثَارَ(٢٦٤) بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ(٢٦٥) عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ. وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ ٱلأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ. ٱمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ(٢٦٦)، وَسَوْرَةَ(٢٦٧) حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ(٢٦٨) لِسَانِكَ، وَٱحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفِّ ٱلْبَادِرَةِ(٢٦٩)، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ ٱلاخْتِيَارَ: وَلَنْ تَحْكُمَ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ ٱلْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَٱلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذَا، وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا. وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ ٱلإِقَامَةِ عَلَى ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ، وَجَمِيلِ ٱلأَثَرِ فِي ٱلْبِلَادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَالسَّلَامُ.

اللغة

١ ـ الجباية : من جبا الخراج إذا جمعه.
٢ ـ الإيثار : الاختيار، والتفضيل.
٣ ـ الفرائض : الواجبات.
٤ ـ السنن : المستحبات.
٥ ـ يشقى : ضد يسعد.
٦ ـ ضيع الشيء : أهمله وأهلكه.
٧ ـ يكسر نفسه : يمنعها.
٨ ـ يزعها : يكفها.
٩ ـ الجمحات : من جمح الفرس إذا تغلب على راكبه وذهب به لا ينثني.
١٠ ـ جرت : مرّت.
١١ ـ الجور : الظلم.
١٢ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما يخبؤه المرء لوقت الحاجة.
١٣ ـ الشح : البخل.
١٤ ـ الإنصاف : العدل، وأنصف الخصمين سوّى بينهما وعاملهما بالعدل.
١٥ ـ أشعر : أخبر والشعار ما يلي البدن من الثياب.
١٦ ـ الرعية : جمعها رعايا عامة الناس الذين عليهم راع.
١٧ ـ لطف به : رفق به.
١٨ ـ السبع : المفترس من الحيوان.
١٩ ـ الضاري : المعتاد للصيد، الجريء عليه.
٢٠ ـ اغتنم الشيء : عدّه غنيمة وانتهز غنمه.
٢١ ـ النظير : المثيل والمساوي.
٢٢ ـ يفرط : يسبق.
٢٣ ـ الزلل : الخطأ.
٢٤ ـ تعرض : تظهر، تصيبه.
٢٥ ـ يؤتى على أيديهم : يفعلون.
٢٦ ـ استكفاك : يقال استكفى الرجل الشيء طلب منه أن يكفيه إياه.
٢٧ ـ لا تنصبن : لا تقومنّ في المواجهة.
٢٨ ـ النقمة : العقوبة.
٢٩ ـ تندمنّ : من الندم وهو الحزن.

٣٠ ـ التبجح	: الفرح وإظهار المباهاة.
٣١ ـ البادرة	: الحدة.
٣٢ ـ المندوحة	: السعة في الأمر والفسحة وعدم الاضطرار.
٣٣ ـ الأدغال	: الفساد.
٣٤ ـ المنهكة	: الضعف.
٣٥ ـ الأبهة	: الكبر.
٣٦ ـ المخيلة	: الكبر والزهو.
٣٧ ـ يطامن	: يخفّض.
٣٨ ـ الطماح	: النشوز والجماح.
٣٩ ـ يكف	: يمنع.
٤٠ ـ الغرب	: الحدة وعزب أي غاب.
٤١ ـ الجبروت	: صيغة مبالغة بمعنى القدرة والسلطة والعظمة.
٤٢ ـ اختال	: تبختر وتكبر.
٤٣ ـ أنصف	: أقسم مناصفة وهنا أعدل.
٤٤ ـ الخصم	: المنازع.
٤٥ ـ أدحض حجته	: أبطلها.
٤٦ ـ ينزع	: يرجع.
٤٧ ـ ادعى	: أنسب وأشد.
٤٨ ـ نقمة	: عقوبة.
٤٩ ـ أقام على الشيء الفلاني	: داوم عليه واستمر على فعله.
٥٠ ـ المضطهدين	: المقهورين، المظلومين.
٥١ ـ المرصاد	: الطريق.
٥٢ ـ السخط	: الغضب.
٥٣ ـ يجحف به	: يذهب به.
٥٤ ـ الإلحاف	: الالحاح والشدة في السؤال.
٥٥ ـ الملمات من الدهر	: خطوبه وبلاياه.
٥٦ ـ جماع المسلمين	: جماعتهم.
٥٧ ـ الصغو	: الميل.
٥٨ ـ أشنأهم	: أبغضهم.
٥٩ ـ العورة	: ما يستقبح كشفه.
٦٠ ـ الوتر	: العداوة.

٦١ ـ تغاب : تغافل.
٦٢ ـ الساعي : النمام.
٦٣ ـ عدل به : حاد به وانحرف.
٦٤ ـ الفضل : العطاء.
٦٥ ـ الشره : أشد الحرص.
٦٦ ـ الجور : الظلم.
٦٧ ـ الآثام : المعاصي.
٦٨ ـ بطانة الرجل : خاصته الملاصقون به.
٦٩ ـ أعوان : مساعدون وأنصار.
٧٠ ـ الآصار : الآثام.
٧١ ـ أحنى : أعطف.
٧٢ ـ حفلاتك : جلساتك في المجامع والمحافل.
٧٣ ـ آثرهم : أفضلهم.
٧٤ ـ ألصق : قرّب.
٧٥ ـ رضهم : عوّدهم.
٧٦ ـ الإطراء : المدح المبالغ فيه.
٧٧ ـ يبجحوك : يسروك.
٧٨ ـ الزهو : الكبر.
٧٩ ـ النصب : التعب.
٨٠ ـ بلاؤك : أعمالك الحسنة التي تمتحن فيها فتنجح.
٨١ ـ السنة : الطريقة وهي مقابل البدعة.
٨٢ ـ الصدور : جمع صدر ما دون العنق إلى فضاء الجوف والمقصود هنا المسلمون زمن رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ.
٨٣ ـ الإلفة : الصداقة والمحبة.
٨٤ ـ الوزر : الإثم.
٨٥ ـ نقض : حلّ وأبطل.
٨٦ ـ المناقشة : المحادثة.
٨٧ ـ تثبيت : استقرار.
٨٨ ـ طبقات : مراتب.
٨٩ ـ الجزية : ضريبة تؤخذ من أهل الذمة.
٩٠ ـ أهل الذمة : هم أهل الكتاب الذين يعيشون في عهدة المسلمين بموجب عهد بينهما.

٩١ ـ سهمه	:	نصيبه.
٩٢ ـ الحصون	:	جمع حصن كل مكان محمي منيع.
٩٣ ـ سبل	:	جمع سبيل وهو الطريق.
٩٤ ـ الخراج	:	ضريبة على الأرض قدرها الشارع.
٩٥ ـ المعاقد	:	جمع معقد وهو العقد والقرار في المعاملات ويطلق على الأوراق المتضمنة للمعاهدات.
٩٦ ـ الخواصّ	:	جمع الخاصة ضد العامة الذي تخصّه بنفسك وهنا صاحب السر.
٩٧ ـ المرافق	:	جمع مرفق ما ينتفع به ومنه مرافق الدار أي منافعها.
٩٨ ـ الترفق بأيديهم	:	الإعانة بها.
٩٩ ـ الرفد	:	الإعانة والعطاء.
١٠٠ ـ وطّن نفسه على كذا	:	حملها عليه.
١٠١ ـ نقي الجيب	:	ناصح لا يغش ولا يخون أو يسرق.
١٠٢ ـ يبطىء	:	يتأخر.
١٠٣ ـ يرأف	:	يعطف.
١٠٤ ـ ينبو	:	يعلو، يتباعد.
١٠٥ ـ يثيره	:	يحركه.
١٠٦ ـ المروءات	:	جمع مروءة وهي النخوة وكمال الرجولة.
١٠٧ ـ النجدة	:	يقال فلان صاحب نجدة أي إعانة فهو يمضي فيما يعجز عنه غيره، الرفعة.
١٠٨ ـ جماع الشيء	:	مجتمعه.
١٠٩ ـ العرف	:	المعروف وكل أمر حسن.
١١٠ ـ تفقده	:	طلبه حال غيبته.
١١١ ـ تفاقم	:	عظم.
١١٢ ـ لا تحقرن لطفاً	:	لا تستصغر الصغير مما تسديه إليهم.
١١٣ ـ تعاهد الأمر	:	إذا داوم عليه واستمر.
١١٤ ـ آثرهم	:	أحظاهم وأقربهم.
١١٥ ـ الجدة	:	بكسر الجيم الغنى.
١١٦ ـ الخلوف	:	جمع خلف المتخلفون.
١١٧ ـ قرة العين	:	ما تقر به العين وتسر.
١١٨ ـ الحيطة	:	الشفقة والرعاية.
١١٩ ـ استثقال	:	تحمل الشدة والاستنكار بالقلب.

١٢٠ ـ أبلى بلاء حسناً : عمل عملاً حسناً.
١٢١ ـ تهز الشجاع : تحركه.
١٢٢ ـ حرّضه على الأمر: حثه عليه.
١٢٣ ـ الناكل : المتأخر، القاعد.
١٢٤ ـ ما يضلعك : ما يثقلك ويستصعب عليك.
١٢٥ ـ الخطوب : الأمور العظيمة.
١٢٦ ـ لا تمحكه الخصوم : لا تجعله غضوباً لجوجاً عسر الخلق.
١٢٧ ـ يتمادى : يستمر.
١٢٨ ـ الحصر : الضيق ولا يحصر لا يضيق.
١٢٩ ـ الفيىء : الرجوع.
١٣٠ ـ التبرم : الضجر والسأم.
١٣١ ـ أصرمهم : أقطعهم وأمضاهم.
١٣٢ ـ ازدهاه : استخفه.
١٣٣ ـ الإطراء : المدح.
١٣٤ ـ الإغراء : التحريض.
١٣٥ ـ تعاهده : تتبعه بالاستكشاف والتعرف.
١٣٦ ـ أفسح له في البذل : وسّع عليه في العطاء.
١٣٧ ـ البذل : العطاء.
١٣٨ ـ يزيل علته : يمحوها ويرفعها.
١٣٩ ـ الاغتيال : الهلكة، القتل على غفلة.
١٤٠ ـ استعملهم اختباراً : ولّهم الأعمال بالامتحان.
١٤١ ـ المحاباة : الميل والعطاء بدون عوض.
١٤٢ ـ الإثرة : الاستبداد.
١٤٣ ـ التوخي : التقصد.
١٤٤ ـ أسبغ عليه الرزق: أكمله وأوسع له فيه.
١٤٥ ـ ثلموا أمانتك : نقصوا في أدائها أو خانوا.
١٤٦ ـ العيون : الرقباء.
١٤٧ ـ حدوة : حث لهم وبعث.
١٤٨ ـ نصبته : أقمته.
١٤٩ ـ وسمته : جعلت له علامة يعرف بها.

١٥٠ ـ قلّدته : من القلادة وهو ما يوضع في جيد الفتاة من الزينة .
١٥١ ـ تفقده : طلبه عند غيبته .
١٥٢ ـ عيال : العالة الحاجة .
١٥٣ ـ انقطاع الشرب : بالكسر نقصان الماء في بلاد تسقى بها .
١٥٤ ـ انقطاع بالة : أي ما يبل الأرض .
١٥٥ ـ أحالة الأرض : يعني حالت الأرض فتغيرت وفسد حبها من جراء غرقها .
١٥٦ ـ أجحف بها : أتلفها .
العطش
١٥٧ ـ التبجح : السرور والفرح .
١٥٨ ـ الإجمام : الترفيه .
١٥٩ ـ عولت : اعتمدت .
١٦٠ ـ العوز : الحاجة والضيق .
١٦١ ـ العبر : العظات .
١٦٢ ـ المكائد : جمع مكيدة تدبير سري تجاه العدو .
١٦٣ ـ البطر : الطغيان عند النعمة .
١٦٤ ـ جرؤ عليه : أقدم عليه وهجم .
١٦٥ ـ الملأ : الجماعة الذين لهم الرأي .
١٦٦ ـ الفراسة : قوة الفطنة .
١٦٧ ـ الاستنامة : السكون والثقة .
١٦٨ ـ التصنع : التكلف .
١٦٩ ـ ولوا : تولوا وتقلدوا .
١٧٠ ـ أعمد : أقصد .
١٧١ ـ يقهره : يغلبه .
١٧٢ ـ تغابيت : تغافلت .
١٧٣ ـ المضطرب بماله : المتردد بين البلدان بأمواله .
١٧٤ ـ المترفق ببدنه : المكتسب بعمله .
١٧٥ ـ المواد : الأصول .
١٧٦ ـ المطارح : الأماكن البعيدة .
١٧٧ ـ لا يلتئم : لا يجتمع .
١٧٨ ـ البائقة : الداهية .
١٧٩ ـ الغائلة : الشر .
١٨٠ ـ حواشي البلاد : أطرافها .

١٨١ ـ الشح : البخل.
١٨٢ ـ الاحتكار : حبس المنافع عن الناس عند الحاجة إليها.
١٨٣ ـ المضرة : الضرر.
١٨٤ ـ السمح : السهل الذي لا ضيق فيه.
١٨٥ ـ لا تجحف : من الإجحاف وهو النقص الفاحش.
١٨٦ ـ قارف الشيء : ارتكبه وعمله.
١٨٧ ـ الحكرة : بالضم الإحتكار.
١٨٨ ـ نكّل به : أوقع به العذاب.
١٨٩ ـ من غير إسراف : من غير تجاوز للحد المشروع.
١٩٠ ـ البؤسى : من البؤس وهو شدة الفقر.
١٩١ ـ الزمنى : بفتح أوله أولو الزمانة جمع زمين وهم أرباب العاهات كأصحاب الفالج.
١٩٢ ـ القانع : السائل.
١٩٣ ـ المعتر : بتشديد الراء المتعرض للعطاء بلا سؤال.
١٩٤ ـ الصوافي : هي الأرض التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.
١٩٥ ـ البطر : طغيان النعمة.
١٩٦ ـ التافه : القليل.
١٩٧ ـ صعر خده : تكبر عليهم.
١٩٨ ـ تقتحمه العيون : تزدريه.
١٩٩ ـ أعذر في الأمر : صار ذا عذر فيه.
٢٠٠ ـ أهل اليتم : الأيتام.
٢٠١ ـ ذوي الرقة في السن : المتقدمون فيه.
٢٠٢ ـ ينصب نفسه : يقيمها.
٢٠٣ ـ الأحراس : جمع حرس بالتحريك وهو من يحرس الحاكم ويسعى في حفظه.
٢٠٤ ـ الشرط : بضم ففتح الشرطة.
٢٠٥ ـ التعتعة في الكلام : الاضطراب في الكلام من جراء الخوف.
٢٠٦ ـ الخرق : بالضم العنف ضد الرفق.
٢٠٧ ـ العي : بالكسر العجز عن الكلام.
٢٠٨ ـ نح : أبعد.
٢٠٩ ـ الأنف : الأنفة وهي خصلة تلازم التكبر.
٢١٠ ـ الأكناف : الجوانب.

٢١١ ـ يعيي : يعجز.
٢١٢ ـ الإصدار : ضد الورود.
٢١٣ ـ الحرج : الضيق.
٢١٤ ـ أجزلها : أعظمها.
٢١٥ ـ المثلوم : ما فيه خلل.
٢١٦ ـ احتجب : استتر.
٢١٧ ـ شعبة : قسم.
٢١٨ ـ شاب شوباً : خلط.
٢١٩ ـ توارى : اختفى.
٢٢٠ ـ سمات : علامات.
٢٢١ ـ ضروب : أنواع.
٢٢٢ ـ سخت : جادت.
٢٢٣ ـ البذل : العطاء.
٢٢٤ ـ تسديه : تؤديه وتعطيه.
٢٢٥ ـ شكاة : بالفتح من الشكاية وهي التظلم.
٢٢٦ ـ الاستئثار : طلب الأمور للنفس خاصة.
٢٢٧ ـ التطاول : الإشراف وهو العلو والارتفاع.
٢٢٨ ـ الحسم : قطع الدم بالكي وحسمه حسماً قطعه.
٢٢٩ ـ الإقطاع : المنحة من الأرض والقطيعة هو الممنوح منها.
٢٣٠ ـ الحامة : الخاصة والقرابة.
٢٣١ ـ الاعتقاد : الامتلاك.
٢٣٢ ـ العقدة : بالضم، الضيعة واعتقاد الضيعة اقتناؤها.
٢٣٣ ـ المهنأ : المنفعة الهنيئة.
٢٣٤ ـ أبتغ : أطلب.
٢٣٥ ـ المغبة : العاقبة.
٢٣٦ ـ الحيف : الظلم.
٢٣٧ ـ أصحر لهم : أبرز.
٢٣٨ ـ رياضة منك : تعويداً لنفسك.
٢٣٩ ـ الدعة : الراحة.
٢٤٠ ـ الجنة : بالضم الوقاية.
٢٤١ ـ استوبلوا : وأصل الوبال الوخم وهنا سوء العاقبة.
٢٤٢ ـ خاس بعهده : خانه ونقضه.

٢٤٣ ـ الختل	:	الخداع .
٢٤٤ ـ أفضاه	:	أفشاه .
٢٤٥ ـ الحريم	:	ما حرم هتكه والتفريط فيه .
٢٤٦ ـ المنعة	:	بالتحريك ما تمتنع به من القوة .
٢٤٧ ـ الإدغال	:	الإفساد .
٢٤٨ ـ المدالسة	:	الخيانة .
٢٤٩ ـ العلل	:	ما يحول الكلام عن قصده المراد .
٢٥٠ ـ لحن القول	:	ما يقبل التخلص من العقد بالتورية والتعريض .
٢٥١ ـ سفك الدم	:	أراقه .
٢٥٢ ـ القود	:	بالتحريك القصاص وقتل القاتل قبال جنايته على القتيل .
٢٥٣ ـ أفرط	:	سبق وعجل .
٢٥٤ ـ الوكزة	:	الضربة بجمع الكف .
٢٥٥ ـ فلا تطمحن	:	فلا ترتفعن .
٢٥٦ ـ الإطراء	:	المدح والإفراط فيه .
٢٥٧ ـ محق الشيء	:	أزاله .
٢٥٨ ـ التزيد	:	الزيادة أي احتساب العمل أزيد مما يكون .
٢٥٩ ـ المقت	:	البغض والسخط .
٢٦٠ ـ التسقط	:	التهاون .
٢٦١ ـ لج في الأمر	:	لازمه وألح في طلبه .
٢٦٢ ـ تنكرت	:	لم يعرف وجه الصواب فيها .
٢٦٣ ـ الوهن	:	الضعف .
٢٦٤ ـ استأثر بالشيء	:	استبد به وخص به نفسه .
٢٦٥ ـ التغابي	:	التغافل .
٢٦٦ ـ حمية الأنف	:	الغضب .
٢٦٧ ـ السورة	:	بفتح السين وسكون الواو الحدة .
٢٦٨ ـ غرب لسانك	:	حدّ لسانك تشبيهاً له بحد السيف .
٢٦٩ ـ البادرة	:	ما يبدر من اللسان عند الغضب .

الشرح

(هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة

بلادها) صفة العبودية لله من أرفع الأوصاف وأجلها وهي ترادف التحرر من جميع العبوديات الأخرى التي تتجسد في المال والمنصب والأهل والعشيرة والقومية والعنصرية، فإن من كان عبداً لله يرفض أن يكون عبداً لهذه الأمور وبمقدار تعمق هذه العبودية يكون التحرر والانطلاق، فإن من كان عبداً لله لا يرضى أن يكون عبداً للمال فلا يذل نفسه ولا يهينها من أجل حفنة من الدراهم يتقاضاها رشوة، أو يمد يده إليها ليسرقها أو يساوم على كرامة أمته ووجودها وكذلك العبودية لله يرفض على أساسها أن يكون المسلم عبداً لشهواته. . . وغيرها من الأصنام والآلهة المصطنعة. . .

ولعظم هذه الصفة ـ العبودية لله ـ نرى أن الله وصف رسوله الكريم بها يقول تعالى شأنه: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾ فلم يقل سبحان الذي أسرى بمحمد أو بالرسول أو بأبي القاسم بل جاء بصفة العبودية التي تمثل الشرف والسمو والكرامة بمنتهى درجاتها.

ولشرف هذه الصفة نرى أن الله يصف بها أنبياءه، فهذا شيخ الأنبياء إبراهيم يقول الله تعالى في حقه: ﴿**سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين**﴾.

وهذا موسى وهارون يقول تعالى عنهما: ﴿**سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين**﴾.

وهذا عيسى يحكي الله عنه واقع أمره: ﴿**لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله. . .**﴾.

وكذلك جرى ذكر الأنبياء كلهم بالعبودية، نوح وأيوب ويعقوب وإسحاق وزكريا وداود ولوط وغيرهم. . . وهذا كله يدلّل على أن هذه الصفة لها مرتبة عليا عند الله وبمقدار ما يكون الإنسان عبداً لله ومطيعاً له يكون متحرراً ومنطلقاً. وإن أمير المؤمنين يعترف بعبوديته لله ويجسد ذلك في جميع تصرفاته وأعماله فلا يخرج عن هذه العبودية طيلة حياته فهو في خطّ الله الذي رسم لعباده وأمرهم بانتهاجه، هو عبد الله عندما كان يجاهد بين يدي النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وهو عبد الله عندما انحرفت عنه الخلافة وجلس في بيته وهو عبد الله عندما عادت إليه وتولاها فهو عبد الله في جميع أحواله، وكذلك يجب أن يكون المؤمنون، بنفس الخط وفي ذات الاتجاه عبيداً لله، ولله فقط. . .

وهذه الأمور الأربعة هي غاية الحاكم المسلم، فمن أجلها يرغب في الأمرة والولاية، إن استطاع أن يقيمها بحدودها ويرعاها بشرائطها، ومن هنا كان الإمام علي

يقول: اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك. . . وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة. وأما إذا لم يكن مستطيعاً لذلك فلا يجوز أن يتقدم لها فإن تقدم والحال كذلك يعد خيانة لله ورسوله وعباده المسلمين. . .

إن إقامة المجتمع الإسلامي النظيف لا يتحقق إلا إذا استطاع الوالي أن يقوم بهذه الأمور. . .

جباية الخراج:

المعبر عنه في عصرنا بالضرائب ولكنها ضرائب إسلامية لم تؤخذ لجيوب الكبار من الطبقة الحاكمة، وليس لها بحال أن تصرف في ملاهي الأمير والملك وحاشيتهما، في أمريكا وأوربا كما يفعله أمراء الضلال وحكام الباطل، بل دور هذه الضرائب أن تصرف في سدّ حاجة المحتاجين ورفع عوز المساكين وستر عورة الفقراء البائسين، إنها تؤخذ لتعطى لأهل المسكنة والمتربة ممن لا حيلة لهم في العمل ولا قدرة لهم على ممارسة الضرب في الأرض من المقعدين والمرضى والمعوقين. إنها ضرائب فرضها الله على الإنسان من أجل أخيه الإنسان. . .

جهاد عدوها:

وهذه هي المهمة الثانية التي يجب أن يقوم بها الحاكم المسلم وهي جهاد عدو الدولة فإنها مهمة شاقة وكبيرة ولكنها جليلة وعظيمة وهذا الجهاد ليس عدوانياً أو استعمارياً كما تنتهجه الدول الكبرى في عصرنا حيث قسموا السماء والأرض ومن عليهما إلى مناطق نفوذ وأسواق لتصريف منتوجاتهم إن هذه الحروب التي تشنها الدول الكبرى غايتها وجوهرها استعباد الناس واستذلالهم وقتل الروح الثورية المتفتحة فيهم، إن قتال الدول الكبرى اليوم لم يكن إلا من أجل استغلال واستعباد الشعوب الضعيفة التي لا تملك القوة الرادعة للمجابهة والمقاومة. . .

وهذا بخلاف الجهاد الإسلامي الذي يتبنى الإنسان المقهور والمسحوق والمستذل والمستعبد، هذا الإنسان الذي استعبدته الآلهة المصطنعة ومنعته من رؤية النور والحق،

فيأتي الإسلام في جهاده ليرفع القهر والظلم والإذلال والاستعباد، يأتي ليحطم الأصنام البشرية التي صنعتها أيدي الطواغيت والظالمين ويرفع الغشاوة التي وضعها المستكبرون على عقول المستضعفين. . . الجهاد الإسلامي كان من أجل الإنسان، من أجل رد اعتباره وكرامته وهل هناك مسوّغ أعظم من ذلك لعملية الجهاد والقتال. . . إن الجهاد يوفر الفرصة للإنسان كي يقف على الحقيقة ويبصر النور الذي يقوده لسعادة الدنيا والآخرة. . . والجهاد في الإسلام كما بحثه الفقهاء ينقسم إلى أربعة أقسام.

الأول: جهاد المشركين ابتداءً لدعائهم إلى الإسلام المعبر عنه بجهاد نشر الإسلام.

الثاني: جهاد المشركين الذين يعلنون الحرب على المسلمين لاحتلال أرضهم وأخذ أموالهم وهذا هو المسمى بالدفاع.

الثالث: جهاد من يريد قتل نفس محترمة أو أخذ مال وهذا أيضاً من الدفاع.

الرابع: جهاد الخارجين على الإمام المعبر عنهم بالبغاة. . .

وهذه العناوين الأربعة لها تفصيلات وتفريعات قد أحاط بها فقهاؤنا رضوان الله عليهم وأتوا على كل مسألة مسألة وبيّنوا حكم الإسلام فيها فمن أرادها فليرجع إلى كتب الفقه فإنها خزائن تلك المسائل ومقالعها. . .

واستصلاح أهلها:

وهذه هي المهمة الثالثة التي تناط بالحاكم المسلم إنها مهمة إصلاح أهل البلاد، إصلاحهم في جميع أمورهم المعاشية والمعادية، ينظر إلى دنياهم فيوفر لهم الضروريات التي تتوقف الحياة عليها ويهيىء لهم الفرص الكافية للعمل والجد والاشتغال كي يتهيأ لهم المأكل والمطعم والملبس.

كما يجب على الوالي أن يصلحهم ويأدبهم بلسانه وسوطه كي يدوم المستقيم على استقامته ويرتدع الفاسد عن فساده. وهذه المهمة من أعظم المهمات وأجلها، من أجل الإصلاح كانت دعوة الأنبياء ورسالاتهم، ومن أجل الإصلاح كانت ثورة المصلحين والعظماء. . .

من أجل إصلاح الناس نزلت الشرايع وتحدث المصلحون والمرشدون، إنها عملية شاقة في قلع الانحراف والقضاء على الفساد ولكنها مطلب رسالي وهدف إسلامي.

وعمارة بلادها.

وهذه هي المهمة الرابعة للحاكم المسلم، إنها عمارة البلاد التي تتقوم بتنشيط التجارة والزراعة والصناعة وتوفير المواد الأولية للأعمال التي تتطلبها أو تحتاجها، إن عمارة البلاد تتوقف على الأمن والدعة كي يطمئن صاحب المال إلى بقاء ماله واستثماره ويعلم العامل أنه في استمرار ودوام في عمله فيجدّ ويبني ويعمل وكذلك الزراع والفلاح وأصحاب الأعمال والحرف...

إن عمارة البلاد يتوقف على رأس المال الذي يجبى من الخراج وعلى الأمن الذي ينعم به الفرد حيث يعلم أنه غير مهدد في وجوده من أعدائه في الخارج أو من المفسدين في الداخل...

بهذه الأمور الأربعة يتقوم صلب العدل الاجتماعي والرفاهية الإنسانية والسعادة البشرية وبقيام الحاكم بها يكون قد أدى دوراً إسلامياً رائداً في بناء المجتمع الصالح الذي ينشده الأنبياء ويدعو إليه المصلحون...

(أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته. واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها) فيما مضى كان النظر متوجهاً إلى الحاكم باعتباره ولي أمور الناس والناظر فيما يصلحهم ويحقق سعادتهم فلذا كان الإمام يوجهه إلى ما يتحقق به ذلك وأما في هذا المقام فقد توجه إلى الوالي باعتباره مسلماً وأوصاه بهذه الوصايا العظيمة التي تعد غرة الوصايا وشرفها...

أمره بتقوى الله وتقوى الله تشكل الالتزام الحرفي بالإسلام فلا يترك واجباً ولا يرتكب محرماً ويبقى هكذا مستمراً ضمن هذا الخط المستقيم وهذا المعنى يطلبه الإسلام من كل الناس الذين يدينون به ويؤمنون بتعاليمه، فالأصل الأولي في كل مسلم أن يكون بهذا المستوى من الالتزام وأما الانحراف عن هذا، والخروج عنه فيعده الإسلام شذوذاً وضلالاً وخرقاً للقاعدة الأصلية التي يجب أن تتوفر في كل مسلم...

تقوى الله بالمعنى الذي أوضحناه يحقق السعادة للفرد والمجتمع ويساعد على تحقيق المجتمع الإسلامي الصالح فإن المجتمع إذا كانت كل أفراده ملتزمة بحرفية الشريعة يتحقق عندها المجتمع السليم الذي ينادي به الإسلام وينشده...

ثم إن الإمام بيّن أن السعيد حقاً هو من التزم جانب الفرائض والسنن فأقامها وفي مقابله الشقي الذي يجحد تلك السنن وينكرها أو يعترف بها ولكنه لا يقيمها، والإنكار لهذه الفرائض والسنن يمثل قمة الرفض والعناد إذ قد يأخذ دور الحرب لها وللمقيمين لها

وهذا يشكل أخطر مرحلة من مراحل الإنكار. . .

إن الميزان الذي يضعه الإمام لسعادة الفرد وشقائه هو هذا الميزان المأخوذ من هذه الفقرات. . . فالسعيد هو المطيع لأمر الله والشقي هو العاصي لذلك الأمر.

(وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه، جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء، إلا ما رحم الله) هذه وصية أخرى من أغلى الوصايا وهي نصرة الله المتجسدة بنصرة دينه وعباده وقد اتخذت هذه النصرة أشكالاً ثلاثة النصرة بالقلب المتجسدة في إنكار المنكر وعدم الرضا به ممن صدر منه أو الفرح والسرور بمن أطاع الله وعمل بما أمر به وهذه أقل مراتب النصرة وأيسرها وقد أفتى الفقهاء بحرمة الرضا بالحرام بل يجب على المسلم أن لا يكون راضياً بالحرام ومن هنا ورد عن أمير المؤمنين من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه فهو ميت بين الأحياء ويحدث ابن أبي ليلى الفقيه قال: إني سمعت علياً عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين. ثم النصرة باليد وهي أن يمنع من تحقيق المنكرو ويردع المرتكب للمحرمات باليد والقوة أو يساعد الناس بقوته وسلطانه على تحقيق الطاعات والقربات وهناك نموذج ثالث لنصرة الله وهي النصرة باللسان بتوجيه الناس نحو الخيرات والواجبات أو يردعهم عن المحرمات والممنوعات وهذه المراتب الثلاثة ليست في رتبة واحدة بل تتخذ الشكل الطولي والتسلسل التدريجي فرب إنسان يكتفي منك أن تشعره بعدم الرضا بفعله فيرتدع وربما لا يكتفي آخر بذلك فتحتاج إلى أن تضم إليه الكلام وهكذا. . .

وهذه النصرة لدين الله وعباده متوجة بالربح على كل حال ـ فلا تتعرض للخسارة أبداً ـ لأنه متى نصر الله بالقلب واليد واللسان يكون قد عمل بما أمره الله تعالى ومتى عمل بما أمر الله تحقق له الفوز والسعادة لأن رضا الله هو الغاية وقد تحقق بامتثال ما أمر. . .

ثم إن الإمام ينبه على مطلب مهم يجب أن يلتفت إليه كل إنسان ويبقى على حذر منه وهو هذه النفس التي تميل نحو الشهوات والأهواء فإنه يوصي عليه السلام أن يكسر حدتها ويكبح جماحها ويجعلها خاضعة في ميولها ومشتهياتها إلى مرضاة الله وأمره وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام الكثير من الحث على مراقبة النفس ومحاسبتها وردعها

عن رغباتها المحرمة فقد ورد عن النبي أنه بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس.

وورد عن الإمام الصادق (ع): من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار.

يجب على المسلم أن يكسر نفسه ويمنعها لأنه متى كسرها امتنعت، أن يكسر هذه النفس عن الشهوات فربما اشتهت أمراً محرماً وكثيراً ما تشتهي فيردعها المسلم عن الإقدام على ذلك متذكراً أن وراءها غضب الله وعذابه...

إنه عليه السلام يقول له: كف نفسك عندما تجمح إلى شهواتها ومآربها فإنها تأمر بالسوء إلا للذين رحمهم الله من النبيين والمرسلين والصالحين.

(ثم اعلم يا مالك، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده) إن الإمام هنا يريد أن يلفت نظر مالك إلى هذا البلد الذي ولاه عليه ـ وإلى كل بلد ـ كما يريد أن يعيده إلى نفسه قبل بضع سنوات، عندما كان فرداً من الرعية، ويذكره بشعوره الذي كان يخالجه اتجاه الولاة...

إنه يريد أن يقول لمالك: إنني قد وجهتك إلى بلاد قد تداول عليها الجور والظلم، وهذا التاريخ ينقل سيرة أولئك الذين تولوا عليها، فهل يمكن للوالي أن يختار أحد الطريقين فيسلك أيهما شاء، أو أنه يتعين عليه الأخذ بالعدل والعمل بالمساواة والسير بالحق، إنه طريق واحد يريده الإسلام من الوالي وتريده الرعية أيضاً إنه العدل، والعدل فقط، وأقوى دليل على هذا التعيين هو أنك كنت فرداً من الرعية، كنت في الكوفة تعيش مع الولاة وتطمح نفسك إليك أن يسيروا بالعدل والهدى، إنك يا مالك قد تحركت في وجه الظلم والانحراف فكيف تمارسه الآن عندما أتتك الدنيا وأصبحت في مركز المسؤولية والولاية... بل يجب عليك أن تعمل مع الرعية ما كنت تتمنى أن يعمله الولاة معك عندما كنت رعية لهم...

ثم إن الإمام يوضح أن ألسن الصالحين وحديثهم في حق إنسان يدلل على صلاحه وإحسانه فإنهم لا يتكلمون إلا بما يرون فلذا يكون حديثهم عن معرفة ويقين لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه فإن صلاحهم يمنعهم عن ذلك...

(فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت) العمل الصالح قرين الإيمان ورفيق مسيرته، فحيث يحل الإيمان يتبعه العمل الصالح وقد ذكره الله في كتابه مع الإيمان ولم يفكك بينهما لما لهما من الاتصال والوفاق، فالإيمان عقيدة في القلب يتحرك الإنسان على أساسها في اتجاه مستقيم من فعل الخير والإحسان وزرع الحب بين الناس ولا يمكن أن يُفرض الإيمان في قلب فردٍ عارياً عن العمل الصالح فإن مثل هذا الإيمان مثل الجسد المشلول الذي يملك الصورة البشرية دون أن يملك الحركة التي على أساسها يملك الاختيار ووجهة المسير... والعمل الصالح يتجسد في إطاعة الله في أوامره والانتهاء عن نواهيه فالله يأمر بالعدل والإحسان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإعانة الضعيف ومدّ يد العون إلى المسكين واليتيم ورفع ضائقة المحتاجين وسد عوز الفقراء والمعوزين. إنه تعالى يأمر بكل ما يحقق لهذا الإنسان سعادة الدنيا والآخرة إنه تعالى يأمر بالعمل الصالح وهل هناك أفضل من هذه الذخيرة وأنفع منها؟ إن أنفع ما يدخره المرء هو العمل الصالح ثم إن الإمام يوجه نصيحته قائلاً لمالك: «فاملك هواك وشح بنفسك» فإن الإنسان إذا استطاع أن يسيطر على هواه استطاع أن يحقق إرادة الله فينشر العدالة وينصف الناس ويعطي كل ذي حق حقه، إن الإنسان إذا أطاع هواه فيما أحب يخرج عن عبوديته لله ليكون عبداً لهذا الهوى الفاسد وقد عدّ الله من أطاع هواه عابداً له من دون الله فقال سبحانه: ﴿**أرأيت من اتخذ إلهه هواه...**﴾ فإن الإتباع للهوى يصدّ عن سبيل الله...

ثم إن الإمام يقول له شح بنفسك ويفسر له الشح بالإنصاف من هذه النفس فيما أحبت أو كرهت فإن الإنسان يجب أن يكون على حذر من نفسه فيطيعها في طاعة الله ويعصيها في معصية الله وذلك هو إنصافها...

إن هذه النفس تمثل أغلى ما يملكه هذا الإنسان، إنها أغلى عنده من ماله ومتاعه ومن كل ما تحت يده فلذا يضحي في سبيلها بكل شيء يملكه ولا يضحي فيها من أجل شيء يملكه، فإذا كانت عزيزة بهذا المقدار ويحرص المرء عليها هذا الحرص فيجب أن يفكها من النار، ويفتديها من الهوان فلا تدفعه إلى ارتكاب الحرام وعدم إنصاف الناس بالجور عليهم والانحراف عن العدل والحق فيهم...

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من

عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك! وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم) الوالي كالأب الرحيم، يعطف على الضعيف، يعين العاجز، يوفر ظروف السعادة لرعيته لأنه يمثل القدوة والأسوة فعندما يتخذ هذا السلوك سيرة له مع الناس ينعكس هذا الأمر فيما بين الناس أنفسهم فيتبادلون الحب والعطف والرحمة واللطف وبذلك يسن طريقة تجمع القلوب وتوحد الأيدي وتلم شمل الناس على مائدة الوئام والسلام وقد مثل الإمام علي وهو في سدة الخلافة أروع صور العطف والحنان على رعيته وهذه صورة مشرقة من تلك الصور الفذة. . .

دخلت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية بعد موت علي عليه السلام، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك.

قالت: إن الله سائلك عن أمرنا، وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك، من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطأة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك.

فقال معاوية: إياي تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك على قتب فأردك إليه فينفذ فيك حكمه.

فأطرقت سودة ساعة ثم قال:

صلّى الإله على روح تضمنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟.

قالت: هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، والله لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي فلما رآني انفتل من صلاته، ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال: ألك حاجة؟.

قلت: نعم فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم وإني لم آمرهم بظلم خلقك ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا

تبخسوا الناس أشياءهم فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. . .

فالوالي يجب أن يكون صاحب القلب الكبير ينظر بعطف ورحمة إلى رعيته ولا يكونن عليهم سبعاً ضارياً يتحين الفرص لينقض على أنفسهم فيذيقها العذاب وعلى أموالهم فيتسلط عليها ظلماً وعدواناً وعلى أعراضهم فينالهم بالهتك والمهانة. . .

ويعلل الإمام ذلك بأجل عبارة وأخصرها وأروع بيان وأكمله حيث يقول: «فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق» لله أنت يا أبا الحسن. . . يا رحمة الإسلام لهذا الإنسان، عشت الإنسانية بأبعادها وارتدت الحق بمغارسه واخترقت بفكرك عمق الزمان والمكان لتقف أمام الإنسانية عملاقاً يتحدى الباطل ويستنهض الخير الكامن في وجدان كل فرد من الناس، لقد حملت هم الإنسان وترجمت ذلك في أعمالك وأقوالك. فجئت إسلاماً متحركاً في أهاب إنسان. . .

«إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق» عبارة على قصرها تتحدى ما توصل إليه الإنسان في القرن العشرين، إنها عبارة انطلقت قبل أربعة عشر قرناً واخترقت كل هذا الزمن لتتحدى فكر الإنسان في القرن العشرين الذي لم يستطع أن يأتي بصياغة أجمل منها. . . يحتوي على نفس المضمون العميق. . .

إما أخ لك في الدين تربطه معك العقيدة والمبدأ وهذا له حق عليك بل حقوق وهناك أخ لك في الخلق تجمعه معك أصل الخلقة والتكوين وهذا المعنى المشترك يفرض حقاً لكل فرد من الناس على الآخرين. . .

(**إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**) وكلا الرجلين يستحق الشفقة والرقة والحنان فإذا صدر من أحدهما زلة أو عثرة أو تجاوز ما هو مرسوم له عمداً أو خطأً فإن ذلك شيئاً يمكن أن يصدر من إنسان يدخل تحت الإمكان ولا تحوطه العصمة أو ترشده يد الله، فإذا صدر شيء من ذلك وأمكن للوالي أن يغفرها لهم أو يسترها عليهم أو يجنبهم جرائرها وآثارها فهذا شيء مطلوب ومرغوب فيه ولينظر الوالي نفسه كيف أنه لو أخطأ أو عثر يتمنى في قرارة نفسه أن يعفو عنه الله بعفوه وكذلك من هو فوقه فليكن هذا الوالي مع أمنيات رعيته في عفوه عنهم. . . وطبعاً هذا إنما يكون في الأمور التي يمكن أن يتساهل فيها أو يعفى عنها، أما إذا كان من الحدود التي لا يجوز التهاون فيها، أو الحقوق التي يجب تحصيلها فليس لأحد أن يسترها أو يعفو عنها. . .

ثم إن الله فوق الجميع وبيده الأمور كلها وهو الذي ولىّ القادر على تحمل

المسؤولية وجعله المسؤول الذي يتولى أزمة الأمور فيسوس الرعية ويصلح الحياة ويوفر للناس الدعة والصلاح والأمان. . .

(ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير) لا يزال الإمام يوجه موعظته إلى مالك منبهاً له على أمر خطير جداً وهو أن لا يكون الإنسان مناصباً عدائه لله فإن مناصبة العداء إن جرت فإنما تجري بين المتكافئين اللذين يملكان القدرة لقهر كل منهما الآخر وأما مناصبة العداء بين ضعيف صغير مخلوق فقير وبين قوي كبير خالق غني مناصبة ظاهرة النتائج لا تحتاج إلى فكر طويل.

كيف يستطيع هذا المخلوق الضعيف الذي استمد أصل وجوده واستمراريته من خالقه الغني؟ كيف يقوم بمناصبة العداء لمن أفاض عليه الوجود وأغدق عليه النعم والخيرات؟!.

الله. . . بيده أزمة الأمور وهو القادر المعطي المبدىء المعيد المحيي المميت على هذا يحيا المسلم وعليه يموت فلذا لا يخرج عن طاعة الله إلى معصيته وكل معاصيه تعد من إعلان الحرب عليه فالمسلم لا يعمل بالمعاصي لأن اعتقاده بالله جميل فهو يعبده ويطيعه لأنه أهل أن يعبد ويطاع وتلك عبادة الأحرار أو يعبده ويطيعه خوفاً من عذابه أو يعبده ويطيعه طمعاً في جنته على حد مقولة أمير المؤمنين علي عليه السلام. . .

ثم إن العفو باعتباره مرغوباً فيه مدفوعاً إليه من الشارع فلا يندمن مسلم على عفو قد صدر منه وكيف يندم على فعل أراده الله ورغب فيه وكذلك الوالي إذا مارس عقوبة على إنسان استحقها فلا يتبجح بها ويتحدث بزهوه وقدرته على ذلك لأنه لم يقمها إلا لله وقد استوفاها في وقتها وكذلك يجب على الوالي إذا غضب أن لا يدخله غضبه في مخالفة الشرع بل يجب أن ينصرف عن ذلك إلى ما لا حرمة فيه. . .

(وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال) للحكم لذة لا توصف، تفوق لذاذات الحياة جميعاً عند بعض الناس، إن لهذا الكرسي سكرة تنسي صاحبها الله، والدار الآخرة وهنا يكمن الخطر فتزل الأقدام

وتتحطم كل المقاييس ليعيش مقياس المحافظة على ركوب الكرسي.

من أجل الحكم تقطع الأرحام فيخاطب الأب هارون الرشيد ولده: «والله لو نازعتني الملك لأخذت الذي فيه عينك» ومن أجل الحكم تدور الحروب بين الأخوين الأمين والمأمون ويهدى رأس الأمين لأخيه ومن أجل الحكم تحصل الانقلابات والمنازعات ومن أجل الحكم يقوم الابن قابوس بانقلابه على أبيه في عمان ومن أجل الحكم تدور المعارك بين الأصدقاء وتحصل التصفيات بين رفاق السلاح من أجل الحكم يتنكر كثير من الناس للحق فيدخلون النار...

إن الإنسان إذا رأى قعقعة السلاح وخفق النعال ووجد نفسه أنه الآمر الناهي الذي يملك تصريف الأمور وتحريكها، إذا رأى أن حاجات الناس لديه وهو يملك قضاءها ومنعها تغره نفسه ويقوده هواه إلى أن يبقى في منصبه ومقامه ولو على حساب دماء الناس وأشلائهم ودموعهم وراحتهم...

إن لذة الحكم قد تطغى بالحاكم إلى أن يقول: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ كما قال فرعون ويقول: أنا الدولة كما قال غيره...

إن هذه اللذة إذا طغت فإنها تفسد الدين والضمير وتجعل الثورة على أبواب الملك لتدق عظمه وتعيده إلى حجمه الطبيعي الصغير...

إن هذا الملك أو السلطان إذا تخيل أنه يملك كل شيء ووقف موقف الإعجاب بنفسه فعليه أن يلتفت لفتة بسيطة قليلة إلى قدرة الله العظيمة، عليه أن يلتفت إلى ربه وقدرته عليه وعلى سائر المخلوقات ليعرف أن الله الذي هو فوقه يملك من القدرة في حق هذا الإنسان أكثر مما يملكه الإنسان من نفسه... فالله يملك أن يميته فهل يملك هذا الإنسان أن يتحدى ذلك فلا يموت... الله يملك القدرة أن يمرضه فهل يملك هذا الإنسان القدرة على الشفاء... الله يملك القدرة أن يسلبه أمنه وراحته كما فعل مع شاه إيران محمد رضا بهلوي بحيث لفظته الأرض ورفضته السماء فهل كان بمقدوره أن يوفر الأمن والراحة... كلا... حتى الأصدقاء تنكروا له ونبذوه...

فإذا مر هذا الشريط من قدرة الله وعظمتها وأنها فوق قدرة الملك وسلطانه يطأطىء رأسه حياءً ويخفف من كبريائه وارتفاع نفسه ليضعها موضعها اللائق بها فلا يرتفع تكبراً وتجبراً ولا يتيه غطرسة وعناداً ولا يخرج عن سمة العقلاء غضباً وحدة، بل تلك الصورة العظيمة لقدرة الله تخفف من كل ذلك وتجعله يرجع إلى عقله ويعود إلى رشده...

إن من يتشبه بالله ويفرض نفسه في ذلك المحل الرفيع، فيتجبر ويتكبر ويقوده ذلك

إلى الفرعنة الكافرة والنمردة الملحدة، إن مثل هذا الإنسان يذله الله ويهينه ولا يدعه في كبره وصلفه بل ربما سلط عليه أحقر خلقه وأقلها شأناً كي يذيقه هوان الدنيا وخزيها. . .

(أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد) إنصاف الله أن يعترف به ويقر أن بيده كل شيء وأنه القادر على كل شيء، ولا يعصى له أمر ولا يرتكب له نهياً وإنصاف الناس من النفس أنه لو كان عليه الحق دفعه لأهله ولا يقوده هواه لنفسه أو لأهله أو لأحد ممن هواه معه لا يقوده ذلك إلى مخالفة الحق والسير وراء الأهواء الباطلة وكثيراً ما يسيطر هوى الإنسان وتضعف قوة الإيمان بحيث يضحى المرء كريشة أمام أهوائه وشهواته ويحدثنا التاريخ عن كثيرين ممن انحرفوا خلف أهوائهم وحبهم لأهلهم وعشيرتهم، وإن هذا الاتباع للهوى هو الظلم والجور فإن كل ما لم يكن فيه إنصاف يكون مقابله الجور والظلم على عباد الله ومن كان ظالماً للناس تولى الله دفع ظلمه عنهم واستوفى حقهم منه ومن كان الله خصمه فإنه لا حجة له ولا دافع.

وقد ورد عن النبي (ص) قوله: «من واسى الفقير وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً».

(وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم) الناس مع الحاكم صنفان، صنف يعيش في ظله ونعيمه، يتمتع بأمجاد الدولة وشرفها، ويعلو بسمو منزلة السلطان وهيبته، وهم الخاصة من كتاب وولاة ووزراء وقضاة ومن على شاكلتهم ممن يعيش في هذه الساحة الملكية وهذا الصنف من الناس يصفهم الإمام وكأنه يقرأ نفوسهم عن قرب ويدخل إلى ضمائرهم ليعبر عنها ضمن هذه الكلمات القليلة، هذه الصفات يحملها هذا الصنف قديماً كما يحملها نفس الصنف الآن، وفي هذا الزمن ولكن على شكل أقبح وأبشع إذ اليوم تحول رجال الحكم إلى تجار سحت وباعة ضمير وواهبي كرامات، لم

يعد للمبادىء والقيم والرسالات والمثل أي وزن أو قيمة. وهذا الصنف من الناس ـ وهم الحاشية الملكية والرئاسية ـ عندما يكون الحاكم نافذ الكلمة مطاعاً بين الناس، مقبلة الدنيا عليه تراهم كلهم تحت أمره ونهيه يخلصون له الود ويظهرون الحب والإخلاص وتراهم تكثر شفاعاتهم لدى الوالي وتتعدد طلباتهم عليه لأن كل فرد في الحاشية له حاشية خاصة وزملاء وأصدقاء ومعارف وأحباب وكل واحد يشفعه في قضية أو يسأله قضاء حاجة ومن هنا يتوسل إلى الحاكم الأعلى في قضائها وإنجازها وهي ليست واحدة بل كثيرة وكثيرة.

وهذا الفرد نفسه بينما تراه على هذه الحالة أيام الرخاء إذ به ينقلب في أيام البلاء إلى ذئب مفترس يظهر معايب سيده الحاكم ويتنكر لكل ذلك النعيم الذي حباه وأكرمه به... إنه في أيام الرخاء يلحس قصاع الملك ويتمدد على فراش النعيم بينما في الشدة يخذله ويتنكر له. وهذا الصنف بالذات يكره الإنصاف لأن الإنصاف يكبح من جماحه ويرده إلى حجمه الطبيعي من كونه فرداً من رعية وشخصاً من مجموعة مسلمة يتساوى معهم في الخصائص ويعدلهم في العطاء ويوافقهم في سائر الأمور وهذا المعنى لا يرتضيه إذ هو من حاشية السلطان وصاحب المقام السامي العريض ولو أعطى ما أعطى لم يشكر ولم يحمد لأنه أيضاً يرى أن حصته قليلة وعطاءه غير كافٍ لأنه من حاشية الحاكم ورجاله... وأما لو منعه الملك مطلبه ورده في حاجته واعتذر إليه بما فيه مصلحة وفائدة عدّ ذلك إهانة له ولم يقبل الاعتذار ولم يرض السماح... هذا هو الصنف الأول من الناس وهم خاصة الحاكم وحاشيته وهم قلة قليلة. وهناك صنف آخر وهم العامة الذين يشكلون الصفوف البشرية الموّاجة الذين لا ينعمون بهذه الأمور ولا يلحقهم كل ذلك الخير والإحسان، وإنما يطالهم القانون العام والرحمة العامة من شق الطرقات وفتح المدارس وإنشاء المستشفيات وغيرها من المشتركات وهذا الصنف من الناس يكون أشد وفاء للحاكم وأخلص له من الخاصة ـ إذا كان الحاكم عادلاً مخلصاً ـ لأن إخلاصه ووفاءه إنما ينبع من إخلاص الحاكم ووفائه ونحن قد رأينا بأم العين كيف استطاع الشعب المسلم في إيران أن يخلص لقيادته الدينية ويبقى وفياً لها حتى بعد أن نفاها الطاغوت واستمرت مبعدة عن وطنها وجماهيرها ما يزيد عن الخمسة عشر سنة فقد استطاع هذا الشعب بجماهيره الواسعة وملايينه المتعددة أن يلتف حول قيادة الإمام آية الله الخميني وهو في منفاه واستطاع بهذا الإخلاص أن يقود الثورة ويسقط عرش الطاغوت ويبني الدولة الإسلامية فهذه الجماهير ـ أو العامة ـ يجب أن يكون همّ الحاكم إحراز رضاها وتحقيق رفاهيتها وسعادتها وإن غضبت الحاشية ولم ترض بذلك، فإن رضى العامة يجبر سخط الخاصة بينما رضى الخاصة ـ باعتبارهم انتهازيين نفعيين ـ لا يفيد مع

سخط العامة فالحاكم يجب أن يكون نظره متوجهاً نحو هذا الصنف فإنهم السد المنيع في وجه الأعداء والقوة الضاربة لكل شر وفساد وما اكتسب سلطان ودهم وعطفهم إلا ظفر وانتصر.

(وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك. والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين) الطهر فضيلة ينشرها الإسلام ويطالب أبناءه بالتحلي بها ويؤكد عليها في المسؤولين الذين يتولون الأمور ويشكلون القدورة للناس، وهذا الطهر والسمو والنظرة الصافية للرعية لا يكون إلا بارتفاع الحاكم عن سماع معايب الناس وكشف عوراتهم، فإن ذلك بحسب الطبيعة البشرية يربي الحقد على الناس ويزرع في النفس شيئاً من الاشمئزاز وهذا شيء واقع تحت التجربة، ومن الأمور الوجدانية الصادقة فمن لا تعرف عنه شيئاً تتلقاه بالبشر وطلاقة الوجه واللسان وأما من استمعت في حقه شيئاً ـ ولم تصدقه ـ يخلق ذلك السماع في نفسك ولو مقداراً قليلاً من الحذر نحوه وتتغير نفسيتك بعض الشيء فكيف إذا تكثر وتعدد وأضحى كل فرد من الناس يزرع حبة حقد في نفس الحاكم فإن نفسيته تفسد وظنونه تسيء وأحواله تتغير، وهذا يشكل الطرف السيء الذي لا يريده الإسلام من الناس...

إن الوالي مهمته أن يقيم الحدود إذا ظهرت دون أن يتقّصاها ويكشف ما غاب عنه منها، فإن المعصية إذا لم يجاهر بها صاحبها فإنها لا تضر غير العامل بها ويكون العاصي المتستر في حصانة منيعة من هتك هذا الستر وهذا بخلاف المتجاهر الذي أماط بنفسه ستر حيائه وهتك نفسه بنفسه فإنه إذا ثبت عند الحاكم شيء من ذلك وجب أن يقيم عليه الحد ويردعه عن المعصية لأن المعصية إذا تجاهر بها صاحبها أصبحت أداة إفساد للمجتمع بجميع عناصره وهون هذا التجاهر من حرمتها حتى تغدو بعد فترة من الزمن وقد انتزع عنها لباس الحرمة وسهل اقتحامها...

إن الإمام يوجه نصيحته إلى الوالي أن يبعد عن ساحته من يطلب معايب الناس فيبحث عنها ويفتش للحصول عليها فإن من كان دأبه أن يهتك أستار الناس فإن الناس فيها شيء من المعايب، وإذا ظهر شيء من ذلك مما يمكن فيه العفو والستر فالوالي أحق من ستر وعفى لأنه مهذب النفوس ومربيها والأسوة في هذا المجال

والمضمار وأما إذا ظهر شيء وليس للوالي العفو عنه فليقم على مرتكبه الحد وليدع ما خفي إلى حساب الله. . .

ثم إن الإمام يوجه الوالي إلى أن يحل عقد الأحقاد من الناس بحسن السيرة معهم وأن يرفع العداوات بحسن سلوكه وعدم الإساءة إليهم وإذا مر عليه شيء مما يترفع عنه الولاة فلا يصغي إلى شيء منه بل يترفع ويتجاهل الأمر وفي نهاية الفقرة يأمره أن لا يستمع إلى واشٍ خبيث يريد أن يفسد الود ويفرق الجمع فإن هذا الواشي وإن لبس لباس الناصحين المخلصين فإنه ألدّ الأعداء حيث يثير الأحقاد ويفسد على الوالي طبيعته الصحيحة السليمة.

(ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله) البخل والجبن والحرص ثلاثة خصال لو مثّلت لكانت مثال سوء، قتلها الدين في نفوس أتباعه وذمها الشرفاء في حديثهم وأفعالهم وقبحها العقلاء في تفكيرهم وحقائقهم، إنها تمنع الحق وتميت الدين وتقضي على المروءة، إنها تزرع الرعب وتفسد الطبيعة وتقعد بالمرء عن الجهاد.

الجبن، هلع في القلب وسوء في التفكير واضطراب في الأعضاء، يركع الجبان أمام اللئام ويتنازل عن كرامته لأخس الناس. يُصفع فيبارك اليد التي صفعته، بل يلثمها لتعف عنه بعض أيام يعيشها ذلاً وحقارة. لا نامت عيون الجبناء ولا بُوركت أيامهم إنهم يضيعون الأرض والكرامات والإنسان. . .

وأما البخيل فإنه يمنع الحقوق ويعد الناس الفقر، يستمسك بحاجته وكأن الله لم يخلقها إلا ليسجنها هذا البخيل مؤبداً، إنه يسيء الظن بالله ويبخل على عباده، يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، فبئس العيش وبئس الحساب وهل مثل هذا يقدم خيراً أو يهدي إلى معروف؟!.

وأما الحريص فينفتح بطنه على سعته يطلب ما يجد وما لا يجد، لو جئته بمال قارون لدفعك إلى لم قروش البشر أيضاً، إنه حريص، يجور بما يجمع، ويمنع ولا يعطي، ويكفي هؤلاء الثلاثة خزياً أن لا يكونوا أهلاً للمشورة كما يقوله الإمام في فقرته هذه. . .

(إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له

مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع. والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة) الوزير، عفواً معالي الوزير، عفوا العفو معالي الاستاذ الوزير هكذا نسمي الظلمة في زماننا ـ وكل وزرائنا ظلمة ـ ليس وزراء هذا الزمن أعوان للظلمة بل هم أشد الناس ظلماً وقساوة، مارسوا على الإنسان أفظع أساليب التضليل والخيانة والاستهتار والمهانة، لو جئنا لنفتح دفاترهم لسودنا صفحات جمة كلها أوساخ ومهانات، كلها عار وخزي. . .

فهذا الوزير قد سرق باسم وزارته ملايين الملايين، وهذا الوزير قد نهب خيرات البلد وحارب الضمير والوجدان، وهذا الوزير قد استطاع أن يبني قصراً يعجز تجار الرقيق في الزمن القديم من بنائه، وهذا الوزير يحيي لياليه الحمراء بين بنات الهوى وحانات الدعارة كله عهر ودناءة. . .

وهذا الوزير قد سخر كل المومسات والعاهرات من أجل أن يتصل بالمسؤولين كي يستلم مركزه.

وهذا الوزير قد عمل عميلاً لمدة مديدة تحت وكالة الاستخبارات الأجنبية وهكذا دواليك. . . بالوعة لا يخرج منها إلا القذارة. . . هذا هو حال الوزراء في زماننا، واقع مأساوي قضى على كثير من الطموحات والآمال، للشعوب المستضعفة.

إن الإمام يوصي أن لا يتعامل الوالي مع هؤلاء الوزراء الذين كانوا في عهد الطاغوت أعواناً له فإن نفسيتهم الخبيثة وسلوكهم المشين وممارساتهم الشاذة وانحرافهم القديم يؤثر على ثقة الناس بالوالي من جهة ويدفع الجماهير إلى التشكيك في البناء الاجتماعي للمجتمع المسلم وأنه عاجز عن تقديم نماذج بديلة عن هؤلاء الوزراء الأشرار.

ومن هنا يدفع الإمام بوصيته للوالي أن ينحي هؤلاء الوزراء الذين عاونوا الطاغوت، ينحيهم جانباً فإن في المجتمع الإسلامي من به الكفاءة ممن لم يتدنس بمرافقة الظلمة ولم يعنهم في جورهم وهذا الإنسان الطاهر الذي لم يتدنس يستطيع أن يندفع بإخلاص ويعاون برغبة ويسعى بعطف وحنان كي يثبت الحق ويدفع الباطل ويعمل بمقتضى نظافة باطنه وطهارة ضميره. . .

ثم إن هؤلاء الأعوان الجدد يختلفون في وثاقتهم وإخلاصهم وليكن أحب هؤلاء لنفس الوالي من يتكلم بمر الحق ويعلن الحقيقة عارية وإن لم تعجب الوالي ولم ترضه فإن القضية ليست قضية محسوبيات وزعامات ولا قضية إرضاء له أو اكتساباً لوده وكذلك أحب الأعوان للوالي يجب أن يكون من لم يعن الوالي عما يبعده عن الله وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المطلوب تحقيقه من كل إنسان وفي كل زمان ومكان.

ثم إن على الوالي أن يجمع حوله أهل الورع والصدق ويزرع في نفوسهم عدم إطرائه ومدحه فإن ذلك يجعل في النفس زهواً وكبراً وقد يؤدي إلى انحراف في الضمير والسلوك وقد قال الشاعر:

شارب الخمر قد يظل سليماً   شارب المدح لن يظل سليماً

(ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة! وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه. واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً. وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده)

المعصية غير الخطأ، المعصية هي ارتكاب الفعل المحظور مع كامل الاختيار والمعرفة بينما الخطأ ارتكاب للمحظور وهو يجهل بمحظوريته والله قد عفى عن الخطأ إذا لم يتهاون الإنسان في مقدماته التي أدت إلى الوقوع فيه بينما المعصية قد أعد الله لفاعلها نار جهنم، لأن المعصية انحراف عن الاستقامة ودخول في حرب مع الله العزيز الجبار؛ العاصي يتمرد على الله ويتحداه فيما نهى عنه أو ترك ما أوجبه عليه وهل يمكن أن يتساوى هذا الإنسان المتمرد العاصي مع من أطاع الله وعمل بأوامره وانتهى عن نواهيه، هل تتعادل كفتا الميزان أمام العقلاء فيساوى بين إنسان خارج عن القانون وإنسان عامل به، بين فرد يحترم الحق ويدافع عنه وبين فرد يحتقر الحق ويقاتله؟! إن ميزان العقلاء يأبى وضع المجرم في مقابل المطيع، ويرفض أن يساوي بين الفردين في قليل أو كثير...

وما السر في ذلك: إن الإمام وهو عقل العقلاء وضمير الأحياء ينطق بالعلة ويفصح بالحكمة ويقول: إن في المساواة بين المجرم والمطيع جريمتين الأولى: إن هذه المساواة تزهد أهل الطاعة والإحسان في طاعتهم وإحسانهم لأنهم إذا وجدوا أمرهم بعد طاعتهم وانقيادهم على نفس مستوى العاصين فلا يرغبون في الطاعة لأن المساواة

حاصلة على كل حال والنتيجة واحدة في كلتا الحالتين. . .

وأما الجريمة الثانية للمساواة هي أن أهل الإساءة يتجرؤون على الإساءة ويستمرون عليها لأن من أمن العقاب أساء الأدب وهؤلاء لما اطمئنوا إلى عدم العقاب تمادوا في الطغيان واستمروا عليه.

إذاً يجب أن يعامل كل واحد من المطيع والعاصي بما اختاره هو لنفسه فإنه كان عاقلاً حراً مختاراً عند إقدامه على ما يريد فيستحق ما ألزم نفسه به واختاره لها وفي التنزيل الكريم ورد قوله تعالى: **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾**(١)وفي دعاء كميل وأنت جلّ ثناؤك قلت مبتدئاً وتطوّلت بالأنعام متكرماً، أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. . .

ثم إن الإمام يقول للوالي إذا أردت أن يحسن ظنك برعيتك وترتاح لمقامك معهم فاعمل لهم من المبرات والخيرات والمشاريع العامة ما يجعلهم يرتاحون لك ويأنسون بوجودك وإذا كانت نفوسهم نحوك صافية من خلال أياديك الكريمة، لم تعد تسمع منهم نقداً بسوء ولا جرحاً لكرامة ولا حديثاً عليك إلا بخير وهذا بنفسه يجعل ظنك بهم حسناً ومعيشتك معهم كريمة وهذا الظن الحسن منك برعيتك يخفف عنك أتعاباً كبيرة أنت بغنى عنها لأنك إذا ساء ظنك بإنسان حاولت أن تتقصى أيامه وحياته وحركاته وسكناته وهذا فيه مشقات كبيرة. . .

(ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنَّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك) ورد الحديث عن رسول الله: «من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وهذه السنن الصالحة ليست تشريعاً محرماً لأنها تدخل تحت عمومات أو مطلقات أحبها الشارع ورغب في إقامتها مثلاً فعل الخير يحبه الإسلام ويدفع الناس إلى ممارسته ويعد ذلك صدقة وفاعله خيّراً فلو أراد إنسان أن يبني مبرّة خيرية من أجل

---

(١) سورة الجاثية، آية/ ٢١.

إعانة الفقراء فإن هذه المبرة لم ينص عليها الشارع ولكنها سنّة حسنها لأهل الخير يسيرون عليها لأنها تدخل تحت استحباب فعل الخير العام فتكون هذه السنة الصالحة من الخيرات التي يكسب مبدعها أجراً مستمراً مدة إقامة الناس لها ولأمثالها لأن تأسيسها كان السبب في إنشاء أمثالها من الخيرات. . .

وأما السنة السيئة فهي التي يبتدعها المنحرفون مما يدخل تحت عموم محرّم على الأمة كما لو أقام إنسان حانة لشرب الخمر فإن هذه السنّة السيئة مما يؤزر عليها فاعلها ويبقى يلاحقه إثمها وإثم كل حانة للدعارة طيلة الزمن لأنه كان مفتاح هذا الشر ومبدع هذه الضلالة.

والوالي الصالح هو الذي ينظر إلى السنن الصالحة التي تفيد المجتمع وتجمع الأمة وتوحّد الصف فيعمل بها وإن كانت متقدمة عليه وينظر إلى البدع المفرقة التي تخالف قواعد الشرع والدين فيبتعد عنها بل يسعى في منعها وردع من تسول له نفسه في ذلك، ثم إن على الوالي أن يلتقي بالعلماء، فإنهم الأمناء الذين يحافظون على الدين ويدافعون عن الشريعة ويقفون سداً منيعاً أمام البدع والخرافات إنهم الحصون التي تتكسر عليها كل الأفكار المنحرفة والدعاوي المضللة التي تفسد المجتمع الإسلامي وتريد أن تحطم إنسانه وتدوس قرانه. . .

إن العلماء بما يحملون من فكر إسلامي يجب على الوالي أن يجتمع معهم ويأخذ رأي الدين منهم ولا يتكل على رأيه ونظره فإن ذلك يفسد عليه دينه ويضله عن السبيل المستقيم.

ثم إن على الوالي أن يجتمع بالحكماء الذين درسوا الحياة وعرفوا ما يصلح الرعية مما يفسدها، وما يوحدها مما يفرقها، وما يحقق لها السعادة مما يجر عليها الشقاء. . .

إن هؤلاء الحكماء ـ الذين يضعون الأشياء مواضعها ـ قد خبروا الحياة ونفذوا إلى بواطن الأمور واستطاعوا بما عندهم من خبرة أن يكونوا أعواناً له في صلاح البلاد والعباد وإقامة الحق والعدل. . .

(واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمّى الله له سهمه. ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنّة نبيه ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عهداً منه

عندنا محفوظاً) المجتمع البشري طبقات مختلفة ولكل طبقة اختصاص وتوجّه تستطيع من خلاله أن تمد الآخرين بما عندها من عطاء، هذا العطاء يسد حاجة المجتمع ويتكامل مع عطاء الآخرين فيمنع الانهيار والفوضى ويرفع المشكلة الاقتصادية التي يسببها عجز طبقة معينة في مجالها التي تتحرك ضمنه... وهنا يعطي الإمام الفهرست لتلك الطبقات التي لا يستغني المجتمع عن عطائها ومشاركتها في بناء الحياة المدنية الكريمة...

إنها عناوين مجملة، جند الله... كتاب العامة والخاصة... قضاة العدل... أهل الجزية والخراج... التجار، الصنّاع... وأخيراً الطبقة الضعيفة من ذوي الحاجات والمسكنة...

هذه العناوين العامة تحتاج إلى بيان وإيضاح فلذا دخل الإمام في تفصيلها وبيان دورها وأهميتها ولكن بشكل تدريجي...

(فالجنود، بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها) هذا البيان أوسع من البيان السابق وسيأتي التفصيل فيما بعد.

جنود الله، حصون الرعية بمنعون التعدي فيأمن كل فرد لحمايتهم وهم عز الدين حيث يقمعون المنحرف الأثيم والخارج على القانون، إن الانحرافات تموت بوجودهم لأنهم بقوتهم يصدون المتطاول على الشريعة والمنتهك لهذا الدين ولا تسعد الرعية ولا تقوم إلا بوجودهم وكيف تسعد الرعية إذا كانت مهددة في مصالحها ومنافعها وهل يعطي الأمان والدعة إلا القوة التي يشكلها الجند وحزمه المتين.

ثم إن هؤلاء الجنود لا بد لهم من رزق يعطونه كي يسدوا حاجتهم ويصلحوا حالهم ويستطيعوا أن يقفوا في وجه الأعداء وإلا إذا كان الجندي غير مكتف بمعاشه الذي يخرج له فإنه يضطر إلى أن يصرف بعض أوقاته في غير الخدمة التي تطوع فيها... هذا حال الجند...

أما حال القضاة والعمال والكتاب فإنهم الأمناء الذين يفصلون الخصومة ويحكمون بالعدل كما في القضاة أو الذين يضبطون الأمور فيسجلون المنافع والمعاملات من الكتاب...

(ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم. ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل) إن التجار والصناع هم العمد الذين يقوم عليهم نشاط البلاد وحركتها الاقتصادية فهم الذين يهيئون المواد الأولية باستيرادها وبذلها في الأسواق ويوفرون السلع للناس كل حسب حاجته، فيرون ما يحتاجه السوق وما يهم الناس فيبذلون قصارى جهدهم في سد العوز ومنع النقص، ونحن نجد أمامنا عندما لا تتوفر الحاجات في الأسواق كيف يكثر الشغب والمظاهرات وتتحرك جموع الكفر والإلحاد وتتخذ من هذا النقص ذريعة للإفساد وخراب البلاد.

وأما الطبقة الأخيرة وهي طبقة الفقراء من الذين لم تساعدهم الظروف ولم يسعفهم الزمن، هذه الطبقة قد شغلت فكر علي طويلاً وأقلقت عليه مضجعه ومنعته من لذة العيش، هذه الطبقة المعدومة الفقيرة لم يهملها الإسلام ويتركها وشأنها بل وفر حسب نظريته الرائعة أحسن السبل من أجل إنعاشها وتوفير الحد الأدنى لها من المسكن والمأكل والملبس وجعل ذلك فريضة إسلامية تتحملها الدولة الإسلامية عند وجودها وعامة المسلمين عند عدمها وهذا النوع من الاهتمام بالفقراء والمساكين لم يتحقق في أنظمة الدول المتقدمة التي تدعي أنها اجتازت قمة الحياة التقدمية . . .

(فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً وأفضلهم حلماً: ممن يبطىء عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف) عدد الإمام طبقات المجتمع الإسلامي بشكل موجز فكانت سبع طبقات وهي الجنود، القضاة، العمال، أهل الخراج، الكتاب، التجار، والفقراء. وفي هذا الفصل يدخل في بيان التفصيلات لكل واحدة برأسها.

الطبقة الأولى: طبقة الجند.

الجنود هم حماة الوطن وسياجه المنيع، عز الدين وزينة الولاة لولاهم لانتشر

الطغاة وكثر الطامعون، الجنود أبناء الشعب وشبابه على أيديهم تسترد الكرامات وبصولتهم تتحقق البطولات، إذا صلح الجيش فكان عوناً على الخير وتحقيق الأمن انتشر العدل وساد القانون وإذا فسد كان الدمار والخراب والظلم والعدوان.

وإن الإمام يضع المواصفات التي يجب أن تجتمع بالجندي المسلم ليكون جندياً فاعلاً يحتل مرتبته بجدارة، هذه المواصفات التي يجب أن تجتمع بالجندي هي أرقى ما يمكن أن يتوصل إليها العقلاء والحكماء، وهذه الأوصاف تحقق الجندي العقائدي الذي يحمل الإسلام هدفاً له في الحياة إنها لا تعتبر الطول ولا العرض ولا اللون ولا الطبقة ولا تأخذ المواصفات الجسدية وغيرها من الأمور التي تعتبرها بعض الدول الآن.

الصفة الأولى التي يجب أن تتوفر في الجندي المسلم سلامة العقيدة التي يترجمها الإخلاص لله ولرسوله وللإمام. . .

فمن لم يكن مؤمناً بالله مطيعاً لرسول الله عاملاً بأمر الإمام ليس أهلاً أن يكون جندياً في دولة الحق والإيمان لأنه يفسد ويضلل ويشكك ويهدم، من لم يكن مؤمناً بالله لا يعمل من أجل الله. . . ومن لم يكن مؤمناً مخلصاً لرسول الله لا يعمل ضمن خط الرسالة ومنهاجها ولا يستطيع أن يقاتل من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية المطلوبة. . . ومن لم يكن مخلصاً للإمام فإنه يصبح خارجاً عليه في أول فرصة تسنح له.

الصفة الثانية أن يكون الجندي حليماً بحيث يستطيع أن يسيطر على أعصابه فلا يأخذ به الغضب مأخذه ولا يخرجه عن حدوده الشرعية المرسومة له وإذا أسيء إليه ثم اعتذر منه قبل العذر، يرأف بالضعفاء ويأبى أن يسلط الأقوياء على أخذ حق الفقراء فهو إذا غضب لم يدخل في باطل وإذا لان لم يكن عن ضعف بل عن حق ومتابعة للشريعة. . .

الصفة الثالثة أن يكون جيّد السلوك، حسن السيرة وهذا غالباً ما يتحقق بأهل الأحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة فإن البيت الصالح كثيراً ما يكون الصلاح في أبنائه وصاحب السوابق الحسنة يمكن أن يستأنس بحسن سوابقه على حسن حاضره.

الصفة الرابعة أن يكون الجندي من أهل النجدة والشجاعة وهذه الصفة من أخصّ خصائص الجندية ومميزاتها لأن الجنود لرفع الظلم ودفع الاعتداء وتحقيق العدالة وبسط المساواة وهذا يتطلب الحزم والقوة وهما قرينتا الشجاعة والنجدة. فإذا لم يكن الجندي شجاعاً سقطت هيبته بين الناس وخصوصاً أولئك الأشرار الذين لم يرتبطوا بالدين ضميرياً ولم يؤمنوا بالشريعة قلبياً، فإن هؤلاء إن لم يخافوا من الجند وشجاعتهم وقوتهم

وسطوتهم أفسدوا حيثما يستطيعون وسلبوا أمن الناس عندما يقدرون.

الصفة الخامسة أن يكون الجندي من أهل السخاء والسماحة.

وهذه الصفة يطلبها الإسلام من جميع أتباعه ولكنها تتأكد في الجندي لأنه يتمتع بصلاحية أكثر من غيره من عامة الناس فإن الصفح والسماح يتأكدان في الجندي إذا كان لهما طريق من الشرع لأن المخالفة كثيراً ما يضبطها بنفسه أو تقع تحت يده باعتباره المولج بحفظ الأمن والاستقرار.

ثم وجهه الإمام إلى أن يلتصق بأهل البيوتات ويتصل بهم ويغدق عليهم من كرمه ومعروفه وكذلك أهل الأحساب والسوابق الحسنة فإن كرم الأحساب يدفع بكثير من الناس إلى مراعاة أحسابهم والمحافظة عليها فقد قيل: «عليكم بذوي الأحساب فإن هم لم يتكرموا استحيوا» ونحن قد أدركنا هذا ولمسناه بأيدينا فإن بعض البيوتات المحافظة تتجنب كثيراً من الشذوذات لأجل أحسابها لا لأجل دينها...

وأما أهل السوابق الحسنة فإن سوابقهم ترشد إلى صلاحهم وتجعل عند الوالي ظناً حسناً بأنهم على طريقتهم وصلاحهم سيستمرون...

(ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من وليدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك) بعد ذكر المواصفات التي يجب أن تتوفر في الجندي جاء دور التوصيات به، الأوامر هنا صدرت إلى الولاة كي يهتموا بالجندي ويعطفوا عليه ويبحثوا عما يوفر له توحيد الهدف في حرب العدو فلا تأخذ المسالك المتعددة والهموم المختلفة بعض توجهاته واهتماماته بل يجب أن يتوجه إلى العدو وهو مطمئن إلى القيادة مرتاح إلى سعادة أهله من خلفه...

إنها جملة توصيات وأوامر تلقي الأضواء على مدى اهتمام الإسلام بالجندي المسلم، إنها توصيات ودٍّ ورحمة وتعاطف وإخاء، توصية القيادة الرشيدة التي يجب أن يُسمع قولها فيطاع وتطلب أمراً فتُجاب...

فانظر رحمك الله إلى جملة هذه الأوامر والوصايا حيث يقول:

١ ـ ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، هذا أول أمر يصدره الإمام إلى الولاة، إنه لا يكتفي منك أن تتعامل معهم معاملة شركاء في الجهاد، أخوة في الكفاح، بل يحملك الإمام إلى أن تكون بمنزلة الأب الذي يهمه توفير السعادة لأبنائه والرفاهية لهم ولو على حساب شقائه وعذابه، نظرة الأبوة وعطفها يجب أن تتجسد في الولاة على الجنود. . .

٢ ـ أن لا يحتقر لطفاً يتعهدهم به فإن كل لطف يزيدهم حباً وطاعة، فإن هذا الأمر الصغير على صغره يزرع في النفس أثراً طيباً لا يمكن أن يزرعه الأمر الكبير، فإن لكل موقعه ومكانه لا يسد مسده إلا هو وهذا ما أشار إليه الإمام حيث قال: ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه. . .

٣ ـ أن يكون أحب رؤساء الجنود إلى الوالي وأقربهم منه من كان أشدهم معونة للجنود وأكرمهم عليهم إذا كان بيده شيء من الغنى، فإن إظهار الحب والشفقة يدرّ التلاحم ويعطي الوفاق والانسجام في جهاد الأعداء.

(وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية. وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل، إن شاء الله.

ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرىء إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فالرد إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة) إقامة العدل وبسط الحق من أهم واجبات الولاة، ولا خير في دولة لا عدل فيها.

إنها لا تدوم ولن تدوم بل الظلم يقوض أركانها ويهدم أساسها ويدعها عبرة للأجيال القادمة، وإن الحاكم العادل هو الذي يبسط العدل بين رعيته ويكتسب مودتهم وعطفهم فإن الرعية لا يصفو ودّها إلا إذا كانت صدورها سالمة ولا تكون صدورها سالمة إلا إذا رأت الشفقة والعطف والاهتمام من الراعي.

ثم إن هذه الرعية لا تكون صادقة في نصيحتها لولاتها إلا إذا كانت تندفع في المحافظة على ولاتها وتحرص على بقائهم ولا ترى في نفسها زوال دولتهم بل تتمنى باستمرار أن تدوم هذه الدولة التي تحقق لها الكرامة والعزة...

إن الرعية لا تخلص في أعمالها إلا إذا كانت الدولة دولتها تحافظ على عقيدتها وتنشرها وتحمل أهداف شعبها ثم كانت تنظر إلى الرعية وتهتم بشأنها وتدافع عن مصالحها وتنظر فيما يصلحها فتهيىء جميع السبل التي تحقق سعادة الشعب وسيادته.

ثم إن الإمام يكمل نصيحته للولاة ويلقنهم كيفية الاهتمام بالجنود وقد تقدمت عدة أوامر وهذه هي البقية...

٤ ـ أن يفسح في آمال الجند فإن استماع آمالهم وشدّ عضدهم بها يفتح أمامهم باب الطموح وعدم اليأس وهذا مطلب مهم...

٥ ـ مداومة حسن الثناء والمدح والإشادة بالمواقف البطولية التي حققها الجنود النوابغ فإن هذه الإشادة في الثناء تهز الشجاع وتحرك الجبان وهذا شيء مدرك بالوجدان.

٦ ـ أن يقف الوالي على من أبلى البلاء الحسن فيضيف إليه أعماله وانتصاراته ويحملها عليه فإنها وليدة جهاده ونضاله فإن ذلك يحفزه للاستزادة وهذا عكس ما لو سلبت عن صاحبها وأُعطيت لغيره فإن ذلك يفسد النفوس ويحركها لمخالفة الحق.

٧ ـ أن ينظر الوالي إلى العمل مجرداً عن العامل فإن كان العمل كبيراً جليلاً قدّر عليه فاعله وإن لم يكن من أصحاب الأحساب والأنساب والطبقات العليا وإن كان العمل صغيراً فلا يكبره الوالي ـ إذا كان صاحبه كبيراً ـ بل يضعه ضمن مؤهلاته ومستواه...

ثم إن الإمام في آخر حديثه عن الجنود يرجع إلى الوالي ليعطيه الميزان السليم إن اشتدت الأمور وتفاقمت الأحداث وحدث ما اشتبه على الوالي حكمه فإن الإمام يقول له يجب أن يرجع إلى الله ورسوله... إلى الله في كتابه فيتلوه ويرى ما هو حكمه، وإن لم يظهر له في الكتاب العزيز البيان الشافي لغموض في الاستنباط أو عجز في الإدراك

فليرجع إلى السنة المطهرة فإنها الكفيلة بتفصيل المجملات والمؤسِّسة لكثير من التشريعات. . .

هذه هي شروط الجندي المسلم كما يراها الإسلام وهذه هي توصيات الإمام الشريفة إلى الولاة في عملية الرفق والعطف والحنان وما يصلح الجنود، فهلاّ يحق لنا أن نفخر ونعتزّ بسموّها. . . إنها من معطيات الإسلام الرائد والمبدع والمهيمن. . .

(ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دوه أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل) هذه هي الطبقة الثانية من طبقات المجتمع التي ذكرها الإمام وهي طبقة القضاة وقد شدد الإسلام عليها وبين من يحقّ له أن يحكم ومن لا يحق له ذلك فإنها مرتبة عظيمة لا ينالها إلا الأنبياء والأوصياء والخواص من الأمة التي تجتمع فيهم الشروط وهم قلة قليلة في كل زمان. . .

القضاء عملية فصل الخصومات وفك للمنازعات وحكم في الدماء والفروج والأموال وهذه الأمور تشكل منعطفاً خطيراً قد تجرف القاضي إلى نار جهنم إن لم يكن على ثقة من حكم الله وتوجيهه، ولذا قال أمير المؤمنين لشريح القاضي: يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه (ما جلسه) إلا نبي أو وصيّ نبي أو شقي.

وهذا ما حذر منه الإمام الصادق حيث قال: القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة، رجل قضى بجور وهو يعلم فهو من أهل النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة.

فالقضاء يحتل المرتبة السامية في وظائف الدولة تخضع لحكمه سائر أفراد الأمة بما فيهم الحاكم الأعلى لأن القاضي لا يتناول القضية باعتبارها رأياً شخصياً له بل باعتباره أعلم بأوامر الله وأمهر في تطبيقها على مصاديقها وأشد حيطة في نقل مرادات الله. . .

والإمام يشترط في القاضي مواصفات يجب أن تجتمع فيه ليحق له أن يتولى هذا المنصب الرفيع:

فأول هذه الصفات أن يكون أفضل الرعية عند الحاكم وهذه الأفضلية يمكن إدراكها بعدة أمور.

الأول: أن يكون القاضي ممن لا تضيق به الأمور يعني أنه يستطيع أن يجد لكل مشكلة حلاً فلا تلتبس عليه الأمور ولا تنسد في وجهه المخارج التشريعية لهذه الخصومة وهذا يتوقف على أن يكون مجتهداً مطلقاً ملماً بجميع أبواب الشريعة ومتفرقاتها، يستطيع أن يقضي في كل مسألة تعترض سبيله وتحتاج إلى حل فلا يقف مكتوف الأيدي أمام ما يعرض عليه من المشاكل والأحداث. . .

الثاني: أن يكون القاضي ممن لا تمحكه الخصوم بحيث لا تجعله منازعة الخصوم لجوجاً يريد أن يقضي في الأمر مسرعاً فإن اللجاجة تفسد الحكم لأنها قد تحمل في طياتها عدم استيعاب جوانب القضية بأجمعها. . .

الثالث: أن لا يتمادى في الذلة بحيث لو أخطأ في حكمه واتضحت لديه علامات أخطائه لا يبقى مستمراً في الانحراف والمعصية بل يرجع إلى الحق ويفيء إلى العدل.

الرابع: لا تشرف نفسه للطمع فإن من طمع بما في أيدي الناس ذل لهم وجار في حكمه لصالح من طمع عنده.

الخامس: أن لا يكتفي بأدنى فهم للقضية دون أقصاه بل يجب أن يستوعب القضية من خيوطها الأولى ويقف على جميع جوانب المسألة وما له علاقة بها فإن هذا الاستيعاب للأمور يكشف عن أمور مهمة لها علاقتها في المشكلة وحلها، وفي هذا الاستيعاب والتقصي لهذه الأمور يحصل غالباً على الحل الحاسم والعادل في القضية. . .

السادس: أن يكون القاضي أوقفهم في الشبهات بحيث لو لم تتضح معالم المسألة وبقي الأمر مشتبهاً لا يقدم على البتّ والفصل فيها لأن ذلك حرام لا يجوز فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات. . .

السابع: أن لا يترك القاضي الأخذ بالحجج إذا كانت شرعية يمضيها الدين فإن رسول الله (ص) قال: إنما أقضي بينكم بالإيمان والبينات وهذا هو الأقرب في الوصول إلى الحقيقة.

الثامن: أن لا يتبرم القاضي ويضجر بمراجعة الخصم له، فإن طبيعة المتخاصمين أن يثبت كل منهما حقه بما يقدر عليه وقد يستدعي هذا منهما مراجعته أكثر من مرة. . .

التاسع: أن يكون القاضي ممن يتمتع بملكة الصبر على تقصّي الأمور المتعلقة بالمشكلة فربّ قضية تحتاج إلى خيط واحد لكي تحل فلا يجوز إغفاله لنفاذ الصبر وعدم التروي. . .

العاشر: أن يحكم القاضي ويقضي في الخصومة بمجرد أن يستكمل التحقيق ويتضح الحق ولا يجوز التأجيل في الحكم إذا اتضحت معالمه وبانت وجوهه لأن ذلك يفسد على صاحب الحق حقه ويضيع عليه ثمراته. . .

الحادي عشر: أن لا يتأثر القاضي بالمدح ولا الإغراء.

ثم إن الإمام يقول إن من اجتمعت فيه هذه الشروط قليل جداً فإنها شروط عزيزة التحقق إلا في النوادر من الناس. . . وإن أغلب هذه الشروط يمكن أن تندكّ تحت شرطين وهما الاجتهاد والعدالة. . . ولكن الإمام ذكر بعض هذه الجزئيات من الشروط لأهميتها ودورها في تنزيه القاضي ونزاهة حكمه. . .

وإن باب القضاء من الأبواب المهمة في الفقه الإسلامي بحثه فقهاؤنها رضوان الله عليهم وأتوا على كل مسألة فبينوا جميع جوانبها ومختلف شؤونها وأوجبوا على الأمة الإسلامية بسائر أفرادها أن تقبل بحكم القاضي المسلم الذي تمت فيه جميع الشرائط المطلوبة وحكموا بأن حكمه ينفذ ولا يجوز ردّه من أحد، كما حرموا على المسلمين أن يتحاكموا إلى القضاء المدني بل عدوا ذلك تحاكماً إلى الطاغوت وقد أمرهم الله أن يكفروا به. . .

وإن فتاوى فقهائنا مدوّنة في رسائلهم العملية تقول: لا يجوز الترافع إلى قضاة الجور ويقصدون بذلك كل قاضٍ غير مسلم ولا مجتهد ولا عادل. . .

(ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس. واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا) كان الحديث فيما تقدم عن الشروط التي يجب أن تتوفر في القاضي نفسه والآن يوجه الإمام أوامره إلى الوالي ويعطيه الإرشادات في كيفية التعامل مع هذا القاضي كي يبقى على سيرته الحسنة وسلوكه الجيد وأمانته الصادقة. . .

فأول أوامره عليه السلام أن يتتبع الوالي موارد القضاء فلا يترك القاضي يتحرك كيف يشاء بل يجب أن يلتفت أن هناك عيناً للوالي لا تنام عنه ترصد قضاءه وتتبع

أحكامه، وعندما يحسب هذا الحساب يضطر أن يدقق في أحكامه ويقف عند كل حادثة وقفة إسلامية سليمة وهذا ليس غريباً عن الإمام فإنه لما تولى الخلافة وكان شريح على القضاء اشترط عليه أن لا ينفذ القضاء حتى يعرضه عليه.

الأمر الثاني: أن يوسّع عليه في العطاء بحيث يسد حاجته ويرفع عوزه فإن الاكتفاء يرفع كثيراً من الميل نحو أحد الفرقاء المتخاصمين وهذا بعكس ما لو كانت له حاجة ماسة فقد تغرّ به حاجته وتسوّل له نفسه أن يساوم على الحق ولو في أدنى درجاته فيحيف في الحكم ويجور في القضاء.

الأمر الثالث: أن يقربه منه درجة تمنع غيره من الناس ولو كان من خواص الوالي أن يطمع في الطعن فيه أو النيل منه، فإن القاضي عندما يرتاح إلى وضع الوالي منه وأن لا أحد يستطيع أن يغري قلبه عليه يحكم عندها بالحق ويقضي بالعدل...

وبعد هذا يتوجه الإمام إلى الوالي ليحثّه على الدقّة في اختيار القاضي ثم يقول: إن هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار من بني أمية لم يقض فيه بحكمه ولم يتبع فيه بإرادته بل عُمِلَ في زمانهم بالأهواء واتبعت الشهوات وطلب به الدنيا فيجب أن يعاد إليه حكمه وقضاؤه...

إن بني أمية قد تسلطوا في عهد عثمان على رقاب المسلمين باسم الإسلام ولم يرعوا لهذا الدين حرمة ولم يطبقوا من تعاليمه إلا ما يخدم مصلحتهم ويعود عليهم بالنفع، إنهم لم يحكموا به بل حكموا عليه فيجب أن يعاد له دوره في الحكم والقضاء... بل في جميع شؤون الحياة...

(ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً) الطبقة الثالثة طبقة العمال: في ميزان علي تسقط كل الاعتبارات الزائفة من القرابة والحب والحسب والنسب والجاه والسلطان والمال وغيرها لأنها كلها لا تستطيع أن تثبت أمام اعتبارات الإسلام السليمة فإن الميزان الوحيد في نظر الإمام هي الكفاءة فحسب، فمن كان أكفأ في تحمل المسؤولية وأعرق في إدارة شؤون البلاد فهو المؤهل إسلامياً للدخول في سلك الدولة العادلة...

ومن هذا المنطلق يحدد الإمام كيف يكون تعيين الولاة.

فأولها: أن يكون من أهل الخبرة في مجال عمله فإذا أردنا أن نوظف فرداً في إدارة

الكهرباء يجب أن يكون مهندساً قديراً خبيراً ولا يجوز أن يتولى هذا المنصب من لا خبرة له بها . . . وهكذا كل فرد يجب أن يكون في مجاله الخاص ولا يجوز أن تتدخل المحبة والميل لإنسان في تعيينه في غير مجاله الذي يستطيع أن يعمله ضمنه .

وثانيها: أن يكون من أهل الحياء وأصحاب البيوتات الصالحة والقدم المتقدمة في الإسلام فإن من كان من أهل الحياء يخجل أن يقصّر في أعماله وكذلك أصحاب البيوتات الصالحة يمنعها صلاحها عن تعمّد التقصير فإن الصلاح قرين الإخلاص والاتقان وكذلك الأمر بالنسبة لمن كان أعرق إسلاماً وأقدم إيماناً فإنه يكون على علم بدقائق الأحكام وأثبت عقيدة من الداخل حديثاً وقد علل الإمام كل ذلك بقوله: فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع أشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً . . .

هذه الشروط التي يحددها الإمام في العامل من أعظم الشروط وأحسنها ولو جئنا لواقعنا المعاش لوجدنا المحسوبيات والزعامات والوجاهات وأصحاب المال، لوجدنا كل هؤلاء قد استلموا دفة العمل والوظائف وأُقصي عنها أهل الخير والصلاح حتى غدا الفاسق والفاجر وشارب الخمر والعاهر هو المسلط على المناصب الرفيعة يتحكم في العمال يعين من شاء ويقيل من يشاء وتلك مصيبة منتشرة بشكل مرعب وفظيع . . . نسأل الله أن يمن علينا بدولة العدل الإسلامية لترفع هذا الحيف وتدكّ هذا الباطل وتعيد الحق لأهله . . .

(ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله. ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة) هكذا يحدد الإمام رواتب العمال، يجب أن تكون كافية لسد حاجاتهم فإن المصاريف إذا كانت أكثر من الرواتب يضطر العامل إلى أن يسرق ويغش ويأكل أموال الدولة والناس حينما تسنح له الفرصة لسد العوز الذي يقع فيه .

ففي إسباغ الأرزاق على العمال وجعلها أكثر من حاجاتهم فوائد كثيرة أهمها كما يذكرها الإمام ثلاثة :

الأول: إن في سعة الرزق عليهم إصلاح لأنفسهم فإنهم يصرفون ذلك في

حوائجهم وما ينوبهم من الأمور والمصائب وما يحتاجون إليه في إقامة حياتهم واستدامتها.

الثاني: إن هذا الرزق يكون مانعاً لهم عن تناول ما تحت أيديهم من الأموال والأرزاق. . .

الثالث: إن هذا الرزق يكون حجة عليهم فيما لو خالفوا الأمر وخانوا أمانتهم فإنهم يستحقون العقاب المفروض لمخالفتهم. . .

ثم إن على الوالي أن يتفقد أعمال العمال وتحركاتهم فإنهم إذا عرفوا أن هناك مراقباً لهم ومتفقداً لأعمالهم يجيدون العمل ويتقنوه، وعلى الوالي أيضاً أن يكون لديه عيون من أهل الصدق والوفاء يراقبون العمال ويقفون على مدى اجتهادهم في أعمالهم وإجادتهم لها وهذا بنفسه يدفع العمال إلى أن يؤدوا الأمانة بشكلها الصحيح السليم. . . وإذا خان العامل وشهدت بذلك الثقاة من نقلة الأخبار الذين ولّاهم الوالي تقصي أمور عماله فإن عليه أن يقيم العقوبة المفروضة لمثل هذه المخالفة، يقيمها في بدنه إن كانت حداً أو تعزيراً وفي هذا إهانة تصنفه في خانة الخائنين. ويكفي بها سمة ذل وهوان يترفع عنها أصحاب النفوس الكبيرة والضمائر الحية من البيوتات الصالحة والأخلاق الفاضلة. . .

(وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً. فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم، بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم) هذه هي الطبقة الرابعة وهم أهل الخراج الذين يقومون بزراعة الأرض والاعتناء بها وجني المحاصيل التي تقوم عليها إقتصاديات البلد. . . والإمام هنا يجسد روح العطف والحنان على هذه الطبقة ويأمر الوالي أن يهتم بها ويصلح من شأنها ولا يحملها من الأمر ما لا تطيق فلا يرهقها ولا يثقل عليها بل إن الإعتناء بأهل الخراج وصلاحهم صلاح لعامة الناس فإنهم يموّنون الأمة ويغدقون على الشعب بأهم احتياجاته فإذا كانوا بخير استطاعوا أن يقدموا أحسن انتاج وأفضله. . .

ويجب أن يهتم الوالي بالأرض وإصلاحها أكثر مما يهتم بما يجلبه من الخراج فإن

الاهتمام بالخراج وتحصيله دون الاهتمام بعمارة الأرض، تخرّب البلاد وتهلك العباد وهذا بدوره يشكل ثورة عمالية لا تمهل الوالي إلا قليلاً حتى تلحقه بالظالمين. . .

إن عمارة الأرض والعناية بها وتسهيل الأمر لأهلها ورفع الإجحاف عنهم كل ذلك يخلق طمأنينة عند أهل الخراج بأن الدولة تهتم بهم وتعتني بشؤونهم فيحاولون أن يستردوا قواهم ويجددوا نشاطهم ويسعوا في سبيل ازدياد الانتاج وازدهاره. . .

وانظر رحمك الله إلى علي ومدى اهتمامه بهم حيث يوصي الوالي أن ينظر في أمور هذه الطبقة حيث يقول له: فإن شكوا ثقلاً (في الضريبة) أو علّة (من مطر) أو انقطاع شرب (من نهر وغيره) أو بالة (من مطر) أو إحالة أرض اغتمرها غرق (بحيث فسدت من الطوفان) أو أجحف بها عطش (بحيث أتلفها) خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. . . يعني إن حصل بعض الآفات فخفف عنهم ما استطعت، فإن في التخفيف عنهم إعانة لهم وإصلاحاً لشؤونهم. . .

(فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر) إن آفات الزمن إذا حلّت بأهل الخراج فلم يكن موسمهم مزدهراً لعلة ما، فعلى الوالي أن يخفف عنهم مما عليهم من الضرائب والخراج ولا يثقلن ذلك عليه فإن المنافع الفائتة الآن من جراء هذا التخفيف سيعوضه الازدهار المرتقب في المستقبل على الدولة سيشعر هذا الإنسان أن الدولة تهتم بأموره وتساعده في حل مشاكله وأنها تعيش معه في ضرائه كما تعيش معه في سرّائه فيقوم بعملية المدح والثناء وينشر إعلامياً عدل الدولة واعتنائها به وهذا له دور كبير في عملية الراحة النفسية والاطمئنان القلبي وستبقى هذه اليد البيضاء محفوظة للدولة إذا احتاجت في يوم ما إلى إعانتها مما في أيديهم فإنهم يقدمون على عملية العطاء برضاً وطيبة نفس لأن البلاد عامرة والنفوس سليمة باذلة. . . فإن الأرض إذا كانت عامرة يستطيع أهلها أن يقدموا المساعدات الممكنة التي تحتملها وأما إذا كانت خربة فإنهم يعجزون عن سدّ الحد الأدنى المطلوب منهم، وهذا الخراب لا بد وأن يأتي من جشع الولاة وطمعهم في تحصيل الخراج ولو كان على حساب المحتاجين من أهل الأرض، لأن هؤلاء الولاة يعرفون أن لا بقاء لهم ولا استمرارية لمنصبهم فلذا يحاولون أن يجمعوا

أكبر كمية ممكنة مما تطالها أيديهم حتى إذا انصرفوا، انصرفوا ومعهم وفر كثير، وكأنهم لم ينظروا إلى من تقدمهم من الولاة ولم يعتبروا بما حلّ فيهم. . .

(ثم انظر في حال كتابك، فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة، فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك. ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل) الطبقة الخامسة هي طبقة الكتاب وقد كان لهم دور بارز ومهمة كبرى لدى الملوك والأمراء وقد ذكر كثير من المتقدمين مواصفات متعددة للكاتب. والإمام هنا يشير إلى أن الكاتب يجب أن يكون من خيرة الناس وبالأخص ذلك الكاتب الذي يطلع على المكائد الحربية والأسرار الإسلامية فإن مثل هذا الإنسان يجب أن تجتمع فيه مكارم الأخلاق ووجوهها الصالحة بأن يكون ممن لا تطغيه الكرامة التي حبوته بها فإن طغيانه يسبب جرأته عليك فيقوم لك أمام الناس بالنقد والتشهير وهذا يسبب سقوط هيبتك من قلوب الناس وكذلك يجب أن لا يكون من الذين تأخذهم الغفلة فإن ذلك يؤدي إلى عدم وقوفك على ما عند عمالك من الحسنات والأعمال وما لديهم من الأقوال والاقتراحات كما أن أوامرك ووصاياك لا تصل إليهم بشكل مأمون وصادق فيشكل هذا النوع من الغفلة ضرراً كبيراً على مسيرة الدولة التي تتولى شؤونها وتقوم بإدارتها. . .

كما أن هذا الكاتب يجب أن يكون حاذقاً لبقاً بحيث لو عقد لك عقداً لكان مستحكماً قوياً لا يحل كما أنه لو عُقد عليك عقد يستطيع أن يحله ويخرج منه بما لديه من قدرة وتسلط على حل العقود. . .

ويجب أن يكون الكاتب عالماً بقدر نفسه فيضعها موضعها ولا يجوز أن يكون الجاهل بنفسه أهلاً لهذه المرتبة فإنه إذا كان جاهلاً بنفسه فهو بقدر غيره أجهل. .

(ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء. ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره. واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما

كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته) اختيار الرجال الذين تناط بهم المسؤوليات ويتولون أزمّة الأمور يجب أن يكون عن دراسة لهم ولحياتهم الماضية، كيف كان سلوكهم؟ وما هي تحركاتهم؟ وفي ركاب من كانت مسيرتهم؟ ولا يكتفي بحسن الظن بهم والاطمئنان إلى ما هم فيه، فرب مطيع لا عن حب بالطاعة بل لعجز في البضاعة، ورب جمر تحت الرماد لو حركته اتقد فمن هنا يجب أن يكون اختيارهم لا عن حسن الظن بهم وما هم فيه من التظاهر الشكلي بالطاعة فربما كان ذلك تصنعاً منهم من أجل الوصول إلى أهدافهم الخسيسة وليس وراء ذلك أمانة ولا نصح، فيجب أن يكون الاختيار لهم بما تولوه قبلك من عمل الصالحين فإنك تستطيع أن تنتخب من كان معروفاً عند الناس بالثقة والأمانة فإن ذلك دليل على أمانته ووثاقته.

ثم إنه عليه السلام يقول إنه يجب أن يجعل لكل فرع من فروع كتاباته كاتباً مستقلاً فإنه لا ينوء بحمل الكثير ولا يعجز عن الكبير ثم يقول له إذا وقفت على عيب في كتابك فلا تتغافل عنه لأن ذلك العيب يلحقك أنت باعتبارك المسؤول عن الجميع . . .

(ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تُخاف بائقته، وصلح لا تُخش غائلته) الطبقة السادسة هي طبقة التجار والصناع وقد أمر عليه السلام الوالي بأوامر في غاية الأهمية، أمره أن يلتفت بنفسه إليهم كما أمره أن يوصي غيره من أتباعه بهم فيسهلوا معاملاتهم ويهتموا بشؤونهم وما يوفر لهم المكسب والمربح، أوصاه بجميع التجار المقيم منهم والمتجول وغيره من أصناف التجار فإن هذه الطبقة هي التي تهيّء البضاعة فتسافر إلى البلاد النائية في سبيل أن توفر الضروريات وتؤمن الأسواق وتعمّرها بما تجلبه من ملبوسات ومآكل وغذاء، ولو أراد كل إنسان من المجتمع أن يوفر ذلك له من موضعه لعجز ولم يستطع أن يوفره إذ ليس كل الناس يقدر على ذلك أو يملك الجرأة لمواجهة الأخطار وركوب البراري والقفار.

ثم إنه عليه السلام نبّه الوالي إلى هذه الطبقة وأنها طبقة السلم يهمها توفير الأمن لها لتوفر احتياجات البلد وليست من الطبقات التي يخشى منها على الدولة وأمنها، فإن التاجر لا يستشرف إلا إلى الربح وتأمينه دون أن تمنيه نفسه بالحكم وتقلباته.

(وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة

للعامة وعيب على الولاة. فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً: بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه في غير إسراف) إن علياً وهو على رأس الدولة يشعر بمسؤوليته الضخمة التي يجب أن يؤديها على أكمل وجه وأتّمه، ولا يجوز أن يحرم من وصاياه كل ما يقدّم للأمة نفعاً وللناس خيراً وهو هنا يأمر الوالي أن يتفقد أمور التجار من كان تحت سلطانه في بلده أو في أقاصي البلاد التي يحكمها هذا الوالي فإن كبر مسؤوليته وسعتها لا يكون شفيعاً له إن أهمل أو قصّر فإن إدارة البلاد ليست من أجل الرئاسة والوجاهة بل من أجل خدمة الناس وتنمية الحياة عندهم والأخذ بما في أيديهم لصالح المسلمين قاطبة وهذا يتطلب من الوالي أن يكون مع أفراد المجتمع وطبقاته.

وينبه الإمام إلى أن التجار فيهم بعض الأوصاف غير النظيفة التي يحاربها الدين ويحب أن يقتلعها من نفوسهم لأنها من جهة في أنفسها صفات خسيسة ولأنها تضرّ بعامة الناس من جهة أخرى.

ففيهم عسر في المعاملة وشح في النفوس وفيهم حب الربح الفاحش الذي يطلبونه ولو بالاحتكار المحرم، فإن الدين قد حارب المحتكرين الذين يجمعون ما يحتاجه المجتمع مما نص عليه الشارع كالحنطة والتمر والسمن والملح وغيرها من المواد الأولية الضرورية لحياة المجتمع، يجمعونه في أيام وفرته إلى وقت حاجته فيمنعونه عن المحتاجين بالأسعار الخفيفة حتى إذا نفذ من الأسواق طلبوا به الأسعار العالية التي ترهق كاهل الناس وتعجزهم عن شرائه وفي هذا النوع من التجاوز الشرعي فضلاً عما ذكرنا من الأضرار بالناس فيه مذمة للولاة وعيب عليهم لأنه يقال إن في زمنهم حصل هذا الأمر المحرم الذي أضرّ بالمجتمع وذلك لإهمالهم وتكاسلهم وعدم التفاتهم إلى رعيتهم ولو أنهم كانوا بمستوى المسؤولية المنوطة بهم لما حصل ما حصل فإن رسول الله (ص) قد منع عن الاحتكار وحرمه على أمته فيجب على من تولى الأمر نيابة عن النبي أن يقتفي أثره في تحليل حلاله وتحريم حرامه.

وليكن البيع بيعاً سمحاً لا إجحاف فيه، بموازين سليمة صحيحة ليس فيها تطفيف أو أكل للمال بالباطل وكذلك يجب أن تكون الأسعار معتدلة لصالح الفريقين البائع والمشتري فلا ترتفع فتضرّ بالمشتري ولا تقل فتضر بالبائع... وفي ختام حديثه عن هذه الطبقة يأمره أن يؤدب من احتكر بعد النهي ولتكن العقوبة بقدر محدد كما رسمها الشارع وكما هي المصلحة دون أن يكون فيها تجاوز لأنها لردع المنحرف وليس للانتقام منه...

(ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم. فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون، وتحقره الرجال. ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه) الطبقة السابعة طبقة الفقراء: الله أكبر يا علي يا أمير المؤمنين، إن لهذه الطبقة الأخيرة منزلة عندك واهتماماً فاق سائر الطبقات، إنك تعيش بقلبك وروحك وجسمك وسائر شؤونك مع هذه الطبقة الضعيفة، لقد عشت آلام المحرومين والمعذبين وأنت مع الناس وعشت معهم وأنت خليفة ورحلت عنهم ووصاياك بهم حية لا تزال تعيش... سهرت من أجل أن يطيب لهم المنام وظمئت من أجل ريّهم وجعت من أجل شبعهم وعريت من أجل إكسائهم وزهدت من أجل ترفيههم... فكنت أباً للمساكين والأرامل والأيتام وكانوا لك أبناء بررة يعيشون آلامك ويحققون أحلامك...

علي عليه السلام بهذه الصيغة التي تحوي الرقة والرجوع إلى الله كانت وصيته بهم (الله... الله) في هذه الطبقة التي لم تمكنها الأقدار ولم تفسح لها الحياة في الكسب والسعة، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والمقعدين، فإن هذه الطبقة تستحق الشفقة والعطف ويجب على المجتمع أن يؤمن لها احتياجاتها إن عجزت الدولة، أو لم يكن بيدها ما توفره لها...

إن في هذه الطبقة من الفقراء والمساكين وأهل الحاجة من يسأل ويمد يده ليطلب حقه ولكن هناك من تمنعه العفّة ويصون وجهه عن الطلب ولكل منهما حق يجب إيصاله إليه، يجب على الوالي أن يحفظ الله في هذه الطبقة ويجعل لها قسماً من بيت مال المسلمين فإنه معد للمصالح العامة ولإعاشة الفقراء وهذه مصاديق ذلك وأحق من يأخذ ذلك بحقه. وليكن عون بيت المال تلك الصوافي التي توزّع على جميع الفقراء، القاصي منهم والداني ولا يهمل هذه الأمور الصغيرة ظناً منه أنه يعمل الأعمال الكبيرة من إدارة شؤون البلاد وتحريك سياستها فإن الله لا يغفل الصغير وإن قام المسؤول بالكبير فإن لكل من القسمين أجره وثوابه كما أن لكل منهما مسؤوليته وعقابه فلذا لا يجوز أن يعرض عن

هؤلاء الفقراء ويتنحى عن إعانتهم ومد يده إليهم. . .

(وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل (والحق كله ثقيل). وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم) هذه وصايا الأنبياء إلى أتباعهم وهذا هو منطق السماء الذي يتعادل فيه القوي والضعيف، الغني والفقير، الحاكم والمحكوم، صاحب الجاه والصعلوك، إن كل هذه الفئات مخلوقة لله وتتساوى أمامه دون تمييز فلذا يتعامل معها بمنطق واحد ولسان واحد، والإمام هنا يشدد الوصية بالاهتمام بهذه الطبقة الفقيرة التي لا تستطيع أن تقفز فوق الحواجز المصطنعة لتصل إلى الوالي فترفع شكواها واحتياجاتها إليه إن هناك من هذه الطبقة من تحتقره العيون وتزدريه لأنها عيون لم تبصر بنور الله تتعامل مع الثياب والمال دون المثل والقيم إن مثل هذه الأفراد يجب على الوالي أن يوظّف لها رجلاً من أهل التقوى لله والتواضع لعباده، فيعمل بمقتضى تقواه دون أن يزيد على حالة البؤساء بؤساً أو ينقص منها شيئاً، بل يرفعها إلى الوالي على حقيقتها كما هي كي تعالج بوصفتها المناسبة لها دون مضاعفات أو مخاطر مراعياً ربه مطمئناً إلى ما يقدمه من الأعذار التي تشفع له عندما يسأل عن أحوال هؤلاء الفقراء الذين لم يخرجوا من رعيته وسلطانه. . .

ثم الأيتام هؤلاء الذين فقدوا الآباء فإنهم يستحقون الاهتمام والعناية التي تعوض لهم عن حرمان الأب وحنانه فإنهم أبناء المسلمين الذين لم يتمتعوا بآبائهم فكان لهم في الوالي أباً بدلاً عنهم. وأما أولئك الذين كبرت سنّهم ودقّ عظمهم وانقطعت حيلتهم عن الكدّ والسعي والعمل فهم أيضاً يستحقون الإعالة والكفالة من الدولة فإنهم بذلوا شبابهم وجهودهم في سبيل بنائها فلا يجوز لها أن تهملهم من حساباتها ومعوناتها إذا عجزوا عن اقتحام مداخل أبواب الوالي وعتبات داره. . .

ثم إنه عليه السلام يلفت النظر إلى أن هذه الطلبات والوصايا ثقيلة على الولاة لأنها تكلفهم أتعاباً وجهوداً وعرقاً وكداً وتأخذ من أوقاتهم الشيء الكثير ولكنه يعود ليقول لهم إن الحق كله ثقيل، لأنه يتطلب العدل والإنصاف وهذا مما لا تقبله أغلب النفوس ولكن الإنسان الصالح يستطيع أن يقهر نفسه بل يستطيع أن يتقبل الحق بكل راحة نفس واطمئنان والله يمده بالعون إذا صبر ويُسهل عليه الأمر إذا رأى ما أعده الله له من الحسنات والخيرات. . .

(واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك

حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإني سمعت رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يقول في غير موطن: «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع». ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونح عنهم الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار!)
هكذا تتسامى الشخصيات الكبيرة في تواضعها وبهذه الأحرف السماوية يرقم عليّ على قلوب الولاة العطف والحنان والتنازل عن مقامات الملك والسلطان ليعيش الوالي مع أبناء الشعب الذين يملكون رؤاهم وحاجاتهم الخاصة... إن على الوالي أن يجعل قسماً من وقته يفرغه للقاء أصحاب الحاجات... إنها جلسة مفتوحة يستطيع كل فرد من أفراد الشعب أن يكشف سره ويطلع الوالي على احتياجاته والنظر في مظلمته. فإن الله قد استرعاه وهو سائله عن كل تقصير أو تهاون...

وليكن ذلك المجلس مع التواضع لله والحدب على الفقير وليبعد عن أصحاب الشكاوى جميع جنده وحرسه وشرطته فإن لهذه المظاهر أثراً في نفوس بعض الأشخاص يعجزون معها أن يؤدوا ما في نفوسهم أو يكشفوا عماً يجول في خواطرهم، إنها مظاهر تشير بالقوة والعزم والهيبة والسلطان وهو يتنافى مع مجالس الضعفاء الذين لم يتعوّدوا مثل هذه المشاهد إلا في مقامات القوة والحرب والقتال الذي يفقد فيها الكثير عزيمتهم وتخونهم أعصابهم وعقولهم فلا يعودوا يملكون المنطق السليم الذي يكشف عما في نفوسهم...

هكذا يعلّم علي الولاة، وهكذا يكون أهل الحق والعدل من الحكام... ويعلل ذلك أن الأمة التي لا تأخذ الحق لصاحبه غير مضطرب ولا خائف لا تكون أمة طاهرة مستقيمة نزيهة كما ورد عن رسول الله...

ثم إن على الوالي أن يحتمل ويصبر على عجز بعض الناس عن بيان ما في نفسه وعن حصر بعضهم عن الكلام وليكن هذا الصبر مع البسط والسهولة راجياً من وراء ذلك رضا الله ومثوبته...

وإذا ثبت الحق فليعطه لأهله دون منّة بل يشعرهم بحقهم كي يطمئنوا إلى عدله وإذا ثبت أنه ليس لهم حق فليكن رده لهم بيسر وسهولة أيضاً مع بيان العذر والحجة كي يكونوا على بيّنة من عدم القضاء لمصلحتهم...

(ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيى عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك.

وامض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه. واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، واجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية) مهما سمت الأعوان وكانت قادرة على تصريف الأمور وتنسيقها فإن من الأمور ما لا يقضى إلا بيد الوالي وعلى عينه خاصة وقد ذكر الإمام نماذج لتلك التي يجب أن يتولاها الوالي بنفسه منها ما ورد على كتّابه وعجزوا عن القيام به والإجابة عنه فإن على الوالي أن يقوم بالإجابة عنها بنفسه ومنها إجابة ما ورد عليه من الناس إذا ضاقت صدور أعوانه فإنهم إذا كلفوا بها والحالة تلك لا يؤدونها على وجهها الصحيح...

ثم يوصيه أن لكل يوم عمل خاص به وهذا يدل على وجوب تنجيز الأمور في أوقاتها لأنه إذا تراكمت الأعمال لم يعد الفرد قادراً على إنجازها بنجاح تام.

ثم يوصيه أن يختار أفضل الأوقات لعبادته ومناجاة ربه مما ورد الحثّ في استحباب العبادة فيها وبعد هذا يعطي كبرى كلية على أساسها يستطيع المسلم أن يحوّل كل أعماله عبادة تقربه من الله إذا اقترنت بنيّة التقرب منه وسلم الناس من بوائق يده وظلمه...

(وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك: إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا قمت في صلاتك للناس، فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم؟ فقال: «صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً») بعد أن انتهى عليه السلام من وصيته العامة بالرعية شرع في وصية الوالي بالأمور الخاصة التي أمس ما يجب أن يكون الوالي متمسكاً بها.

وأخص تلك الفرائض وأهمها إقامة الصلاة بحذافيرها من الشروط والمستحبات والآداب في الليل والنهار وإن كلفه ذلك جهداً بدنياً فإن عاقبة تلك الأتعاب جنة عرضها السماوات والأرض والحصول عليها يهوّن كل مشقات الطريق وأتعابه...

ثم يوصيه وهو يؤدي الصلاة بالناس جماعة أن يكون في إمامته لهم معتدلاً، غير منفر بالتطويل ولا مخلٍ بالتنقيص، أما عدم التنقيص فواضح أما التنفير بالتطويل فلأن في الناس من هو عاجز وأن فيهم أصحاب الأشغال والأعمال وكل هؤلاء يجب أن لا ينفصل عن عمله أزيد من اللازم ثم يستشهد على ذلك بقول النبي (ص) وأكرم ببيان رسول الله بياناً وبحديثه حديثاً: «صل بهم كصلاة أضعفهم».

(وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيما احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه! أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك، من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة) وهذه وصية أخرى من وصاياه الغالية يتعطر بها الوجود ويسبّح بذكرها الموجود إنها تلقي الأضواء الساطعة التي تكشف مخاطر الاحتجاب عن الرعية وتدلل أن الوالي يجب أن يكون على اتصال دائم بهذه الجماهير التي تولي أمرها وأنيط به شأنها لئلا تقطع دونه الأسباب ويساء فهم الوالي للأمور فإن الاحتجاب يورث الوالي الانقطاع عن أخبار رعيته فيعظم عنده الأمر الصغير وقد يهون الكبير كما أنه قد تقلب الأمور فيغدو الأمر الحسن قبيحاً والقبيح حسناً وبذلك يختلط الحق بالباطل لأنه إذا احتجب اضطر أن يعوّل على أخبار الذين يتصلون به وينقلون إليه صور العالم الخارجي وهؤلاء قد يحسّنون له السيء، وقد يعكسون الأمر وليس له اطلاع على الحقيقة إلا من جهتهم وهو بما يحمل من الهوية البشرية لا يعرف ما توارى عنه واختفى وليس على الحق رايات تصرخ باسمه حتى يسمعها الوالي فيجيب إن امتزج الصدق بالكذب واختلط الحق بالباطل...

ثم إنه عليه السلام أراد أن يثير في نفس الوالي قضية حقيقية لعلها تيقظه وتحرك فيه شعور الخير وعوامل البناء والنمو فوجه إليه كلامه بأنك لا يخلو أمرك من أحد رجلين وكلاهما لا داعي إلى احتجابه فإما أن تكون رجل يدفع الحق ويبذله لأهله ولا داعي لاحتجابك إذا كنت تحمل صفات هذا الرجل وإما أنك رجل مبتلى بالمنع لهذا الحق فإن الناس لا بد وأن تعرف ذلك عنك فتمتنع عن المطالبة وعلى هذا أيضاً لا داعي لاحتجابك...

ثم نبهه إلى قضية مهمة وخفيفة على النفس حيث قال له إن أكثر حاجات الناس إليك ليس فيها مؤونة عليك لأنها إما شكوى لبعض المظالم التي لحقتهم أو طلب إنصاف في معاملة قد جار فيها بعضهم وتعدّى فيها آخرون... وفي كلا الأمرين ليس فيه أي حزازة أو مرارة ولا كلفة ولا ثقل فيهون الأمر ويسهل فلا داعي لاحتجابك أصلاً...

(ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة، تضر بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة) إن علياً قد رأى بأم عينه ووقف بنفسه على عمال عثمان ومظالمهم حيث أكلوا البلاد وقتلوا العباد، فاستأثروا بالفيء ومغانم المسلمين وألحقوا الضرر بكل أفراد الأمة حتى ضجّ الناس منهم وأحبوا التخلص من ظلمهم وجورهم... وقد كان عثمان الخليفة يرعى شؤونهم بما لا يرعى به شؤون المسلمين ويمنحهم الأعطيات والأراضي والمال بشكل غير جائز ولا مقبول ويذكر التاريخ جملة من تلك التجاوزات التي مارسها الخليفة وبنو أبيه حتى قال الإمام عنهم مصوراً حالهم كما في خطبته الشقشقية: «إلى أن قام ثالث القوم (عثمان) نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع».

ويقول عليه السلام في كلام أخر: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فإن الحق لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان لرددته إلى حاله...».

وقد استغل الأمويون شيخهم عثمان بعد توليته الخلافة أقبح استغلال وأبشعه حيث تولوا مراكز الولايات في كل من البصرة والكوفة ومصر والحجاز دون كفاءة أو جدارة بل لأنهم عشيرة الخليفة وأقرباءه وقد وصلهم بأموال المسلمين مما جعل الناس يثورون عليه وعليهم وينهون حكمهم الظالم الجائر.

وإن الإمام علي هنا ينبه الوالي في تعاليمه إلى أن يقطع سبب طمع هؤلاء الناس من الخاصة والبطانة فلا يقطعن لأحد منهم أرضاً تضرّ بمصالح المسلمين ومنافعهم فإن الحاشية والخواص يطمعون في أحسن الأراضي وأخصبها وأشدها منفعة ودرّاً وإن كان في ذلك مضرّة على المسلمين... فإن الوالي إذا فعل ذلك يكون آثماً ومعيباً عليه في الدنيا والآخرة...

(وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع. وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك،

فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق) الحق في الإسلام لا يعرف القريب والبعيد ولا الصغير والكبير ولا الملك وعامة الناس، بل صاحب الحق سلطان لأنه ينظر من خلال حجته التي تدين الغير وتجبره على الإذعان والاعتراف لصاحب الحق بحقه. . .

وإن أحق الناس بإقامة الحق هم الولاة الذين بيدهم أزمّة الأمور وخصوصاً على حاشيتهم وقرابتهم مهما كانت إقامته قاسية ووقعه صارم وعنيف، فإن مع عنفه لذة ومع قساوته سموّ ورفعة وأن هذا الثقل الذي يجده المرء من خلال إقامته على خواصه وأهله يجد لذته في يوم تشخص فيه العيون والأبصار كما يجد لذته أيضاً في الدنيا وبذلك يجمع كرامة الدارين. . .

ثم على الوالي أن يتعامل مع رعيته من موقع الثقة المتبادلة وهذا لا يتم إذا أساءت الرأي فيه في قضية من القضايا وخصوصاً إذا تصورت أن الوالي يظلمها ويحيف عليها في مسألة ما، وهنا يجب على الوالي العادل أن يرفع هذا الظن من عقول رعيته ويعلنها أمامهم بكل صراحة مبيناً وجه التقشف ـ إن كان هناك تقشفاً ـ موضحاً أمامهم طريقه وسبيله الذي حداه إلى سلوك هذا النهج. . . وفي هذا الإعلان يكتسب أمرين، أولهما أنه يرفع سوء ظن رعيته به والثاني أنه يعوّد نفسه على أن يكشفها أمام الناس ويبيّن أعذاره بشكل واضح وفي هذا على النفس ثقل كبير فليس كل فرد يستطيع أن يكشف أوراقه ويوضح معالم مسيرتـه وخصوصاً إذا كان في موقع رفيع من المسؤولية حيث يرى نفسه فوق هذه الأمور وأرفع منها.

(ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت) السلام والأمان شعائر إسلامية ذات مضامين ربانية تحمل أسمى المعاني وأعمقها وأروع المداليل وأقيمها. . .

السلام الإسلامي ليس على حساب الضعفاء والفقراء، وليس على حساب المبادىء والمثل، وليس على حساب الشعوب الآمنة وسلب راحتها وزعزعة كيانها. . .

السلام في أيامنا بين أميركا وروسيا يأتي على حساب راحة العالم كله ـ ما عدا الدولتين، سلام أمريكا وروسيا معناه سلب راحة الشعوب ونشر القتال بينها وزرع

الفتن بين الشعوب، وتقسيم الأرض كلها إلى مناطق نفوذ كل دولة لها مجموعة من الدول الصغيرة التي تدور في فكلها وتسبح في محيطها. . .

فأمن روسيا وسلامها أن تحتل أفغانستان والمجر وغيرها وأمن أمريكا أن تخلق دولة إسرائيل الصهيونية لتشرد شعباً كاملاً عن دياره وتقلق وضع المنطقة بأسرها وتهدد باحتلال منابع النفط والاستيلاء عليها لأن أمنها يتطلب ذلك. . .

أمن الدول الكبرى يقوم على قلق الشعوب وراحتها وسلب سكونها ودعتها فهل يمكن أن يتم صلح ويعقد سلام بين آكل ومأكول إلا على حساب المأكول. . .

الإسلام يقول: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها. .﴾** إنها دعوة إلى السلام بالمعنى الصحيح لأن الحرب في الإسلام حالة استثنائية لا يرجع إليها إلا بعد أن تقفل جميع أبواب السلام. . .

السلام في الإسلام لصالح الإسلام لأنه رسالة يخاطب العقل والفكر والضمير ويدخل إلى مكامن النفس فيحولها إلى عنصر جديد وخلق جديد. . . الإسلام يعتمد على الحجة والمحاورة فإذا فسح المجال لهما فلا حرب ولا نزاع. . . أما إذا أراد العدو أن يسد جميع المنافذ ويغلق سائر الأبواب على الشعب المسحوق ويمنعه أن ينظر في الدعوة الإسلامية وأحكامها فلصالح الإنسان أن تكون الحرب التي تكسر هذه القيود وتطلق له الحرية ولجميع المستضعفين. . .

السلام في الإسلام سلام عادل لا ظلم فيه سلام من أجل فتح القلوب والنفوس على الحق والعدل والإيمان ورضا الله تعالى ولذا يوجه الإمام وصيته إلى الوالي أن لا يدفع صلحاً يدعوه إليه العدو إذا كان لله فيه رضاً ويعلل ذلك فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ثم يوصيه أن لا يغفل عمن صالحه فلعل صلح العدو خدعة من أجل أن ينقض عليه ويجعله لقمة سائغة. . .

وإذا تم عقد الصلح فيجب على الوالي أن يبذل كل ما يستطيع للوفاء به مهما كلفه ذلك وتطلبه. . .

(فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً، مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد

برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه) هناك مسلمات عقلائية تجتمع عليها الناس قاطبة المسلم منهم والكافر الموحد والملحد وذلك لوضوحها وصحتها في العقول وهذه المسلمات يكون دور الشارع فيها التأكيد وليس التأسيس فإن هذا العقل أودعه الله في الإنسان حجة له وعليه يستطيع أن يستقل بالحكم في هذه المسلمات كما في حسن العدل وقبح الظلم وغيرهما من البديهيات العقلائية المعبر عنها بالحسن والقبح العقليين وأن الإمام هنا يبين جزئية من تلك الجزئيات التي تسالم عليها العقلاء وأقروها في تصرفهم وسلوكهم، إنه الوفاء بالعهد فإننا نجد كيف تم التسالم بين العقلاء قاطبة حتى المجتمع المشرك قد تعامل فيما بينه بالوفاء به. فإن أهل الجاهلية كانت تلتزم بالعهود وتذم من ينقض عهداً أو يخالفه، وترى شعراؤها تهجوه وتقبح فعاله وتجعله وصمة عار في جبين ناقضه لا يفارقه مدى عمره بل قد يلحق أبناءه وأحفاده وجميع من ينتسب إليه... إن الوفاء بالعهد مطلب إسلامي أكد عليه الإسلام وأوجبه على أتباعه...

قال تعالى: **﴿وأوفو بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وأوفو بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾**[2].

فالإمام يطلب من الوالي أن يلتزم بعهده وهو أحق من يلتزم به فلا يجوز له أن يحتال أو يخدع عدوه بعد العهد لأن العهد وإن كان طرفه الآخر هو العدو ولكن عهداً أيضاً مع الله ولا يخفر ذمة الله إلا جاهل...

(ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة. ولا يدعونك ضيق أمر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته. وأن تحيط بك من الله فيه طلبة، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك) نهيٌ منه عليه السلام أن يعقد عقداً يمكن أن تكثر فيه التأويلات وتتعدد الوجوه والاحتمالات بل يجب أن يكون العقد نصاً في المطلوب لكي لا تكثر الاحتمالات التي يمكن أن يتثبت بها العدو.

كما نهاه أن يخرج عما عقده وأحكمه إلى وجه خفي لا يهتدي إليه إلا الأوحدي

---

(١) سورة الإسراء، آية/ ٣٤.

(٢) سورة النحل، آية/ ٩١.

فإن ذلك ليس من دأب المسلمين لله المعتصمين بحبله وإذا تم العقد واستحكمت الأمور لا يجوز للوالي إذا رأى خلاف ذلك أن ينقضه ويفسخه، بل يجب عليه أن يلتزم به على وجهه المتفق عليه ويصبر فإنه إذا صبر على أمر يرجو انفراجه وينتظر حسن عاقبته خير له من أمر يعتذر منه ولكن لا يقبل العذر بل تلحقه التبعة وتحيط به المطالبة من الله وهل ينجو عبد يطلبه الله، فما أجدر هذا الإنسان أن يودع دنياه بالوفاء ليستقبل آخرته مع وفود الأنبياء. . .

(إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها. والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطان بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن) إن للنفوس البشرية في الإسلام حرمتها وحصانتها، والإنسان في هذا الدين كائن له قدسيته المميزة واحترامه الخاص، فمن أجله خلق الله الدنيا ومن أجله سخر له كل ما فيها، من أجله أسجد الله ملائكته ففضله عليهم. أعطى الإسلام اهتمامه البالغ في الحفاظ على حرمة الدماء وحقنها من كل اعتداء ورعاها رعاية لم يرع مثلها من الأمور الكبيرة فقد عدّ الاعتداء على الإنسان دون حق يعادل الاعتداء على كافة الناس قال تعالى: **﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض كأنما قتل الناس جميعاً﴾**[(١)] فإن نزعة الشر إذا سيطرت على عقل جاهل أو سفيه أو مجرم محترف فقتل فرداً واحداً دون ذنب أو حق فهو بما يحمل من نفس شريرة تتقبل نفسه أن يقتل الناس جميعاً ولذا يحمله الله مسؤولية قتل البشرية كلها. . .

إن الإسلام اعتبر الإنسان محقون الدم لا يجوز التعدي عليه وإزهاق نفسه دون فرق بين كبير وصغير حتى عمليات الإجهاض حرّمها الإسلام ومنع من القيام بها لأنها تشكل اعتداء على آدمي تمتع بقسط من الوجود فلا يجوز قتله. . .

إن الإسلام حرم إهدار الدماء ومنع من سفكها. . . فلا تهدر من أجل النزوات الشخصية للحكام المجرمين ولا تهدر من أجل الثروات التي بيد الغير فيعتدى عليهم وتسلب من أيديهم. . .

ولا تهدر من أجل الاستعمار والاستغلال.

---

(١) سورة المائدة، آية/ ٣٢.

ولا تهدر من أجل مطمع أو مغنم.

ولا تهدر من أجل شيء أبداً إلا لله وحده إنها تسقط من أجل دينه ورسالته وأمره لتنير الدرب للسالكين وتفتح طريق الجنة للمجاهدين. . .

إن سفك الدماء جريمة يعاقب الإسلام مرتكبها بالقتل في الدنيا وبالنار في الآخرة ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله(ص): «أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء، فيوقف ابنا آدم فيفصل [فيقضي] بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك حتى يأتي المقتول بقاتله فيتشخب في دمه وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته؟ فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً».

والإمام هنا يحذر الوالي من الدماء وسفكها بغير حقها، فإنها أهم الأسباب وأقربها لنزول نقمة الله بالقاتل وأعظمها في لحوق التبعة منه وأولاها بزوال النعمة وانقطاع مدة العمر والدولة. . .

ثم بين عليه السلام أن الله أول ما يحاسب عليه هو الدم الحرام الذي سفك بغير حله وقد تقدمت الرواية الدالة على ذلك.

وإن من أراد تقوية سلطانه بالدم الحرام فإن ذلك لا يتم ولن يتم فإن سفك الدماء يضعف الملك ويوهنه بل يزيله عن أهله إلى غيرهم وهذا ما رأيناه بالعين المجردة ومر أمامنا في زماننا كما يقرأ ذلك أيضاً في التواريخ. . . فإن سلطاناً يقوم على الحديد والنار وسفك الدماء وقتل الناس فهو سلطان لا يدوم. . . وإن تاريخ الأمويين وتلك المجازر التي ارتكبوها كانت السبب في القضاء عليهم وزوال ملكهم كما أن بني العباس وما مارسوه من الظلم وإهدار الدماء كان هو نفس السبب في نقمة الناس عليهم والثورة ضدهم وزوال ملكهم. . .

(وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم) القتل الذي تهتز له السماوات والأرض وتحكم بحرمته الشرايع والأديان هو قتل العمد دون حق لما يمثل من اعتداء على الإنسانية وقد جعل الإسلام حداً له وهو قتل القاتل منعاً للفساد وحسماً لمادته التي تجسدت في إنسان تملكت عليه نزعة الشر شعوره ووجدانه فراح يعيث في الأرض الفساد ويقتل الحياة والعباد. . .

إن في قتل العمد تُرفض الأعذار وتُرد الاسترحامات ولا تُقبل الشفاعات فإن

لأولياء المقتول الحق في قتل القاتل عمداً، عليه وحده يقع الحق ومنه فقط يقتص، فلا يجوز في منطق الإسلام أن يعتدى على غيره من أب وأخ وقريب ورحم، الجاني وحده هو الذي تلحقه تبعة هذه الجريمة ويؤخذ بجريرتها، فللأولياء ـ أولياء المقتول الاقتصاص منه ـ كما أن لهم الحق في العفو عنه والعدول إلى الدية ـ كما أن لهم الحق في العفو المطلق الذي تسقط معه كل آثار وتبعات هذه الجريمة. . .

إن جريمة قتل العمد تلحقها تبعاتها سواء كان مرتكب الجريمة حاكماً أم سوقة ولا يكون المنصب الكبير ـ وإن كان خليفة ـ شفيعاً له في عدم الاقتصاص منه، فإن الأحكام الإسلامية يتساوى فيها الحاكم والمحكوم السائس والمسوس بل هي في حق الكبير أوجب وألزم لأنه يمثل الرسالة ويدعي المحافظة عليها وتطبيق أحكامها وبنودها فإذا خالف ذلك ـ وهو في ذلك المركز ـ كانت المسؤولية عليه أكبر والمطالبة له أضخم وأكبر. إن في تشريع الإسلام المستقى من أهل بيت النبي (ص) وكما يصرح به الإمام هنا أن في قتل العمد الاقتصاص من بدن القاتل ولا عذر يقبل في رفع الاقتصاص. . .

وأما إذا كان القتل خطأً ـ لا عن عمد ـ بسوط لا يقتل عادة أو ضربة بيد فإن في ذلك الدية ولا يجوز أن يستغل الحاكم منصبه فيأكل حق المقتول ويرفض أن يدفع لأهله ديته. . .

إن الوالي مهما سمى بمنزلته وارتفع في علو سلطانه فإنه يبقى تحت إرادة الله وحكمه لا يجوز له الخروج عنها ولا الاعتداء عليها وإلا أُخذ بما يؤخذ به أي إنسان آخر من عامة الناس. . .

(وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين) الإعجاب بالنفس من المهلكات لها، إذ يمنّ الإنسان بعمله على ربه فتطمح نفسه إلى الاستعلاء والاستكبار، إنه ينظر إلى نفسه فيتخيل أنها منزهة عن كل تقصير فيأخذه التيه ويتمنى أن تتحول ألسنة الناس كلها إلى أبواق تسبح بذكره وتمجّد أفعاله وأقواله ومن هذا الباب يستطيع أن يدخل الشيطان فيزين له سوء عمله فيراه حسناً، فتنقلب عنده الأوضاع وتتبدل الموازين فيتخيل أن جميع أفعال الناس وأعمالهم وما قدموه من خيرات وصالحات كلها لا تعدل عملاً من أعماله وأثراً من آثاره وبذلك تمحق آثار الصالحين وتذوب كل أعمالهم الطيبة وجهادهم الميمون. وهذا أمر له ما بعده من الفساد والضلال.

ففي الحديث عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي عبد الله (ع): الرجل

يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه العجب به؟ فقال: هو في حاله الأولى وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه.

وفي الحديث عن أبي عبد الله (ع) قال: أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟.

فقال: مثلي يسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ، إن المدل لا يصعد من عمله شيء.

(وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس. قال الله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾) المنّ يفسد العمل لما فيه من إيذاء على الممنون عليه، وقد حرمه الله ومنع منه وجعل الصدقة فاسدة لا تعطي خيرها وثوابها إذا اقترنت بذلك قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾** ولأجل هذا قال الإمام في مقام التنديد بالمنّ على الرعية بقوله: «فإن المنّ يبطل الإحسان».

وأما التزيد فهو قبيح لأنه يتضمن الكذب والكذب حرام، فإن العامل جزءاً واحداً ومدعٍ للعمل عشرة أجزاء مريداً الافتخار بهذه النسبة مثل هذا الإنسان سينكشف كذبه ويتضح حاله وتنزل منزلته عما هي عليه وبذلك قد يقضي حتى على الجزء الذي عمله وتنطمس معالمه من جراء كذبه ذاك ولذا قال الإمام في مقام عدم جواز التزيد: «بأنه يذهب بنور الحق».

وأما خلف الوعد فإنه أوضح الثلاثة في القبح عند الناس حيث تنتزع الثقة ممن وعد ولم يف ولا يؤخذ بقوله بعد خلفه لوعده وكفى بذلك ذلاً وإهانة وأما عند الله فلقوله تعالى: **﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**.

(وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها، عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل أمر موقعه) هذا هو قانون الوسطية الذي يرسمه الإسلام لأتباعه عامة ولولاة الأمر بشكل خاص فلا إفراط ولا تفريط في الأمور بل الجادة الوسطى هي المطلب الذي يجب السير عليه والإمام هنا يرسم للوالي كيفية الاختيار فيحذره من العجلة في الأمور قبل الأوان المقابل للتهاون فيها عند إمكانها كما يحذره من اللجاجة في المطالب إذا لم تنضج وجوهها

ويقابله الوهن والضعف عنه-إذا كانت الأمور واضحة. . . بل يجب أن يضع كل أمر في مكانه ويوقع كل أمر موقفه. . .

(وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك. وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم. املك حمية أنفك وسورة حدك، وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك) هذا تحذير منه عليه السلام إلى قضية ذات أهمية كبرى إنها قضية الاستئثار بدل الإيثار، والاستئثار الذي يبيح للفرد أن يأخذ حقه ويتناول حق غيره فإذا كان الناس شركاء في أمر من الأمور لا يجوز للقوي بما يتمتع به من سلطة أن تمتد يده لتأخذ ما ليس له بحق بل يجب أن يقف عند حقه دون التعدي على شركائه الذين يتساوون معه في هذا الحق.

ثم نبه إلى عدم جواز التغافل عما يجب العلم به من حقوق الناس التي أخذت ظلماً وقد رأت العيون كلها إهمالك لها وبين له من الأمور ما فيه مزدجر حيث يقتص من الوالي لغيره ممن ظلمه أو تمكن من منع الظلم عنه فلم يرفعه يوم تنكشف الحجب وتوفّى كل نفس ما عملت وينادي العزيز الحكيم وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد عندها يقتص للمظلوم من الظالم ويقتص للجماء من القرناء ويقف كل صاحب حق يطالب بحقه. . .

وإذا كانت الأمور ستنكشف على حقيقتها وستتوضح الأمور على جليتها فلا بد للعاقل من أخذ الأهبة والاستعداد للقاء يوم الحساب فلا يغضب بل يملك نفسه عن ذلك وإذا كان ذو بأس فلا تأخذه الحدة للانتقام وإذا كان ذو سطوة فلا ينتقم وإذا كان صاحب لسان حديدي فلا يأكل أعراض الناس أو يعتدي على كرامتهم بل إذا حصل شيء يوجب ذلك أخّر السطوة والانتقام حتى يسكن الغضب ويستطيع أن يختار بكلٰ حريته فلا يقع تحت أسر هذه الأمور السالبة للقدرة والاختيار. . . وليتفكر الإنسان قبل اتخاذ القرار بأن له يوم المعاد موقفاً ترتقص منه القلوب فزعاً وجزعاً فليعد الإجابة عن كل حركة وقول وفعل. . .

(والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنّة فاضلة، أو أثر عن نبينا ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من

الحجة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة) هكذا تكون الحكومة العادلة التي تكشف عن إرادة الحق وتتمتع بالسمع والطاعة من الناس، إذ لا دكتاتورية في الحكومة ولا عبودية للرئيس ولا صنمية بشرية جديدة، بل الحكم لله منه يؤخذ التشريع وطبقاً لأوامره تتم الأمور، فالحكومة العادلة التي تقدمت على هذه الحكومة يجب أن تكون قدوة في المسيرة الحكومية فيتخذ الولاة منها أسوة ودرساً عملياً في حياتهم وسلوكهم العام ثم ينظر الوالي إلى سنة فاضلة راشدة أو أثر عن رسول الحياة وقائد مسيرة النضال أو فريضة في كتاب الله نصّ الباري عليها فيقتدي بكل ذلك لأن فيه الاجتياز عن المخاطر والعقبات والوصل إلى شاطىء الأمن والسلام...

وإذا لم يكن كل ذلك ـ لا أثر من حكومة عادلة ـ ولا سنّة فاضلة ولا أثر عن نبينا ولا فريضة في كتاب الله فعلى الوالي أن يجتهد وسعه في سبيل الوصول إلى حجة مقنعة ترضي الله في كل أمر يقدم عليه أو يتبناه في عمله الحكومي...

وهذا العهد هو الحجة الذي يمكن أن يحاسب على أساسه الوالي إذا تسرع في حكمه وجار في قضائه أو عمل بهواه وشهواته.

هذا هو الفصل الأخير من العهد العلوي الشريف، إنه فصل الدعاء والابتهال إلى الله، فصل الخشوع بالقلب والروح والجوارح إليه تعالى أن يديم التوفيق لما فيه رضاه المتمثل في إدامة الحجة أمام الله وأمام العباد...

وفي نهايته طلب السعادة المقترنة بالشهادة التي يتمناها كل مسلم ويطلبها من الله لأنها المرتبة السامية التي تقصر عنها جميع المراتب الأخرى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

ترجمة مالك بن الحارث الأشتر.

(الأشتر) مالك بن الحارث عظيم من الرجال بطل من الشجعان عاصر النبي ورافق مسيرة الخلافة في أشخاصها الأربعة فكان له دور لا يمكن تجاهله أو التقليل من شأنه وخصوصاً تلك الفترة التي تفجرت فيها الثورة الشعبية في وجه عثمان والحكم الأموي فكان الأشتر أحد وجوهها وزعمائها الذين قادوا المعارضة من الكوفة كما كان له دور بارز وتحرك مبارك في عهد الخلافة العلوية وحربي الجمل والصفين...

نسبه:

هو مالك بن الحرث بن عبد[١] يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحرث بن جذيمة بن مالك بن النخع النخعي المعروف بالأشتر.

«والنخع بفتح النون[٢] والخاء وبعدها عين مهملة لقب لرجل يسمى (جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد» وقيل له النخع لأنه انتخع من قومه أي بعد عنهم، نزل (بيشة) ونزلوا في الإسلام الكوفة».

«وبيشة» اسم قرية في واد كثير الأهل من بلاد[٣] اليمن وفيه يقول الشاعر:

فإن التي أهدت على نأي دارها سلاماً لمردود عليها سلامها
عديد الحصى والأشل من بطن (بيشة) وطرفائها ما دام فيها حمامها

ولقب بالأشتر حتى كاد لا يعرف إلا به ولذا عندما صرخ ابن الزبير من تحت الأشتر: اقتلوني ومالكاً لم يعلم أحد من الناس من يقصد ولو قال: «اقتلوني[٤] والأشتر لقتلا جميعاً».

وسمي بالأشتر لضربة أصابته يوم اليرموك[٥] على رأسه فسالت الجراحة قيحاً إلى عينه فشترتها.

حياته:

لم يرفدنا التاريخ بشيء عن حياة الأشتر قبل الإسلام بل كل ما نعرفه عنه: عربي من اليمن يرجع إلى النخع القبيلة العربية الأصيلة كما أنه لم ينقل إلينا تاريخ إسلامه وعلى يد من أسلم ولكننا نعرف أنه أسلم في زمن النبي (ص) ويمكن أن يكون إسلامه في السنة العاشرة من الهجرة عندما وجه النبي خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام فلم يفلح فوجه عليا عليه السلام بعدها واستطاع في خلال يوم واحد أن يقنع أكبر القبائل ـ وهي همدان ـ أن تسلم فأسلمت ثم تتابع أهل[٦] اليمن على الإسلام.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٨٢.
(٢) اللباب في تهذيب الانسان للجزري ج ٣ ص ٣٠٤.
(٣) مراصد الاطلاع لياقوت ج ١ ص ٢٤٢.
(٤) ابن أبي الحديد ج ١٥ ص ١٠١.
(٥) الإصابة نقلاً عن معجم الشعراء.
(٦) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٠٠.

شهد الأشتر معركتي اليرموك والقادسية واشترك مع الجند الذي جاء من اليمن لدخول المعركة ويظهر أنه كان وجهاً من الوجوه المعروفة في ذلك الوقت فقد ذكر ابن الأثير في كامله أن أبا عبيدة بن الجراح أرسل جيشاً مع أحد قواده إلى بلاد الروم عن طريق أنطاكية. . . ثم قال ولحق به ـ وبذلك القائد والجيش ـ مالك الأشتر[١] النخعي مدداً له. . . وهذا يدلل على أن مالكاً كان يرأس فرقة تصلح أن تكون مدداً لمن تقدم عليها وقد ذكره المؤرخون وذكروا مواقفه وبطولاته فقد قال صاحب اللباب عند ذكره للأشتر أحد الفرسان[٢] المعروفين له المقامات المشهودة في فتح العراق وغيره وفي الجمل وصفين وقال صاحب الإصابة (وكان للأشتر مواقف في فتوح الشام مذكورة).

الأشتر في الكوفة:

في السنة السابعة عشر وبعد فتح العراق والشام اختطت الكوفة، ونزلها المسلمون وكانوا قبل ذلك ينزلون المدائن عاصمة كسرى ـ بعد فتحها ـ ولكنهم اشتكوا منها فأمر عمر بن الخطاب كلاً من سلمان وحذيفة أن يرتادا منزلاً ملائماً للناس فوقع نظرهما على الكوفة وأعجبتهما فنزلا وصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات وانتقل المسلمون من المدائن وكان من جملة من استقر بها بطلنا الأشتر وأضحت الكوفة من يومها مركزاً ومستقراً لكل الأحرار والشرفاء. . .

الكوفة في عهد الخلفاء:

بقيت الكوفة منذ تمصيرها وفية للخليفة مؤدية ما عليها من الحقوق والواجبات فرجالها وكل أفرادها في خدمة الإسلام فإن طلب منهم الجهاد لبوا وسعوا وإن طلب منهم الاستمرار في عملهم فهم أبناء الأرض وبناة الحياة واستمرت مسيرتهم رتيبة متزنة تسير بهم مع أمرائهم المحليين الذين عينهم الخليفة دون اعتراض أو إشكال وبقي الأمر كذلك حتى جاء عثمان خليفة وعين عليها ولاة وأمراء لم يكونوا أهلاً لمراكزهم التي تولوها سواء في الكوفة والبصرة أو مصر والشام أو غيرها من بلاد المسلمين وقد نال الكوفة من جور الأمراء الأمويين وظلمهم النصيب الكبير وكان للأشتر دور فذ ورائد في مسيرة الحياة الكوفية التي كانت من أوائل الثغور الإسلامية التي تطالب بالإصلاح ودفع الفساد وباعتبار أن الكوفة هي المركز التي انطلقت منها الثورة ضد الخليفة فإن علينا أن

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٩٧.
(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ج ٣ص ٣٠٤.
(٣) الإصابة ج ٣ ص ٤٨٢.

نعيش معها ولو فترة قصيرة كي نقف على الدوافع التي حركت تلك الجموع المسلمة ونرصد الأحداث التي مرت على الساحة الكوفية التي أنتجت قتل الخليفة بسيف الثوار وفتحت الباب أمام فتنة عمياء كان من جرائها قتل الإمام علي وتسليط معاوية الطليق على رقاب المسلمين فسامهم الذل والهوان وداس الدين والمقدسات. . .

الكوفة والأمراء:

عندما توفي عمر كان على الكوفة سعد بن أبي وقاص ولما انتخب عثمان خليفة أبقى سعداً سنة ثم عزله وعين مكانه الوليد بن عقبة بن أبي معيط قريب الخليفة بل أخوه لأمه، وما أن سمع المسلمون عامة بنبأ التعيين هذا وأهل الكوفة بشكل خاص حتى اهتزوا من أعماقهم وارتسمت في أذهانهم صورة الوليد بشكلها الحقيقي وأعاد اسم الوليد شريطاً من الأحداث التي سجلها هذا الإنسان في حياة النبي (ص) وترقبوا أن يكون هذا التعيين حاملاً لأحداث أخرى تحمل المسلمين على النقمة والتغيير. . .

أعاد نبأ التعيين إلى أذهانهم فسق الوليد وما أنزل الله فيه من الآيات، إنهم يعرفون بمن نزلت آية النبأ التي تقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**[1] **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**أفمن**[2] **كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾.

ولكن طالما أن الخليفة هو صاحب الرأي فلعله قد وقف على استقامة الوليد واعتداله والأيام الآتية هي وحدها التي تكشف الحقيقة وترفع الغشاوة وتفصل بين الحقائق والأوهام.

نزل الوليد دار الإمارة في الكوفة وكان على بيت المال عبد الله بن مسعود فاستقرضه مالاً فأقرضه ثم بعد مدة اقتضاه إياه فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب الخليفة إلى ابن مسعود إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين أما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك. . .

وكانت هذه أول الهنات التي سمع بها أهل الكوفة وعلى رأسهم الأشتر.

ثم أتت حادثة الخمر لتغطي على هذه الحادثة فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في

---

(١) سورة الحجرات، آية/ ٦.

(٢) سورة السجدة، آية/ ١٨.

كتاب الأغاني أن الوليد بن عقبة كان زانياً شريب خمر فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال: أزدكم وتقيأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا

وهذا ما دفع الحطيئة الشاعر المعروف إلى أن يقول:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد نفذت صلاتهم أأزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا منه لزادهم على عشر
فأبوا أبا وهب ولو فعلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو خلوا سبيلك لم تزل تجري

وعلى أثر هذه الحادثة خرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر ولكنه أوعدهم وتهددهم وبعد تدخل الإمام في الأمر استدعي الوليد وأقيمت عليه الشهادة فجلده الإمام بيده، ثم عزله عثمان عن الكوفة وعين مكانه سعيد بن العاص الأموي وفي زمانه فاض الكيل وبلغ السيل الزبى والحزام الطين، في زمانه تحرك المسلمون الغيارى للدفاع عن حرمة دينهم ومكتسباتهم التي جنتها سيوفهم حيث حاول أن يسيطر عليها وكانت البذرة الأولى التي حركت الكوفة بقيادة الأشتر للثورة والتمرد. . .

كلمة جائرة: (السواد بستان لقريش).

كان يسمر عند سعيد وجوه الناس وأهل القادسية وقرّاء أهل الكوفة فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان لقريش.

فقال الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم كذلك.

فقال عبد الرحمن الأسدي وكان على شرطة سعيد: أتردون على الأمير مقالته؟ وأغلظ لهم.

فقال الأشتر: من ههنا؟ لا يفوتنكم الرجل! فوثبوا عليه فوطؤوه وطئاً شديداً حتى غُشي عليه وامتنع سعيد بعدها عن مسامرة الناس وكتب إلى عثمان في إخراجهم من الكوفة.

وقد ذكر ابن الأثير في بدايته حوادث سنة ثلاث وثلاثين وقال: فيها سير أمير

المؤمنين (عثمان) جماعة من قرّاء أهل الكوفة إلى الشام وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد فكتب إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الإنفراد والابتعاد فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة فاحتملهم معاوية لحلمه وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منها - وأخذ في المدح لرسول الله والثناء عليه والصلاة والتسليم، وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه وقال فيما قال: وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً.

فقال له صعصعة بن صوحان، كذبت، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له فكان فيهم البر والفاجر والأحمق والكيس ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فإذا هم يتمادون في غيهم ويستمرون على جهالتهم وحماقتهم فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام لئلا يشوشوا عقول الطغام... وكان بينهم كميل بن زياد والأشتر النخعي وعلقمة بن قيس وعمرو بن الحمق الخزاعي وصعصعة بن صوحان...

إن هؤلاء الأبطال وعلى رأسهم الأشتر بعد أن وقفوا على الممارسات الأموية على أرض الكوفة الإسلامية ورأوا بأم عينهم كيف أن الولاة ينحرفون بالإسلام لمصالحهم الخاصة وينحرفون عنه دون ورع أو صلاح أرادوا أن يرفعوا ذلك المنكر ويحققوا العدالة بين الناس ولذلك طالبوا بالإصلاح وعزل الفسقة من العمال فما كان من الخليفة إلا أن سيرهم إلى والٍ أراد أن يثبت كبرياءه وعلوه فأخذ في مدح قريش والأمويين وأبي سفيان فما كان من هذه الجماعة المهجرة إلا أن أطلقت الكلمة الحرة وقالت بصراحة ما هو حق وصدق فردت على معاوية افتخاره وزهوه.

إنها فئة ليست من عامة الناس بل من قرّاء المصر ووجهائه من علمائه وكباره، إنهم أسلموا وجوههم لله فرفضوا الذل والهوان وآلوا على أنفسهم إلا أن يجهروا بكلمة الإسلام ورأيه...

ولكن معاوية وهو الخبير بأهل الشام يخاف عليهم من كل تحرك يفتح أمامهم أبواب الحقيقة وضوء الإسلام المنير، لقد ربّاهم معاوية كما أراد فلا يسمح لأحد أن يفسدهم عليه وإن كان الإسلام والدين...

صلحاء الكوفة في الجزيرة.

فلذا سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان والياً على الجزيرة وقد مارس معهم أساليب الشتم والإهانة والازدراء وصغرهم كثيراً دون أن يلتفت إلى منزلتهم ومقامهم، لقد سلك مع هؤلاء القوم سلوكاً خشناً قاسياً مهيناً فكان كلما ركب أمشاهم فإذا مر به صعصعة قال: يا ابن الحطيئة أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر وهكذا بقي مستمراً على ضلاله وممارسته لمدة شهر حتى أرضوه باللسان وعندها سرح الأشتر إلى عثمان.

وفي مدينة النبي (ص) التقى الأشتر بأقطاب المعارضة وعلى رأسهم طلحة والزبير وعمرو بن العاص وقد شحنت هذه المعارضة من صحابة النبي سائر المعارضين الغرباء عن المدينة وزودتهم بالمستمسكات والوثائق والأحداث التي ارتكبها الخليفة بالذات أو عماله وولاته الذين يتمثلون بأقربائه، لقد اشعلت المعارضة الداخلية نفوس المعارضة الخارجية وخصوصاً أم المؤمنين عائشة صاحبة الكلمة النافذة وسائر المسلمين الصامتين الذين رأوا الانحراف والجور في الحكم والتصرفات.

وفي ذلك الوقت بالذات كان الخليفة قد استدعى عماله من الأمصار وجمعهم للحديث معهم في شكاوى الناس وكيفية علاجها يقول الطبري في تاريخه: فلما اجتمعوا عنده ـ عند عثمان ـ قال لهم: إن لكل امرىء وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي[1] ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إلي أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليّ.

وأشار الوزراء والنصحاء على الخليفة فمن قائل: الرأي يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروته.

ومن ناصح: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر.

ومن مشير: إن الناس أهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

وهكذا تداول الخليفة مع ولاته المشاكل والأحداث وشكاوى الناس وقد رأى أن لا يغير شيئاً مما هو عليه بل أن يبقي عماله على أعمالهم دون الاستجابة لشيء من

(١) الطبري حوادث سنة ٧٤.

مطالب المعارضة بل قرر أن يضربها ضربة تجعلها عديمة التفكير إلا بطلب السلامة والراحة ولو ساعة واحدة.

ينقل المسعودي في مروجه: عندما خرج عمرو بن العاص من[1] عند عثمان أتى المسجد فإذا طلحة والزبير جالسان في ناحية منه فقالا له: إلينا، فصار إليهما، فقالا: فما وراءك.

قال: الشر... ما ترك شيئاً من المنكر إلا أتى به أو أمر به.

وكان عثمان يرسم خطة يجمع فيها بين سائر النصائح التي تفضل بها عليه ولاته فقد قرر أن يرجع عماله إلى أعمالهم ويأمر الناس بالجهاد ويوزع المال ويضرب بيد من حديد لكل معارض وقد عرف بطلنا الأشتر بكل ما ينوي أن يفعله الخليفة وارتسم في ذهنه مدى الظلم والجور الذي يحيق بأهل الكوفة إن رجع سعيد بن العاص واليها إليها، فلذا قرر أن يعود إلى الكوفة ويقود المعارضة التي تحمل السيف وتمنع سعيداً من العودة وهكذا كان، فما أن دخل الكوفة حتى جمع الناس وصعد المنبر وسيفه في عنقه ما وضعه بعد ثم قال:

أما بعد، فإن عاملكم الذي أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم في البعوث فبايعوني أن لا يدخلها. فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكباً متخفياً يريد المدينة أو مكة، فلقي سعيداً في الطريق فرده فانصرف سعيد إلى المدينة، وكما يقول المسعودي: فخرج أهل الكوفة عليه ـ أي على سعيد ـ بالسلاح ورجع سعيد إلى المدينة ثم ارتحل الأشتر بعد ذلك إليها مع ثلاثة من وجهاء أهل الكوفة على رأس جيش يمثل أكبر الأعداد التي تداعت من البصرة ومصر وغيرها من بلاد الإسلام إلى المدينة كي يعيدوا الحق إلى نصابه... ويرفعوا الجور والحيف عن المسلمين... فكان الأمر ما كان من قتل الخليفة عثمان وتولية الإمام علي عليه السلام.

ولئن لم يكن للأشتر من يد في قتل عثمان فقد كان له اليد الطولى في بيعة علي ومشاركته الفذة في حربي الجمل وصفين...

الأشتر بين بيعة علي (ع) ومعركتي الجمل وصفين.

عندما أجهز الثوار على الخليفة عثمان وقضوا عليه لم يكن أمامهم وأمام الناس قاطبة إلا شخصية واحدة، إليها تتطلع العيون وترنو الأفئدة وتخضع الرقاب، إنها

---

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٧.

الشخصية التي اجتمعت فيها المناقبية الإسلامية وحلمت بحكمها سائر طبقات الأمة إذ على يديها يمكن تحقيق العدالة والمساواة ورفع الظلم والجور فمن هنا بادر الثوار وسائر الناس وراحوا يهرعون نحو علي بن أبي طالب (ع) ليبايعوه خليفة عليهم.

وقد كان بطلنا الأشتر على رأس المتقدمين نحو الإمام يصفق على يديه ويبايعه على السمع والطاعة، ولئن نقل واشتهر أن أول يد بايعت علياً هي يد طلحة الشلاء التي تشاءم منها الناس فإن هناك من ينقل أن[1] يمين الأشتر هي الأولى التي بايعت علياً ثم لحقتها أيدي الناس...

بايع الأشتر علياً وبقي يرقب الجموع ويتفقد من يغيب ويرصد ما قيل أو يقال وبينما هم كذلك إذ يطلع عليهم (ابن عمر) في زمرة من الناس فيقول الإمام لابن عمر: بايع.

فيقول: لا، حتى يبايع الناس.

يقول الإمام: ائتني بكفيل.

فيقول ابن عمر: لا أرى كفيلاً.

وهنا يتدخل الأشتر ليحسم الموقف ـ لو وافق الإمام ـ بضرب عنق الرافض لبيعته ولكن الإمام منع الأشتر من ذلك وتخلف العمري عن بيعة علي...

وهكذا تمت البيعة لعلي واجتمعت الأمة على توليته ثم قام بتوزيع عماله وتعينهم في أماكنهم وكان حظ الأشتر أن يبقى إلى جانب الإمام لا يفارقه فقد استأثر هذا العظيم بكثير من التقدير والاحترام لما فيه من المميزات والصفات.

الأشتر والأشعري المنحرف.

عندما رفض معاوية بيعة علي وأعلن الثالوث المقدس المكون من طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة العصيان ونكث البيعة وتهيأت العصابة الثالوثية لشن حرب ضد الخليفة كان على الكوفة والٍ لم يدن بالطاعة للإمام إلا من طرف اللسان وهذا هو الوقت المناسب ليقوم الأشعري بدور رائد في تثبيط الناس عن الخروج مع علي والدفاع عن وحدة الأمة وردع الناكثين، إنه يقبع في زوايا المحراب فيختلق للناس حديثاً عن رسول الله (ص) يقول فيه: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من

---

(١) هذا ما أورده الطبري في تاريخه حيث قال: وأهل الكوفة يقولون أن أول من بايعه الأشتر.

الماشي والماشي خير من الراكب، إنه الأشعري ينصح الناس ويوجههم إلى غمد سيوفهم في قرابها وكف أيديهم عن الضرب على أيدي الناكثين، ويطيعه الكثير من الناس وتقف الكوفة بجماهيرها موقف المتردد تتمنى أن ترى الحقيقة وتبصر النور، إنها ترقب الأفق لعله يحمل إليها من يحل عقدة الأشعري ويخلصها من منطقه السقيم وفي تلك الظروف القاسية يدخل رسل الإمام الكوفة ويتجادلون مع الأشعري ولكنهم لم يحلوا عقدته وتعقيداته ويطول المجال وهنا يستدعي الإمام الأشتر ويدفعه ليواجه الأشعري بمنطق الحق والثقة ولا يدع له فرصة واحدة كي ينفث سمومه بين الناس وقد قام الأشتر بمحاولة رائعة كسب من خلالها الموقف لصالحه واستطاع أن يحطم مقولة الأشعري ويصفعه صفعة تجعله عبرة لمن سواه حيث دخل الكوفة وكلما مر بقبيلة فيها جماعة قال لهم: اتبعوني إلى القصر حتى دخل مع من اجتمع معه من القبائل إلى المسجد فوجد الأشعري يخطب ويثبط الناس والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا. وعمّار ينازعه وفي تلك اللحظات يواجه الأشتر أبا موسى وما أن تلتقي العيون حتى يصيح الأشتر به: اخرج لا أم لك أخرج الله نفسك! إنها كلمة سيتبعها ضربة تطيح برأس الأشعري إن عاند أو رفض أو رد وتحت هول المفاجأة قال الأشعري: أجلني هذه العشية.

فقال: هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ودخل الناس لنهب متاع الأشعري فمنعهم الأشتر قائلاً لهم: «أنا أجرته فكفّوا عنه».

هكذا استطاع بطلنا الموهوب أن يأخذ زمام المبادرة وتمكن من السيطرة على الموقف المتداعي الذي خلقه الأشعري... استطاع الأشتر أن يتحرك بسرعة مذهلة ولم يترك لخصمه مجالاً ينفث سمومه في محيطه أو يكمل ما ابتدأ به من الشوط التخديري بل بادر بجمع الناس وهو في الطريق وما أن وصل إلى القصر حتى اقتحمه وسيطر عليه وها هو الآن يقف على أعواد منبره ليحمد الله ويمجده ويصلي على النبي ويقول من جملة كلامه: ... وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً وأعظمهم في الإسلام سهماً ابن عم رسول الله (ص) وأفقه الناس في الدين وأقرأهم للكتاب وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم فما تنتظرون؟ أسعيد أم الوليد؟ الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر... واستباح ما حرمه الله فيكم... ألا فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم...

وما أن أتم الأشتر خطبته وصدع بما أراد حتى تداعى من الناس اثنا عشر ألف رجل فقد استطاع بمنطقه أن يكشف الحجب التي خلقها الأشعري وضلل بها العامة... خرج

أهل الكوفة والتقوا مع الإمام في ذي قار فكان فرحه بهم عظيماً وفرحهم به أعظم وسارت قوافل الحق والإيمان بقيادته الحكيمة غايتها إعادة الحق إلى نصابه وإخماد الفتنة في مهدها ولكن العصابة الضالة أبت إلا المناجذة بالسيوف فكانت معركة الجمل التي اشترك فيها الأشتر وكان له الكثير من المواقف المشرفة والضربات القاصمة فكم على يديه من الرؤوس قد هوت وكم من الأبطال قد تجندلت فهذا رجل من بني ضبة يأخذ بزمام الجمل الملعون ثم يطلب البراز فينزل إليه الأشتر ويقضي عليه وهناك فارس اعتد بنفسه وأرعد وأبرق لم يمهله مالك أن طهّر الأرض منه وهكذا دواليك . . .

يقول ابن الأثير في تاريخه: وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام أحد إلا قتل وكان لا يأخذه أحد والراية إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب: أنا فلان ابن فلان. فوالله إن كان ليقاتلون عليه وأنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت ثم لم يعد وحمل عدي بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم.

فقالت عائشة: من أنت؟.

قال: ابنك ابن أختك.

قالت: واثكل أسماء.

وانتهى إليه الأشتر فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله ضربة خفيفة واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا على الأرض يعتركان فقال ابن الزبير وهو تحت مالك[1]:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فلو يعلمون من مالك لقتلوه إنما كان يعرف بالأشتر فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما.

وقد بقي نزول ابن الزبير واعتراكه مع مالك صورة حية في ذهن أم المؤمنين عائشة فقد أثر ذلك في نفسها ولا تزال تذكر صورة الثكل لاختها والقتل لابنها يقول الشيخ المفيد في كتابه معركة الجمل: لما سقط الجمل الملعون جاء الأشتر إلى أم المؤمنين وقال لها: الحمد لله الذي نصر وليه وكبت عدوه، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟.

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ٢٥١.

فقالت: من أنت ثكلتك أمك.

فقال: أنا ابنك الأشتر.

قالت: كذبت لست بأمك.

قال: بلى وإن كرهت.

فقالت: أنت الذي أردت أن تثكل اختي أسماء بابنها.

فقال: المعذرة إلى الله وإليك والله لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لأرحتك منه وأنشأ يقول:

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه كوقع الصياحي اقتلوني ومالكا
فنجاه مني شبعه وشبابه وأني شيخ لم أكن متماسكاً(١)

وقد بقيت ضربة الأشتر تلك في ذهن ابن الزبير حتى بعد أن هدأت المعركة ونجا بنفسه.

يقول زهير بن قيس: دخلت مع ابن الزبير الحمام فإذا في رأسه ضربة لو صب عليه قارورة دهن لاستقر.

فقال لي ابن الزبير: أتدري من ضربني هذه الضربة؟.

قلت: لا.

قال: ابن عمك الأشتر النخعي.

فإن قول ابن الزبير: اقتلوني ومالكاً وذكراه للضربة التي نالها رأسه وكذلك محاورة السيدة عائشة له يدلل على مدى الأهمية التي يتمتع بها الأشتر بحيث تمنى ابن الزبير أن يقتل مع مالك لما لموت مالك من أثر مهم في جيش الإمام... وانتهت معركة الجمل لصالح الإمام فانتصر على الفتنة وأخمدها ليستقبل ما هو أكبر منها وأعظم وهي معركة صفين التي كان للأشتر فيها أروع البطولات والنضالات وسجل من خلالها مواقف العز والشرف والكرامة.

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١٥ ص ١٠١.

لمحات من دور الأشتر في معركة صفين.

انتهت معركة الجمل لصالح الإمام علي وتفرقت فلول المنهزمين في البلاد ولئن كانت هذه هي المعركة الأولى فلن تكون الأخيرة بل هي فصل في كتاب وحلقة من سلسلة تمتد لتشمل زمن الخلافة العلوية كلها فإن هناك عدواً للخليفة الشرعي يتربص المواقف ويتحينها وقد أعلن التمرد والعصيان وهذه هي مرتزقته تهدد أطراف البلاد التي أعطت الولاء للإمام ومنحته الثقة والطاعة.

إن في الشام معاوية الذي رفض البيعة للخليفة وتمرد على إجماع الأمة فكان على الإمام أن يرده إلى الطاعة ويردعه عن المخالفة فكانت واقعة صفين الدامية التي ذهبت بأرواح الآلاف من أبناء الإسلام الذين لا ذنب لهم إلا مطامع معاوية في الملك وعداءه المبدئي والشخصي للخليفة الشرعي...

ونحن هنا لا نريد أن نؤرخ لهذه المعركة كما لا نريد أن نستعرض الأحداث التي جرت خلالها والأبطال الذين جالدوا فيها والأحزان والمشاكل التي خلفتها، وإنما نريد أن نقف على سيرة بطلنا الأشتر في أبرز مصاديقها وأظهر معالمها دون استيعاب جميع مواقفه ومشاهده وبطولاته وحركاته لأن ذلك يستدعي منا أن نتابع المعركة من ألفها إلى يائها لأن الأشتر كان بطل صفين دون منازع وذراع علي أمير المؤمنين غير المدافع وقد رافق المعركة من أولها إلى نهايتها وبرز اسمه في جميع المواقف بطلاً صلباً ومقاتلاً شجاعاً وخطيباً بليغاً، إننا هنا نريد أن نقف على بعض الصور النموذجية من بطولات الأشتر التي كتبها في صفين وأثبت من خلالها أنه أشجع الناس بعد إمامه علي بن أبي طالب وأشد الناس تمسكاً بالمبادىء والمحافظة عليها والقتال من أجلها[١]، ويكفي ما ذكره صاحب الإصابة عند ترجمته لمالك حيث قال: شهد مع علي الجمل ثم صفين وأبدى يومئذ عن شجاعة مفرطة، وهذه بعض الصور المشرقة التي يمكن أن تكون محطات لمسيرته الأشترية في صفين بل أبرز الصور المشرقة وأروعها وهي:

المشهد الأول: احتلال مشرعة الماء.

سبق معاوية إلى مشرعة الماء وقرر أن يمنعه عن علي وجنده وعد ذلك أول الفتح الذي استطاع أن يوفق إليه ودارت مفاوضات متعددة كي يتخلى معاوية عن فكرته ولكنه أصر على البغي والعدوان وتجاوز أبسط الحقوق وأيسرها فما كان من الإمام إلا أن أوعز

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٤٨٢.

إلى الأشعث والأشتر أن يحسما الأمر ويقطعا النزاع والتفت بطلنا الأشتر إلى الحارث بن همام النخعي فأعطاه لواءه قائلاً له: يا حارث لولا أني أعلم أنك تصبر عند الموت لأخذت لوائي منك ولم أحبك لكرامتي ثم التفت إلى أصحابه قائلاً: فدتكم نفسي شدوا شدة المحرج الراجي الفرج فإذا نالتكم الرماح فالتووا فيها وإذا عضتكم السيوف فليعض الرجل نواجذه فإنه أشد لشؤون الرأس ثم استقبلوا القوم بهاماتكم ثم اندفع فقتل سبعة أفراد من جيش معاوية واقتحمت خيله الفرات وطردوا البغاة الظالمين وبتعبير[1] ابن مزاحم: ثم أقبل الأشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف أهل الشام عن الماء.

المشهد الثاني: الأشتر ليلة الهرير.

أيام صفين كلها وقفات عز وانتصار لصالح الإمام وجيشه وقد توجت تلك الأيام بليلة كانت القمة في الجهاد والكفاح وكان الأشتر فيها القائد الفذ والمناضل المقدام، إنها ليلة الهرير.

في هذه الليلة زحف الناس من الطرفين المتقاتلين بعضهم إلى بعض فارتموا بالنبل والحجارة حتى فنيت ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف وعمد الحديد فلم يسمع السامع إلا وقع الحديد بعضه على بعض وانكشفت الناس وثار القتام وضلّت الألوية والرايات.

وإن بطلنا الأشتر في هذه الليلة كان يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التي تليها واستمر الجلاد والقتال بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل ولم يزل الأشتر يفعل ذلك بالناس حتى أصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا عن سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة ولكن هذه الليلة وراءها ما بعدها حيث الأشتر قرر إكمال الشوط إلى أن يتحقق الانتصار وتخمد رايات الضلال.

واستمر القتال والأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد رمحي هذا. فإذا فعلوا قال لهم: ازحفوا قاب قوسي هذا فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس الإقدام. ولئن مل الناس كلهم الحرب والجلاد فإن للأشتر موقفاً خلاف ذلك إنه على بصيرة من أمره وإيمان من قضيته العادلة ومن آمن بأهمية الهدف هانت عليه مشقات الطريق...

(١) وقعة صفين ص ١٧٩.

لقد رأى الأشتر ملل الناس فتوجه إليهم قائلاً لهم: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه وخرج يسير في الكتائب ويقول: ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله ولما اجتمع إليه نفر من الناس واستجابوا لندائه قال لهم: شدوا فدى لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله وتعزون بها الدين وبعد برهة ترجل وشد مع أصحابه على معسكر أهل الشام يضربهم حتى أزاحهم ولما رأى الإمام تباشير النصر قد لاحت من ناحيته أخذ يمدّه بالرجال وأخذ الأشتر يزحف بالنصر من ناحية إلى ناحية واقترب الفتح المبين وهو يقول لأصحابه: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس، إنها ساعات معدودة ويحسم الأمر ويقطع الله دابر القاسطين، إنها لحظات قاسية ولكنها تحمل الآمال العظيمة التي تحطم فيها الضلال والنفاق ويظهر فيها الحق والعدل ولكن تلك الآمال قد تحطمت عندما رفعت مصاحف أهل الشام طالبة تحكيم الكتاب الكريم خداعاً وتضليلاً.

إن الأشتر قد عرف أن رفع المصاحف خدعة وأن أهل الشام لم يرفعوها إلا بعد أن هزموا وأضحت رقابهم تحت حد السيوف فلذا قال للإمام: يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد. ولكن الأشعث وجماعة من القراء الذين سموا فيما بعد خوارج هؤلاء قد أصروا على الموادعة وقبول التحكيم وكانت الفاجعة الكبرى التي شطرت جيش الإمام إلى رأيين يمثل أحدهما الإمام علي والأشتر ومن معهما ويمثل الطرف الآخر الأشعث وعامة الناس.

وعلى هذا الافتراق في الرأي كان الافتراق في العمل، فقد توجه الأشتر والذين آمنوا برأيه إلى إكمال الحرب حتى النصر وتوجه الطرف الآخر في عدده الذي يناهز العشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود ينادون الإمام باسمه لا بأمرة المؤمنين: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم ثم قالوا له: ابعث إلى الأشتر ليأتيك وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله. وبعث الإمام إلى الأشتر أن يأتيه فما كان من بطلنا وهو على أبواب النصر إلا أن يقول لرسوله: ائته فقل له: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي: إني قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجلني وما هي إلا لحظات وقبل أن يصل الرسول إلى الإمام علت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق فاغتاظ أصحاب الأشعث وواجهوا الإمام بقولهم: والله ما نراك إلا أمرته بقتال

القوم ثم قالوا له: ابعث إليه فليأتك وإلا فوالله اعتزلناك وعندها بعث الإمام رسولاً ثانياً إلى الأشتر يقول له: أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت.

ووصل الرسول إلى الأشتر وأخبره الخبر.

فاضطربت في رأس الأشتر الأفكار وأخذته الدهشة وتوجه إلى الرسول قائلاً: ويحك ألا ترى إلى ما يلقون، ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا، أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟.

فقال له الرسول: أتحب أنك ظفرت هاهنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه؟.

قال الأشتر: سبحان الله لا والله ما أحب ذلك.

قال الرسول: فإنهم قالوا: لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك.

وازن الأشتر بين الربح والخسارة فرأى أن النصر العسكري الموقت بدون القيادة المسددة لا يفلح في هذه الحرب فتوجه عندها إلى القوم ولما انتهى إليهم صاح بهم صيحة الليث الجريح: «يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه فلا تجيبوهم. أمهلوني[1] فواقاً فإني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.

قال: فامهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر.

قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

وعندما امتنع القوم من إجابته توجه إليهم وكله ألم ومرارة وبيّن لهم سوء رأيهم ولكنهم أجابوه بقولهم: دعنا منك يا أشتر... إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا.

فقال لهم: خدعتم والله وانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت... فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه

(١) الفواق بالضم والفتح ما بين الحلبتين للناقة.

وجوه دوابهم فصاح بهم علي فكفوا، وقال الأشتر لعلي: يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم. . ولكن صيحات القوم إلى الحكومة كانت أقوى من صيحة الأشتر إذ هم أكثر عدداً وأوفر حظاً وطالب الأمن والدعة لا يخلو من ناصر وموافق. . .

المشهد الثالث: اختيار الأشتر وكتابة الصحيفة.

وهذا الموقف من الأشتر من أعظم مواقفه وأجلها، ومن أنبل المواقف وأسدها، إنه موقف تجلى فيه الإنسان الرسالي الذي لم يزده الدهر إذا تنكب أو تعثر إلا شدة وقوة ولم تعطه مواقف الذل والانهيار من الغير إلا تمسكاً بمبادئه وتعصباً لها.

الإمام يختار الأشتر.

اضطر الإمام لقبول التحكيم تحت الضغوط الشديدة التي ألجأه إليها أصحاب الجباه السود وبما أن التحكيم قد فرض عليه فرضاً فقد أحب أن يكون من قبله أحب الناس وأخلصهم إليه فلذا اختار ابن عباس ولكنهم رفضوه قائلين: والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء وليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر.

فقال علي: فإني أجعل الأشتر.

فقال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر.

فقال علي: وما حكمه؟.

قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد.

الأشتر وصحيفة التحكيم.

كتبت صحيفة التحكيم الظالمة وأخذ الأشعث ومن هم على رأيه يدورون بها على الناس كي يشهدوا عليها ولما دعي لها بطلنا الأشتر. قال رأيه فيها وأبدى بصراحة فائقة وجهة نظره حيث أبى أن يوقع اسمه فيها قائلا: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة أولست على بيّنة من ربي ويقين من ضلالة عدوي؟ أولستم قد رأيتم الظفر أن لم تجمعوا على الخور؟.

فقال له رجل من الناس: إنك والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً هلم فاشهد على نفسك واقرر بما كتب في هذه الصحيفة فإنك لا رغبة بك عن الناس.

قال: بلى، والله، إن بي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندي ولا أحرم دماً وكان ذلك الرجل هو الأشعث بن قيس...

ثم قال الأشتر: ولكن رضيت بما صنع علي أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه فإنه لا يدخل إلا في هدى وصواب.

وعلى كل حال فإن شجاعة الأشتر لا تحتاج إلى برهان فإن معركتي الجمل وصفين وما دار فيهما يدللان على أنه أشجع العرب والعجم.

وقد أنصف ابن أبي الحديد حيث قال: لله أم قامت عن الأشتر لو أن إنساناً[١] يقسم أن الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا استاذه علي بن أبي طالب لما خشيت عليه الإثم...

ولله در القائل[٢] وقد سئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق...

وصلوات الله على أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث يقول في كتاب لأهل مصر: وقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حذر الدوائر من أشد عبيد الله بأساً وأكرمهم حسباً[٣] أضر على الفجار من حريق النار وأبعد الناس من دنس أو عار وهو مالك بن الحارث الأشتر...

مصر في عهد علي.

لقد كان للثوار المسلمين في مصر دوراً فذاً رائعاً أثبتوا من خلاله الروح الإسلامية الرافضة للجور الآبية للخشوع فقد خرجوا من مصر في عهد عثمان يطلبون الإصلاح ما استطاعوا فلما يئسوا كانت النهاية التي حسمت الداء واستأصلته من جذوره عندما تم القضاء على الخليفة مصدر تلك الشرور والآثام وبالقضاء عليه انتهت آخر عماله على مصر لتستقبل ولاة الخليفة الجديد علي أمير المؤمنين...

قيس بن سعد بن عبادة.

هذا أول الأمراء من قبل الخليفة الجديد، إنه من شيعة علي وخلّص أصحابه ومن محبيه ومناصحيه ومن أشد أعداء معاوية ومبغضيه وسيبقى التاريخ يذكر مواقفه العظيمة

(١ ـ ٢ ـ ٣) شرح ابن أبي الحديد.

وينقلها إلى الناس بالإكبار والإعظام سيبقى عناده في الحق وإصراره على رفض معاوية حتى بعد أن يقضي علي شهيداً ويتنازل الحسن إلى معاوية ستبقى مواقفه منطلقة من مبادئه الرسالية العظيمة بعد أن تولى الإمام الخلافة استدعى قيساً وقال له: سر إلى مصر فقد وليتكها واخرج إلى ظاهر المدينة واجمع ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك فإن أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فالرفق يمن.

بهذا التكليف والتوجيه كان مرسوم التعيين ولكن قيساً الواثق من نفسه المعتد بها المطمئن إلى صحة مسيره وخطاه أجاب علياً: رحمك الله يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت فأما الجند فإني أدعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدة ولكني أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي وأما ما أوصيتني به من الرفق والإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

ثم إن قيساً خرج بسبعة أفراد من أهله لا غير ودخل مصر وقرأ على أهلها كتاب أمير المؤمنين وخطب هناك ودعا الناس إلى الألفة والاجتماع واتحاد الرأي ولكن العثمانيين ومن في قلوبهم مرض اعتزلوه ولم يجتمعوا معه فكانت خطته السكوت عنهم ما سكتوا وجرت أمور وحدثت أحداث واختلفت الأنباء وتهافتت وتدافعت وتناقضت حتى عزله الإمام وعين مكانه محمد بن أبي بكر.

محمد بن أبي بكر.

محمد بن أبي بكر ربيب الإمام وحبيبه الشهيد الصابر تولى إمارة مصر بعد أن عزل قيس بن سعد عنها ولما دخلها لم يلبث إلا شهراً حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين لم يجتمعوا مع الناس في جمعة ولا جماعة الذين كان قد وادعهم قيس فقال: يا هؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا وإما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه إنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ثم كانت وقعة صفين ووقف القتال والهدنة فقوي أمرهم واجترؤوا على محمد وفسدت مصر عليه.

علي يولي الأشتر.

فسدت مصر على محمد ووصلت أنباء فسادها إلى مسامع الإمام وهزه أن تتحول هذه البلدة إلى عدو له بدل أن تكون معه تحارب عدوه وفكر في رجل يضبط أمورها ويوجه صفوفها ويجمع شمل المختلفين فيها فلم يجد غير أحد رجلين إما قيس الذي

عزله بالأمس أو الأشتر النخعي رفيق مسيرته. أما قيس فقد ولاه الإمام على شرطته فلم يبق أمامه سوى الأشتر فاستدعاه إليه وكان قد أرجعه على عمله في الجزيرة أثناء هدنة التحكيم وكان الإمام في نصيبين فكتب إلى الأشتر من هناك كتاباً يقول فيه: أما بعد فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر المخوف وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه الخوارج وهو غلام حدث السن ليس بذي تجربة للحروب فاقدم علي لننظر فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام.

وهل يقام الدين بغير مالك وأمثاله ممن باعوا نفوسهم لله وكانوا أوتاداً صلبة تأبى المهادنة ورفض الخضوع للطغاة والظالمين...

قدم مالك على الإمام فاستقبله وحدثه حديث مصر والفتنة فيها وما وصلته من أخبارها.

وقال له: ليس لها غيرك فاخرج إليها رحمك الله فإني لا أوصيك اكتفاء برأيك واستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ واعتزم الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة...

ليس لها غيرك: بهذا التعبير يميزه الإمام عن سائر أصحابه ويعطيه أولوية التقدم على الجميع.

مصر قد اضطربت وسارت الفتن فيها وتحركت حثالات الأمويين وأصحاب المصالح والمفاسد فيها ولئن لم يختر الرجل الكفوء لهذه المهمة فسوف تخرج عن طاعة الخليفة الشرعي وتعلن التمرد والعصيان، ومن هو الرجل الذي يرشحه الإمام لإعادة الحق إلى نصابه؟ ومن هو الذي يتولى الأمر بكل جدارة وإخلاص؟ ليس لها غيرك يا أشتر... أنت وحدك الذي تستطيع أن تحرز ثقة علي وأنت وحدك الذي تقوم بالمهمة على أكمل وجوهها... فلتكن أنت والي مصر وحاكمها نيابة عن علي... ولبّى الأشتر نداء أمير المؤمنين واستجاب لصوته وها وهو يستعد للخروج ولكن معاوية خصم علي وعدو الإسلام لم تنم عيناه عن مصر وإن كان يقبع في الشام...

مصر قد وقع العقد عليها بين معاوية وعمرو بن العاص فهل تبقى بعيدة وهل يبقى معاوية هكذا يحسب لها حسابها في موازين الحرب ولئن دخلها الأشتر فلن يكون على أقل التقادير وأسوأها إلا ضابطاً لها حافظاً لأهلها جامعاً لمتفرقاتها موحداً لصفوف أبنائها وهذا شيء لا يرتضيه معاوية ولا يقبله فكيف إذا تجهزت الجيوش منها وخرجت

لغزو الشام فهل يبقى لمعاوية حيلة أو خلاص فلذا كان يعيش باستمرار مع الخطط التي يرسمها علي لمصر. . . من يرسل إليها والياً؟ ماذا يفعل بها؟ ما هي خطوطه التي ينهجها نحوها؟ولما كان لمعاوية عيونه وجواسيسه في دار الخلافة الإسلامية وبالقرب من أمير المؤمنين فقد حملت إليه أنباء تعيين الأشتر على مصر، حملت إليه هماً كبيراً جعلته يفكر طويلاً في كيفية الخلاص منه قبل وصوله إلى مقر عمله. . .

عظم على معاوية كثيراً أن يتولى الأشتر مصراً وساءه ذلك لما يعلم من مواقف الأشتر وصلابته في الحق، إنه ليس كمحمد بن أبي بكر.

الأشتر رجل شديد المراس في الحرب عنيداً في الحق قوياً في ذات الله مخلصاً لأمير المؤمنين عدواً لمعاوية شديد العداوة.

الشهادة هي السعادة.

وصلت أنباء تعيين الأشتر إلى مسامع معاوية هزه أن يتولى مصر ولكن ماذا يفيده الاضطراب والقلق وماذا تنفعه الحيرة والتردد فالأمر فوق ذلك وأهم فلذا أخذ يفكر في كيفية الخلاص منه قبل أن يصل إليها. . . وبعد تفكير طويل اهتدى إلى طريق يحرز فيه أمنيته ويحقق مطامعه. . .

إنها فكرة من أعظم الفكر وأسلوب من أبدع الأساليب يستطيع من خلاله أن يصطاد عصفورين في حجر واحد يقضي على الأشتر من جهة ويستغل ذلك في تقوية جانبه من جهة أخرى فلذا عمد لتحقيق الجهة الأولى إلى دهقان من أهل الخراج كان يسكن العريش فأرغبه وقال له: اترك خراجك عشرين سنة واحتل للأشتر بالسم في طعامه فلما نزل الأشتر في العريش[١] سأل الدهقان: أي الطعام والشراب أحب إليه؟.

قيل له: العسل.

فأهدى له عسلاً وقال: إن من أمره كذا وكذا وشأنه كذا وكذا ووصفه للأشتر، وكان الأشتر صائماً فتناول منه شربة فما استقرت في جوفه حتى تلف.

وهناك روايات تقول: إن الأشتر كانت شهادته في القلزم وليس في العريش وأن قاتله غير هذا الدهقان. هذه طريقته في تحقيق الجهة الأولى أما الجهة الثانية فإنه عندما رسم خطته في القضاء على الأشتر كان يرسم خطة أخرى أمام أهل الشام ليصطاد بها قلوبهم ويعطفها عليه.

(١) المسعودي ج ٢ ص ٤٠٩.

وكي يقر في خلدهم أنه من الأولياء الذين يرون بنور الله ويبصرون بعينه كان يقول لهم: أيها الناس: إن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة. . .

استشهد البطل العظيم قبل أن يكمل شوطه في نصرة الحق، إنها ضربة عظيمة أصابت قلب الخليفة الشرعي وطعنة نجلاء وجهها الغدر الأموي إلى صدر علي: إنها مصيبة أوجعت قلب علي وأجرت مدامعه. . . إنها حسرة أكلت كبده وآهة أحرقت جوارحه وتلهف لا ينقطع. . . الشهيد مالك والمعزى علي والإصابة أصابت الإسلام. . .

لقد وصل النبأ إلى أمير المؤمنين فكبر عنده استشهاده قبل أوانه.

وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين: اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر.

ثم قال: رحم الله مالكاً، فلقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه، مع أننا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (ص) فإنها من أعظم المصائب.

لقد كانت فاجعة كبرى لم يصب بها الخليفة كشخص فحسب وإنما أصيب بها الإسلام والحق ولذا رؤي الإمام لمدة من الزمن يتلهف على مالك. . .

قال ابن أبي الحديد عن جماعة من أشياخ النخع قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه ثم قال: لله در مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فنداً ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً على مثل مالك فلتبك البواكي! وهل موجود كمالك.

قال علقمة بن قيس: فما زال علي يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه أياماً. ويكفي الأشتر ثقة وفخراً وعلواً أن أمير المؤمنين كان يقول فيه: كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ.

وكان يقول لأصحابه بعد استشهاد الأشتر: وليت فيكم مثله اثنين بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه إذن لخفّت علي مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم.

وقال ابن أبي الحديد: ولله در القائل وقد سئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق. وقال مغيرة الضبي: **لم يزل أمر علي**

شديداً حتى مات الأشتر، وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة.

هكذا هزت الفاجعة قلب الإمام وبقدر هذه الهزة الحزينة كان طرب معاوية وفرحه عندما وصله نبأ استشهاد الأشتر. فقد قام خطيباً في أهل الشام وقال: أما بعد فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر وقد قطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر وقال: إن لله جنداً من العسل.

السم وسيلة الجبناء.

لقد كان لمعاوية هواية شديدة وحب متأصل في استعمال السم للقضاء على الشرفاء والوجهاء من خصومه بل أنصاره إن كانوا يشكلون خطراً على أمانيه وأحلامه فقد استعمل الطاغية السم وسماه جنداً يقتل به من يشاء ممن أعيته مواجهته خوفاً منه أو من ردة الفعل عليه.

سمه لابن رسول الله.

فهذا السبط المجتبى ابن رسول الله بعد أن يعقد الصلح معه ويشترط عليه شروطاً لصالح الإسلام والمسلمين يرى معاوية أن لا يفي بها ويرى أن وجوده ثقيلاً في دفعها فيعمد إلى سمه بتوسط زوجته جعدة بنت الأشعث فقد ذكر المسعودي: إن امرأته ـ امرأة الحسن ـ جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سقته السم وقد كان معاوية دس إليها إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذي بعثها على سمه فلما مات الحسن وفى لها معاوية بالمال وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه.

وقد ذكرت كل التواريخ حدث السم هذا كما ذكرت قول الحسن عند موته لقد عملت شربته وبلغت أمنيته والله لا يفي بما وعد ولا يصدق فيما يقول. . .

سمه لعبد الرحمن بن خالد.

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان من أنصار معاوية وولاته وقد اشتد أمر هذا الرجل عند أهل الشام وقوي حتى أضحى عندهم ولا يعدلون به أحداً بعد معاوية وعندما أراد معاوية أخذ البيعة ليزيد خطب في دمشق وقال: يا أهل الشام إنه كبرت سني وقرب أجلي وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم وإنما أنا رجل منكم فروا رأيكم.

فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه. ثم إن عبد الرحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً يقال له

ابن أثال. وكان عنده مكيناً، أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً فقتل اليهودي فأخذه معاوية وقال له: لا جزاك الله من زائر خيراً قتلت طبيبي.

قال: قتلت المأمور وبقي الآمر.

وهكذا قتل معاوية سعد بن أبي وقاص وغيره ممن لا يستطيع مواجهته ويريد التخلص منه.

شهادة النبي (ص) بإيمان الأشتر.

ذكر ابن أبي الحديد في نهجه: وقد روى المحدثون حديثاً يدل على[1] فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهي شهادة قاطعة من النبي (ص) بأنه مؤمن، روى هذا الحديث أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في حرف الجيم في باب جندب قال أبو عمر: لما حضرت أبا ذر الوفاة وهو بالربذة بكت زوجته أم ذر فقال لها: ما يبكيك؟.

فقالت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً ولا بد لي من القيام بجهازك!.

فقال: أبشري ولا تبكي فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يموت بين امرأيين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيتصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً وقد مات لنا ثلاثة من الولد وسمعت أيضاً رسول الله (ص) يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية وجماعة فأنا - لا شك - ذلك الرجل والله ما كذبت ولا كُذبت فانظري الطريق.

فقالت أم ذر: فقلت: أنّى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق!.

فقال: اذهبي فتبصري.

قالت: كنت أشتد إلى الكثيب فأصعد فأنظر ثم رجع إليه فأمرضه فبينا أنا وهو على هذه الحال إذا أنا برجال على ركابهم كأنهم الرخم تخب بهم رواحلهم فأسرعوا إلي حتى وقفوا علي وقالوا: يا أمة الله ما لك؟ فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله (ص)؟ قلت: نعم ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم: «أبشروا فإني سمعت

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٩٩.

رسول الله (ص) يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر إلا وقد هلك في قرية وجماعة والله ما كذبت ولا كُذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لامرأتي لم أكفن إلا في ثوب لي أو لها وأني أنشدكم الله ألا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً! قالت: وليس في أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قال إلا فتى من الأنصار قال له: أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا وفي ثوبين معي في عيبتي من غزل أمي فقال أبو ذر: أنت تكفنني فمات فكفنه الأنصاري وغسله النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلهم يمان.

روى أبو عمر بن عبد البر قبل أن[1] يروي هذا الحديث في أول باب جندب: كان النفر الذين حضروا موت أبي ذر بالربذة فصادفه جماعة منهم حجر بن الأدبر (بن عدي الكندي) ومالك بن الحارث الأشتر.

ثناء الإمام على الأشتر:

١ ـ من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر...

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه.

أما بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظُّبة ولا نابي الضريبة فإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم».

هذا الكتاب من أروع كتب الإمام وأحسنها في إعطاء الثقة للأشتر إنه كتاب أمير المؤمنين الذي لا يحب المزايدين أو المادحين دون استحقاق، وقد تلألأت صفات الأشتر ولمعت لكل العيون وأبانت الأشتر وأظهرت مكانته الصحيحة التي لم يتسام إليها إنسان آخر غيره.

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٩٩.

فانظر إلى كل كلمة وفكر فيها فإن علياً رجل الدقة والحساب يعطي كل إنسان مقدار استحقاقه دون زيادة أو نقيصة لا يأخذه هوى ولا تجرفه عاطفة ولا يؤثر عليه بغض، إن علياً في كتابه هذا يكشف عن صفات يتمتع بها الأشتر قل أن توجد عند غيره وإن وجد بعضها فلن تجتمع كلها في شخص. فأولها أنه عبد الله وليس عبداً لهواه وهذه أروع صفات المؤمنين بل المرسلين فإن العبودية لله تمثّل منتهى الاتصال به والإخلاص له ثم وصفه بقوله: لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع أشد على الفجار من حريق النار... إنها صورة الإنسان المسلم الذي يدرك ثأره ويشفي نفسه ويحقق أمنيته وكيف ينام وكيف لا يكون شديداً، والأمر أمر رسالة ودين، وأمر مبدأ وعقيدة، والحرب مقدسة والقتل شهادة...

ثم قال: فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق... فإن الأشتر لن ينطق إلا عن الحق ولا يدافع إلا عن الحق ولكنه احتراز من الإمام عن أخطاء قد تقع عن غير عمد...

ثم قال: فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظُّبة ولا نابي الضريبة.

قال ابن أبي الحديد عند ذكر هذه الفقرة: فإنه سيف من سيوف الله، هذا لقب خالد بن الوليد واختلف فيمن لقبه به فقيل لقبه به رسول الله والصحيح أنه لقبه به أبو بكر لقتاله أهل الردة وقتله مسيلمة...

وأقول: متى كان خالد سيف الله هل في زمن الجاهلية قبل أن يسلم وهل سيف الله يجوز عليه الكفر والشرك والمعاصي وقد كان خالد من أشد الناس على المسلمين وهل غابت معركة أحد ومن الذي كان على قيادة خيل المشركين، أليس هو خالد الذي أعاد لهم ثقتهم بوجودهم بعد أن انهزموا؟ أليس هو الذي انتصر به المشركون وقُتل حمزة والمسلمون فيها؟.

أم في الإسلام وقد ولاه النبي على جماعة وأمره أن يدعو قوماً إلى الإسلام فسار حتى وصل إلى بني جذيمة[1] وكان له عليهم ثأر فاستغنم الفرصة وقتلهم وعندما وصل النبأ إلى النبي رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثم أرسل علياً إلى من بقي من القوم فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال... ثم هل يُغفل فعله بمالك بن نويرة المسلم العابد الذي قتله وزنى بزوجته فأمر عمر برجمه فدافع عنه أبو بكر...

---

(١) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٣.

ما هذا السيف الإلهي الظالم المخطىء حاشا وكلا نحن لا نعترف بالتسمية المزورة وإنما الذي يسمى بسيف الله هو الأشتر الذي يستحق ذلك على لسان علي بن أبي طالب. . . ثم انظر إلى هذه الفقرة الأخيرة وحقق فيها لترى الثقة بأعلى درجاتها حيث يقول: فإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم. . . هكذا يعطي القائد العظيم هذا الوالي المخلص وساماً من أرفع الأوسمة وأعظمها حيث جعل إقدامه كإقدامه وإحجامه كإحجامه. . . وأي إيثار يؤثرهم به على نفسه تفكر في هذا الإيثار لترى عظمة الأشتر وعلوّ كعبه.

٢ ـ من كتاب لعلي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها.

«أما بعد: فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وأني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية.

إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً فرحمه الله! فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له».

قال ابن أبي الحديد عند ذكر دعاء علي للأشتر في هذا المقام. . .

ولست أشك[1] بأن الأشتر بهذه الدعوة يغفر الله له ويكفر ذنوبه ويدخله الجنة ولا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول الله (ص) ويا طوبى لمن حصل له من علي عليه السلام بعض هذا.

٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه:

«وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيزكما[2] مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجناً، فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل.

---

(١) ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٤٤.

(٢) ابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٩٨.

الأشتر شاعراً.

إلى جانب الشجاعة الخارقة التي تمتع بها بطلنا الأشتر فإنه تمتع بمواهب أخرى خلقت منه عظيماً يضاهي العظماء في تلك الجوانب، ولعل الشعر الذي صاغه وإن كان وليد المعارك فإنه يدلل على الملكة الشعرية التي كانت لديه وأنه قادر على أن يفجر العبقرية الشعرية أكثر مما كانت ولكن الظروف والأحوال لم تكن ملائمة لمباراة الشعراء وإنما كانت المباراة بالسيوف والرماح هي المسيطرة ولها الحكم وفصل الخطاب ونحن هنا نسرد بعض متفرقات الشعر الذي كان يبتدعه الأشتر لمناسبة الرد على من تحداه أو لإثارة الحمية في صفوف جنده أو لذكر منقبة تمتع بها هو أو أحد خواصّه وهذه بعضها.

برز عمرو بن العاص أمام علي ولما كاد السيف أن يأخذ منه مأخذه هوى إلى الأرض وكشف عورته فتنزه الإمام عن قبحه وانصرف وكذلك قلّد عمراً بسر بن أرطأة فقال الأشتر في ذلك[١]:

أكل يوم رجل شيخ شاغرة ... وعورة وسط العجاج ظاهرة
تبرزها طعنة كف واترة ... عمرو وبسر رميا بالفاقرة

وقال الأشتر حينما قال إني مناجز القوم إذا أصبحت):

قد دنا الفصل في الصباح وللسـ ... ـلم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خدب ... مقحم لا تهده الأهوال
يضرب الفارس المدجج بالسيـ ... ـف إذا فل في الوغى الأكفال
يا ابن هند شد الحيازيم للمو ... ت ولا يذهبن بك الآمال
إن في الصبح إن بقيت لأمراً ... تتفادى من هوله الأبطال
فيه عز العراق أو ظفر الشا ... م بأهل العراق والزلزال
فاصبروا للطعان بالأسل السمـ ... ـر وضرب تجري به الأمثال
إن تكونوا قتلتم النفر البيـ ... ـض وغالت أولئك الآجال
فلنا قتلهم وإن عظم الخطـ ... ـب قليل أمثالهم أبدال
يخطبون الوشيج طعناً إذا ... جرت من الموت بينهم أذيال
طلب الفوز في المعاد وفي ذا ... تستهان النفوس والأموال

وقال مهدداً معاوية[٢]:

---

(١) وقعة صفين.

(٢) وقعة صفين ص ٤٧٠.

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن هند غارة لم تخل يوماً من ذهاب نفوس

قال صاحب الإصابة بعد أن نقل هذين البيتين ما نصه:

قال بعض المتأخرين من أهل الأدب لو قال: إن لم أشن على ابن حرب[1] غارة كان أنسب. قلت: (صاحب الإصابة) كلا بل بينهما فرق كبير نعم هو أنسب من جهة مراعاة النظير وبطرائق المتأخرين وأما فحول الشعراء فإنهم لا يعتنون بذلك بل نسبة خصمه إلى أمه أبلغ في نكايته.

وهكذا سجل شاعرية الأشتر كل من درس حياته وأراد أن يترجم مواقفه وبطولاته.

فقال عنه ابن أبي الحديد: كان شديد البأس[2] جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً وكان يجمع بين اللين والعنف فيسطو في موضع السطو ويرفق في موضع الرفق.

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ٤٨٢.
(٢) ابن أبي الحديد ج ١٥ ص ١٠٢.

٥٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى طلحة والزبير (مع عمران بن الحصين الخزاعي) ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب «المقامات» في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا، وَإِنْ كَتَمْتُمَا[١]، أَنِّي لَمْ أُرِدِ[٢] النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي. وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي وَإِنَّ العَامَّةَ[٣] لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ[٤]، وَلاَ لِعَرَضٍ[٥] حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ، فَٱرْجِعَا وَتُوبَا إِلَى ٱللهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ، فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ[٦] بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا ٱلْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَٱلْكِتْمَانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا[٧] هذَا ٱلأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ، كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ، بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ[٨] عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ بِقَدْرِ مَا ٱحْتَمَلَ. فَٱرْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ ٱلآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا ٱلْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ ٱلْعَارُ[٩] وَالنَّارُ، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ كتم الشيء : أخفاه ولم يظهره.

٢ ـ لم أرد : لم أطلب.

٣ ـ **العامة** : خلاف الخاصة، الناس بشكل عام.
٤ ـ **سلطان غالب** : قوة قاهرة.
٥ ـ **العرض** : بالتحريك هو المتاع وما سوى النقدين من المال.
٦ ـ **جعل له السبيل** : جعل له الحجة.
٧ ـ **دفع الأمر الفلاني** : ردّه وأبطله.
٨ ـ **تخلف عن الشيء** : تأخر عنه.
٩ ـ **العار** : العيب، كل ما يعيّر به الإنسان من قول أو فعل.

الشرح

(أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني وأنكما ممن أرادني وبايعني). هذا الكتاب بعث به الإمام إلى طلحة والزبير يحتج به عليهما نكثهما للبيعة ومخالفتهما له وينصحهما بالعودة إلى الطاعة والتوبة فإن ذلك وإن كان عاراً فإنه أولى من العار ودخول النار معاً...

يخبرهما الإمام إنه لم يطلب من الناس البيعة بل كما وردت به الروايات أنه اعتزل بعد قتل عثمان وكف يده عندما طلب الناس منه أن يبايعوه حتى ازدحموا عليه وأصروا على استخلافه وقد قال صلوات الله عليه: «فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها».

وعندما أصر الناس على بيعته وطلبوا منه أن يتولى الأمر أذعن واستجاب وقد بايعوه وكان ممن بايعه طلحة والزبير والتاريخ يشهد بهذا كما وأطبقت كلمة المؤرخين على أن طلحة والزبير يعلمان ذلك كله وإن كانا يخفيانه ولا يظهرانه للناس...

(وأن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر). برهن على صحة خلافته وأن عقد الخلافة له صحيح سليم وأن هذا الأمر يكون حجة عليهما وهو أن الناس وعامة المسلمين قد بايعتني ولم تكن بيعتها لي بالقهر والقوة والغلبة ويجمعها الترهيب كما لم تكن بيعتها للمغانم والمناصب والرشوة وغيرها ويجمعها الترغيب فإذا كانت بيعة الناس لي عن طواعية واختيار ولم تكن عن قهر واضطرار فهي بيعة صحيحة شرعية تلزم جميع الناس.

(فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ولعمري ما

كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به). هذا احتجاج على طلحة والزبير وإلزام لهما لا يمكنهما الخروج عنه. حجة دامغة محكمة يقول لهما لا يخلو أمركما إما أن تكونا قد بايعتما طائعين أو مكرهين.

إن بايعتما طائعين وعن اختيار فما على من فعل ذلك ثم تمرد وعصى ما عليه إلا أن يتوب إلى الله عن هذه المعصية ويرجع إلى الله قبل أن يزداد إثماً ومعصية. . .

وإن كانا قد بايعا مكرهين فهنا الإمام يقول: فقد جعلتما لي عليكما الحجة القاطعة والسبيل الواضح أمام الناس وأمام الله لأنكما أصبحتما منافقين مخادعين تظهران الطاعة من حيث تبايعا ظاهراً وتسران المعصية والتمرد والغدر باطناً.

ثم أراد الاحتجاج عليهما أيضاً بحجة أخرى وهو أنه إن قلتما إنما خوفاً على أنفسنا بايعنا فقال لهما: إن هذا ليس بصحيح لأن المسلمين المهاجرين كانوا أحق بالتقية وحفظ أنفسهم لأنهم لم يكن لهم أتباع وحاشية وجماعة تمشي خلفهم ومع ذلك بايعوا وكانوا أحق بالتقية ولم يدّعها أحد فدعوتكما لها مع ما معكما غير صحيح. . .

ثم احتج عليهما بغباء الطريقة التي اختاراها فإنه عليه السلام يقول لهما: إن عدم بيعتكما لي من أول الأمر وعدم الدخول فيها من رأس أيسر وأسهل عليكما من هذا الخروج فكان ينبغي عليكما أن لا تدخلا ثم تحاولا الخروج لأن الخروج بعد الدخول صعب لا يقبل وليس له مبرر شرعي ولا عرفي. . .

(وقد زعمتما أني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرىء بقدر ما احتمل). بعد أن أبطل دعوتهما التي تقول إنهما بايعا مكرهين أراد أن يبطل دعواهما بأنه هو الذي قتل عثمان وقد أحال الأمر إلى من تخلف في المدينة ممن لم يخرج معه ولا معهما فإن هؤلاء المتخلفون في المدينة يعرفون القاتل ويحكمون علي وعليكما ويجب أن يحمل كل منا ما يلزمه من هذا الأمر.

وقد كان الإمام أبرأ الناس من دم عثمان لم يباشر ولم يحرض وقد كان طلحة من أشد الناس على عثمان ويساعده الزبير على هذا الأمر. . .

(فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يتجمع العار والنار والسلام). نصيحة من قلب الإمام لهما بالرجوع عن رأيهما في نكث البيعة وإعلان الحرب عليه فإن أعظم ما يتصوره الناس أن هذا من العار لأنهما أقدما على أمر لا

يجوز وفي الرجوع أمر تأنف منه النفس وقد يعيّر به المرء ولكنه أفضل من الإصرار على المعصية وارتكاب الذنب. . . أفضل من إكمال الشوط الضال الذي لا يجوز فالاستمرار على التمرد معصية وعار فإذا أكملا المعصية فإنهما يجمعان العار في الدنيا والنار في الآخرة وكأنه عليه السلام يعلم مصيرهما المشؤوم ونهايتهما التعيسة وقد اجتمع لهما العار والنار. . . أما الزبير فقد رجع بعد اشتداد الحرب فقتله ابن جرموز بوادي السباع غيلة فبعد أن سعّر الحرب فرّ من لظاها فتحمّل وزرها وتبعاتها في الآخرة وفرّ فرار الذل والعار في الدنيا.

وأما طلحة فقد رماه مروان بن الحكم غيلة بسهم فقتله فكان يقول ما رأيت شيخاً أضيع دماً مني فتأسف وحزن وكسب عاراً لا يمحى هذا عار الدنيا.

أما نار الآخرة فلتمردهما ومعصيتهما وفكهما لعرى الوحدة ونزاعهما صاحب الحق في حقه حتى جرّأ كل منهما معاوية أن ينزع يد الطاعة ويفارق الجماعة ويعلن المعصية والعدوان. . .

٥٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَٱبْتَلَى(١) فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلاَ بِالسَّعْيِ(٢) فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدِ ٱبْتَلاَنِي ٱللهُ بِكَ وَٱبْتَلاَكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً(٣) عَلَى ٱلآخَرِ، فَعَدَوْتَ(٤) عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ(٥) ٱلْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ(٦) يَدِي وَلاَ لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ(٧) عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ، فَٱتَّقِ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ(٨) الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ(٩)، وَٱصْرِفْ(١٠) إِلَى ٱلآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ. وَٱحْذَرْ(١١) أَنْ يُصِيبَكَ ٱللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ(١٢) تَمَسُّ ٱلأَصْلَ(١٣)، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ(١٤)، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِٱللهِ أَلِيَّةً(١٥) غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ ٱلأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ(١٦) ﴿حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ﴾.

اللغة

١ ـ ابتلى : اختبر.
٢ ـ السعي : العمل.
٣ ـ الحجة : البرهان، ما يحتج به.
٤ ـ عدوت : وثبت.
٥ ـ التأويل : حمل الكلام على خلاف ظاهره.
٦ ـ تجني : تعمل وجنى الثمرة قطفها.
٧ ـ ألّب : حرّض.

٨ ـ نازع	:	جاذب.
٩ ـ القياد	:	بكسر القاف الزمام.
١٠ ـ اصرف وجهك	:	حوّله.
١١ ـ احذر	:	خف.
١٢ ـ القارعة	:	الداهية، المصيبة.
١٣ ـ تمس الأصل	:	تصيبه فتقتلعه.
١٤ ـ الدابر	:	المتأخر.
١٥ ـ ألية	:	يمين، حلف وقسم.
١٦ ـ الباحة	:	ساحة الدار ووسطها.

الشرح

(أما بعد فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملاً). في هذا الكتاب موعظة لمعاوية وتحذير لما سيلاقيه وقد ابتدأ بذكر الدنيا وذكّره أنها لم تكن لنفسها مطلوبة وإنما لما بعدها من الآخرة وقد جعلها الله محل الاختبار والامتحان للناس كي يميّز من هو أحسن عملاً ممن هو ليس كذلك كما قال تعالى: **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**[1].

(ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها أمرنا وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي: فجعل أحدنا حجة على الآخر). لم يخلق الإنسان من أجل الدنيا لأنها لا تدوم ولا تبقى ولم يؤمر بالسعي لها ومن أجلها وإنما خلق للآخرة التي هي الحياة الباقية التي لا تزول وأمرنا بالعمل لأجلها ولأجل ما فيها والله سبحانه خلق الإنسان في الدنيا ليختبره بها ويمتحنه بما فيها ليرى المطيع من العاصي والشقي من التقي.

ثم ذكر عليه السلام أن من جملة الامتحانات التي كان فيها الاختبار ابتلاؤه عليه السلام بمعاوية وابتلاء معاوية به.

أما ابتلاء الإمام بمعاوية فقد أراد الله أن يمتحن الإمام بقتال معاوية حتى يعود إلى الطاعة ويرجع إلى الجماعة.

---

(١) الملك.

وأما ابتلاء معاوية بالإمام من حيث إن الله أمره أن يطيع أولي الأمر ومن جملتهم الإمام نفسه وأن لا يشق عصا المسلمين ويفرّق وحدتهم. . .

ومن هنا جعل الله كل واحد منا إذا أطاع الله حجة على الآخر.

(فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته أنت وأهل الشام بي وألّب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم). أراد معاوية الدنيا فأعرض عن الآخرة. . . أراد الدنيا بكل وسيلة واستخدم حتى كتاب الله حيلة منه يريد أن يصطاد الدنيا ويتغلب على صاحب الحق فقد رفعه في صفين عندما أوشك على الهزيمة وأوّله بما يناسب ذوقه ويخدم غرضه ومصلحته الخاصة وأشار الإمام هنا إلى ما كان يؤول به معاوية كتاب الله ويموه به على أهل الشام فيقول لهم: إنه ولي دم عثمان ويستشهد بقوله تعالى: **﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾** مع أن معاوية ليس ولي دم عثمان ولا علاقة له به وإنما كان يستخدم القرآن من أجل مصلحته وقد حمّل الإمام هذا الدم مع أن الإمام لم يقتل عثمان ولم يشترك في قتله بل لم يحرض عليه أحداً حتى بالكلمة وإنما كان ينصحه ويشفق عليه. . .

ثم يذكر الإمام لمعاوية أنه وأهل الشام قد عصوا الله بالإمام حيث تمردوا على طاعته وخرجوا عن أمره وقاتلوه والله أمرهم بخلاف ذلك. . .

هذا إذا كانت (عصيت) بالياء وأما إذا كانت بالباء الموحدة فيكون المعنى: أي أنت وأهل الشام ألزمتموني دمه كما تلزم العصابة للرأس.

ثم ذكر اجتماع أهل الشام على قتاله واتفاقهم على إعلان الحرب عليه وقد عبّر عن ذلك بأن العالم بالحقيقة حرّض الجاهل والمقاتل حرض القاعد ودفعه إلى خوض الحرب فقد أجمعوا على قتاله واتفقوا على حربه. . .

(فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك). أمره عليه السلام بعدة أوامر:

١ ـ اتق الله في نفسك: أرحمها من عذاب الله ولا تخالف الله أو تعصيه فيمسك منه عذاب أليم.

٢ ـ نازع الشيطان قيادك: لا تستسلم إلى ما يريد الشيطان منك ولا تكن مطيعاً له في شهواتك ورغباتك بل صدّه عما يريد وادفعه عنك ولا تدعه ينتصر عليك. . .

٣ ـ واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك: اجعل عملك وشغلك وكل

حركة تتحركها اجعل ذلك نحو الآخرة فإنها النهاية التي لا بد نحن وأنت وكل الناس أن نصل إليها.

(واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل وتقطع الدابر). خوّفه بأن يعجّل له الله مصيبة أو واقعة تأخذه وتقضي عليه وتقضي كذلك على أعقابه وخلفه فلا تترك له أثراً ولا تبقي له خبراً وقد تحقق ذلك فلم يبق من الأمويين مخبر ومن بقي يخجل أن يتظاهر أو يتجاهر بنسبه إليهم فسبحان الله الذي أنطق علياً بما هو كائن وأخبره بما لم يكن...

(فإني أولي لك بالله أليّة غير فاجرة لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك «حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»). أقسم الإمام بالله قسماً صادقاً لا حنث فيه أنه إذا جمعته الأقدار بمعاوية والتقى معه في ساحات القتال فلن يتركه يهرب أو يفر ولن يتراجع عن حربه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد بالحرب والقتال...

٥٦ ـ ومن وصية له عليه السلام

وصى بها شريح بن هانىء، لما جعله على مقدمته إلى الشام

أَتَّقِ ٱللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا ٱلْغَرُورَ(١)، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ(٢) نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ، مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ، سَمَتْ(٣) بِكَ ٱلأَهْوَاءُ(٤) إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوَتِكَ(٥) عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ(٦) وَاقِماً(٧) قَامِعاً(٨).

اللغة

١ ـ الغرور : بفتح الغين ما يسبب الانخداع وبالضم الأباطيل.
٢ ـ تردع : تمنع وتكف.
٣ ـ سمت : ارتفعت.
٤ ـ الأهواء : جمع هوى وهو ما تهواه النفس وترغب فيه.
٥ ـ النزوات : جمع نزوة وهي الوثبة.
٦ ـ الحفيظة : الغضب.
٧ ـ الواقم : من وقمته أي رددته أقبح الرد وقهرته.
٨ ـ قمعه : رده وقهره.

الشرح

(اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال) هذه الوصية وصى بها الإمام أحد أصحابه المخلصين وهذا دأبه دائماً مذكراً بالله واعظاً مرشداً يريد من أصحابه أن يكونوا مع الله وفي خطه وليس مع النفس وهواها. . .

ابتدأ عليه السلام بوصيته بالتقوى والحذر من الله وأن يخافه ويعدّ العدّة ليوم

الحساب اتق الله في كل صباح ومساء كناية عن كل الأوقات والأزمنة وأن عليه أن يخاف الله في جميع أوقاته. . .

احذر الدنيا التي تغر. . . احذرها على نفسك فإنها قد تحرف الإنسان عن الله وتدخله في مداخل الباطل وتتزين له فيسرع إليها.

ولا تأمنها على حال فلا تقل إنني من هذه الجهة في مأمن ونفسي لا تطالبني بها. . . كن حذراً من جميع الجهات فمتى أمنت من جهة فقد تأتيك الدنيا منها. . .

(واعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً ولنزواتك عند الحفيظة واقماً قامعاً) إنك إن لم تكف نفسك وتردعها عن كثير مما تحب خوفاً من المكروه الذي يمكن أن تقع فيه فإنها ستدفعك أهواؤها ورغباتها إلى كثير من الضرر وبعبارة أخرى إذا لم تمنع نفسك وتكفها عن كثير مما تحب أوقعتك في الضرر. . .

ثم أكد الوصية له بأن يمنع نفسه عن الشهوات ويردعها عن المحرمات وإذا غضب وأرادت هذه النفس أن تتوثب للشر فليقهرها ويكسرها ويردها وبعبارة أخرى اردد غضبك واكظم غيظك إذا أرادت النفس منك شراً وطلبت باطلاً. . .

٥٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي(١) هذَا: إِمَّا ظَالِماً، وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً(٢) وَإِمَّا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ(٣). وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللهَ مَنْ بَلَغَهُ(٤) كِتَابِي هذَا لَمَّا نَفَرَ(٥) إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي(٦)، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ٱسْتَعْتَبَنِي(٧).

اللغة

١ ـ **الحي** : موطن القبيلة ومنزلها.

٢ ـ **البغي** : الفساد والباغي المعتدي.

٣ ـ **المبغى عليه** : المعتدى عليه.

٤ ـ **بلغه الكتاب** : وصل إليه.

٥ ـ **نفر إلى الشيء** : أسرع إليه ونفر منه كرهه وابتعد عنه.

٦ ـ **أعانني** : ساعدني.

٧ ـ **استعتبني** : طلب مني العتبى أي الرضى أي طلب مني أن أرضيه.

الشرح

(أما بعد فإني خرجت من حيي هذا: إما ظالماً وإما مظلوماً وإما باغياً وإما مبغياً عليه وإني أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إليّ فإن كنت محسناً أعانني وإن كنت مسيئاً استعتبني) غرضه من الكتاب إعلام أهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال الناكثين وحثهم على ملاقاته واستنفارهم إليه وقد استعمل هذا الأسلوب الرقيق لما فيه من استمالة للقلوب وجذبها إليه وشدها إلى التطلع نحو الحق والبحث عنه.

أخبرهم أنه خرج من المدينة وهو أحد رجلين إما ظالماً بخروجه لقتال الناكثين

طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن خلفهم وإما مظلوماً من قبلهم حيث خانوا العهود ونكثوا البيعة وأعلنوا الحرب وبالتالي فهو إما معتدياً عليهم أو هو معتدى عليه من قبلهم وهذا ليس شكاً في موقفه وإنما هو من باب الاستدراج لهم كي يبحثوا وينظروا وهو على حد قوله تعالى: ﴿**إنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ إثارة لهم وتحريكاً لفكرهم كي يعيدوا النظر ويتبعوا الحق...

ثم ناشدهم بالله ودعاهم ـ كل من وصله كتابه ـ منهم أن يأتي إليه مسرعاً ويقف أمامه ويدرس قضيته فإن كان على الحق في خروجه إليهم وحربه لهم ساعده في ذلك لإحقاق الحق وإزهاق الباطل وإن كان بمسيره مسيئاً عاصياً طلب منه الرضى بالحق والكف عن الباطل وبذلك يكون هذا الناصح ممن نصر الحق وخذل الباطل...

٥٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام

كتبه إلى أهل الأمصار، يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا[١] أَنَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي ٱلإِسْلاَمِ وَاحِدَةٌ، لاَ نَسْتَزِيدُهُمْ فِي ٱلإِيمَانِ بِٱللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلاَ يَسْتَزِيدُونَنَا: ٱلأَمْرُ وَاحِدٌ إِلاَّ مَا ٱخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ[٢]! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ[٣] مَا لاَ يُدْرَكُ ٱلْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ[٤]، وَتَسْكِينِ ٱلْعَامَّةِ[٥]، حَتَّى يَشْتَدَّ ٱلأَمْرُ[٦] وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ ٱلْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِٱلْمُكَابَرَةِ[٧]! فَأَبَوْا[٨] حَتَّى جَنَحَتِ[٩] ٱلْحَرْبُ وَرَكَدَتْ[١٠]، وَوَقَدَتْ[١١] نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ[١٢]. فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا[١٣] وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا[١٤] فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ[١٥] إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى ٱسْتَبَانَتْ[١٦] عَلَيْهِمُ ٱلْحُجَّةُ[١٧]، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمُ ٱلْمَعْذِرَةُ[١٨]. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ[١٩] ٱللهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ[٢٠]، وَمَنْ لَجَّ[٢١] وَتَمَادَى[٢٢] فَهُوَ الرَّاكِسُ[٢٣] الَّذِي رَانَ[٢٤] ٱللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

اللغة

١ ـ بدء الأمر : أوله.

٢ ـ براء : البراء من العيب أو الدين تخلّص وسلم منه.

٣ ـ نداوي	:	نعالج.
٤ ـ النائرة	:	العداوة.
٥ ـ تسكين العامة	:	تهدئة الناس.
٦ ـ يشتد الأمر	:	يقوى.
٧ ـ المكابرة	:	المعاندة.
٨ ـ أبوا	:	رفضوا وامتنعوا.
٩ ـ جنحت	:	أقبلت ومالت.
١٠ ـ ركدت	:	ثبتت واستقرت.
١١ ـ وقدت	:	التهبت.
١٢ ـ حمشت	:	التهبت غضباً.
١٣ ـ ضرستنا	:	عضتنا بأضراسها.
١٤ ـ المخالب	:	جمع مخلب وهو للطير كالظفر للإنسان.
١٥ ـ سارعناهم	:	سابقناهم.
١٦ ـ استبانت	:	ظهرت.
١٧ ـ الحجة	:	البينة والبرهان.
١٨ ـ المعذرة	:	الحجة التي يعتذر بها.
١٩ ـ أنقذه	:	خلّصه.
٢٠ ـ الهلكة	:	جمعها هلاكات، الهلاك وهو الموت.
٢١ ـ لجّ في الأمر	:	لازمه وأبى أن ينصرف عنه.
٢٢ ـ تمادى في الشيء	:	أقام عليه وطلب الغاية منه.
٢٣ ـ الراكس	:	من الركس وهو رد الشيء مقلوباً.
٢٤ ـ ران	:	غطى.

الشرح

(وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء) كان الإمام صريحاً مع نفسه ومع شعبه كان يعلمهم بكل ما جرى وما يجري لا يخفي عليهم صغيرة ولا كبيرة.

وهذا الكتاب أرسله إلى أهل الأقطار والبلاد الإسلامية التي تحت حكمه يعلم

الناس ويخبرهم بما جرى بينه وبين أهل الشام في صفين وكيف دعاهم أول الأمر إلى الهدوء والتروي وعدم إثارة الحرب فرفضوا وتمردوا فعندما اندلعت وأكلتهم وذاقوا حرها وقساوتها دعوه إلى ما كان دعاهم إليه فاستجاب ولبى. . .

ابتدأ عليه السلام ببيان ما هو الظاهر من حال أهل الشام فحكم على ظاهرهم ـ دون الباطن ـ بالإسلام وأنهم مثلنا في التوحيد فربنا وربهم في الظاهر واحد وكذلك نبينا محمد واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة لا فرق بيننا وبينهم ولا نرى إيماننا يفوق إيمانهم ولا إيمانهم يفوق إيماننا فنحن وإياهم أصحاب عقيدة واحدة متساوية دون زيادة لواحدة على الأخرى.

نعم كانت المسألة المختلف فيها والتي وقع فيها النزاع ونحن براء منها ولا علاقة لنا بها كانت هي دم عثمان فهم يتهموننا بدمه ونحن أبرأ الناس منه. . . والإمام في كتابه هذا ينفي عنهم الإيمان في الواقع وقد أظهر ذلك في بعض كلماته المنثورة في النهج فقد قال مخاطباً معاوية وعمرو بن العاص وأمثالهما: «والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعواناً أظهروه».

(فقلنا تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الأمر ويستجمع فنقوى على وضع الحق مواضعه فقالوا: بل نداويه بالمكابرة فأبوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت) فتح الإمام باب الحوار والتفاهم بينه وبين أهل الشام فأوصدوه وردوه ولم يوافقوا عليه. . . كان يحاول بشتى السبل أن لا تقع الحرب وأن يعود معاوية إلى أحضان الشرعية والعدل والحق فكان يرفض ويصر على رفضه عازماً على تفريق كلمة المسلمين وتمزيق وحدة الصف. . .

أخذ الإمام يبين لهم وجه الحق ووجه نداءه إليهم أن يأتوا إليه ويعالجوا معه ما وقع بالصبر والأناة حتى يشتد عود الحكم وتقوى دعائمه وتهدأ الثورة التي كانت قائمة على عثمان ويعود الناس إلى مزاولة أعمالهم ويصبح قادراً بهذه الوحدة على القصاص من قتلة عثمان فعندها تجري الأمور على موازين الشرع والدين فمن ثبت عليه الجرم أدين وأجري عليه حكم الله. . .

ولكن معاوية رفض هذه الدعوة وأبى أن يستجيب لنداء الحق وأراد أن يداوي الأمور بالعناد والمكابرة والخلاف ورفض ما أردناه ودعونا إليه وصمم على قتالنا وخوض المعركة ضدنا بحجج واهية ظالمة فخاضها ووقعت الحرب واشتعلت نارها والتهبت بأشد ما تكون ضراوة وقساوة واستعرت تأخذ معها الأنفس والأرواح. . . إنها

حرب قاسية ظالمة شنها معاوية ولم يعرف أثرها ومداها. . .

(فلما ضرستنا وإياهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا وسارعناهم إلى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة) كانت حرب صفين أقسى حرب بين المسلمين وقد وصفها المؤرخون بأروع ما تكون الحروب. . . حرب فنيت فيها السهام وتكسرت السيوف وأخذ الناس يقذفون بعضهم بالحجارة ويزحف كل فريق على الآخر حتى أضحى يهرّ عليه. . .

حرب طحنت الفريقين بقساوتها وضراوتها وشدتها ومزقت الناس وفرقتهم وأخذت معها خلقاً كثيراً بين قتيل وجريح وعندها عاد معاوية ومن معه إلى دعوة الإمام وطلبوا منه إيقافها والرجوع إلى كتاب الله الذي رفضوه بالأمس وأبوا التحاكم إليه. . . علم الإمام أنها خدعة فلذا رفضها وأبى قبولها بينما أصحابه أسرعوا في الاستجابة لها وبادروا إلى قبولها. . .

قبل الإمام إيقاف الحرب اضطراراً فلعل معاوية يعود إلى الحق ولعل من غرّر بهم من أهل الشام يهتدي ويرجع إلى الحق. . . استجبنا لهم في وقف الحرب حتى ظهرت حجتنا عليهم وبطلت معاذيرهم وانقطعت شبهتهم في الحرب التي أوقدوها دون مبرر. . .

(فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة ومن لجّ وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه) بيّن عليه السلام أن من أكمل مسيرة السلم من أهل الشام وانقاد إلى الحق بعد ظهوره فقد أنقذه الله من الهلاك والتلف والموت ونجاه من العذاب وأما من استمر على ضلاله وأقام على فساده فذاك الذي انقلب على وجهه وغرق في الضلال والغي وتغطت منافذ النور في قلبه فحجبت رؤية الحق عنه ودارت دائرة السوء عليه وقد وقع الأمر على الخوارج أيضاً حيث رفضوا التحكيم بعد إجبارهم للإمام عليه فكان الأمر أن قتلهم الله وطهّر الأرض منهم. . .

٥٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْوَالِيَ إِذَا ٱخْتَلَفَ[١] هَوَاهُ مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيراً مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً[٢]، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ[٣] عِوَضٌ[٤] مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَٱجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ[٥] أَمْثَالَهُ، وَٱبْتَذِلْ نَفْسَكَ[٦] فِيمَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكَ[٧]، رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ[٨] لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلاَّ كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً[١٠] يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَٱلاحْتِسَابُ[١١] عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ[١٢]، فَإِنَّ ٱلَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ اختلف إليه : تردد عليه مرة بعد أخرى ومن موضع إلى موضع تردد.

٢ ـ سواء : مستو متساوي.

٣ ـ الجور : الظلم والميل عن الحق.

٤ ـ عوض : بدل.

٥ ـ تنكر : تعيب وأنكر عليه فعله عابه عليه ونهاه عنه.

٦ ـ ابتذل نفسك : جُد بها، استعملها دائماً وامتهنها.

٧ ـ افترض الله الأمر الفلاني : سنّها وأوجبها.

٨ ـ البلية : الاختبار.

٩ ـ الفرغة : الواحدة من الفراغ وهو عدم ملأ الوقت بما ينفع.
١٠ ـ الحسرة : التلهف.
١١ ـ الاحتساب : المراقبة والإصلاح.
١٢ ـ الجهد : الطاقة والاستطاعة.

الشرح

(أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل) هذا الكتاب كتبه الإمام إلى واليه على مقاطعة حلوان وقد قرّب بعضهم أن تكون جنوب مدينة المدائن العراقية وفيه حث شديد على بذل ما في وسعه في سبيل خدمة الرعية والعدل بينها كما أن فيه موعظة وتذكرة. . .

وأول ما ابتدأ به حضّه على عدم اتباع الهوى وأن الوالي إذا أخذ يتصرف بهواه وكان الهوى هو الموجه والقائد والآخذ بالزمام كان الحاكم ظالماً جائراً بعيداً عن الحق والعدل لأن الهوى يتقلب ويتغير بينما الحق ثابت مستقر لا يتغير. . .

(فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل) أمره أن يتساوى الناس عنده في الحق فلا يختار غنياً على فقير ولا وجيهاً على صعلوك بل الحق يجب أن يحكم الجميع ويجري على الجميع على حد واحد فإذا كان الحق مع الفقير أعطي له من الغني وهكذا إذا كان الحق إلى جانب الوضيع يعطي له من الوجيه.

ثم نبهه إلى أنه ليس في الجور بدل وعوض من العدل أي أن الظلم لا يقوم مقام العدل لأنه يبقى ظلم وجور وحيف على الناس وعواقبه جسيمة حيث يزول به الملك وتكثر الانحرافات بينما العدل يدوم به الملك ويأخذ المظلوم ظلامته ممن ظلمه ويرد الحق إلى أهله وهكذا. . .

(فاجتنب ما تنكر أمثاله) إذا كنت لا ترضى من غيرك عملاً فاجتنبه أنت ولا تأتيه كما لو كنت تنكر الظلم من الآخرين فاجتنبه أنت وابتعد عنه ولا تمارسه. . .

(وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه ومتخوفاً عقابه) اجعل نفسك وسخرها فيما أوجب الله عليك وأمرك به راجياً ثوابه من خلال عملك ومتخوفاً عقابه إن قصرت أو تهاونت أي اجعل نفسك في خدمة الله وتنفيذ أوامره طالباً بذلك أجره وثوابه وخائفاً من عذابه وعقابه ولا تتكبر عن عبادته أو تترفع عن أوامره. . .

(واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة) نبهه إلى أن الدنيا دار امتحان واختبار وعمل وجهاد ولا يعيش إنسان البطالة ولو ساعة إلا كانت هذه الساعة عليه حسرة يوم القيامة لأن هذه الساعة التي لم يكتسب فيها الأجر والثواب سيندم عليها لأنها تفوّت عليه لذة كبيرة ومرتبة من السعادة عظيمة فيتحسر على هذه الخسارة يوم القيامة. . .

(وإنه لن يغنيك عن الحق شيء أبداً ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام) أوصاه بالحق أن يقوم به ويحفظه وأنه ليس شيء يقوم مقامه لأن كل ما ليس بحق فهو باطل ولا يغني الباطل عن الحق شيئاً. . .

إذا لم تعمل بالحق فلن تعمل شيئاً ولن يغني عنك شيئاً أبداً.

ثم ذكر له جزئيتين من ذلك الحق.

الأولى: أن يحفظ نفسه من الجور والظلم والاعتداء وأن يراقبها بدقة ويأخذها بمر الحق. . .

الثانية: الاحتساب على الرعية بجهدك: أي ابذل جهدك وطاقتك وقدرتك في سبيل إصلاح الرعية وإنعاشها وردها إلى الله ورفع الظلم والحيف عنها ثم نبهّه إلى أن الذي يحصل عليه من وراء عمله هذا من الأجر والثواب وحسن العاقبة مع الذكر الجميل والثناء الكريم أعظم بكثير وأفضل من الذي يصل إلى الرعية منك فما يصلك من عملك أفضل مما يصل إلى الرعية من نفس العمل. . .

ترجمة الأسود بن قطيبة.

قال ابن أبي الحديد في شرحه ما لفظه: لم أقف إلى الآن على نسب الأسود بن قطيبة ولم أتحقق ذلك والذي يغلب على ظني أنه الأسود بن زيد بن قطيبة بن غنم الأنصاري من بني عبيد بن عدي ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب وقال: إن موسى بن عقبة عده فيمن شهد بدراً.

٦٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ(١) ٱلْخَرَاجِ(٢) وَعُمَّالِ ٱلْبِلَادِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ(٣) جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ(٤) بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ للهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ ٱلأَذَى(٥)، وَصَرْفِ الشَّذَى(٦)، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ(٧) مِنْ مَعَرَّةِ(٨) ٱلْجَيْشِ، إِلاَّ مِنْ جَوْعَةِ(٩) ٱلْمُضْطَرِّ، لاَ يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ(١٠). فَنَكِّلُوا(١١) مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ(١٢) عَنْ مُضَارَّتِهِمْ(١٣)، وَالتَّعَرُّضِ(١٤) لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ. وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ ٱلْجَيْشِ، فَٱرْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ(١٥)، وَمَا عَرَاكُمْ(١٦) مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا لاَ تُطِيقُونَ(١٧) دَفْعَهُ إِلاَّ بِٱللهِ وَبِي، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللهِ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

اللغة

١ ـ الجباة : جمع جابي الذي يجمع الخراج.

٢ ـ الخراج : الضرائب، المال المضروب على الأرض.

٣ ـ سيّرت : أخرجت وجعلته يسير.

٤ ـ مرّ به وعليه : اجتاز.

٥ ـ كف الأذى : منعه.

٦ ـ الشذى : الضرب والشر والأذى.

٧ ـ الذمة : العهد.
٨ ـ المعرة : المضرة والإساءة.
٩ ـ الجوعة : بفتح الجيم الواحدة من جاع وجوعة المضطر الجوع المهلك.
١٠ ـ الشبع : الامتلاء.
١١ ـ نكلوا : عاقبوا.
١٢ ـ السفهاء : جمع سفيه الرديء الخلق، الجاهل، غير الرشيد.
١٣ ـ المضارة : الإضامة.
١٤ ـ تعرض له : تصدى له.
١٥ ـ المظالم : جمع مظلمة، ما أخذ ظلماً.
١٦ ـ عراكم الأمر : غشيكم.
١٧ ـ لا يطيق دفعه : لا يقدر على دفعه.

الشرح

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد) هذا الكتاب كتبه الأمام إلى جباة الخراج وعمال البلاد يخبرهم فيه بمسير الجيش وأن طريقه عليهم فليكونوا على حذر وليرصدوا تحركاته ويسهلوا طريقه كما أوصى الجيش بوصايا مهمة أن لا يؤذوا أحداً مسلماً أو معاهداً. . .

(أما بعد فإني قد سيرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى وصرف الشذى وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة الجيش إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه) هذا هو مضمون الكتاب إنه يخبرهم أنه قد بعث جيشاً يجتاز عليهم ويمر على ديارهم وقد أوصاهم بما أراد الله منهم، وهو يتمثل بدفع الأذى فلا يؤذوا إنساناً في ماله أو في نفسه أو في ممتلكاته وإذا حصل مثل ذلك فهو بريء منه متنصل من آثاره لا يرضى به ولا يقبل بوقوعه. . . إنه يبرأ من وقوع شيء على أهل الذمة أيضاً من نصارى ويهود لأنهم في ذمة المسلمين وعهدتهم يبرأ من أذى الجيش ومضرته ولا يقبل به.

نعم استثنى للجيش أن يكون له من الحق أن يأكل بمقدار ما يرفع الضرر عن نفسه كما هي حال المضطر الذي ليس له بديل إلا أن يأكل ما يضطر إليه حتى المحرم من أجل الحفاظ على نفسه وهذا أمر تبيحه كل الشرائع والأديان. . .

(فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم وكفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم

والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم) أمر أن يعاقب كل جندي أخذ ظلماً ما ليس له حتى يرتدع ويؤدب فإنه لا يجوز ظلم الناس وأخذ أشياءهم ومن فعل ذلك وأدين عوقب.

ثم أمر الناس أن يمنعوا السفهاء والأراذل من التعرض للجند إذا تناولوا ما استثنى لهم من جوعة المضطر لأن في منعهم عن ذلك مخالفة لحكم الشرع وفيه فتنة للجنود واضطراب لحبل الأمن.

(وأنا بين أظهر الجيش فارفعوا إليّ مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم وما لا تطيقون دفعه إلا بالله وبي فأنا أغيره بمعونة الله إن شاء الله) هدأ في هذا الكلام روع الناس وطمأنهم إلى أنه معهم في شكاواهم التي يقدمونها إليه... إنه قريب منهم تصله كل أخبار الجند وأعمالهم لأنه وضع من يمثله معهم ينقل إليه كل ظلم يحدث وكل اعتداء يقع ثم أمرهم أن يرفعوا إليه هذه المظالم وكل أمر يجري عليهم مما لا يطيقونه ولا يقدرون عليه إلا بالله ومعونته وبإعانته شخصياً باعتباره ولي أمر المسلمين والمتكفل برفع الضيم عنهم فإنه عليه السلام أخذ على نفسه أن يغير الظلم ويرفعه بعون الله إن شاء الله...

٦١ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى كميل بن زياد النخعي، وهو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ ٱلْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ(١) حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ(٢). وَإِنَّ تَعَاطِيكَ(٣) ٱلْغَارَةَ(٤) عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا(٥)، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ(٦) الَّتِي وَلَّيْنَاكَ ـ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا، وَلاَ يَرُدُّ ٱلْجَيْشَ عَنْهَا ـ لَرَأْيٌ شَعَاعٌ(٧). فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ ٱلْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ ٱلْمِنْكَبِ(٨)، وَلاَ مَهِيبِ ٱلْجَانِبِ، وَلاَ سَادٍّ ثُغْرَةً(٩)، وَلاَ كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً(١٠)، وَلاَ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلاَ مُجْزٍ(١١) عَنْ أَمِيرِهِ.

اللغة

١ ـ العجز : عدم القدرة.
٢ ـ المتبر : الهالك والفاسد.
٣ ـ تعاطيك : من تعاطى الشيء إذا تناوله والأمر قام به أو خاض فيه.
٤ ـ الغارة : الهجوم المفاجيء والعودة منه بسرعة، وشن الغارة فرّق الخيل وصبها عليهم من كل ناحية.
٥ ـ قرقيسيا : اسم بلد على نهر الفرات.
٦ ـ المسالح : جمع مسلحة وهو الموضع الذي يقام فيه طائفة من الجند لحمايته.
٧ ـ رأي شعاع : متفرق ضعيف.
٨ ـ المنكب : مجتمع الكتف والعضد، وشديد المنكب قوي قادر.
٩ ـ الثغرة : الثلمة والفرجة التي يدخل منها العدو.
١٠ ـ الشوكة : القوة.
١١ ـ مجز : كافٍ ومغنٍ.

الشرح

(أما بعد فإن تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر) هذا الكتاب أرسله الإمام إلى كميل بن زياد وهو أحد أصحابه ومن خواصه وشيعته وكان عاملاً من قبله على مدينة هيت فكان معاوية يرسل جنداً يغزو بهم أطراف دولة الإسلام وكانت هذه الجنود تغير على هيت الذي يتولى أمرها كميل فكان كميل يجبر ضعفه بغزوه على أطراف حكم معاوية دون أي يدفع عن بلاده فوجّه له الإمام هذه الرسالة.

وبين عليه السلام أن الإنسان إذا أهمل ما كُلّف به ولم يحفظه ويرعاه كما يجب وتكلف أمراً آخر لم يكلف به يكون هذا منه هزيمة ومن العجز الحاضر والرأي الفاسد لا يوافق عليه عاقل فإن العقلاء يحكمون بوجوب القيام بما كلف به الإنسان وترك غيره فإذا انعكس الأمر اضطربت القضايا وفسدت الأمور.

(وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ـ ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها ـ لرأي شعاع) بعد أن ذكر في صدر الكتاب القاعدة العامة والكبرى الكلية جاء هنا إلى التفصيل فذكر له أن غارته التي شنها على أهل قرقيسيا التي هي بلدة تحت حكم معاوية وتركه ما يجب أن يحفظه ويردع العدو عنه ويرد غزو معاوية له هذا العمل غير سديد ولا صحيح ولا يجتمع مع النصر أو يلتقي معه وعبر بالشعاع عن المتفرق الموزع الذي لم يتوحد وإذا لم يتوحد فسد وضل أصحابه وهذه الوصية من الإمام تدل على مدى عظمة الإمام وأنه لا يقابل ما عليه معاوية من الضلال حيث يغزو الناس العزّل الأبرياء وفيهم الصبيان والنساء والشيوخ لا يقابل ذلك بغزو المدن التي تحت حكم معاوية بل يصر على ولاته أن يحفظوا بلادهم ويدفعوا عما أوكلوا به من الثغور فلا يدعوا زبانية معاوية يغزونها وينكلون بأهلها...

(فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجزٍ عن أميره) بيّن عليه السلام عجز كميل ومدى ما يتركه إهماله وعدم ضبطه لما كلف به فذكر عدة أمور لعله إذا تنبه لها شدت من عزيمته.

١ ـ إنه قد أصبح جسراً للأعداء الذي يريدون شن الغارة على أتباع الإمام وأوليائه الذين تحت حكمه وقد أنزله منزلة الجسر من حيث إنه لا يرد من أراد العبور.

٢ ـ غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب: لا تستطيع حمل المسؤولية ولا يخافك الأعداء أو يهابونك.

٣ ـ ولا ساد ثغرة: لا تستطيع أن تحمي مكاناً يدخل منه العدو.

٤ ـ ولا كاسر لعدو شوكة: لا تستطيع أن تهزم عدواً أو تنكل به.

٥ ـ ولا مغن عن أهل مصره: لا يستغنون أهل بلده به في رد العدو.

٦ ـ ولا مجز عن أميره: فما كلفه به أميره وأنابه عنه فيه لا يستطيع القيام به على شكل يجزي ويكفي فهو مقصر عاجز.

ترجمة كميل بن زياد.

وقال المعتزلي في شرح نهج البلاغة:

كميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد كان من أصحاب علي عليه السلام وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة وكان كميل بن زياد عامل علي على هيت... انتهى...

ولادته.

اختلفوا في ولادته فمنهم من قال: إنها كانت في السنة الثامنة عشرة من الهجرة وقال بعضهم: إن ولادته كانت قبل الهجرة بسنتين.

وقال بعضهم: إن ولادته كانت سنة ١٢ ووفاته سنة ٨٢.

قتله الحجاج صبراً..

٦٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل مصر، مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَذِيراً(١) لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً(٢) عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ. فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ تَنَازَعَ(٣) ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ. فَوَٱللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي(٤)، وَلاَ يَخْطُرُ(٥) بِبَالِي(٦)، أَنَّ ٱلْعَرَبَ تُزْعِجُ(٧) هذَا ٱلأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ(٨) عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي(٩) إِلاَّ ٱنْثِيَالُ(١٠) النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي(١١) حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ(١٢) النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ ٱلإِسْلاَمِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ(١٣) دِينِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَخَشِيتُ(١٤) إِنْ لَمْ أَنْصُرِ ٱلإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً(١٥) أَوْ هَدْماً(١٦)، تَكُونُ ٱلْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ(١٧) أَيَّامٍ قَلاَئِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ(١٨)، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ(١٩)، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ ٱلأَحْدَاثِ(٢٠) حَتَّى زَاحَ(٢١) ٱلْبَاطِلُ وَزَهَقَ(٢٢)، وَٱطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ(٢٣).

ومنه: إِنِّي وَٱللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلاَعُ(٢٤) ٱلأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ(٢٥) وَلاَ ٱسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلاَلِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَٱلْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ(٢٦) مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ ٱللهِ لَمُشْتَاقٌ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلَكِنَّنِي آسَى(٢٧) أَنْ يَلِيَ(٢٨) أَمْرَ هذِهِ ٱلأُمَّةِ

سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً[٢٩]، وَعِبَادَهُ خَوَلاً[٣٠]، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدًّا فِي الإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ[٣١]. فَلَوْلاَ ذلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[٣٢] وَتَأْنِيبَكُمْ[٣٣]، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ[٣٤].

أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ[٣٥] قَدِ انْتَقَصَتْ[٣٦]، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى[٣٧]، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى! انْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلاَ تَثَّاقَلُوا[٣٨] إِلَى الأَرْضِ فَتُقِرُّوا[٣٩] بِالْخَسْفِ[٤٠]، وَتَبُوؤُوا[٤١] بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ[٤٢]، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ.

اللغة

١ ـ **النذير** : جمعه نذر بمعنى الإنذار المعلم للشيء والمخوّف له من عواقبه.
٢ ـ **المهيمن** : الشاهد.
٣ ـ **تنازعوا** : تجاذبوا وتنازع القوم في الشيء تخاصموا.
٤ ـ **الروع** : بالضم القلب وبالفتح الفزع.
٥ ـ **يخطر في الفكر** : لاح له والخاطر جمع خواطر ما يخطر بالقلب من أمر أو تدبير.
٦ ـ **البال** : الخاطر.
٧ ـ **تزعج** : ترد.
٨ ـ **نحاه عنه** : أبعده.
٩ ـ **راعني** : فاجأني وأفزعني.
١٠ ـ **الانثيال** : الانصباب.
١١ ـ **أمسكت يدي** : كففتها ومنعتها.
١٢ ـ **راجعة الناس** : الراجعون منهم.
١٣ ـ **المحق** : ذهاب الشيء بالكلية حتى لا يبقى له أثر.
١٤ ـ **خشيت** : خفت.

١٥ ـ الثلم : الخرق، الفجوة.
١٦ ـ الهدم : السقوط يقال: هدم الحائط إذا سقط.
١٧ ـ المتاع : كل ما ينتفع به من عروض الدنيا.
١٨ ـ السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء يضرب به المثل في الكذب والخداع.
١٩ ـ تقشع السحاب : زال وانكشف.
٢٠ ـ الأحداث : .
٢١ ـ زاح : ذهب.
٢٢ ـ زهق : زال واضمحل.
٢٣ ـ تنهنه : سكن.
٢٤ ـ الطلاع : بكسر الطاء ملىء الشيء وطلاع الأرض ملؤها.
٢٥ ـ ما باليت : ما اهتممت.
٢٦ ـ البصيرة : العقل، الفطنة.
٢٧ ـ آسى : أحزن.
٢٨ ـ يلي أمر الأمة : يتولى شؤونها.
٢٩ ـ دولاً : جمع دوله بضم الدال أي شيئاً يتداولونه بينهم.
٣٠ ـ الخول : محركة العبيد.
٣١ ـ الرضائخ : العطايا والرشوة جمع رضيخة وهي ما يعطى للإنسان يصانع به من أجل شيء يريده.
٣٢ ـ التأليب : التحريض.
٣٣ ـ التأنيب : اللوم.
٣٤ ـ ونيتم : ضعفتم وفترتم.
٣٥ ـ أطراف البلاد : جوانبها.
٣٦ ـ انتقصت : حصل فيها النقص.
٣٧ ـ تزوى : تقبض.
٣٨ ـ تثاقلوا : تباطئوا لم ينهضوا للنجدة وقد استنهضوا لها.
٣٩ ـ تقروا : تعترفوا.
٤٠ ـ الخسف : الضيم.
٤١ ـ تبوؤوا بالذل : ترجعوا به.
٤٢ ـ الأرق : الساهر الذي لا ينام.

الشرح

(أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده) هذه الرسالة بعث بها الإمام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر عندما ولاه عليها وفيها ذكر رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وما مرَّ بعده وما وقع من أحداث وما جرى من خلاف واختلاف وموقف الإمام منها كما أن فيها ذكر بني أمية وفي الختام نصيحة لأصحابه وحث لهم على حفظ الثغور ورد كيد الأعداء. . .

ابتدأ عليه السلام بذكر بعثة الرسول (ص) وأنه سبحانه أرسله ليخوف من عصاه وتمرد عليه بعذابه وعقابه وأنه سبحانه أرسله شاهداً عليهم ومصدقاً برسالات الأنبياء المتقدمين الذين بعثهم الله إلى الناس فلما قضى شهيداً وانتهت إقامته في دار الدنيا اختلف المسلمون بعده فيمن يتولى الأمر عنه ويحل محله في الخلافة والإمامة فالأنصار يريدونها لأنفسهم بحجج وبينات تذرعوا بها والمهاجرون يريدونها أيضاً لأنفسهم وكل من الطائفتين ادعت باطلاً وعملت سوءاً لأن الحق ليس لهما ولا علاقة لهما بالخلافة.

(فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عني من بعده) أقسم عليه السلام ـ وهو الصادق الأمين ـ أنه ما كان يقع في قلبه ولا يمر في ذهنه أن العرب تدفع الخلافة بعد رسول الله عن أهل بيت رسول الله ولا أنهم يدفعون علياً ويبعدونه عنها. . . وعدم خطور ذلك في باله لأنه المرشح الوحيد من قبل الله ورسوله عينه النبي بأمر إلهي في حديث المنزلة والدار والغدير وآية الولاية والتطهير وغير ذلك فمع هذه البينات والشواهد والحجج كيف يجرأ أحد على سلب هذا الحق من صاحبه وكيف يرد أمر الله ورسوله. . .

(فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ) لقد كانت مفاجأة لم تخطر ببال الإمام ولم تمر في ذهنه. . . إنه يرى نفسه المتعين للخلافة ولا ندّ له أو نظير أو معارض. . . وبينما يرى ذلك إذ يرى المفاجأة الكبرى وهي ازدحام الناس لبيعة أبي بكر. . . إنهم العامة. . . يتحركون بدون تفكير. . . استغلهم بعض أصحاب المآرب والغايات فانحرف بهم إلى بيعة أبي بكر تاركين بني هاشم قرب جنازة النبي يجهزونها. . . إنها بيعة فلتة على حد تعبير عمر ويرى الإمام ذلك فيمتنع عن بيعة الرجل ويحتج عليه مسجلاً أنه قد اغتصب حقه وبقي هكذا حتى رأى بأم عينه أن

الناس ترتد عن الإسلام وتخرج اليوم فيما دخلت فيه أمس وتهدد الإسلام في وجوده وبقائه وأخذ المرتدون يدعون إلى القضاء على دين محمد وشريعته وإزالته من الوجود فمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وغيرهم وغيرهم كلهم يتحركون للقضاء على الدين ويرى الإمام ذلك كله فماذا يفعل هل يبقى على موقفه وهذا يزيد الأمور تفككاً والإسلام ضعفاً إذن لا بد من موقف يحفظ الإسلام. . .

(فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه) يشرح الإمام حاله في تلك الظروف الصعبة التي دار الأمر فيها بين حفظ الإسلام وصيانته واستمرارية وجوده وبين أن يبقى على موقفه في مقاطعة السلطة التي اغتصبت حقه وسلبته سلطانه. . . إنه موقف صعب يحتاج إلى الإنسان الكبير الذي يطوي أموره الشخصية ويطرحها جانباً ثم يتبنى الأمور الرسالية والحقوق العامة. . . ماذا يعمل والقبائل قد ارتدت وتريد الانقضاض على الإسلام للقضاء عليه: هنا الإمام يقول: خشيت إن لم أبايع وأعاون بالمشورة والتوجيه أن يختل مكان الإسلام وتتزلزل أركانه ويسقط صريعاً ويبطل من الوجود لإطباق الناس على محاربته وعندها تكون المصيبة إبطال الإسلام والقضاء عليه أو زعزعة أركانه واختلال أصوله وفي ذلك مصيبة عظمى تفوق الولاية التي هي حق لي والتي لا تبقى ولا تدوم بل تنقضي بسرعة وتزول بل في الحقيقة هي أمر وهمي لمن تبصّر ونظر تماماً كالسراب الذي يتراءى للأغبياء إنه شيء وبالحقيقة لا وجود له وليس بشيء أو هي تزول وتنقضي كما يتمزق الغيم بسرعة ويزول تشبيه للأمرة بقصر المدة وقلتها.

وهكذا كان: عدل عن المقاطعة أمام الأحداث التي تعصف بالإسلام وعاون من تولى الأمر واغتصب حقه حتى ذهب الباطل وزال وارتاح الدين من المرتدين والمشاغبين وبسط سلطانه وانتشر في الأرض طولاً وعرضاً. . .

(إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي وإني إلى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج) ينفي علي الخوف من نفسه ويقسم بالله أنه لو لاقى أعداءه وكان وحيداً منفرداً وكانوا ملىء الأرض ماهتم بهم ولا أعطاهم بالاً ولا استوحش أو خاف وذلك.

أولاً: إنهم على ضلال وهو على الحق يعلم ذلك وهو على يقين منه.

ثانياً: إنه يشتاق إلى لقاء الله وثوابه وأجره وهو ينتظر ذلك وليس بينه وبين ذلك إلا الموت فهو لا يبالي به طالما أنه به يعبر إلى لقاء الله وثوابه ومن هنا لا يبالي بكثرة الأعداء حتى لو ملأوا الدنيا وكان فيها وحيداً في مواجهتهم.

(ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حرباً والفاسقين حزباً فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حداً في الإسلام وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذ أبيتم ونيتم) لا يخاف الإمام من الموت ولا يحزن أو يتأسف على شيء من الدنيا وإنما يأسف أن يتولى قيادة الأمة وزعامتها سفهاؤها وفجارها الذين لا يرعون الواجبات ولا يرتدعون عن المحرمات يعملون بالإثم والعدوان ومعصية الله... إنهم يتداولون مال الله يوزعونه على بعضهم وينقلونه من يد أحدهم إلى يد الآخر وكذلك يتخذون عباد الله عبيداً لهم يسخرونهم لقضاء حاجاتهم ومصالحهم وشهواتهم إن سيرتهم أن يتخذوا الصالحين حرباً يعلنونها عليهم يحاربونهم في معاشهم وقوتهم ووجودهم بينما يتخذون الفاسقين حزباً لهم وأنصاراً يعتمدون عليهم ويوكلون الأمر إليهم على عادة الفساق والفجار ينصبون العداء للصالحين ويعيشون بود ومحبة مع الفاسدين...

ثم بين بعض تلك الأفراد والشخصيات التي خاف منها أن تتولى القيادة والولاية فأشار بقوله: فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام وجلد حداً في الإسلام، أشار به إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي تولى إمرة الكوفة في عهد عثمان وكان أخوه لأمه فشرب الخمر وتقيأها في المحراب وصلى بالناس الصبح أربعاً ثم التفت إلى المصلين قائلاً لهم: أأزيدكم وأنشد وهو في صلاته قول الشاعر: «عشق القلب الربابا».

فهجاه الحطيئة ووصلت قبائحه إلى الخليفة وشهد عليه الشهود ولم يقم أحد بإجراء الحد عليه حتى قام الإمام علي بنفسه فجلده الحد...

وأشار بقوله: وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ. أشار بذلك إلى أبي سفيان وابنه معاوية وغيرهما من المؤلفة قلوبهم حيث دفعت لهم الأموال إغراءً لهم واستمالة من أجل أن يدخلوا في الإسلام ويظهروا كلمة التوحيد ويكفوا عن محاربة المسلمين...

فإذا كان في الأمة من هذه صفاتهم فإنه عليه السلام خاف أن يتولى هؤلاء أمرها وقيادتها وزعامتها ولذا لولاهم لم يحرّض أنصاره على القتال ولم يوبخهم لتقاعسهم ولم

يجمعهم على الحرب بل كان يتركهم وشأنهم طالما رفضوا قوله وتهاونوا وتكاسلوا عن الخروج لأعدائهم... إنه يريد أن يبعث فيهم روح الجهاد بأن كل اندفاعه وثورته وتحريض أصحابه وتوبيخهم إنما كان لأجل أن يمنع السفهاء من قيادة الأمة وتولي أمرها ولولاهم لما أهانهم ووبخهم إذا رفضوا قوله وتكاسلوا عن الجهاد والخروج للحرب...

(ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تزرى وإلى بلادكم تغزى) أراد أن يثير فيهم الغيرة والحمية والدفاع عن الأرض أراد ذلك باستفهام توبيخي.

ألا ترون أيها المسلمون وأهل الحق والإيمان إلى جوانب دولتكم التي تحت حكمنا كيف تنقص شيئاً فشيئاً باستيلاء معاوية عليها واحدة بعد أخرى وكيف أن أمصارنا والأقطار التي نحكمها يفتحها معاوية لصالحه وكيف بلادكم تغزى من قبل معاوية ويغار عليها في كل حين... إنها فواجع يراها الإمام ويتألم لها فيحث أصحابه فلا يجد إلا متهاوناً أو متكاسلاً أو رافضاً...

(انفروا ـ رحمكم الله ـ إلى قتال عدوكم ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف وتبوؤوا بالذل ويكون نصيبكم الأخس وإن أخا الحرب الأرق ومن نام لم ينم عنه والسلام) أمرهم أن يخرجوا مسرعين إلى قتال عدوهم ولا يتباطؤوا أو يتكاسلوا فتكون نتيجة قعودهم أن يعترفوا بالضيم ويقروا عليه فيعودوا بالذل والهوان ويكون نصيبهم الذي يرجعون به هو الخسة والضعة والمهانة.

ثم أشار بقوله: وإن أخا الحرب الأرق، إلى أن الذي يريد أن يحارب عدوه لا ينام ولا يغمض له جفن بل يبقى يقظاً مستعداً لكل حالة طارئة ونبههم إلى أن من نام لم ينم عنه فإن أنت نمت فإن خصمك وعدوك لم ينم عنك أو يغفل عن رسم الخطط للتغلب عليك...

٦٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ الله بِنْ قَيْسٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَٱرْفَعْ ذَيْلَكَ(١)، وَٱشْدُدْ(٢) مِئْزَرَكَ(٣)، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ(٤)، وَٱنْدُبْ(٥) مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ(٦) فَٱنْفُذْ(٧)، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ(٨) فَٱبْعُدْ! وَٱيْمُ ٱللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلاَ تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ(٩) بِخَاثِرِكَ(١٠)، وَذَائِبُكَ(١١) بِجَامِدِكَ(١٢)، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ(١٣)، وَتَحْذَرَ(١٤) مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِٱلْهُوَيْنَى(١٥) الَّتِي تَرْجُو، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ(١٦) ٱلْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلَّلُ(١٧) صَعْبُهَا(١٨)، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَٱعْقِلْ عَقْلَكَ(١٩)، وَٱمْلِكْ أَمْرَكَ(٢٠)، وَخُذْ نَصِيبَكَ(٢١) وَحَظَّكَ. فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ(٢٢) إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ(٢٣) وَلاَ فِي نَجَاةٍ، فَبِٱلْحَرِيِّ(٢٤) لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ، حَتَّى لاَ يُقَالَ: أَيْنَ فُلاَنٌ؟ وَٱللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا أُبَالِي(٢٥) مَا صَنَعَ ٱلْمُلْحِدُونَ(٢٦)، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ **الذيل** : آخر الشيء وذيل الثوب ما جرّ منه إذا أسبل.

٢ ـ **شد المئزر** : أعقده أي تهيأ.

٣ ـ **المئزر** : قطعة قماش تغطي البدن.

٤ ـ الجحر	:	بالضم ثقب الحية ونحوها من الحشار.
٥ ـ أندب	:	أدع.
٦ ـ حققت	:	عزمت.
٧ ـ أنفذ	:	أمض.
٨ ـ تفشلت	:	جبنت.
٩ ـ الزبد	:	بالضم ما يستخرج بالمخض من اللبن.
١٠ ـ خثر اللبن	:	اشتد وثخن.
١١ ـ الذائب	:	ضد الجامد.
١٢ ـ الجامد	:	المتماسك الأجزاء.
١٣ ـ القعدة	:	بالكسر هيئة القعود وهو الجلوس.
١٤ ـ تحذر	:	تخاف.
١٥ ـ الهوينى	:	تصغير الهوني مؤنث أهون.
١٦ ـ الداهية	:	المصيبة، والنائبة.
١٧ ـ يذلل	:	يسهّل وذلت له القوافي سهلت وانقادت.
١٨ ـ الصعب	:	ضد السهل واللين المنقاد.
١٩ ـ أعقل عقلك	:	قيد عقلك بالعزيمة ولا تتردد.
٢٠ ـ أملك أمرك	:	استقل به واحبسه عليك.
٢١ ـ نصيبك	:	سهمك.
٢٢ ـ تنح	:	ابتعد واترك.
٢٣ ـ الرحب	:	السعة ولا رحب أي لا سعة.
٢٤ ـ الحري	:	الجدير بالشيء.
٢٥ ـ ما أبالي	:	لا أهتم ولا أعطي بالاً أي فكراً.
٢٦ ـ الملحدون	:	الكفار.

الشرح

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فإن حققت فانفذ وإن تفشلت فابعد) كان أبو موسى الأشعري ـ عبد الله بن قيس ـ والياً على الكوفة عندما خرج الإمام من المدينة لحرب أصحاب الجمل فأرسل إليه الإمام الرسل يستحثه على استنفار الناس والخروج بهم إلى حرب الناكثين ولكن الأشعري روى بعض الأحاديث التي لا أصل لها يثبط بذلك عزائم أهل

الكوفة ويقعدهم عن النهوض والخروج ويأمرهم أن يغمدوا سيوفهم وأنها فتنة لا يجوز القتال فيها فكتب له الإمام هذه الرسالة.

يشير الإمام إلى أنه قد وصله عن الأشعري قول هو له وعليه وما قاله كما يقول الشارحون: إن أبا موسى خطب بأهل الكوفة عندما استشاروه بالخروج مع الإمام قائلاً لهم: إن علياً إمام هدى وبيعته صحيحة إلا أنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة، وهذا القول أوله صحيح وآخره سخيف وذلك لأنه إذا تمت البيعة وصحّ عقدها وجب رد الفتنة وقمعها والقضاء على الخارجين على الحكومة الشرعية وأيضاً بظاهره دين وورع يرجع إلى أبي موسى ولكنه عليه لأنه يدعو إلى تثبيط الناس وتخذيلهم عن القيادة السديدة التي أوكلت إليها أمور الأمة...

ثم إنه عليه السلام أمره أن يستعد ويتهيء ويدعو الناس معه لكي يخرجوا جميعاً لحرب الناكثين نعم إن عزم على ذلك واتخذ قرار الوقوف إلى جانبه فليخرج بدون تأخير وإن بقي على موقفه من الشك والتردد وعدم اتخاذ القرار السليم في الوقوف إلى جانبه فليعلن اعتزاله عن ولاية الكوفة ويترك العمل لأهله.

(وأيم الله لتؤتين من حيث أنت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك) أقسم له عليه السلام إن بقي على شكه وموقفه المتردد ولم يحزم أمره لصالح الحكم الشرعي سوف يأتي الإمام إليه ـ في الكوفة حيث يقيم ـ ولا يتركه في رغد عيشه ودعته وإنما سيقلب عليه الأمور ويغير القضايا ويناله بالعقوبة اللازمة وقد عبر عن ذلك بقوله: «لا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك» وهما كما يقول البحراني مثلان كنى بهما عن خلط أحواله الصافية بالتكدير وعزته بذلته وسروره بغمه وسهولة أمره بصعوبته.

ولشدة ما يناله ويحل بساحته ولهول ما يرى فإن كل ذلك يشغله عن القعود مستقيماً مستريحاً كما يريد ويحب.

ثم حذره وخوفه أكثر من حيث إنه لن يفر من العقاب ولن يتخلص منه بحال بل هو مدركه لا محالة وعبر عن ذلك بقوله: «وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك» وقيل: إن موقفك المتردد الشاك يجعلنا نحن نغضب عليك وكذلك لنفس الموقف يغضب عليك الناكثون فنحن وهم في عداء معك بالغضب عليك منا جميعاً وأنت مطلوب من كلا الفريقين...

(وما هي بالهوينى التي ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذلل صعبها

ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك أمرك وخذ نصيبك وحظك) أخبره أن موقفه المشكك المتردد ليس بالأمر السهل اليسير الذي يرجو أن يمر به بسلام بل إنه مصيبة عظمى ونائبة من نوائب الدهر وعثراته وبالنسبة لنا سنستقبلها ونتحمل نتائجها ونهوّن العسير منها ونروض الصعب المتمرد ونحاول أن نتغلب عليها ولكن عليك أنت أن ترجع إلى عقلك دون هواك وأن يكون قرارك الذي تتخذه نتيجة قناعتك الخاصة وعقلانيتك السليمة وليس فيه إيحاء خارجي أو وشوشة تسمع إليها ثم خذ نصيبك وسهمك من طاعة الخلافة الشرعية والجهاد معها فإن البيعة لازمة وواجب الجهاد متعين مع صاحبها.

(فإن كرهت فتنح إلى غير رحب ولا في نجاة فبالحري لتكفين وأنت نائم حتى لا يقال: أين فلان والله إنه لحق مع محق وما أبالي ما صنع الملحدون والسلام) بعد أن بين له الإمام الصواب ودله عليه وأرشده إلى ما فيه الحق وأوضح أمامه الرؤية أمره إن لم يقبل بذلك أن يترك الولاية ويعتزلها ويقدم استقالته ويبتعد عن السلطة ولكن إلى غير هدى ولا سعة ولا هناء ولا إلى نجاة من عذاب الله وعقابه بل إلى النار وبئس القرار...

ثم استخف به قائلاً إنا نكفيك الحرب والقتال وجدير بنا أن نقوم بذلك ولا من أحد يلتفت إليك أو يهتم بك بل من شدة الاستخفاف بك أنه ليس من أحد يسأل عنك ويقول أين الأشعري ولماذا كان غائباً؟ إنك مهمل لا تعدّ في صفوف الرجال الذين يُحسب لهم حساب ويسأل عنهم إن غابوا إذ لا دور لك فوجودك وعدمك سيان...

ثم أقسم عليه السلام أن ما يقوم به من حرب الناكثين هو الحق والصواب وأن القائم به وهو نفسه محق فيما يقوم به وبعد أن يكون عليه السلام مع الحق ويقاتل على الحق فلا يهنم ولا يلقي بالاً إلى ما يقوله الجاحدون والمنكرون والمشككون والمثبطون.

قال ابن أبي الحديد في هذا المقام: ثم أقسم أنه لحق أي أنه في حرب هؤلاء لعلى حق وأن من أطاعني مع إمام محق ليس يبالي ما صنع الملحدون وهذا إشارة إلى قول النبي - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: «اللهم أدر الحق معه حيثما دار».

٦٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية، جواباً

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ ٱلأُلْفَةِ(١) وَٱلْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْس أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَٱلْيَوْمَ أَنَّا ٱسْتَقَمْنَا(٢) وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كُرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ(٣) ٱلإِسْلاَمِ كُلُّهُ لِرَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، حِزْباً.

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ(٤) بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ ٱلْمِصْرَيْنِ(٥)! وَذلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَلَيْكَ، وَلاَ ٱلْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ، وَقَدِ ٱنْقَطَعَتِ ٱلْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَٱسْتَرْفِهْ(٦)، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ ٱللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ(٧) مِنْكَ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ(٨) بَيْنَ أَغْوَارٍ(٩) وَجُلْمُودِ(١٠)

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ(١١) بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّكَ وَٱللهِ مَا عَلِمْتُ ٱلأَغْلَفُ(١٢) ٱلْقَلْبِ، ٱلْمُقَارِبُ(١٣) ٱلْعَقْلِ، وَٱلأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ(١٤) سُلَّماً(١٥) أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لاَ لَكَ، لأَنَّكَ نَشَدْتَ(١٦) غَيْرَ ضَالَّتِكَ(١٧)، وَرَعَيْتَ(١٨) غَيْرَ سَائِمَتِكَ(١٩)، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلاَ فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!!

وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ، وَتَمَنِّي ٱلْبَاطِلِ، عَلَى ٱلْجُحُودِ(٢٠) بِمُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ(٢١) حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلاَ مِنْهَا ٱلْوَغَى(٢٢)، وَلَمْ تُمَاشِهَا(٢٣) ٱلْهُوَيْنَى(٢٤).

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَٱدْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ ٱلْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ(٢٥) الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ ٱلْفِصَالِ(٢٦)، وَالسَّلاَمُ لأَهْلِهِ.

اللغة

١ ـ الألفة : الصداقة والمؤانسة.
٢ ـ استقمنا : اعتدلنا والاستقامة ضد الاعوجاج.
٣ ـ أنف كل شيء : أوله وأنف الإسلام هنا يراد به الأشراف من العرب.
٤ ـ شرّد به : طرده وفرّق أمره.
٥ ـ المصرين : الكوفة والبصرة.
٦ ـ أسترفه : أطلب الرفاهية والنعيم.
٧ ـ النقمة : العقوبة.
٨ ـ الحاصب : ريح تحمل التراب والحصى.
٩ ـ الأغوار : جمع غور المنخفض من الأرض.
١٠ ـ الجلمود : بالضم، الصخر والأحجار الصلبة.
١١ ـ أعضضته بالسيف : جعلت السيف يعضهم ويقتلهم.
١٢ ـ الأغلف : المغطى بشيء لا يظهر منه.
١٣ ـ المقارب : الضعيف الذي لم يكتمل ومقارب العقل ناقصه وضعيفه.
١٤ ـ رقيت : صعدت.
١٥ ـ السلم : ما يرتقى عليه.
١٦ ـ نشدت : طلبت، وأردت.
١٧ ـ الضالة : الشيء المفقود.
١٨ ـ رعيت : أطعمت.

١٩ ـ السائمة : الأنعام الراعية.
٢٠ ـ الجحود : الإنكار والكفر.
٢١ ـ صرعوا مصارعهم: سقطوا قتلى في مطارحهم.
٢٢ ـ الوغى : الحرب.
٢٣ ـ لم تماشها : لم تصاحبها.
٢٤ ـ الهوينى : مؤنث الهين وهو السهل.
٢٥ ـ الخدعة : مثلثة الخاء الحيلة تتغلب بها على عدوك.
٢٦ ـ الفصال : الفطام.

الشرح

(أما بعد فإنا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم واليوم أنا استقمنا وفتنتم وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً وبعد إن كان أنف الإسلام كله لرسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ حزباً) هذه الرسالة بعث بها الإمام إلى معاوية رداً على رسالة كان معاوية قد بعث بها إليه، وفيها حملة شديدة على آل أبي سفيان كما أن فيها ذكر معايبهم وخسيس صفاتهم وفي مقابل ذلك يذكر الهاشميين وبعض كريم صفاتهم.

ذكر معاوية ما كان بين الهاشميين والأمويين من الألفة والاتحاد والجماعة في القديم أيام الشرك والجاهلية والإمام لا ينكر أنهما أهل بيت واحد وهو بيت عبد مناف ولكن افترقا فيما بعد بأمور:

١ ـ إن الإسلام الذي ظهر على يد النبي المصطفى قد فرّق بينهما ففي حين آمن الهاشميون برسول الله واستسلموا لأحكام الله ففي ذلك الوقت كفر الأمويون برسول الله ولم يؤمنوا برسالته.

٢ ـ إن الهاشميين استقاموا على خط الله ورسوله واستمروا كما أراد الله لم يغيروا موقفاً ولم ينحرفوا عن سنة بينما انحرف الأمويون ولم يبقوا على خط الاستقامة والتقوى.

٣ ـ لم يُسلم الأمويون كما هو حال أبي سفيان ومعاوية وأضرابهما لم يسلموا إلا كرهاً واضطراراً خوف القتل فقد روى المؤرخون أن أبا سفيان أسلم قبل الفتح بليلة.

ثم أشار الإمام أن إسلامهم لم يكن عن إيمان وإنما كان خوفاً وفزعاً بعد أن اشتد

ساعد رسول الله وقويت شوكته وانضم إليه العرب في جميع الجزيرة عندها أسلم الأمويون. . .

(وذكرت أني قتلت طلحة والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك أمر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه إليك) رد الإمام على معاوية دعواه بأنه قتل طلحة والزبير وشرد بعائشة وأنه نزل بين المصرين الكوفة والبصرة وترك المدينة المنورة.

وقد أجابه الإمام بجواب فيه ازدراء له واحتقار يقول له فيه: إن ما وقع بيننا وبينهم لا يعنيك ولا علاقة لك به لكل ما اكتسب وعليك ما اكتسبت.

وبالحقيقة أن كل المنصفين يشهدون أن طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة قد ارتكبوا خطأ حينما بايعوا الإمام ثم نكثوا بيعته وللإمام الحق بل الواجب عليه أن يردهم إلى الطاعة ويلحقهم بالجماعة فإن أبوا جرد عليهم السيف وهكذا كان وهكذا وقع وليس لمعاوية الاعتذار ولا منه تؤخذ شهادات حسن السلوك والأداء. . .

وأما ترك الإمام لمدينة النبي ونزوله بين الكوفة والبصرة فكأنه لا يعلم المصالح الداعية للإمام لكي يخرج ولم يعلم أن الأهم يدفع المهم ويتقدم عليه ورد الخارجين وقمع الناكثين ولمّ شمل الأمة أهم بكثير من البقاء في المدينة المنورة. . .

(وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك فإن كان فيك عجل فاسترفه، فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني إليك للنقمة منك وأن تزرني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم   بحاصب بين أغوار وجلمود

وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد) هذا أغرب ما يدعيه معاوية من الباطل، إنه يهدّد علياً بالحرب وأن معه المهاجرين والأنصار ومن المتفق عليه أنه لم يكن مع معاوية في حربه ضد الإمام من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد تبعاه طلباً للدنيا أما المهاجرون فلم يذكر أحد أن أحداً منهم كان مع معاوية. . .

نعم كان معه الطلقاء وأبناءهم الذين استسلموا عام الفتح وعمرو بن العاص شريك معاوية في حربه وجريمته ولذا يردّ الإمام عليه بأن الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة يوم أسر يزيد بن أبي سفيان وفيه توبيخ لمعاوية شديد وتذكير له أنه لم يسلم مسلمهم إلا خوفاً من السيف. . .

ثم إن الإمام قابل الوعيد بالوعيد وأنه إذا كان مستعجلاً في المسير إليه فليتنعم وليأخذ قسطه من متع الحياة لأنه لن يبقى بعد المواجهة أبداً وزاد في التفصيل بأنه إذا زاره الإمام وقصده إلى حيث هو فذلك أن الله يكون قد أرسله إليه لينتقم منه ويعاقبه، وأما إذا قصده معاوية في الحرب وتوجه إليه فإنه سيستقبله بالسيوف والرماح كما تواجه رياح الصيف من يواجهها بحصائها فهي مواجهة لا يقدر على النجاة منها. . .

ثم ذكره مهدداً ومتوعداً بأن السيف الذي طال جده عتبة بن ربيعة وخاله الوليد بن عتبة وأخاه حنظلة بن أبي سفيان يوم أحد حيث قتلهم الإمام في يوم واحد ذلك السيف لا يزال بيده يعده له ويتوقع أن يناله ما نالهم بذلك السيف نفسه. . .

(وإنك والله ما علمت الأغلف القلب المقارب العقل) الذي أعلمه منك أنك محجوب القلب لا تعقل شيئاً ضعيف العقل لا يحسن التفكير أو يجيده يرميه بقلة الضمير والعقل. . .

(والأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك لأنك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه فما أبعد قولك من فعلك) الأجدر أن يقال لك وأنت به حقيق أنك صعدت سلماً فأوصلك إلى السوء فدارت الدائرة عليك وضدك وليس لك ولا لصالحك وذلك لأنك طلبت الخلافة وهي ليس لك بل هي محرمة على الطلقاء وأبناء الطلقاء.

وكذلك أنت تتعب نفسك لغيرك وتتعدى على الخلافة التي هي لي وتريدها أنت لنفسك ظلماً وكذلك طلبت الخلافة وأنت طليق ابن طليق وكذلك أنت صعلوك من صعاليك العرب ولست من علياء المسلمين وأهل السبق والقدم الثابتة في هذا الدين فما أبعد قولك عن فعلك فقولك يدور حول الطلب بثأر عثمان والاقتصاص من قتلته بينما فعلك وعملك وحركتك من أجل الخلافة والوصول إليها وتولي الأمر وركوب رقاب المسلمين. . .

(وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمد ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيماً ولم يمنعوا حريماً بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينى) إنك تشبه أعمامك وأخوالك فأنت منهم من لحمهم ودمهم وقد حملتهم التعاسة والشقاوة وسوء التوفيق وما كانوا يتمنونه من الباطل ويعملون من أجله فقادهم ذلك إلى إنكار رسالة النبي وإعلان الحرب عليه حتى قتلوا في أماكنهم المعهودة في بدر وغيرها لم يدفعوا عن أنفسهم قتلاً

ولا عن غيرهم ظلماً ولم يحاموا عن عرض أو أمر محترم لأنهم أخسأ من ذلك وأذل فإنهم لم يمنعوا ذلك بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينى يعني السيوف التي وقعت بهم نالتهم في جميع الحروب وكانت تمر عليهم سريعاً كالبرق وتحصدهم ليس فيها بطىء أو تهاون. . .

(وقد أكثرت في قتلة عثمان فأدخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال والسلام لأهله) تمرد معاوية على الحكم الشرعي ولم يكن له ما يدعم موقفه إلا دم عثمان فرفع شعار المطالبة بدمه وتسليم قتلته، طلب ذلك من الإمام دون أن يعترف بخلافته وشرعية حكمه فكان الإمام يطلب منه أولاً أن يدخل فيما دخل فيه الناس من إعطائه البيعة والاعتراف بشرعية حكمه ثم بعد ذلك يرفع الدعوى أمام القضاء فيجري الحكم على ما نص عليه كتاب الله وسنة رسوله ولكن معاوية لم يكن همه ما يرفعه من شعار ولا يريد تحقيق مضمونه والوصول إليه وإنما يرفعه من أجل أن يرفض بيعة علي ويتمرد عليه ويطلب إمارة الشام، فالشعار من أجل حكم يطلبه وليس من أجل الثأر لعثمان والانتصار له وقد شبّه الإمام فعله بخدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال: إنه يطلب أن يسلمه الإمام قتلة عثمان فكانت هذه هي الذريعة التي يتخذها لإعلان التمرد واستمرارية الحرب فهي خدعة يقدمها أمام الناس كواجهة ولكن في الحقيقة يريد الخلافة والإمارة ولذا كان يطلب من الإمام ولاية الشام وأن لا يكون له بيعة في عنقه فيقول الإمام: إن هذه خدعة يريد من خلالها رفض البيعة ثم يأخذ بالتمرد والتوسع شيئاً فشيئاً فهي تشبه فطام الطفل حيث يقرب إليه ما يرغب فيه ليعزف عن الثدي وينفر منه ونبهه الإمام إلى أن هذه الخدعة لن تمر عليه فليصرف نظره عنها. . .

٦٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ[١] لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ ٱلْبَاصِرِ[٢] مِنْ عِيَانِ ٱلأُمُورِ[٣]، فَقَدْ سَلَكْتَ[٤] مَدَارِجَ[٥] أَسْلاَفِكَ[٦] بِادِّعَائِكَ ٱلأَبَاطِيلَ، وَٱقْتِحَامِكَ[٧] غُرُورَ ٱلْمَيْنِ[٨] وَٱلأَكَاذِيبِ، وَبِٱنْتِحَالِكَ[٩] مَا قَدْ عَلاَ عَنْكَ[١٠]، وَٱبْتِزَازِكَ[١١] لِمَا قَدِ ٱخْتُزِنَ[١٢] دُونَكَ، فِرَاراً[١٣] مِنَ ٱلْحَقِّ، وَجُحُوداً[١٤] لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ[١٥] سَمْعُكَ، وَمُلِىءَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ٱلْمُبِينُ، وَبَعْدَ ٱلْبَيَانِ إِلاَّ اللَّبْسُ[١٦]؟ فَٱحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَٱشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ ٱلْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ[١٧] جَلاَبِيبَهَا[١٨]، وَأَغْشَتِ[١٩] ٱلأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ[٢٠] مِنَ ٱلْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ[٢١]، وَأَسَاطِيرَ[٢٢] لَمْ يَحُكْهَا[٢٣] مِنْكَ عِلْمٌ وَلاَ حِلْمٌ[٢٤]، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَٱلْخَائِضِ[٢٥] فِي الدَّهَاسِ[٢٦]، وَٱلْخَابِطِ[٢٧] فِي الدِّيمَاسِ[٢٨]، وَتَرَقَّيْتَ[٢٩] إِلَى مَرْقَبَةٍ[٣٠] بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ[٣١]، نَازِحَةِ[٣٢] ٱلأَعْلاَمِ[٣٣]. تَقْصُرُ[٣٤] دُونَهَا ٱلأَنُوقُ[٣٥] وَيُحَاذَى[٣٦] بِهَا ٱلْعَيُّوقُ[٣٧].

وَحَاشَ[٣٨] لله أَنْ تَلِيَ[٣٩] لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْراً[٤٠] أَوْ وِرْداً[٤١]، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عِهْداً! فَمِنَ ٱلآنَ فَتَدَارَكْ[٤٢] نَفْسَكَ،

وَٱنْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ(٤٣) حَتَّى يَنْهَدَ(٤٤) إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللهِ أُرْتِجَتْ(٤٥) عَلَيْكَ ٱلأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ آن : قرب وحان.
٢ ـ اللمح الباصر : النظر الصحيح.
٣ ـ عيان الأمور : مشاهدتها ومعاينتها.
٤ ـ سلكت : دخلت.
٥ ـ المدارج : المسالك والطرائق.
٦ ـ الأسلاف : المتقدمون من الآباء والأجداد.
٧ ـ الاقتحام والإقحام : الدخول في الشيء بسرعة ومن غير رويّة.
٨ ـ المين : الكذب.
٩ ـ الانتحال : ادعاء ما ليس له.
١٠ ـ ما قد علا عنك : ما هو أرفع منك.
١١ ـ الابتزاز : الاستلاب.
١٢ ـ اختُزن : أي مُنع دون الوصول إليك.
١٣ ـ فراراً : هروباً.
١٤ ـ الجحود : الإنكار لما يعلم.
١٥ ـ وعاه : سمعه وفهمه.
١٦ ـ اللبس : الاختلاط والإبهام.
١٧ ـ أغدفت : أرسلت.
١٨ ـ الجلابيب : جمع جلباب الثوب الأعلى.
١٩ ـ العشاء : ظلمة العين وامتناعها من الرؤية السليمة.
٢٠ ـ الأفانين : الأساليب المختلفة.
٢١ ـ السلم : ضد الحرب.
٢٢ ـ الأساطير : الأباطيل، الخرافات التي لا يعلم لها منشأ.
٢٣ ـ حاكه : نسجه وألفه.
٢٤ ـ الحلم : بكسر الحاء العقل.
٢٥ ـ خاض الماء : دخل فيه.

٢٦ ـ الدهاس	:	كسحاب أرض رخوة ليس تراباً ولا رملاً ولكن منهما يعسر فيها السير.
٢٧ ـ الخابط في سيره	:	الذي لا يهتدي.
٢٨ ـ الديماس	:	المكان المظلم تحت الأرض.
٢٩ ـ ترقيت	:	ارتفعت.
٣٠ ـ المرقبة	:	مكان الارتقاب، موضع عال مشرف يرتفع إليه الراصد.
٣١ ـ المرام	:	المراد والمطلوب.
٣٢ ـ نازحة	:	بعيدة.
٣٣ ـ الأعلام	:	جمع علم وهو ما ينصب ليهتدى به.
٣٤ ـ تقصر	:	من قصر عن الشيء إذا لم يبلغه.
٣٥ ـ الأنوق	:	طائر مكانه في رؤوس الجبال الصعبة والبعيدة.
٣٦ ـ يحاذى	:	يساوي ويقابل.
٣٧ ـ العيوق	:	نجم معروف مكانه فوق زحل.
٣٨ ـ حاشا لله	:	معاذ الله.
٣٩ ـ تلي	:	تتقلد وتتولى.
٤٠ ـ الصدر	:	الرجوع بعد الشرب.
٤١ ـ الورد	:	الإشراف على الماء وإتيانه.
٤٢ ـ تدارك الشيء	:	تلافاه.
٤٣ ـ فرطت	:	قصّرت وفرط بالشيء ضيعه وبدّده.
٤٤ ـ ينهد	:	ينهض.
٤٥ ـ أرتجت	:	أغلقت.

الشرح

(أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما قد اختزن دونك فراراً من الحق وجحوداً لمن هو ألزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملىء به صدرك) هذه من جملة رسائل الإمام إلى معاوية جواباً له عما كان قد بعث به إليه يقول له فيها: فكما أن المبصر للأشياء والمدرك لها على حقيقتها منتفع بها ومتثبت من وجودها فانتفع أنت بما تعرفه بالضرورة من حقي في الخلافة وبراءتي من دم عثمان وأعترف بذلك ولا تكابر.

ثم بين له السبب من عدم رؤيته للحق بأنه قد سار على ما سار عليه آباؤه أبو سفيان وعتبة وغيرهما من الأمويين فهم قد حاربوا رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وأرصدوا للدين والشريعة كل شر وسوء ومعاوية لم يخرج عن طريقتهم ولم يعدل عن سيرتهم فقد ادعى الأباطيل الكاذبة من حيث اتهم الإمام بقتل عثمان وكذلك ادعى أنه هو ولي دمه ولذا طلب من الإمام أن يسلمه القتلة. . .

وكذلك منعه من رؤية الحق والعمل به «اقتحامك غرور المين والأكاذيب» فلا يخاف الله أو يخشاه بل يبادر إلى الكذب والدجل ويختلق من الأمور ما لا واقع له ولا أصل ويحيك المؤامرات دون وازع من دين أو ضمير.

وكذلك منعه عن رؤية الحق ومشاهدته «وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما قد اختزن دونك» فأنت تطلب الخلافة مع أنك تقصر عنها ولا تبلغها ولست من أهلها، أنت صعلوك من صعاليك العرب تطلب ما لا تحلم به وما لست من شأنه، وأنت تسلب البيعة من أهل الشام وتأخذها لنفسك ممن هم تحت يدك وفي حكمك وتسمي نفسك أمير المؤمنين.

ثم بين له أن ما فعله إنما كان من أجل أن يهرب من مر الحق والدين وحباً للشقاق والتغلب وكفراً لما هو ألزم له من لحمه ودمه وبين ذلك الشيء بأنه قد سمعه بأذنه واعتقده في قلبه وهو ما كان يقوله النبي في حق الإمام حيث سمع المسلمون قاطبة ومنهم معاوية قوله: «ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه» وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وقوله: «لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» وهكذا.

(فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين وبعد البيان إلا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها) فالأمور على نحوين: هدى وضلال وحق وباطل فمن لم يكن على الهدى فهوعلى الضلال وإذا رفض معاوية حق عليّ وأبى أن يقبله فليس له إلا الباطل بعد رفضه الحق وليس بعد ما قدمه النبي من البيان الواضح والدلائل الجلية إلا الالتباس والاشتباه وعدم الوضوح في الرؤية. . .

ثم حذره من الشبهة وخوّفه من احتوائها على ما يضل ويضر حذره من أن يدعي أنه عليه السلام هو الذي قتل عثمان كما حذره من المطالبة بقتلته لأن هذه شبهة يقدمها أمام

الناس ويشوه بها الحقيقة عليهم ظناً منهم أنه صادق ولكنه يريد أن يصطاد بها القلوب الضعيفة.

ثم بين أن الفتنة إذا وقعت بين الناس وأضحى قميص عثمان هو الراية التي يرفعها أمامهم ويحركها كلما سكنوا فإن العيون لا تعود تبصر الحقيقة لشدة الغشاوة عليها والظلمة التي تكتنفها وتحيط بها. . .

(وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم أصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس) بيّن عليه السلام أنه قد وصله من معاوية كتاب مختلف في نفسه، فيه التناقض والتباين والأمور المخالفة للإسلام التي لا تصدر من مسلم.

قال ابن أبي الحديد: وكان كتب إليه يطلب منه أن يفرده بالشام وأن يوليه العهد من بعده وألا يكلفه الحضور عنده وليس لتلك الطلبات والدعاوي والشبهات التي تضمنها كتابك من القوة ما يقتضي أن يكون المتمسك به مسلماً لأنه كلام لا يقوله إلا من هو كافراً أو منافق أو فاسق. . .

ثم بين صفات الكتاب إنه «أساطير لم يحكها منك علم ولا حلم» إنها أباطيل وخيالات لا حقيقة لها كتبها ونظمها من لا علم له ولا عقل عنده ثم شبه حركته التي يتخبط بها كالماشي في أرض تغور فيها الرجل ولا تستقر أو كالماشي في الليل المظلم فهو يتعثر في مشيته وكلما نهض وقع ولا يهتدي الطريق.

(وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام، نازحة الأعلام تقصر دونها الأنوف ويحاذى بها العيوق) لقد صعدت إلى مكان رفيع لا تستطيع الوصول إليه فأنت تطلب الخلافة وتريدها ولكن لا تقدر أن تصل إليها، إنها بعيدة عنك جداً لا تصل يدك إليها فهي بمنزلة النجم وأنت تحاول إدراكه أو بمنزلة الأنوق وهي الرخمة التي لا يمكنك أن تدركها بحال ولا أن تصل إليها لعلو مكانها وكذلك الأمر الذي تطلبه. . . وبعبارة مختصرة إن طلبك للخلافة أمر غير مقدور لك فكما لا تستطيع أن تتناول النجم أو تصل إلى الذروة العالية فكذلك الخلافة بالنسبة إليك. . .

(وحاشا لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً أو أجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً) أعوذ الله وأستجير به وأستغفره أن أجعلك والياًعلى أمر من أمور المسلمين بعدي أو أجعلك تحل لهم أمراً أو تعقده ولن أجعل لك على أحد من المسلمين سبيلاً ولن أمكنك من التسلط عليهم والاستيلاء على أمورهم.

(فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فإنك إن فرّطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمراً هو منك اليوم مقبول والسلام) انظر إلى نفسك فاحفظها من التلف وقها الهلاك وقرّبها من الله فإن تأخرت ولم تسرع لما قلته لك وبقيت على موقفك الرافض حتى ينهض إليك المجاهدون وعباد الله الصالحين فعندها تقفل الأبواب في وجهك ولن تستطيع أن تخرج من الأزمة أو تتحلل من الشدة لأن قبضاتهم قوية ومتينة وشديدة لن تستطيع أن تهرب منها فإن أنت عدت إلى الصواب والرشاد وتبت عما ظلمت وأجرمت قبل ذلك منك الآن أما إذا بقيت على تمردك مصراً على المعصية والانحراف فلن يقبل ذلك منك فيما بعد عندما تقع بين أيدي المجاهدين فانظر لنفسك وادفع عنها السوء والعذاب. . .

٦٦ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس، وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ(١) لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ(٢)، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ(٣)، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ(٤) فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ(٥) لَذَّةٍ(٦) أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ(٧)، وَلكِنْ إِطْفَاءُ(٨) بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ. وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ(٩) عَلَى مَا خَلَّفْتَ(١٠)، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ.

اللغة

١ ـ المرء : مثلثة الميم الإنسان جمعه رجال من غير لفظه.
٢ ـ فات : الأمر مضى وذهب وقت فعله، عدم إدراك الشيء.
٣ ـ أصاب : أدرك.
٤ ـ نلت : أدركت وأصبت.
٥ ـ بلغ : وصل وبلغ لذته أدركها وأصابها.
٦ ـ اللذة : جمعها لذات الشهوات وما يلائم النفس وتشتهيه.
٧ ـ الغيظ : أشد الغضب وسورته.
٨ ـ أطفأ النار : أخمدها.
٩ ـ الأسف : الحزن والتلهف.
١٠ ـ خلّفت : تركت.

الشرح

(أما بعد فإن المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ

ولكن إطفاء باطل أو إحياء حق وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت) هذه الرسالة بعث بها الإمام إلى ابن عباس وقد تقدم نظيرها إلا بتبديل يسير ومفاد هذا الكتاب:

إن الإنسان يفرح بما يدركه ويحصل عليه ويجد لذة فيما وصل إليه كما أنه إذا أراد شيئاً ولم تساعده ذات يده عليه أو حال القدر دونه فإنه يحزن ويتأثر مع أن كل شيء بقدر الله وقضائه وقد قال تعالى: ﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم**﴾[1] وبعد هذه المقدمة أراد أن يدخل فيما يريد بيانه له ويعظه فيه فأشار عليه أن لا يجعل كل همه وعمله وشغله وحركته في لذة يصيبها لنفسه من الدنيا أو يشفي مرض غضبه بالاقتصاص من أعدائه والانتقام منهم بل يجب أن يكون كل همه وشغله الشاغل له أن يمحق باطلاً ويزيله من الوجود أو ينشر حقاً ويبسطه في الوجود فإن أعظم أهداف الكبار أن يميتوا باطلاً ويحيوا حقاً...

ثم بين له بأي شيء يكون الفرح والسرور، يجب أن يكون سرور الإنسان بما يقدمه من عمل طيب وكلمة مفيدة وموقف شريف ينفعه ذلك يوم القيامة، ويجب أن يحزن الإنسان ويتأسف على ما يترك من أموال وتراث لأنه لا يستفيد منه لنفسه شيئاً وإنما الذي يستفيد الوارث فإن كان صالحاً نظر لنفسه وإن كان مسيئاً كان معيناً له على إساءته...

ثم وجهه إلى أن يكون كل همه فيما بعد الموت من جنة ونار وحساب وعقاب وعلى كل إنسان أن يعمل لذلك اليوم فيصلح عمله وما ينفعه يوم الحساب...

(١) سورة الحديد، آية/ ٢٣.

٦٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللهِ(١)، وَٱجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ(٢)، فَأَفْتِ(٣) ٱلْمُسْتَفْتِيَ(٤)، وَعَلِّمِ ٱلْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ ٱلْعَالِمَ(٥). وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ(٦) إِلاَّ لِسَانُكَ، وَلاَ حَاجِبٌ(٧) إِلاَّ وَجْهُكَ. وَلاَ تَحْجُبَنَّ(٨) ذَا حَاجَةٍ(٩) عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ(١٠) عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا(١١) لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا.

وَٱنْظُرْ إِلَى مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ ٱللهِ فَٱصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ(١٢) مِنْ ذَوِي ٱلْعِيَالِ(١٣) وَٱلْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ ٱلْفَاقَةِ(١٤) وَٱلْخَلاَّتِ(١٥)، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فَٱحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلاَّ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ فَٱلْعَاكِفُ: ٱلْمُقِيمُ بِهِ، وَٱلْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. وَفَّقَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ(١٦)، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ **أيام الله** : أيام الانتقام من الماضين.

٢ ـ **العصرين** : الغداة والعشي.

٣ ـ **أفتى فلاناً في المسألة** : أبان له الحكم فيها وأخرج له فيها الفتوى.

٤ ـ استفتى العالم في المسألة	:	طلب أن يفتيه فيها .
٥ ـ ذاكر العالم	:	تباحث معه وحاوره .
٦ ـ السفير	:	الرسول .
٧ ـ الحاجب	:	البواب وربما خصّ ببوّاب الملوك .
٨ ـ لا تحجبن	:	لا تمنعن من الدخول .
٩ ـ الحاجة	:	الطلبة وما يحتاجه الإنسان ويفتقر إليه .
١٠ ـ ذيدت	:	دفعت ومنعت .
١١ ـ وردها	:	بالكسر وورودها .
١٢ ـ قبلك	:	بكسر ففتح أي عندك وإلى جهتك .
١٣ ـ عيال الرجل	:	أهله الذين يتكفل بإعالتهم ومعاشهم .
١٤ ـ الفاقة	:	الفقر الشديد .
١٥ ـ الخلات	:	جمع الخلة بفتح الخاء الحاجة .
١٦ ـ المحاب	:	بفتح الحاء مواضع محببه من الأعمال الصالحة .

الشرح

(أما بعد فأقم للناس الحج) رسالة توجيهية إلى أمير الحاج قثم بن العباس يبين له كيف يتعامل مع تلك الوفود القادمة وكيف يوجهها . . .

ابتدأ بوصيته بإقامة الحج للناس وإقامته لهم بشروطه وأجزائه ومواقفه وتعليمهم مناسكه وأفعاله . . .

(وذكرهم بأيام الله) عظهم بما مرّ على الناس قبلهم من النعم والنقم والمصائب والنكبات والخيرات والبركات فتحصل الرغبة في الخير والبعد عن الشر .

(واجلس لهم العصرين فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم) اجلس للناس في هذين الوقتين وقت الصبح ووقت العشاء فإنها أطيب الأوقات في الحجاز وتتقبل الناس فيهما ما تعطيهم من العلم وما تعظهم به .

ثم قسم مجلسه بين من يريد أن يعرف أحكام دينه فيعرّفه معالم الحلال والحرام ويرد على مسائل من استفتاه وقسم ثاني من أوقاته يكون لتعليم الناس الذين لا تربطهم بالإسلام رابطة قوية فيعلمهم الدين وأحكامه ومفاهيمه وتشريعاته وقسم ثالث من أوقاته

يكون للمذاكرة مع العلماء ومحاورتهم والوقوف على آرائهم حتى يصل من خلال المناقشة إلى وجه الصواب فيما يذهب إليه ويرتئيه. . .

(ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك) اجعل حاجات الناس معك مباشرة وإذا أردت حاجة من أحد فواجه صاحبها بدون وسائط فإن الحاجب يمنع أصحاب الحاجات من إيصالها إليك والسفير قد لا يوصل مرادك إلى من ترسله. . .

(ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها) إذا كان لأحد حاجة عندك فاستقبله بها مباشرة ولا تدافعه أو تأخر تنجيزها أو تسوّف في قضائها وعلل ذلك بأنه إذا سوفها ثم قضاها لم يحمد على فعلها لأن لذتها وأجرها يحصل كما قيل في تعجيلها وتصغيرها وسترها فإذا أخر قضاءها فقدت لذتها وبهجتها.

(وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا) أمره أن يقوم بالمال الذي جمعه باسم الله من الفيء والخراج والجزية المضروبة على أهل الذمة وغير ذلك من الضرائب الشرعية المفروضة أمره عندما تجتمع عنده أن يوزعها على أهل بلده ومن هم في ناحيته وتحت سلطانه وحكمه وليكون هؤلاء من أصحاب العيال الذين ينوؤون بالأولاد والأيتام والأرامل ومن أصحاب المجاعة والحاجة وأهل الفقر متوخياً أشد الناس حاجة وأولاهم بالنفقة وإذا فضل شيء من هذا المال عن هؤلاء المحتاجين وأصحاب الفاقة فليدفعه إلى الإمام ليوزعه على مستحقيه ممن هم عنده وهكذا تكون الطريقة العادلة تجمع الصدقات والأموال العامة في هذه البلدة فتعطى للفقراء فإن لم يكن ثمة فقراء تنقل عندها إلى غيرها من البلاد. . .

(ومر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجراً فإن الله سبحانه يقول: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج إليه من غير أهله وفقنا الله وإياكم لمحابه والسلام) في نهاية الرسالة يأمره أن ينهى أهل مكة وسكانها المقيمين فيها عن أخذ الإجرة ممن يسكن بيوتها واستدل على ذلك بالآية الكريمة وقد وقع الخلاف في جواز بيع بيوت مكة وإجارتها والصحيح من مذهبنا جواز ذلك وما ذكره الإمام هنا من منع البيع محمول على الاستحباب. . .

ثم في النهاية دعى الله أن يوفقه وإياه إلى ما يحبه ويرضاه من أعمال الخير والبر. . .

٦٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ ٱلْحَيَّةِ(١): لَيِّنٌ مَسُّهَا(٢)، قَاتِلٌ سُمُّهَا(٣)، فَأَعْرِضْ(٤) عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالاَتِهَا(٥)، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونَ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا ٱطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ(٦) عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ(٧) أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ(٨)! وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ الحية	:	هي الحشرة المعروفة السامة وتطلق على الذكر والأنثى ويميز بينهما فيقال هذا حية وهذه حية أنثى.
٢ ـ ليّن مسها	:	ناعم لمسها.
٣ ـ السم	:	بتثليث السين مادة قاتلة إذا دخلت جوف الإنسان.
٤ ـ أعرض عنه	:	اتركه واضرب عنه صفحاً.
٥ ـ تصرف حالاتها	:	تغير حالاتها.
٦ ـ أشخصته	:	نقلته وذهبت به.
٧ ـ إيناس	:	من الأنس وهو ضد الوحشة.
٨ ـ إيحاش	:	من الوحشة التي هي ضد الأنس.

الشرح

(أما بعد، فإنما مثل الدنيا مثل الحية: لين مسها قاتل سمها) سلمان الفارسي نسبة إلى فارس (إيران) عاش في الجاهلية وعاش في الإسلام وقد أخلص

للإسلام ولرسول الله ولأهل بيته وكان أحد الأركان الذين أعطوا الولاء للإمام كما كان من الزهد بمكان رفيع والإمام هنا يكتب إليه هذه الرسالة مذكراً له بالدنيا ومساويها وكيف يستطيع أن يخرج الإنسان منها بتجارة رابحة ورأس مال وفير.

ابتدأ عليه السلام بذكر الدنيا وشبهها بالحية من جهة أن الحية ناعم مسها ومَنْ وضع يده عليها شعر بالنعومة ولكن ضمن هذه النعومة سماً قاتلاً وكذلك الدنيا فإن عيشها رغيد وملذاتها طيبة وشهواتها مرغوبة تدفع الإنسان إلى الميول والهوى ولكن عاقبة ذلك العذاب والهوان والخلود في النار...

(فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها) وجه إليه نصائح عدة وهذه هي النصيحة الأولى أمره أن يجانب ويترك ما يعجبه منها من ملذات وشهوات ومال وعقار وعلل ذلك بقلة ما يصحبه منها إلى الآخرة فإن هذه كلها تبقى في الدنيا ولا يأخذ منها صاحبها شيئاً بل ربما بقيت تبعتها عليه إن أخذها من غير مواردها المشروعة المحللة...

(وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها وتصرف حالاتها) ألق عنك ما يهمك منها ويشغل بالك فلا تعيش الهم والغم والقلق المستمر منها وعليها لأن كل ذلك ينقضي ويتصرم بفراقها والخروج منها وحالاتها المتغيرة من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء كلها تنقضي وتزول عندما تطوى صحيفة هذا الإنسان من الدنيا ويتركها بالموت إلى الآخرة...

(وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها) أي احذر الدنيا أشد الحذر عندما تكون في أحسن حالاتك أنساً لأن ساعة الأنس تنسي الآخرة فينحرف الإنسان عن الهدى فيجب أن يكون حذراً جداً في تلك الحالات لئلا تزل به القدم أو تقذف به الدنيا إلى ضد ما هو فيه فيتحول سروره إلى حزن وسعادته إلى شقاء.

(فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور أو إيناس أزالته عنه إلى إيحاش والسلام) وكأن هذا تعليل لوجوب أشد الحذر عندما يكون أشد أنساً بها وسروراً بما فيها وذلك أنه وهو في أشد حالاته سروراً في ملك أو سلطان أو مال أو جاه وإذا بالدنيا تزيل عنه المال وتسلب منه السلطان وتضعه بعد ذلك الجاه.

وإذا كان مستأنساً بأمر ربما حولته عنه إلى وحشة قاتلة فربما استأنس بالزوجة أو الولد فإذا بملك الموت يقبضهما فيحول ذلك الأنس إلى وحشة وهمّ وغم...

ترجمة سلمان الفارسي أو (سلمان المحمدي).

هذه سطور من سيرة صحابي من صحابة رسول الله وبطل من أبطال الإسلام، سيرة رجل يعد في الرعيل الأول من حملة الدعوة الإسلامية، إنه الرجل الذي ترقّب فجر الدعوة الإسلامية وانضم إليها بمجرد أن سمع لها في هذه الدنيا كلمة وتحركت بها الشفاه هذا هو سلمان الفارسي أحد الأركان الإسلامية الذي أحب الله ورسوله وأهل بيت محمد حباً لم يخامره شك ولم يعترضه ارتياب، وبالرغم من قلة السير التي تستوعب حياة هذا البطل وبالرغم من الخفاء لقضايا كثيرة من سيرته كان من الواجب الكشف عنها وإماطة الستر عن وجهها بالرغم من ذلك سوف نستعرض ما أمكننا الكشف عنه من حياة هذا العظيم من أبناء أمتنا التي قدمتها الشريعة نموذجاً تفتخر به وتعتز بأمثاله من الأبطال.

اسمه قبل الإسلام: روزبة بن خشنودان.

بلده: رام هرمز أو أصفهان.

لا بد لنا من إلمامة سريعة نستعرض فيها حياة هذا العظيم قبل دخوله في الإسلام لنرى سيرته حيث تلقى إلينا بإشعاعات عن نفسيته وصفاته التي يتمتع بها ونحن إذا أخذنا تاريخ حياته السابقة على الإسلام إذا أخذنا ذلك من نفسه يكون أفضل وأضبط وأحسن وهو الثقة الذي لا يشك في صدقه. كنت من أحب عباد الله إليه ـ إلى أبيه ـ فما زال في حبه إياي حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار التي نوقدها فلا نتركها تخبو وخرجت يوماً فمررت بكنيسة للنصارى فسمعت صلاتهم فيها فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلم أزل عندهم وأعجبني ما رأيت من صلاتهم وقلت في نفسي هذا خير من ديننا الذي نحن عليه فما برحتهم حتى غابت الشمس فقال أبي: أين كنت؟ قلت: إني مررت على أناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من أمرهم وصلاتهم ورأيت أن دينهم خير من ديننا فقال لي: أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم قلت له: كلا والله، قال: فجفاني وجعل في رجلي حديداً وحبسني.

من هنا تبدأ رحلة جديدة في عالم الروح إنه اعتقاد جديد يريد أن ينتقل إليه روزبة ينتقل إليه عن اعتقاد وإيمان لا عن هوس وطيش وحباً بالتغيير وهنا أحب أن يغذي روحه ويخلص من المجوسية وتبعاتها فلذا فكر في الأمر وسأل عن أصل هذا الدين ـ النصرانية ـ فقالوا له: في الشام قال: وأرسلت إلى النصارى أخبرهم إني رضيت أمرهم وإذا قدم عليكم ركب من الشام فأذنوني، فقدم عليهم ركب من التجار فأرسلوا إليّ

فأرسلت إليهم إن أرادوا الرجوع فأذنوني فلما أرادوا الرجوع أرسلوا لي فرميت بالحديد من رجلي ـ وكان قد كبّله أبوه به ـ ثم خرجت معهم إلى الشام فلما قدمت سألت عن عالمهم قيل لي: صاحب الكنيسة فأتيته فأخبرته خبري وقلت له: إني أحب أن أكون معك وأتعلم منك فإني قد رغبت في دينك قال: أقم.

روزبة وراهب الكنيسة:

يقول روزبة وكان ـ الراهب ـ رجل سوء في دينه(١) وكان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه الأموال اكتنزها لنفسه حتى جمع سبع قلال دنانير ودارهم ثم مات فاجتمعوا ليدفنوه قلت لهم: إن صاحبكم رجل سوء وأخبرتهم ما كان يصنع قالوا: ما علامة ذلك؟ فأخرجت القلال مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوها قالوا: والله لا نعيبه ثم صلبوه على خشبة ورجموه بالحجارة وجاؤوا بآخر فجعلوه مكانه قال روزبة: فما رأت رجلاً أعظم رغبة في الآخرة ولا أزهد في الدنيا ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه فأحببته حباً كثيراً، فلما حضره قدره قلت له: إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى فماذا تأمرني وإلى من توصي بي؟ قال: أي بني ما أرى أحداً من الناس على مثل ما أنا عليه إلا رجلاً بالموصل فأما الناس فقد بدلوا وهلكوا.

وسار روزبة إلى الموصل: فلما وصلها أخبر كاهنها الخبر ووصية راهب دمشق فقال له: أقم فأقام ما شاء الله ثم دنت الوفاة من الراهب فقال روزبة ما قاله للراهب السابق: ماذا تأمرني وإلى من توصي بي فقال له الراهب: أي بني والله ما أعلم أحدنا على أمرنا إلا رجلاً بنصيبين فالتحق به فالتحق به وأقام معه ما شاء الله حتى دنت الوفاة فقال روزبة له: إلي من توصي بي قال: أي بني والله ما أعلم أحداً من الناس على ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ولحق روزبة بعد وفاة هذا الراهب براهب عمورية فمكث عنده ما شاء الله ثم حضرته الوفاة فقال له روزبة: إلى من توصي بي؟ فقال له: أي بني والله ما أعلم أنه أصبح على وجه الأرض يدين بمثل ما ندين به، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم يخرج من أرض مهاجرة وقرارة ذات نخل بين حرتين وأن به آيات لا تخفى إنه لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية وبين كتفيه خاتم النبوة.

ولما مات الراهب أخذ روزبة يفتش عن بلدة تقع بين حرتين وبعد تفكير طويل اهتدى إليها إنها طيبة، إنها المدينة وأراد الرحيل من عمورية وتحين الفرص أن ترحل قافلة إلى المدينة ليرحل معها وهؤلاء ركب من بني كلب يريدون المدينة وخرج روزبة

(١) وينص القرآن (أن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل (٣٤ التوبة).

معهم ولكن نفوس القوم طمعت بالأموال فاسترقت روزبة الحر وعندما وصل روزبة إلى المدينة آمن أنها هي البلدة التي بين حرتين وباعه بنو كلب من رجل يهودي وتداوله بضع عشر رباً وبينما كان روزبة يؤبر نخلاً لسيده إذ دنى ابن عم سيده وقال: قاتل الله بني قيلة قد اجتمعوا على رجل بقباء قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبي: وهنا روزبة رقصت كل جوارحه وأراد الاستفهام أكثر ولكن سيده لكمه وأمره بالرجوع إلى عمله، رجع روزبة ولكن الشوق يحدوه لاستقصاء الخبر والوقوف على حقيقته وصمم بينه وبين نفسه أن يختبر الأمر وأن يمتحن هذا الإنسان بما لديه من العلامات وهنا جمع بعض التمرات ثم قدم على النبي وكان رسول الله جالساً مع أصحابه فاقترب روزبة وقال: بلغني أنك رجل صالح وأن لك أصحاب غرباء محتاجون وهذا شيء جمعته للصدقة وأنتم أحق به من غيركم وأمسك النبي والنفر من بني هاشم وقال لأصحابه كلوا ثم رجع في اليوم الثاني وقدم بعض التمرات قائلاً هذه هدية فأكل النبي وبنو هاشم وهنا أيقن روزبة أنه هو النبي الموعود هو نفسه الذي أخبره به راهب عمورية ولكن بقيت علامة يريد أن يتأكد منها كي تطمئن نفسه ويرتاح ضميره وهنا استدعاه النبي وقال له: تريد خاتم النبوة قال له روزبة: نعم فكشف له الرسول عن خاتم النبوة بين كتفيه هناك هوى روزبة على قدمي النبي وقال: آمنت بنبوتك أنت الرسول وعندها قال النبي: كان اسمك روزبة والآن أسميتك سلمان.

وعاد سلمان بعد إيمانه بالنبي عاد إلى سيده اليهودي وكان النبي قد أمره أن يكاتب سيده ليفكه من أسر العبودية يقول سلمان: فسألت صاحبي ذلك فلم أزل به حتى كاتبني على أن أجني له ثلاثماية نخلة أو أربعماية نخلة نصفها حمراء والآخر صفراء وأربعين أوقية من ورق[1].

وهنا برزت معجزة النبي وشاء الله أن يكون سببها سلمان، هنا أمر النبي أن يحفر للفسيل فحفر له أربعماية موضع ووضع النبي بنفسه تلك الشجرات فكبرت وأينعت إلا واحدة لم تعطِ قال النبي من وضعها قيل: عمر فاقتلعها رسول الله وغرسها بيده فاطعمت لوقتها ودفع النبي إليه بمثل البيضة من ذهب وقال لسلمان: اذهب بهذه عنك فأداها سلمان وتحرر من ربق العبودية، وبهذا انتهت مرحلة من حياة بطلنا عرفنا فيها كيف تنقل سلمان من دين إلى دين ومن رجل إلى رجل حتى وصل إلى المدينة ثم عرفنا كيف تم إسلامه وكيف تحرر وهذه هي مرحلة من مراحل حياة هذا البطل تعطينا الصورة الكاملة

---

(١) الورق: الفضة.

العظيمة لنفس تبحث عن الحق تبحث عن الدين الصحيح والشريعة الإلهية التي أرادها الله للناس.

عرفنا كيف أن نفس سلمان دائماً تواقة إلى سمو الروح وعلو الإيمان عرفنا كيف بحث هذا الإنسان حتى توصل إلى الحقيقة الصحيحة وإلى رسول الإسلام، فأسلم على يديه والآن نريد أن نعرف عن دوره الآخر دوره في ظل الإسلام. . .

سلمان يشير بحفر الخندق: لقد كانت غزوة أحد تجربة مرة على المسلمين إذ كلفتهم ثمناً غالياً ولكنها كانت تجربة أعطتهم درساً كبيراً وعظيماً وأراد المسلمون الاستراحة بعدها ولكن أبا سفيان جمع الجموع وأراد أن يغزُ المدينة ويقضي على محمد ودعوته وأتباعه فجمع أبو سفيان الأحزاب وقرر غزو المدينة وشعر النبي بالخطر وهنا أشار سلمان الذي مرّ بتجارب الفرس والروم أشار قائلاً كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا ووقع هذا الرأي موقع القبول من النبي وقرّر رسول الله التنفيذ.

سلمان منا أهل البيت: قرر النبي أن يضرب خندقاً يمنع الأحزاب من الوصول إلى المسلمين فقرر لكل عشرة أربعين ذراعاً وتنافس المسلمون في سلمان فقال المهاجرون: سلمان منا وقال الأنصار: سلمان منا ولكن النبي الذي يعرف مكانة سلمان وشرفه ومنزلته أبى أن يكون مع أحدهما وأعطاه وساماً يضمه إلى قافلة عظيمة وإلى رتبة تتصاغر عندها الرتب قطع النبي نزاع الخصمين حيث قال: سلمان منا أهل البيت أكرم بسلمان حيث ينضم إلى أهل البيت ما أعظمه من فخر وما أكبر المنتمى إليه وقد كان أهل البيت يحافظون على هذه النسبة لسلمان ويردون من يقول سلمان الفارسي بقولهم: سلمان المحمدي ذاك منا أهل البيت.

سلمان يأكل من عمله: إن سلمان الذي تشبع بالروح الإسلامية لم يكن ليأكل من عطائه الذي كان يخرج له بل كان يحب أن يأكل من عمل يديه ولذا نراه يشتري خوصاً بدرهم فيعمله ويبيعه بثلاثة دراهم فينفق درهماً ويتصدق بدرهم ويشتري بدرهم خوصاً.

ونراه كذلك وهو أمير على المدائن وبيده الأموال يعمل بهذا الخوص ويعيش من كده وسعيه ولم يكن عنده إلا عباءة يفرش بعضها ويلتحف بالآخر ولم يكن له بيت وإنما يستظل بالجدر والشجر وينقل أن سلمان كان أميراً على المدائن فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله معه حمل تين وعلى سلمان عباءة فقال لسلمان: تعال احمل وهو لا يعرف سلمان فحمل فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير، قال: لم أعرفك فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك.

وقد تولى سلمان إمارة المدائن من قبل عمر بن الخطاب وعمر مع ما يعرف عنه من محاسبته لعماله ومقاسمتهم لأموالهم وضربهم بالدرة نجد الأمر بالنسبة إلى سلمان على عكس ذلك بل عندما يتوجه سلمان إلى المدينة يقول عمر لجلسائه: اخرجوا بنا نتلقى سلمان وكان سلمان إذا خرج عطاؤه كما يحدث صاحب الإصابة حيث يقول: وكان سلمان إذا خرج عطاؤه تصدق به وينسج الخوص ويأكل من كسب يده.

والله ما أبكي من الموت: مرض سلمان فدخل عليه سعد بن أبي وقاص فبكى سلمان فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله توفي رسول الله وهو عنك راضٍ وتلقى أصحابك وترد عليه الحوض قال سلمان: والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن رسول الله عهد إلينا فقال: ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وحولي هذه الأساود فعدد ما حوله فإذا هو جفنة ومطهرة أو إجانة.

سلمان والشيعة: إن الشيعة لم تكن طائفة دخيلة على الإسلام بل هي الإسلام الصحيح وأن باذر هذه البذرة هو رسول الإسلام محمد بن عبد الله يقول السجستاني: إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة وهم: أبو ذر وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر.

وإن عمار كان من أوائل المسلمين إذن فالشيعة كانت هي والرسالة يمشيان سوياً وقد اعتمد هؤلاء الأبطال على النص الوارد من النبي في حق علي فلذا كانوا يتولون علياً ويمشون على سيرته.

وقد قال صاحب تفسير الدر المنثور في تفسير قوله سبحانه وتعالى: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** قال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فقال النبي لعلي (ص): والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.

٦٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ وَٱسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ(١) مِنَ ٱلْحَقِّ، وَٱعْتَبِرْ(٢) بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ(٣) مُفَارِقٌ. وَعَظِّمِ ٱسْمَ ٱللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ ٱلْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ(٤). وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ(٥) فِي ٱلْعَلاَنِيَةِ(٦)، وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ ٱعْتَذَرَ مِنْهُ. وَلاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ(٧) غَرَضاً(٨) لِنِبَالِ ٱلْقَوْلِ، ولاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذلِكَ كَذِباً. وَلاَ تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ(٩) كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَى بِذلِكَ جَهْلاً. وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ(١٠)، وَتَجَاوَزْ(١١) عِنْدَ ٱلْمَقْدَرَةِ، وَٱحْلُمْ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ، وَٱصْفَحْ(١٢) مَعَ الدَّوْلَةِ(١٣)، تَكُنْ لَكَ ٱلْعَاقِبَةُ. وَٱسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا ٱللهُ عَلَيْكَ، وَلاَ تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ ٱللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً(١٤) مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ(١٥)، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ. وَٱحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ(١٦) رَأْيُهُ، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ

بِصَاحِبِهِ. وَٱسْكُنِ ٱلأَمْصَارَ(١٧) ٱلْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ(١٨)، وَٱحْذَرْ مَنَازِلَ ٱلْغَفْلَةِ(١٩) وَٱلْجَفَاءِ(٢٠) وَقِلَّةِ ٱلأَعْوَانِ(٢١) عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ. وَٱقْصُرْ رَأْيَكَ(٢٢) عَلَى مَا يَعْنِيكَ. وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ ٱلأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِيضُ(٢٤) ٱلْفِتَنِ. وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ، وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ إِلاَّ فَاصِلاً فِي سَبِيلِ ٱللهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ. وَأَطِعِ ٱللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا. وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي ٱلْعِبَادَةِ، وَٱرْفُقْ بِهَا وَلاَ تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا(٢٥) وَنَشَاطَهَا، إِلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ ٱلْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا(٢٦) عِنْدَ مَحَلِّهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ ٱلْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ(٢٧) مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ ٱلْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ. وَوَقِّرِ(٢٨) ٱللهَ، وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ. وَٱحْذَرِ ٱلْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ **بما سلف** : ما تقدم.
٢ ـ **اعتبر** : قس.
٣ ـ **حائل** : متغير زائل.
٤ ـ **وثيق** : محكم قوي.
٥ ـ **يستحى منه** : يخجل منه.
٦ ـ **العلانية** : خلاف السر، الظاهر الواضح.
٧ ـ **العرض** : بكسر العين ما يصونه الإنسان من نفسه.
٨ ـ **الغرض** : الهدف الذي يرمى.
٩ ـ **رد على زيد حديثه** : لم يقبله منه.
١٠ ـ **كظم الغيظ** : حبسه وأمسك على ما في نفسه منه فلم يظهر غضبه.
١١ ـ **تجاوز المكان** : جازه وتخطاه.

١٢ ـ الصفح	: الإعراض عن الشيء وتركه.
١٣ ـ الدولة	: السلطة.
١٤ ـ التقدمة	: البذل والإنفاق.
١٥ ـ الذخر	: ما يخبؤه الإنسان لوقت الحاجة.
١٦ ـ فال رأيه	: فسد وضعف.
١٧ ـ الأمصار	: جمع مصر، المدينة، الصقع.
١٨ ـ جماع المسلمين	: اجتماعهم.
١٩ ـ الغفلة	: عدم التنبه.
٢٠ ـ الجفاء	: ضد الوصال والأنس.
٢١ ـ الأعوان	: الأنصار.
٢٢ ـ أقصر رأيك	: احبسه.
٢٣ ـ محاضر	: جمع محضر وهو الحضور.
٢٤ ـ معاريض	: جمع معرض محل عروض الفتن.
٢٥ ـ العفو	: الصفح وترك العقوبة.
٢٦ ـ تعاهدها	: تعهدها تفقدها وجدد العهد بها.
٢٧ ـ آبق	: شارد وهارب.
٢٨ ـ وقّر	: عظّم وبجّل.

الشرح

(وتمسك بحبل القرآن واستنصحه وأحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق) هذه الرسالة بعث بها الإمام إلى الحارث الهمداني وهو من شيعته وأهل الولاء له وهذا الفصل أخذه الشريف الرضي من كتاب طويل وفيه تعليم مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

أمره بالتمسك بحبل القرآن أي أن يعمل بالقرآن وبما جاء فيه ويتخذه ناصحاً له يدله على مواطن السعادة والكرامة والعز ويأخذ بيده لما فيه خيره كما أمره أن يحلل حلاله ويحرم حرامه أي يلتزم بهما ولا يخالف ما أمر به أو يرتكب ما حرم عليه وأن يصدق بما ورد فيه عن الأمم المتقدمة وما وقع عليها من العذاب أو أصابها من الرخاء فإن كل ذلك حق يجب الإيمان به والعمل بمضمونه.

(واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضاً وآخرها لاحق بأولها

وكلها حائل مفارق) خذ درساً من ماضي الدنيا وكيف لم يبق من أهلها أحد مات الأمير والحقير وتهدمت القصور والدور ولم يبق إلا الأطلال تحكي عما مر وتنطق بما جرى فخذ درساً من الماضي وطبقه على ما بقي منها فإنك تجده نسخة طبق الأصل وآخرها سيجري عليه ما جرى على أولها من الخراب والدمار والموت وكل ما فيها بل كل ما مضى وما يأتي، الآخر والأول كله إلى زوال وفناء لا يبقى ولا يدوم منها شيء. . .

(وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق) استشعر عظمة الله ونزه ذكر اسمه والحلف به إلا على حق تريد إثباته.

(وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق) أوصاه بأن يكثر من ذكر الموت لأنه يذلل النفس ويروضها على طاعة الله فإن من عرف أن مصيره إلى الموت هانت عليه الدنيا ومصائبها وما يمر عليه فيها ومن بقي على ذكر دائم لما بعد الموت من الحساب والعقاب والعذاب عمل صالح الأعمال من أجل أن يدفع عن نفسه العذاب ويحصل على السعادة والهناء.

ثم نهاه أن يتمنى الموت ويطلبه إلا إذا كان له عمل صالح يدخله الجنة فإن من تمنى الموت لا بد وأن يراه أحسن من الدنيا وأكثر سروراً وهذا لا يمكن إلا إذا كان من أهل الأعمال الصالحة والطاعة لله أما من كانت أعماله سيئة ومعاصيه كثيرة كيف يتمنى الموت والقدوم على الله بهذه المعاصي. . .

(واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين) اترك كل عمل ترضاه لنفسك وتحبه لها إذا كان فيه مضرة لعامة المسلمين.

(واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحى منه في العلانية) اجتنب عن كل عمل مشين تريد أن تعمله في السر ولو ظهر لخجلت منه واستحييت فليكن سرك طاهراً لا تخجل منه إذا ظهر أثره في الخارج.

(واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه) لا تعمل ما تنكره لو اتهمت به وسئلت عن فعله، كما يجب عليك أن لا تعمل عملاً غير صحيح تعتذر منه بعد ذلك، إنها دعوة إلى التأني والتبصر والنظر في عواقب الأمور.

(ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القول) لا تجعل ألسنة الناس متوجهة إليك باللوم والذم بل العاقل من يجعل ألسنة الناس لصالحه والثناء عليه بالحق.

(ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به فكفى بذلك كذباً) نهاه عن التحدث بكل ما

يسمعه إذ ربما سمع من كذاب أمراً وهو لا يعرف كذبه فحدث بذلك واكتشف الناس عدم الصدق فيه فيعود العيب عليه وبين ذلك بأن الناس ليس كلهم صادقون فقد يقع الكذب من بعضهم وكفى بذلك كذباً . . .

(ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلاً) إذا حدثك الناس بأمر غريب أو غير مألوف ولا معروف فلا ترد عليهم بالرفض والإنكار فإن ذلك دليل جهلك وعدم اطلاعك على الأمور فإن في الدنيا استثناءات كثيرة وأمور غير معتادة . . .

(واكظم الغيظ) إذا أُغضبت اضبط غضبك ولا تفجره سباباً وانتقاماً فإن الأجر في الصبر والحلم وقد قال رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعتان: جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة تردها بصبر.

(وتجاوز عند المقدرة) فإن تجاوزك عندما تقدر على خصمك وعفوك عنه من أبواب الشكر على ما أعطاك الله وأقدرك عليه ويكون أعظم من العقوبة في بعض الأحيان.

(واحلم عند الغضب) إذا غضبت وأردت أن تفجر غضبك انتقاماً فرده بالحلم والأناة والصبر فإنه بالمسلم أليق وله أكمل.

(واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة) إذا كانت لك السلطة والقوة والدولة وقدرت على البطش بخصومك فاصفح عنهم وتجاوز عن هفواتهم فإن العاقبة الطيبة والخاتمة السعيدة لك وكذلك فعل رسول الله عند فتح مكة وهكذا سار علي في يوم الجمل.

(واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك وليُرَ عليك أثر ما أنعم الله به عليك) أمره بالنسبة إلى النعمة بثلاثة أوامر:

١ ـ أن يستصلحها أي ينميها ويزيدها وذلك إنما يكون بشكر من أعطاها قال تعالى: **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** وشكرها بوضعها في موضعها اللائق بها فلا تبذير ولا إسراف.

٢ ـ أمره أن لا يضيع نعمة من نعم الله وإضاعتها بعدم شكرها وعدم شكرها بعدم وضعها في موضعها الذي يجب أن تكون فيه ومن لم يشكر النعمة عرّضها للزوال.

٣ ـ أن تظهر آثار النعمة على العبد وذلك بالحديث عنها قال تعالى مخاطباً نبيه: **﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾** وقد يكون وهو الأهم أن تظهر عملياً عليه فمن أعطاه الله مالاً وأغناه ثم عاش القلة والعدم والبخل والفقر فإنه ممن لم ير لله عليه نعمة وهكذا من أعطي

جاهاً ولم يخدم به عباد الله ويقضي حاجاتهم. . .

(واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله فإنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره) هذا مقياس عظيم يضعه الإمام وعلى أساسه يكون التفاضل، فأفضل المؤمنين من قدم من نفسه جهاداً وعطاء إلى خير المجتمع ورفاهيته وأفضلهم من قدم من أهله فجعلهم أبراراً أوفياء وقدم من ماله في سبيل الله ومن أجل الفقراء والمساكين والأيتام ثم علل ذلك بأن مايقدمه من خير بأي وجه من الوجوه تبقى له منفعته يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأما ما تؤخره وتدخره ولا تخرجه في حياتك فإنه يكون لغيرك يتمتع به ويتلذذ بما تعبت أنت فيه فإن كان صالحاً أنفقه فيما ينفعه في آخرته وإن كان شقياً صرفه في معصية الله وكنت معيناً له على ذلك والعاقل من نظر لنفسه وعمل لها. . .

(واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فإن الصاحب معتبر بصاحبه) احذر أن تتخذ صاحباً يكون فاسد الرأي ضعيفه ومع ذلك سيء العمل تنكره الناس عليه وعلل ذلك بقوله: «فإن الصاحب معتبر بصاحبه» وفي المثل قل لي من تعاشر أقل لك من أنت وقد يستدل على صلاحك بعشرتك للصالحين وبفسادك لمصاحبتك للفاسدين. . .

(واسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله) أمره أن يسكن المدن الكبرى فإن فيها اجتماع المسلمين وكثرتهم وفيها عادات الناس وتقاليدهم من أصغر الأمور وأحقرها إلى أعلاها وأعظمها فتأخذ العبرة منهم والحكمة.

وللمدن ميزات عدة منها خلوها من العشائرية البغيضة ومنها أنها محل العمل والارتزاق أكثر من أي مكان آخر ومنها أنها ملتقى الثقافات والحضارات فيرى الإنسان فيها ما لا يرى في القرى ومنها أن فيها رفاهية العيش وملذات الحياة وهكذا كما وأنه يقابلها مفاسد كثيرة والعاقل من يستطيع أن يميز بين الخير والشر فيأخذ طريق الخير ويهجر طريق الشر ثم حذره أن يسكن في الأماكن التي توجب الغفلة عن ذكر الله وعن عبادته وطاعته ولا يكون فيها أعوان وأنصار يشدون أزره في طريق الله. . .

(واقصر رأيك على ما يعنيك) ليكن همك ما يعنيك من شؤونك فاحبس نفسك عليه ولا تنظر إلى ما لا يعنيك فتكون متطفلاً ممقوتاً. . .

(وإياك ومقاعد الأسواق فإنها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن) نهاه عن الجلوس

في الأسواق وعلل ذلك بأنها ساحات يمرح فيها الشيطان لأنه يكثر فيها الغش والربا والمداهنة والمعاملات الباطلة والحلف بالله كذباً وكذلك تعرض الفتن فيها لكثرة ما يتخللها من المفاسد والانحرافات.

(وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه فإن ذلك من أبواب الشكر) انظر إلى من دونك ومن كنت أحسن منه حالاً ومالاً وجاهاً وسلطاناً فإذا أبصرت تقدمك عليه دعاك ذاك إلى شكر الله وحمده ومد يد العون إلى من هو دونك...

(ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل الله أو في أمر تعذر به) نهاه عن السفر يوم الجمعة من أجل أن يؤدي الصلاة مع المصلين وقد ورد كراهته فقد ورد عن الرضا عليه السلام قوله: «ما يؤمن من سافر يوم الجمعة قبل الصلاة أن لا يحفظه الله تعالى في سفره ولا يخلفه في أهله ولا يرزقه من فضله».

نعم استثنى من ذلك ما إذا كان الخروج إلى الجهاد في سبيل الله أو استدعت الضرورة الخروج كما لو كان من أجل إيقاف الخصام بين اثنين أو رد اعتداء على أحد المسلمين وهكذا...

(وأطع الله في جميع أمورك فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها) العاقل من يلتزم بعبوديته لله ويطيعه في كل أمر صغير أو كبير، جليل أو حقير، ديني أو دنيوي فإن طاعة الله توجب السعادة الدائمة والنجاة من العذاب وليس هناك أفضل منها وأعظم بل هي أفضل من كل الأعمال والأقوال والمواقف.

(وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فإنه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها) أمره أن يعمل مع نفسه عمل المخادع ويسلك معها مسلكه للوصول إلى حاجته فأنت اعطيها الأماني ورغبها في النتيجة والأجر والثواب وسهل عليها وردها وأنه بضع ركعات وخذها باللين واليسر ولا تحملها على أمر لا ترغب فيه قهراً عنها فإن ذلك ينفرها ويبعدها ويحملها على السأم والملل.

وإذا كانت ترغب في النوافل وإقامة المستحبات والسنن فاقبل على ذلك واغتنم نشاطها وشبابها وأد ذلك برغبة وشوق هذا كله في النوافل والزيادات أما الفريضة الواجبة فلا بد من أدائها في وقتها ولا يجوز التساهل فيها أو التسويف وإذا فاتت لعذر من نوم أو إغماء أو غيرهما فلا بد من قضائها.

(وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا) قالوا: هذه وصية

شريفة جداً، جعل طالب الدنيا المعرض عن الله عند موته كالعبد الآبق يقدم به على مولاه أسيراً مكتوفاً ناكس الرأس فما ظنك به حينئذ.

وأقول: حذره من نزول الموت به وهو يطلب الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة فيكون كالعبد الهارب من مولاه وقد وقع بين يديه فلا مهرب له والقصاص واقع به.

(وإياك ومصاحبة الفاسق فإن الشر بالشر ملحق) حذره من صحبة الفساق والمنحرفين لئلا ينتقل شرهم إليه من حيث إن الطباع تتأثر ببعضها وتأخذ من بعضها والنار تقوى بالنار والجار يتأثر بالجار...

(ووقر الله واحبب أحباءه) توقير الله عبارة عن العمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه واستشعار عظمته في النفس وأن لا يهتك ستراً من محرماته.

وأما حب أولياء الله فهو علامة الإيمان ودليل على صدق الإسلام فإذا أردت أن تعرف أنك على خير وإلى خير فابحث داخل قلبك فإن كان يحب أولياء الله فاعلم أنك على خير وإلى خير وإن كان يحب أعداء الله فاعلم أنه ليس فيك خير كما ورد هذا في الحديث.

(واحذر الغضب فإنه جند عظيم من جنود إبليس والسلام) الغضب جذوة من النار وشعبة من الجنون به يخرج الإنسان عن إنسانيته فيرتكب الحرام ويقتل النفس التي حرمها الله ويهتك الأعراض وهكذا يتصرف بدافع هذه الطبيعة المشؤومة التي هي مع قوة الشهوة أضر من جميع القوى السيئة ومن هنا كان الغضب من الجنود العظيمة لإبليس يصرف صاحبه نحو الضلال والانحراف...

ترجمة الحارث الهمداني.

في الطبقات لابن سعد: الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب ابن أسد بن خالد بن حوت واسمه عبد الله بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان...

كان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه ومحل عنايته ومن أوعية العلم وكبار علماء التابعين بل أفقه علماء عصره.

وكان واحداً من عشرة من ثقاة أمير المؤمنين الذين حضروا عندما طلبهم.

وهو الذي يقول له الإمام بعد كلام: خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة: أنت

مع من أحببت ولك ما احتسبت أو قال: ما اكتسبت قالها ثلاثاً.

فقال الحارث وقام يجر رداءه جذلاً: ما أبالي وربي بعد هذا متى لقيت الموت أو لقيني وقال:

قــول علــي لحــارث عجــب كــم ثــم أعجــوبة لــه حمــلا
يا حـار همدان من يمت يرني مــن مـؤمـن أو منـافـق قبـلا
يعــرفنــي طــرفــه وأعــرفــه بنعتــه واسمــه ومــا فعــلا
وأنــت عنــد الصــراط تعـرفنـي فــلا تخــف عثــرة ولا زلــلا
أسقيــك مــن بــارد علــى ظمــأ تخــالــه فــي الحــلاوة العســلا
أقول للنار حين تعرض للعرض دعيــه لا تقتلــي الــرجــلا
دعيــه لا تقــربيــه إن لــه حبــلاً بحبــل الــوصــي متصــلا

مات الحارث سنة ٦٥ للهجرة أيام ولاية عبد الله بن يزيد الأنصاري للكوفة من قبل عبد الله بن الزبير . . .

٧٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة،
في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ(١) يَتَسَلَّلُونَ(٢) إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلاَ تَأْسَفْ(٣) عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ(٤)، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً(٥)، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً(٦)، فِرَارُهُمْ(٧) مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ(٨) إِلَى ٱلْعَمَى وَٱلْجَهْلِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ(٩) عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا(١٠)، وَقَدْ عَرَفُوا ٱلْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ(١١)، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي ٱلْحَقِّ أُسْوَةٌ(١٢)، فَهَرَبُوا إِلَى ٱلأَثَرَةِ(١٣)، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً(١٤).

إِنَّهُمْ ـ وَٱللهِ ـ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ(١٥)، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ ٱللهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ(١٦)، إِنْ شَاءَ ٱللهُ، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ قبلك : بكسر ففتح أي عندك وفي ناحيتك.
٢ ـ يتسللون : يخرجون واحداً بعد آخر في استتار وخفية.
٣ ـ لا تأسف : لا تحزن.
٤ ـ المدد : العون.
٥ ـ الغي : الضلال.

٦ ـ شافياً : من الشفاء وهو البرء.

٧ ـ فرارهم : هروبهم.

٨ ـ إيضاعهم : إسراعهم.

٩ ـ أقبل على الشيء : أخذ فيه ولزمه وأقبل عليه نقيض أدبر عنه.

١٠ ـ مهطعون : مسرعون.

١١ ـ وعى الشيء : جمعه وحواه والحديث تدبره وحفظه.

١٢ ـ الأسوة : مستويين.

١٣ ـ الأثرة : الاختصاص للنفس وتفضيلها بالفائدة، الاستبداد بالشيء.

١٤ ـ سحقاً : بعداً وهلاكاً.

١٥ ـ الجور : الظلم.

١٦ ـ الحزن : الصعب من الأرض، ضد السهل.

الشرح

(أما بعد فقد بلغني أن رجالاً ممن قبلك يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق وإيضاعهم إلى العمى والجهل) بعث الإمام بهذه الرسالة إلى واليه على المدينة سهل بن حنيف يهون عليه هروب بعض الناس إلى معاوية ويبين له فيها دواعي الهروب.

وصلتني الأنباء التي تحمل هروب بعض الرجال الذين يعيشون عندكم إلى معاوية فلا يحزنك ذلك ولا يفت في عضدك هذا العدد الهارب والذين يمكن أن يشكلوا فريقاً معاوناً لنا.

ثم بين ضلالهم وأنه يكفيهم ضلالاً لأنفسهم وراحة لنا أنهم فروا من الهدى والحق الذي نحن فيه إلى العمى والجهل الذي فيه معاوية. إنهم لم يهربوا إلا من عدل علي ومساواته إلى ما يرغبون من ظلم معاوية وانحرافه وعلي هو علي في جميع حالاته يقول: «لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة».

(وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً) بين عليه السلام أسباب هروبهم من تحت سلطانه وانضمامهم إلى معاوية... لم يكن هروبهم من أجل الدين ولأنهم يرون معاوية صاحب حق أو أنه على طريق هدى أو من

أهل الدين وإنما هربوا لأنهم من أهل الدنيا يحبونها ويبحثون عنها ويميلون معها ومع من تكون معهم. . . إنهم يسرعون لها، ويذلون أنفسهم من أجلها، وقد عرفوا عدلنا ورأوه وعاشوا وعلموا أننا نعدل في الرعية ونقسم بالسوية والناس عندنا على حد سواء فهربوا من ذلك إلى الامتيازات الخاصة التي يريدونها. . . إنهم يريدون أن يمتازوا عن الناس فيأخذوا حقوقهم وحقوق غيرهم وذلك لا يكون عندنا.

ثم دعى عليهم بالبعد عن رحمة الله وأن لا تطالهم لأنهم ليسوا أهلاً لها كما دعى عليهم بالهلاك والموت واستئصال شأفتهم. . .

(إنهم ـ والله ـ لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وإنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه إن شاء الله والسلام) أقسم عليه السلام ليحصر سبب هروبهم وأنهم لم يهربوا من ظلم عندنا يعيشونه ـ شخصياً أو يعيشه أحد من المسلمين ـ إلى عدل ينشدونه عند معاوية.

ثم وعده بما يطمع به من الله. . . إنه يأمل من الله الخلافة وأن يهون الصعوبات ويذلل العقبات ويرفع الموانع وبعد هذا وقبله فإننا راضون بقضاء الله وقدره وهو على كل شيء قدير.

ترجمة سهيل بن حنيف.

سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حنش بن عوف بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا سعد وأبا عبد الله من أهل بدر وكان من السابقين وشهد بدراً وثبت يوم أحد مع الإمام علي حين انكشف الناس وبايع يومئذ على الموت وكان ينفح عن رسول الله بالنبل فيقول: نبلوا سهلاً فإنه سهل. . .

وشهد أيضاً الخندق وجميع المشاهد كلها واستخلفه علي على البصرة بعد موقعة الجمل ثم شهد معه صفين.

توفي سهل في سنة ٣٨ في الكوفة وصلى عليه الإمام علي ودفنه.

٧١ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى المنذر بن الجارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي(١) مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ(٢)، وَتَسْلُكُ(٣) سَبِيلَهُ(٤)، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ(٥) إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ ٱنْقِيَاداً، وَلاَ تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً(٦). تَعْمُرُ(٧) دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ(٨) بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ(٩) نَعْلِكَ(١٠) خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ(١١)، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى(١٢) لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ(١٣)، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ(١٤) حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هذَا، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

قال الرضي: والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لنظارٌ(١٥) في عِطفيه(١٦) مختال(١٧) في بُرْدَيْه(١٨)، تَفّالٌ(١٩) فِي شِرَاكَيْهِ(٢٠).

اللغة

١ ـ غرني : خدعني.
٢ ـ الهدي : بفتح فسكون الطريقة والسيرة.
٣ ـ تسلك : تدخل.
٤ ـ سبيله : طريقه.
٥ ـ رُقي إليّ : رُفع وأنهي إليّ.
٦ ـ العتاد : العدة والذخيرة.
٧ ـ تعمر : تبني.
٨ ـ تصل عشيرتك : تكرمها وتعطيها.

٩ ـ الشسع	:	بالكسر سير بين الأصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي.
١٠ ـ النعل	:	الحذاء.
١١ ـ الثغر	:	المكان الذي يخشى دخول العدو منه.
١٢ ـ علا قدره	:	ارتفع شأنه.
١٣ ـ الجباية	:	عمل الجابي وهو الساعي في تحصيل ضرائب الدولة من الخراج وغيره.
١٤ ـ أقبل إليّ	:	أقدم عليّ.
١٥ ـ نظّار	:	كثير النظر.
١٦ ـ العطف	:	بالكسر الجانب.
١٧ ـ المختال	:	المعجب.
١٨ ـ البردان	:	تثنية البرد بضم الباء وهو ثوب مخطط.
١٩ ـ تفال	:	كثير التفل والتفل بالتحريك البصاق.
٢٠ ـ الشراكان	:	تثنية شراك ككتاب وهو سير النعل كله.

الشرح

(أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك) هذه الرسالة بعث بها الإمام إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله وقد شرح له فيها سبب اختياره لعمله ثم وبخه بكلمات تبقى وصمة عار له ولكل من كان على شاكلته. . .

ابتدأ عليه السلام بالداعي الذي دعاه إلى اختيار هذا الرجل ـ إنه صلاح أبيه الجارود العبدي الذي كان مطاعاً في قومه وقد وعظهم بعد وفاة رسول الله وعصمهم من الردة عندما ارتدت العرب ـ صلاح أبيك وما كان عليه من الالتزام والسلوك الجيد هو الذي أطمعني في أن أوليك هذا العمل فقد ظننت أنك تمشي على سيرته وتسلك طريقته وتقتدي به ولكن للأسف لقد وصل إليّ عنك أمر وبلغني عنك قضايا ثم ذكر هذه الأمور التي وصلته عنه وهي:

١ ـ لا تدع لهواك انقياداً: إنك رهين هواك يقودك حيث يشاء لم تجعل لك عليه سبيلاً ولا تقدر على رده عن الردى والضلال فما يطلبه منك تستجيب له فيه ولا ترده عنه. . .

٢ ـ لا تبقي لآخرتك عتاداً: لم تعمل عملاً صالحاً تعتد به يوم القيامة وتقدمه لحاجتك يوم الحساب.

٣ ـ تعمر دنياك بخراب آخرتك: فأنت تتلذذ بالمحرمات تأكل أموال الفقراء في شؤونك الخاصة في البناء والعطاء والبذخ والرفاه وتخرب بذلك آخرتك حيث العذاب والنار في انتظارك.

٤ ـ تصل عشيرتك بقطيعة دينك: تغدق على عشيرتك وأهلك العطاء وتوسع عليهم في الرزق دون حق وإنما ذلك لتبقى لك الحظوة عندهم والشرف فيهم وبذلك تخالف دينك وتعاديه وتعصي الله وتتمرد عليه فعلى حساب دينك يكون هذا العطاء...

(ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك) إذا كان ما وصل إليّ عنك حقاً وصدقاً من هذه الخيانة فجمل أهلك الذي يحمل الأثقال ويجره أصغر الأطفال وشسع نعلك الذي بين أصبعي رجليك تدوسه الأقدام ـ هذان ـ خير منك عملاً وشرفاً وهذان مثلان يضربان للاستهانة والمذلة.

إنه علي لا يراعي مقام كبير ولا يحتقر الصغير لسانه صارم كسيفه لا يقع إلا على المستحق ولا يطال إلا الآثم الكفور... كلمات لله... لم يراع فيها شريفاً ولم يخش جفاء صديق أو عداوة ولي...

(ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على جباية فاقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله) ثم ذمه بذم من هو بصفته فقال عليه السلام: إن من كان بصفته من هذه الخيانة فليس بأهل أن يسد به ثغر: فليس بذلك الشجاع المؤتمن الذي يصح أن يجعل في المواضع المهمة التي يواجه به الأعداء فيحمي الأوطان ويدفع عنها هجومهم.

وليس بأهل أن ينفذ به أمر: أي لا يُقضى ما كلف به ولا يستطيع تنفيذه أو القيام به... دليل على قصور همته وأنه أعجز من ذلك.

وليس بأهل أن يعلى له قدر: فهو وضيع لا يستطيع أن يرتفع لخساسة طبعه وهوانه وضعته.

وليس بأهل أن يشرك في أمانة: فلا يصح أن يولّى على أمر أو يكون شريك الخليفة فيما اؤتمن عليه من أرض الله وعباده.

وليس بأهل أن يؤمن على جباية: فهو لخيانته ليس بحقيق أو جدير أن يكون أميناً

في جمع ضرائب الدولة الإسلامية لأنه لا يؤتمن عليها.

ثم دعاه إليه متى وصله كتابه ليصفي حسابه ويؤدب العمال أمثاله...

قال الرضي والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه» أي إنه كثير النظر في جانبيه هل فيهما نقص فيسويه ويزيله لزهوه وعلوه ومعنى مختال في برديه أي يمشي الخيلاء عجباً وتيهاً ومعنى تفال في شراكيه أي يتفل يبصق على ظهر حذاءه ويمسحه ليزيل ما علق عليه من الغبار والطين ليعود نظيفاً وإنما يفعل ذلك المعجب بنفسه الذي أخذه الزهو...

ترجمة الجارود العبدي.

ذكر ابن أبي الحديد ما ملخّصه منا.

الجارود بن بشر بن خنيس بن المعلى من بني عبد القيس وبيتهم بيت الشرف في عبد القيس وإنما سمي الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه في آخره: «كما جرد الجارود بكر بن وائل».

وفد الجارود على النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ في سنة تسع وقيل: في سنة عشر.

وذكر أبو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب: إنه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه.

كنيته أبو عتّاب ويكنى أيضاً أبا المنذر.

سكن الجارود البصرة وقتل بأرض فارس وقيل: بل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل: إن عثمان بن العاص بعث الجارود في بعث نحو ساحل فارس فقتل بموضع يعرف بعقبة الجارود وذلك سنة إحدى وعشرين.

وكان الجارود من أطوع الناس في قومه فإنه لما قبض رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وارتدت العرب خطب الجارود قومه وحضهم على الثبات في الإيمان فما ارتد منهم أحد.

وأما المنذر بن الجارود فكان شريفاً وابنه الحكم بن المنذر يتلوه في الشرف والمنذر غير معدود في الصحابة ولا رأى رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ولا ولد في أيامه وكان معجباً بنفسه.

٧٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ(١)، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَٱعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ(٢)، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

اللغة

١ ـ الأجل : الوقت، نهاية عمر الإنسان.

٢ ـ دول : جمع دُولة بالضم ما يتداول ويدار من يد إلى يد.

الشرح

(أما بعد فإنك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بأن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وأن الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك) هذه موعظة بليغة ووقفة جليلة يحتاجها الإنسان عندما تقبل عليه الدنيا فينسى الآخرة أو عندما ترمي الحياة بثقلها وهمومها ومتاعبها ومصائبها فيحتاج إلى لمسة رقيقة تعيد له توازن شخصيته وترده نحو الإستقامة...

بعث الإمام بهذه الرسالة إلى ابن عباس وقد بين له حقيقتين:

الأولى: إنه لن يسبق أجله فالوقت الذي قدره الله له لخروجه من الدنيا وانتهاء دوره فيه مؤقت مكتوب لا يستطيع أن يتقدم عليه قال تعالى: ﴿**فإذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون**﴾.

الثانية: إن رزقه مقدر مكتوب فمهما جد واجتهد وهاجر وتغرب فلن يحصل إلا

على رزقه المكتوب له. . .

ثم وضعه أمام حقيقة من حقائق الدنيا وهي أن الدهر يومان يوم لك ولصالحك تكون لك فيه السلطة والحكم والدولة والمال والثروة فيعطيك جمال غيرك إضافة إلى جمالك ويوم عليك ببؤسه وتعاسته وشقائه ومرضه وفاقته وحاجته بل قد يسلبك محاسن نفسك.

ثم أخبر أن الدنيا دار تتداولها الأيدي تنتقل من يد إلى يد ومن واحد لآخر فربما أصبح السوقة ملكاً وربما تحول الملك سوقة فما كتبه الله لك لا بد وأن يصل إليك وإن كنت ضعيف الحال فذلك تقدير العزيز الحكيم وما كان منها عليك فلا تستطيع دفعه أو رفعه مهما عملت ومهما كثرت حيلك وقويت شوكتك.

٧٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُدِ(١) فِي جَوَابِكَ، وَٱلاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ(٢) رَأْيِي، وَمُخَطِّىءٌ فِرَاسَتِي(٣). وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي ٱلأُمُورَ(٤) وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ(٥)، كَٱلْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ(٦) تَكْذِبُهُ أَحْلاَمُهُ، وَٱلْمُتَحَيِّرِ ٱلْقَائِمِ يَبْهَظُهُ(٧) مَقَامُهُ، لاَ يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ. وَأُقْسِمُ بِٱللهِ إِنَّهُ لَوْلاَ بَعْضُ ٱلاسْتِبْقَاءِ(٨)، لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ(٩)، تَقْرَعُ(١٠) ٱلْعَظْمَ، وَتَهْلِسُ(١١) اللَّحْمَ! وَٱعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ(١٢) عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ(١٣) لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ، وَالسَّلاَمُ لأَهْلِهِ.

اللغة

١ ـ التردد : الترداد والتكرار.

٢ ـ موهّن : مضعّف.

٣ ـ فراستي : صدق ظني.

٤ ـ تحاولني الأمور : تطلبها وترومها مني.

٥ ـ تراجعني السطور : أي تطلب مني أن أرجع إلى جوابك بالسطور.

٦ ـ المستثقل النائم : الذي نومه ثقيل.

٧ ـ يبهظه : يثقله ويشق عليه.

٨ ـ الاستبقاء : الإبقاء أي تركه وعدم أخذه.

٩ ـ القوارع : الشدائد والدواهي.

١٠ ـ تقرع العظم : أي تصدمه فتكسره.

١١ ـ تهلس اللحم : أي تذهبه وتذيبه.

١٢ ـ ثبطك : أقعدك.
١٣ ـ تأذن : تسمع.

الشرح

(أما بعد فإني على التردد في جوابك والاستماع إلى كتابك لموهن رأي ومخطىء فراستي) يأسف الإمام في هذه الرسالة أشد الأسف على مكاتبته لمعاوية ورد الجواب عليه والاستماع إلى ما يكتب له فأنا لائم نفسي ومستضعف رأي أن أجعلك نظيراً لي أكتب وتجيبني وتكتب فأجيبك وإنما ينبغي أن يكون جواب مثلك الكف والسكوت لهوانك وصغر شأنك.

وبعبارة أخرى: إن رأي الصائب وفراستي يقولان: إنك لن تنتفع برسائلي ومواعظي ومكاتباتي فكأني بإكمال الشوط معك والحال ذلك كالمخطىء لذلك الرأي والفراسة وهذا بيان لمعاوية وأنه عليه السلام أعرف بنفسه وأدرى بما ينطوي عليه قلبه ولكن يكاتبه لإلقاء الحجة عليه والمعذرة إلى الله...

(وإنك إذ تحاولني الأمور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه) إنك إذا تحاول معي أن تكون لك ولاية الشام وتكون لك الخلافة من بعدي وتراجعني في رسائلك بذلك إنك كالنائم المستغرق في نومه تراوده الأحلام وتمنيه حتى إذا استيقظ كذبته حقائق اليقظة فلم يجد شيئاً.

قال ابن أبي الحديد تعليقه على هذه الكلمة الشريفة: فإن معاوية لو رأى في المنام في حياة رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وأنه خليفة يخاطب بأمرة المؤمنين ويحارب علياً على الخلافة ويقوم في المسلمين مقام رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لما طلب لذلك المنام تأويلاً ولا تعبيراً ولعده من وساوس الخيال وأضغاث الأحلام وكيف وأنى له أن يخطر هذا بباله وهو أبعد الخلق منه وهذا كما يخطر للنفاط أن يكون ملكاً ولا تنظرن إلى نسبه في المناقب بل انظر إلى أن الإمامة هي نبوة مختصرة وأن الطليق المعدود من المؤلفة قلوبهم المكذب بقلبه وإن أقّر بلسانه الناقص المنزلة عند المسلمين القاعد في أخريات الصف إذا دخل إلى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين كيف يخطر ببال أحد أنها تصير فيه ويملكها ويسمه الناس وسمها ويكون للمؤمنين أميراً ويصير هو الحاكم في رقاب أولئك العظماء من أهل الدين والفضل وهذا أعجب من العجب أن يجاهد النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ قوماً بسيفه ولسانه ثلاثاً وعشرين سنة ويلعنهم

ويبعدهم وينزل القرآن بذمهم ولعنهم والبراءة منهم فلما تمهدت له الدولة وغلب الدين على الدنيا وصارت شريعة دينية محكمة مات فشيد دينه الصالحون من أصحابه وأوسعوا رقعة ملته وعظم قدرها في النفوس فتسلمها منهم أولئك الأعداء الذين جاهدهم النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فملكوها وحكموا فيها وقتلوا الصلحاء والأبرار وأقارب نبيهم الذين يظهرون طاعته وآلت تلك الحركة الأولى وذلك الاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم فليته كان يبعث فيرى معاوية الطليق وابنه ومروان وابنه خلفاء في مقامه يحكمون على المسلمين فوضح أن معاوية فيما يراجعه ويكاتبه كصاحب الأحلام. . .

(والمتحير القائم يبهظه مقامه لا يدري أله ما يأتي أم عليه ولست به غير أنه بك شبيه) وصفه في رسائله بالمتحير الذي لا يعرف ماذا يطلب ويريد أو كالقائم خطيباً بين أيدي الفصحاء والبلغاء وقد أخذته هيبتهم وأثقلت كاهله طلعتهم فطار لبه شعاعاً ولم يتماسك بل اضطرب وتضعضع وضاعت أفكاره فهو يتكلم إذا تكلم لا يدري هل كلامه يكون له أم عليه ثم نفى تشبيهه بالمتحير القائم بل جعله أصلاً وجعل المتحير فرعاً وشبيهاً به فأنت يا معاوية المشبّه به وذاك المشبّه مبالغة في ضلاله وحيرته وتنكبه عن طريق الحق. . .

(وأقسم بالله أنه لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم) أقسم عليه السلام أنه لولا بعض الأمور المهمة التي تتطلب بقاؤه لوصلت إليه شدائد الحروب وعظائم الشدائد بحيث تطحن عظامه وتزيل لحمه.

(واعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك وتأذن لمقال نصيحتك والسلام لأهله) إن الشيطان قد أقعدك عن عمل أحسن ما يجب عليك من أن تكون رعية صالحة تبحث عما ينفعك في الآخرة وتسمع للنصيحة التي تحركك نحو الخير بدل سلوكك في الشر والسير في طريق الرذيلة والانحراف.

٧٤ ـ ومن حلف له عليه السلام

كتبه بين ربيعة واليمن، ونقل من خط هشام بن الكلبي

هذَا مَا ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ(٢) حَاضِرُهَا(٣) وَبَادِيهَا(٤)، وَرَبِيعَةُ(٥) حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لاَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً، وَلاَ يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً(٦)، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لاَ يَنْقُضُونَ(٧) عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ(٨) عَاتِبٍ، وَلاَ لِغَضَبِ غَاضِبٍ، وَلاَ لاسْتِذْلاَلِ قَوْمٍ قَوْماً، وَلاَ لِمَسَبَّةِ(٩) قَوْمٍ قَوْماً! عَلَى ذٰلِكَ شَاهِدُهُمْ(١٠) وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهُهُمْ(١١) وَعَالِمُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ عَهْدَ ٱللهِ وَمِيثَاقَهُ(١٢) ﴿إِنَّ عَهْدَ ٱللهِ كَانَ مَسْؤُولاً﴾.

وكتب علي بن أبي طالب.

اللغة

١ ـ **الحلف** : العهد.

٢ ـ **اليمن** : اسم قبيلة ترجع إلى كل من ولده قحطان.

٣ ـ **الحاضر** : ساكن الحضر وهي المدن.

٤ ـ **البادي** : ساكن البادية.

٥ ـ **ربيعة** : اسم قبيلة ترجع أفخادها إلى ربيعة بن نزار بن معد.

٦ ـ **البدل** : العوض.

٧ ـ **نقض العهد** : نكثه وأبطله.

٨ ـ **المعتبة** : الملامة والغيظ.

٩ ـ المسبة : الشتيمة.
١٠ ـ شاهدهم : حاضرهم.
١١ ـ السفيه : الجاهل، غير الحليم.
١٢ ـ الميثاق : العهد.

الشرح

(هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها أنهم على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويجيبون من دعا إليه وأمر به لا يشترون به ثمناً ولا يرضون به بدلاً) هذا الكتاب كتبه عليه السلام ليكون عهداً بين قبيلتي ربيعة واليمن فيقول: ما نقوله ونسطره هو ما اجتمع عليه أهل اليمن بجميع فئاتهم من كان ساكن المدن أو من يطوف البراري مع البدو الرحل وكذلك ربيعة ساكن المدن أو الذي يطوف في الصحراء اتفقوا جميعاً والتقوا كلهم على كتاب الله يدعون إليه إلى العمل به وتطبيق أحكامه والتزام أوامره وتحريم حرامه، وكذلك يجيبون من يدعو إليه وإلى أحكامه ويأمر به من أمراء المسلمين والرعية لا يبدلونه بثمن مهما كان غالياً أي لا يتنازلون عن القرآن وحكمه والعدول عنه إلى غيره مهما كانت المغريات من زعامة ومال وجاه وسلطان... إنهم اتخذوه قائداً ودليلاً لا يرضون عنه بدلاً ولا يقبلون به ثمناً...

(وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه) إنهم يجتمعون جميعاً قلباً واحداً ويداً واحدة ويضربون بها من خرج عن ذلك وتركه ولم يلتزم به...

(أنصار بعضهم لبعض: دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوماً ولا لمسبة قوم قوماً) ينصر بعضهم البعض ويقوي جانبه ويتكاتفون فيما بينهم دعوتهم واحدة وهي العمل بكتاب الله والاستجابة لمن دعا إليه لا ينقضون عهدهم الذي أخذوه على أنفسهم والتزموا به لهفوة صغيرة يمكن أن تحدث عادة وقد ذكر هذه الأمور التي لا تنقض العهد ولا يجب أن تنقضه إن حصل شيء منها.

١ ـ لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب: فمن عتب على أخ له لم ينجده في أمر طلبه منه لا يكون ذلك ناقضاً للعهد.

٢ ـ ولا لغضب غاضب: فإذا غضب أحدهم على الآخر لأمر حدث فلا يمكن أن يفك هذا العهد أو تحل عراه وينقض.

٣ ـ ولا لاستذلال قوم قوماً: لو أن أحداً مارس القهر والإذلال على أحد لا يكون ذلك ناقضاً للعهد ومبطلاً له.

٤ ـ ولا لمسبة قوم قوماً: فلو شتم أحد منهم أحداً وتنازعوا لم يسقط العهد الذي كتبوه وتبنوه.

وهذه الأمور لم تنقض العهد لأن العادة جارية بحدوث مثل هذه الأمور في المجتمعات والتجمعات فلو كانت واحدتهم تنقض عهداً لم تتم العهود أبداً ولم تكتمل.

(على ذلك شاهدهم وغائبهم وسفيههم وعالمهم وحليمهم وجاهلهم ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ﴿إن عهد الله كان مسؤولاً﴾) فجميع أفراد العشيرتين ملزمون بهذا العهد يجب عليهم تنفيذه وعدم الخروج عنه الحاضر منهم والغائب الجاهل والعالم الحليم والسفيه كلهم في هذا العهد سواء يجب الالتزام به وتطبيقه إن العهد كان عنه في يوم القيامة مسؤولاً وعليه محاسباً، فإن نقضه أحد عصى الله وحاسبه حساباً عسيراً ومن نفذه أطاع الله فيسر أمره وأدخله الجنة.

٧٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية في أول ما بويع له ذكره الواقدي في كتاب «الجمل»

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي(١) فِيكُمْ، وَإِعْرَاضِي(٢) عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ(٣)، وَٱلْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَٱلْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ(٤) مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ. فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ(٥)، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ(٦) فِي وَفْدٍ(٧) مِنْ أَصْحَابِكَ. وَالسَّلَامُ.

اللغة

١ ـ إعذاري : كوني ذا عذر، أو إقامتي على العذر.
٢ ـ أعرض عنه : أتركه وأضرب عنه صفحاً.
٣ ـ لا دفع له : لا رد له.
٤ ـ أدبر : ذهب وولّى.
٥ ـ قبلك : بكسر ففتح عندك وفي ناحيتك وجهتك.
٦ ـ أقبل إليّ : تعال إليّ ونحوي وأقبل ضد أدبر.
٧ ـ الوفد : بفتح فسكون الواردون والقادمون من الناس على الملوك والعظماء.

الشرح

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم حتى كان ما لابد منه ولا دفع له والحدبث طويل والكلام كثير وقد أدبر ما أدبر وأقبل ما أقبل فبايع من قبلك وأقبل إلي في وفد من أصحابك

والسلام) هذه الرسالة كانت بعد بيعة الإمام وتوليه أمور المسلمين يبعث بها إلى معاوية والي الشام يبتدأها بأنه مقيم على العذر في نصيحته التي كان ينصح بها عثمان ويوجهه نحو الخير فكان يرفض وبعد ذلك كيف كان يعرض عن بني أمية ويتركهم ويهجرهم عندما لا يطيعون له أمراً ولا يسمعون له كلاماً وبعد هذا قد وقع القضاء وقتل عثمان وانتهت أيام خلافته ولم يمكن دفع ما وقع أو رده فما وقع قد وقع وانتهى والحديث في تلك الأحداث طويل والكلام فيه كثير وعلى كل حال قد ذهبت تلك الأيام وولت تلك المشاكل وأقبل يوم جديد بما أقبل به وبايعني الناس الذين بايعوا المتقدمين وانعقدت في الأعناق بيعتي فخذ البيعة لي ممن هم عندك وفي ناحيتك من أرض الشام ثم أقبل إليّ مع جماعة من أصحابك ومضمون الرسالة وغايتها دعوة إليه ليأخذ له البيعة من أهل الشام ويأتي إليه ليدرس وضعه ويتخذ القرار المناسب بحقه ولكن معاوية لم يستجب لأمر الخليفة بل تمرد عليه وتجرد للأخذ بثأر عثمان . . .

٧٦ ـ ومن وصية له عليه السلام

لعبد الله بن العباس، عند استخلافه إياه على البصرة

سَعِ[١] النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ[٢] مِنَ الشَّيْطَانِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ ٱللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ ٱللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

اللغة

١ ـ سع : أمر من وسع يسع ضد الضيق.

٢ ـ طيرة : بفتح الطاء وسكون الباء الخفة والطيش.

الشرح

(سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار) هذه وصية من الإمام إلى ابن عباس حين ولاه البصرة ينصحه فيها بنصائح غالية ثمينة يأمره أن يسع الناس بوجهه أي يبسط وجهه لهم ولتكن الطلاقة والبشر دائماً بادية عليه فلا يقطب جبينه في وجوههم ولا يلاقيهم بالعبوس.

وأما سعته لهم في حكمه أي يجعل حكمه لهم وبينهم عادلاً منصفاً لا جور فيه ولا ظلم.

وأما سعة مجلسه فأن يجعل نفسه معهم متواضعاً لا كبر عنده ولا كلام فحش أو بذاءه فيه لئلا يجتنبه الأشراف ويتحاشاه الناس.

ثم حذره الغضب ونفره منه بأنه من نفثات الشيطان ونزغاته يحرف الإنسان عن

الاستقامة ويعدل به عن طريق الحق لأنه متى غضب فقد أعصابه ولم يبق له سيطرة عليها وبذلك قد يتعدى حرمات الله فيقتل ويضرب ويسب ويهين يفعل ذلك كله بغير حق ولا إذن شرعي. . .

ثم أخيراً نبهه إلى أن كل ما قرّبه من الله من الأعمال الصالحة ـ صلاة وصوماً وحجاً وزكاة وصدقة وإعانة فقير وسد عوز محتاج ورفع الظلم ودفع الباطل ـ فإن كل ذلك يباعده عن النار لأن فيه رضا الله وكلما اقترب من الله ورضاه ابتعد عن النار التي أعدها لمن عصاه. . . والقضية تنعكس وتكون كل الأعمال التي تبعده عن الله تقربه من النار فالرذيلة بجميع أصنافها والمعصية بجميع أفرادها مبعدة عن الله ومتى بعدت عن الله كنت أقرب إلى النار والعاقل هو الذي يختار ما يقربه من الله ويبعده عن النار.

٧٧ ـ ومن وصية له عليه السلام

لعبد الله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لَا تُخَاصِمْهُمْ(١) بِٱلْقُرْآنِ، فَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ حَمَّالٌ(٢) ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلكِنْ حَاجِجْهُمْ(٣) بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً(٤).

اللغة

١ ـ لا تخاصمهم : لا تنازعهم وتجادلهم.
٢ ـ حمّال : كثير الحمل والقرآن حمّال أي يحمل وجوهاً متعددة.
٣ ـ حاججهم : خاصمهم وجادلهم.
٤ ـ لا محيص له : لا مهرب له.

الشرح

(لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً) مشكلة الخوارج أنهم في دينهم معقدون نتيجة عدم الوعي والعلم والانفتاح فهم في حالة انغلاق رهيبة إذا دخلت شبهة عليهم انسدت الأبواب أمامهم ولم يعد لفكرهم عمل أو نشاط في حلها فراحوا يبنون على أساسها كل عملهم وحركتهم وإن كان فيها سفك الدماء وقتل الناس وبعد أن عاشت فكرة خطأ التحكيم في أذهانهم راح الإمام بكل وسيلة يريد اقتلاعها من أفكارهم فترة يقوم هو بنفسه في محاورتهم وأخرى يرسل ابن عباس وهذه إحدى المرات التي يوجه بها ابن عباس ويوصيه بالطريق التي يسلكها إنه يوصيه أن لا يحتج عليهم بالقرآن أو يستدل على حقه بآياته وعلل ذلك بأنه حمال ذو وجوه فالآية الواحدة قد تتحمل أكثر من معنى فإذا احتج بالآية وفسرها بوجه يردون عليه بها ويفسرونها بوجه آخر وهكذا يدوم الحال ويبقى يقول ويقولون ولا يصل معهم إلى نتيجة حاسمة وبعد أن ينصحه بعدم مجادلتهم بالقرآن يفتح

له باب المحاجة بالسنة فإنها من أقوال رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وهي واضحة ظاهرة ونصوص بينة لا تقبل التأويل والتعدد في التفسير ولن يجدوا عنها مهرباً أو منها مخرجاً.

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: فما هي السنة التي أمره أن يحاجهم بها؟.

قلت: كان لأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك غرض صحيح وإليه أشار وحوله كان يطوف ويحوم وذلك أنه أراد أن يقول لهم: قال رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار» وقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» ونحو ذلك من الأخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه صلوات الله عليه وقد بقي ممن سمعها جماعة تقوم الحجة وتثبت بنقلهم ولو احتج بها على الخوارج في أنه لا يحل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين في محاجتهم وأغراض أخرى أرفع وأعلى منها فلم يقع الأمر بموجب ما أراد وقضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم وكان أمر الله مفعولا . . .

٧٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين، ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب «المغازي»

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ[١]، فَمَالُوا[٢] مَعَ الدُّنْيَا، وَنَطَقُوا بِٱلْهَوَى. وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هذَا ٱلأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً[٣]، ٱجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وأَنَا أُدَاوِي[٤] مِنْهُمْ قَرْحاً[٥] أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً[٦]. وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَٱعْلَمْ ـ أَحْرَصَ[٧] عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَأُلْفَتِهَا[٨] مِنِّي، أَبْتَغِي[٩] بِذلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ ٱلْمَآبِ[١٠]. وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ[١١] عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ[١٢] عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ[١٣] مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْعَقْلِ، وَالتَّجْرِبَةِ، وَإِنِّي لأَعْبَدُ[١٤] أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللهُ. فَدَعْ مَا لاَ تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ، وَالسَّلاَمُ.

اللغة

١ ـ **حظهم** : سهمهم ونصيبهم.
٢ ـ **مالوا** : انحرفوا.
٣ ـ **معجباً** : داعياً للعجب وموجباً له.
٤ ـ **أداوي** : أعالج.
٥ ـ **القرح** : الجرح.
٦ ـ **العلق** : الدم الغليظ الفاسد.

٧ ـ أحرص : من الحرص وهو التمسك بالشيء والبخل به.
٨ ـ الألفة : الجماعة.
٩ ـ أبتغي : أطلب.
١٠ ـ المآب : المرجع.
١١ ـ وآيت : وعدت وتعهدت.
١٢ ـ تغيرت : تبدلت.
١٣ ـ الشقي : ضد السعيد.
١٤ ـ أعبد : آنف وأستنكف من عبد بكسر الباء أي أنف.

الشرح

(فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم، فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى) هذه الرسالة بعث بها الإمام إلى أبي موسى الأشعري الذي رُشح بدون رضى الإمام للتحكيم وهي ناطقة بشك الإمام فيه وارتيابه بتصرفه.

كثير من الناس ـ ومنهم الأشعري نفسه ـ ويريد الصحابة الذين عاصروا النبي قد تغيرت مواقفهم الكريمة وسقطت أسهمهم من الدين والتقوى والعمل الصالح فاستبدلوا الدين والشريعة بالرأي والهوى ولم يعد للحق عندهم دور أو نصيب، لقد مالوا مع الدنيا فاشتغلوا بها وساروا مع أهلها وإن كانوا ضلالاً ومن أهل الانحراف ونطقوا بالهوى وطوّعوا النصوص لما يشتهون ويرغبون وما يخدم مصالحهم ويحقق رغباتهم...

(وإني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم وأنا أداوي منهم قرحاً أخاف أن يكون علقاً) صرت في منزل الخلافة الذي أنا فيه في منزل يستحق التعجب فقد التف حولي جماعة من أنصاري ومن هم على مثل رأيي أو يلتقون معي في الخطوط البعيدة وقد أعجبتهم أنفسهم فكل واحد منهم على رأي وكل واحد في اتجاه يتفقون على خلافي وضد توجهي وما أريد ولا أقدر على إجبارهم أو قهرهم أو حملهم على ما أريد فأنا معهم كالطبيب الذي يداوي جراحة قد قاربت الاندمال والشفاء ولما تندمل فهو يخاف أن يعود إلى فساد يسمم البدن جميعاً فأنا أعاملهم بالنصح والإرشاد فلا ينفع ذلك وأعاملهم بالشدة والقوة فلا ينفع أيضاً وهكذا يزدادون سوءاً ويشتدون انحرافاً وأخاف من عاقبة ذلك كما يخاف الطبيب من فساد الجرح الذي بعد لم يندمل فيخاف أن يعود دماً متجدداً يفسد البدن...

(وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة أمة محمد ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ

وألفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب) واعلم يا أبا موسى ـ وهو يعلم ـ أنه ليس رجل في أمة محمد أشد حرصاً من الإمام على وحدة الأمة واتفاقها ولم شملها وجمع كلمتها فإن نظرة واحدة إلى مواقف الإمام منذ وفاة النبي وإلى أن آلت إليه الخلافة يجد صدق هذا الكلام فإنه سكت عن حقه في بيعة السقيفة ولم يشهر سيفاً ولم يعلن حرباً مع أنه كان صاحب الحق ولم يظهر منه إلا تسجيل الاعتراض والطعن في البيعة وإعلان أنه هو صاحب الحق بالأولوية والنص والحق والعدل. . . وسكت في شورى عمر عندما رشح ست من المسلمين ينتخبون من يرون ـ بعد أن أهّل عثمان وشكلها بشكل يتعين معه عثمان خليفة ـ وهكذا كان همه حفظ الإسلام وصيانته بحفظ الأمة وتحصينها ووحدة كلمتها فإذا كان هذا سلوكه في أيام خلافة السابقين فهو في أيامه أشد حرصاً على ذلك وأقوى اندفاعاً في سبيله وما كان ذلك إلا طلباً لأحسن ما عند الله من ثواب وأجر وأكرم ما يعود الإنسان إليه عند ربه وخالقه من عودة إلى الجنة ونعيمها وطيبات ما فيها. . .

(وسأفي بالذي وأيت على نفسي وإن تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة) ما أخذته على نفسي وعاهدتها عليه من الحفاظ على وحدة الأمة وجمع كلمة المسلمين والقبول بالصلح أن وافق الكتاب والسنة ولم يتضمن ظلماً أو جوراً فسأفي به وأنجزه هذا من جهتي وأما أنت يا أبا موسى فإن بقيت على ما نعهده منك من اليقظة والحذر وما مر عليك من تجارب الحياة ومعرفتك بمداخيلها ومخارجها إن عرفت ذلك وبقيت عليه فهو وأما إذا استغلك ابن النابغة واستحمرك فأنت الشقي الذي ستبقى رمزاً للبلهاء والأغبياء يذكرك التاريخ مع المغفلين والشقي التعيس من لم يستعمل عقله فحرم منفعة هذه الدرة المكنونة ولم يستفد أو ينتفع من تجربته في الحياة أو تجارب الآخرين وكأن هذا إشارة من الإمام إلى أبي موسى أن يتنبه إلى ابن النابغة وحيله ومكائده وما هو عليه من الخبث والدهاء. . .

(وإني لأعبد أن يقول قائل بباطل) إني لآنف أن ينطق غيري بالباطل ولا أرضاه منه فكيف لا آنفه لنفسي أو أرتضيه لها. . .

(وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله) ولا أقبل لنفسي ولا أرضى لها أن تفسد أمراً قد أصلحه الله فإذا أنت يا أبا موسى قد سعيت في وحدة المسلمين ولم شملهم فأنا أول المقرين والمعترفين والساعين والعاملين. . .

(فدع ما لا تعرف فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء، والسلام) يأمره عليه السلام أن لا يقبل من الأنباء والأخبار إلا ما كان على وجه اليقين ثم حذره من أن

شرار الناس ـ وهم عمرو وأضرابه ـ سيحملون إليه بالأقوال السيئة فيوسوسون إليه بما يتقولون له من الأخبار القبيحة التي لا صحة لها فيقربون إليه البعيد ويبعدون عنه القريب من أجل إضلاله عن سبيل الله والانحراف به عن الصواب وهكذا كان فقد دخل كل من عمرو وأبي موسى بثوب الناصح الشفيق وخرجا منها واحدهما حمار والآخر كلب كما وصفا أنفسهما بذلك. . .

٧٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ[١] مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ ٱلْحَقَّ فَٱشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ بِٱلْبَاطِلِ فَٱقْتَدَوْهُ[٢].

اللغة

١ ـ **أهلك** : من الهلاك وهو الموت والفناء.

٢ ـ **اقتدى به** : فعل فعله أخذ فعله سنّة يعمل بها.

٣ ـ **فدى الشيء** : استنقذه بمال أو سواه.

الشرح

(أما بعد فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه وأخذوهم بالباطل فافتدوه) يبيّن عليه السلام أن هلاك الأمم السابقة إنما كان لانحرافهم عن الحق وأخذهم طريق الضلال وذكر لذلك أنهم القادة والحكام وولاة الأمر منعوا الناس الحق الذي لهم فاشتروا حقهم بالرشا والشفاعات والوساطات الدنيئة لأنهم يريدون حقهم ولا يملكون الوصول إليه إلا عن هذا الطريق الباطل المحرم.

وكذلك أخذوهم بالباطل فاقتدوه أي حملوهم على الباطل من ظلم الناس والجور عليهم وأخذ الرشوة وقبول الشفاعات الباطلة فجاء الخلف من بعدهم فاقتدوا بآبائهم وأسلافهم ومشوا على سيرتهم قائلين كما يحكي الله قولهم: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**[١] فسن السلف سنة السوء اتبعهم الخلف عليها تقليداً لهم واقتداء بهم. . .

(١) سورة الزخرف، آية/ ٢٣.

إلى هنا تم شرح كتب الإمام ورسائله الكريمة بيد العبد الفقير إلى الله عباس علي الموسوي (أبو علي) الملقب بالخطيب في شقته الواقعة في حارة حريك من ضواحي بيروت سائلاً الله تعالى أن يجعلها وسيلتي يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وذلك في ٢٣ من شهر جمادى الأولى من سنة ١٤١٣ هجرية الموافق ١٧ تشرين ثاني من سنة ١٩٩٢ ميلادية والحمد لله رب العالمين...

باب المختار من حكم
أمير المؤمنين عليه السلام
ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله
والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

يقول ابن أبي الحديد: هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن والسواد من العين وهو الدرة المكنونة التي سائر الكتاب صدفها. . .

أقول: وهذه الحكم العلوية أضحت في القلوب وعلى الشفاه أمثالاً سائرة وقيماً خالدة يستشهد بها الأديب ويذكرها المرشد كما أن بعض فقراتها تحفظها الأطفال وربات الحجال لأنها روح الحياة وخلاصة تجاربها. . .

١ ـ قال عليه السلام: كُنْ فِي ٱلْفِتْنَةِ[١] كَٱبْنِ اللَّبُونِ[٢]، لَا ظَهْرٌ[٣] فَيُرْكَبَ، وَلَا ضَرْعٌ[٤] فَيُحْلَبَ.

اللغة

١ ـ الفتنة : اختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال بحيث لا يعرف وجه الحق.

٢ ـ ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة.

٣ ـ الظهر : خلاف البطن، الركاب التي تحمل الأثقال.

٤ ـ الضرع : كالثدي للإنسان وهو لكل ذات ظلف أو خف.

الشرح

الفتنة هي النزاع والقتال بين فئيتن ضل الحق بينهما ولم يعرف أين مستقره فالإنسان في مثل ذلك يجتنب كلا الطائفتين المتنازعتين ولا يخوض مع واحدة منهما لأن طريق الحق لم يعرف مع أيهما فربما ساعد بنفسه أو بموقفه أو بماله من لا يستحق المساعدة فيقع في معصية تأتي على حسناته ومن هنا نبه الإمام وحذر وجعل المسلم كابن اللبون وهو ولد الناقة الذي لا يستفاد من ظهره فلا يركب ولا يصلح للحمل كما أنه ليس بذات لبن كي يستفاد من حليبه.

أما إذا كان الحق واضح المعالم فلا بد من الوقوف إلى جانبه والقتال معه ضد الباطل فإن ذلك من مقتضى الإيمان وضروريات الإسلام.

---

٢ ـ وقال عليه السلام: أَزْرَى[١] بِنَفْسِهِ مَنِ ٱسْتَشْعَرَ[٢] الطَّمَعَ[٣]،

وَرَضِيَ بِالذُّلِّ(٤) مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ(٥)، وَهَانَتْ(٦) عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ(٧) عَلَيْهَا لِسَانَهُ.

اللغة

١ ـ أزرى : قصر به وحقره.
٢ ـ استشعر الشيء : تخلق به من الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب.
٣ ـ الطمع : ضد القناعة.
٤ ـ الذل : ضد العز، الهوان والضعة.
٥ ـ الضر : كل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدنه.
٦ ـ هان : ذل وصغر.
٧ ـ أمرّ لسانه : جعله أميراً.

الشرح

هذه أمور يقرأها الإمام في نفوس الناس وفي وجوههم ويريد منهم أن يترفعوا عنها ويعيشوا الإباء والعزة والكرامة.

(أزرى بنفسه من استشعر الطمع) الذي يعيش الطمع بما في أيدي الناس ويخضع لهم ويعطيهم من نفسه ويسايرهم في كثير من الأمور يعيش الإهانة في نفسه والاحتقار عندهم.

أما عندهم فلعلمهم بحاله وبما يتنازل عنه وأما عند نفسه فلأنه يشعر بعمقه بالمساومة على كثير من مبادئه وقيمه فتهون عليه نفسه وفي الحديث عن أبي جعفر (ع): بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله...

(ورضي بالذل من كشف عن ضره) من كشف للناس ما به من بؤس وسوء حال فقد تعرى أمامهم وهان عليهم وعادة الناس جارية أنهم يحترمون الأشخاص بصفاتهم وما يسمعون عنهم ومتى عرفوا حقيقتهم وأنهم ليسوا كذلك سقطوا من أعينهم وفي المثل «صيت الغنى ولا صيت الفقر» لأن الناس تحترم الأغنياء وتزدري الفقراء فحفظ المقام بحفظ صيت الغنى...

(وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه) من جعل لسانه أمير نفسه فقد صغرها

وحقرها لأن اللسان إذا تولى الأمر وأخذ يتكلم كما يشاء فإن سقطاته تكثر وأغلاطه تزداد وعثراته قد لا تقال فاجعل اللسان في خدمة العقل ولا تنطق إلا بعد أن تفكر في كل كلمة تخرج من فمك وتعرف آثارها وما تخلفه من الأحداث والمشاكل أو تزرعه من الخيرات والهداية وهذه الحكمة دعوة إلى ضبط اللسان الذي يحفظ كرامة الإنسان. . .

٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلْبُخْلُ(١) عَارٌ(٢). وَٱلْجُبْنُ(٣) مَنْقَصَةٌ(٤)، وَٱلْفَقْرُ يُخْرِسُ(٥) ٱلْفَطِنَ(٦) عَنْ حُجَّتِهِ(٧)، وَٱلْمُقِلُّ(٨) غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ.

اللغة

١ ـ البخل : الشح.
٢ ـ العار : ما يعاب عليه الإنسان ويخجل منه.
٣ ـ الجبن : الخوف يصيب القلب فلا يقدر على المواجهة لأي أمر.
٤ ـ المنقصة : المذمة والعيب.
٥ ـ يخرس : يسكت ويلجم والخرس مرض يصيب اللسان يمنعه من الكلام.
٦ ـ الفطن : اللبيب، صاحب الحجة.
٧ ـ الحجة : البرهان، الدليل.
٨ ـ المقل : الفقير الذي لا مال له.

الشرح

(البخل عار) البخل ضد الكرم وبمقدار ما يمدح الكرم والكرام يذم البخل والبخلاء وللجاحظ كتاب سماه «البخلاء» يذكر أقوالهم وأفعالهم ويذمهم بأبلغ بيان وأحسن لسان.

والبخل هو الشح وعدم العطاء والبذل وهو صفة ذميمة وقبيحة يخجل الإنسان منها ويعاب عليه أن تكون فيه ولذا هي «عار» تلحق البخيل في حياته فتخجله وتسير في أعقابه فتكون وصمة عار يخجلون منها ويستحون من ذكرها.

(والجبن منقصة) والجبن هو الخوف والفزع والهلع وهو ضد الشجاعة الممدوحة، والجبان لا يدفع ضيماً ولا يرفع حيفاً ولا ينصر مظلوماً ولا يقمع ظالماً وليس للجبناء حظ في معالي الأمور وكرائمها وكفى بذلك منقصة.

(والفقر يخرس الفطن عن حجته) الفقر قلة ذات اليد وعدم المال عند الشخص وهو في الغالب يشغل الفكر ويذهب بالتوجه الصحيح فإن الحجة السليمة التي ينتصر بها الإنسان تتوقف على الذكاء وعلى الانتباه التام والتوجه وعدم شغل الفكر في أمر آخر وأما إذا اشتغل الفكر في كيفية تحصيل القوت وسد الحاجات الأولية لا يتوجه بشكل جيد إلى الحوار والانتصار ويغفل عما لديه من حجج نافذة وبراهين شافية. . .

(والمقل غريب في بلدته) والمقل هو من لا مال له ولا ثروة عنده وكونه غريب في بلدته لأن الناس تتعامل مع الأغنياء وحاجتهم عندهم، يتوجهون إليهم ويترددون عليهم ويقصدونهم ولا تخلو بيوتهم منهم أما الفقراء فلا أحد ينتبه إليهم فيصبحوا غرباء وإن كانوا في بلدهم لعدم التعامل معهم والاختلاط بهم والتردد عليهم وزيارتهم وهذا ما نشاهده ونراه في زماننا وأيام حياتنا.

---

٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَجْزُ(١) آفَةٌ(٢)، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ(٣)، وَٱلْوَرَعُ جُنَّةٌ(٤)، وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ(٥) الرِّضَى.

اللغة

١ ـ العجز : عدم القدرة.

٢ ـ آفة : جمع آفات العاهة، ما يُفسد.

٣ ـ الثروة : كثرة المال.

٤ ـ الجنة : بالضم الوقاية.

٥ ـ القرين : المصاحب.

الشرح

(العجز آفة) العجز يعني عدم القدرة أو عدم التمكن من القيام بما يطمح إليه الإنسان أو العجز عما يطلب منه، فمن لم يكن عالماً لم يتمكن من نشر العلم وبثه ومن لم يكن غنياً لم يستطع البذل والعطاء فالعجز إذاً عاهة ومرض يقعد الإنسان عن نيل مراده. . .

(الصبر شجاعة) الصبر يعني ضبط النفس وعدم اضطرابها عند الأحداث العظيمة

حينما تعصف بهذا الإنسان فهو ذو شجاعة يواجه بها مصاعب الحياة ومشاكلها فلا ينهزم أمامها أو ينسحق تحت ضرباتها والشجاعة صمود ورباطة جأش واطمئنان وإقدام وقوة قلب والصابر إنسان متزن يحافظ على سلامة فكره واستمرارية حل ما يعترض سبيله من قضايا معقدة ومشاكل مستعصية. . .

(والزهد ثروة) الزهد هو التعفف عن الدنيا والاستغناء عما فيها وعمن هي في أيديهم فهو ثروة مال يستغني به الإنسان عن الناس وعما في أيديهم.

والزاهد حاجته مقضية بل لا حاجة له فهو أغنى ممن يملك الثروة والمال ويقضي حاجته بها مع فارق أن الزاهد لم يحتج إلى الثروة ليقضي حاجته لعدم الحاجة بينما الثاني يحتاج إليها ليقضي بها حاجته. . .

(والورع جنة) الورع حالة نفسية تستدعي من الإنسان أن يبتعد عن المحرمات بل عن المشتبهات وبذلك يقي نفسه من النار ويدفع عنها عذاب الملك الجبار فكما أن الترس يحمي من ضربات سيوف الأعداء كذلك الورع يحمي الإنسان من النار. . .

(ونعم القرين الرضى) أن ترضى بما أنت فيه وما أنت عليه وتفكر بهدوء بما تحب أن تصير إليه فهذا من أحسن الأمور وأفضلها أما إذا لم ترض وسخطت فإنك ستبتلى بأزمة حادة تفقد فيها أعصابك وتعكر مزاجك وتعيش حياة قلقة باستمرار.

---

٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعِلْمُ وِرَاثَةٌ[١] كَرِيمَةٌ، وَٱلآدَابُ حُلَلٌ[٢] مُجَدَّدَةٌ، وَٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ.

اللغة

١ ـ **وراثة** : الإرث والوراثة هو ما يخلفه الميت لورثته والميراث تركة الميت.

٢ ـ **الحلل** : جمع الحلة بالضم كل ثوب جديد.

الشرح

(العلم وراثة كريمة) العلم نور يكشف الأمور وبه تتضح القضايا وهو نعم ما يخلفه الإنسان لنفسه فإنه يذكر به بين العلماء وأرباب الفكر والأدب ونجد مصداق ذلك بما

خلفه العلماء وراءهم من آراء ونظريات يذكرون بها ويمدحون عليها ويذكرهم أهل المعرفة بكل خير.

(الآداب حلل مجددة) الآداب الشرعية والسلوكية والاجتماعية من معاشرة الناس بالحسنى والاختلاط معهم بالأدب والاحترام وما هو مفترض في الدين كل ذلك حلل يتزين بها الإنسان وتتجدد في كل وقت فلا تبقى كما هي ولا تبلى كما تبلى الحلل والثياب كما أنها تختلف وتتعدد فآداب الحكام والملوك لها أسلوب وطريقة معينة وقد تختلف وتتجدد من وقت لآخر وآداب العلماء لها أسلوب وطريق يختلف مع الأول والآداب بين الآباء والأبناء لها نمط ثالث وآداب الناس لها نمط رابع وهكذا...

(الفكر مرآة صافية) الفكر الصافي الخالي من الهوى والميول والمؤثرات الوراثية والمصالح والمنافع يصل من الأمور إلى حقيقتها ويدرك واقعها وكما هي فهو يعكس الأشياء كما هي كما تعكس المرآة الصافية الصورة كما هي وتنقلها صحيحة سليمة.

وهذه منه دعوة إلى التجرد العقلي وتحرير العقل من الضغوط عليه عندما يتوجه للحكم على الأمور أو يريد أن يحلل القضايا ويتبنى النظريات.

---

٦ ـ وقال عليه السلام: صَدْرُ ٱلْعَاقِلِ صُنْدُوقُ(١) سِرِّهِ(٢)، وَٱلْبَشَاشَةُ(٣) حِبَالَةُ(٤) ٱلْمَوَدَّةِ(٥)، وَٱلاحْتِمَالُ(٦) قَبْرُ ٱلْعُيُوبِ.

وروي أنه قال في العبارة عن هذا المعنى أيضاً: ٱلْمَسْأَلَةُ خِبَاءُ ٱلْعُيُوبِ، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ.

اللغة

١ ـ الصندوق : وعاء تحفظ فيه الثياب والأشياء الثمينة.

٢ ـ السر : ما يكتمه الإنسان في نفسه.

٣ ـ البشاشة : طلاقة الوجه وانشراحه.

٤ ـ الحبالة : شبكة الصياد.

٥ ـ المودة : المحبة.

٦ ـ الاحتمال : تحمل الأذى.

الشرح

(صدر العاقل صندوق سره) إذا أردت أن يبقى سرك محفوظاً فلا تتحدث به أمام أحد وكما تحفظ أموالك في صندوقك (خزنتك) ولا تكشف ما فيه وكم فيه ولا يعرف ذلك أحد غيرك اجعل كذلك سرك في صدرك ولا تكشفه إلى أحد.

(البشاشة حبالة المودة) شبه طلاقة الوجه وانشراحه في جلب المحبة والمودة بشبكة الصياد التي بها يصطاد الطيور فهذه للطيور وتلك للقلوب فإن بشاشة الوجه تغرس المحبة في القلوب وتجعلها تميل إليها وتنطلق معها وتحبها وتحب اللقاء معها ولذا كان حسن اللقاء أحسن القرى.

(الاحتمال قبر العيوب) وروي أنه قال في العبارة عن هذا المعنى أيضاً: «المسالمة خباء العيوب ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه».

الصبر على أذى الغير وكظم الغيظ عما يصدر منهم يستر عيوب الإنسان من جهة أن المواجهة بالمثل عيب بنفسه فإذا تحمل الأذى ولم يظهره فقد ستره ومن جهة أخرى أن الصبر على الأذى يستدعي من الناس أن لا يكشفوا ما يعرفون عنه من عيوب وبذلك تموت.

وأما إذا كانت العبارة خباء فالمعنى نفسه لا يختلف عنه.

(ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه) لأنه برضاه عن نفسه لا يقف على عيوبه فيصبح كل ما يمارسه مع الناس من أخطاء وإساءات لا يلتفت إليها وكل إساءة تربي له عدواً وتخلق ساخطاً عليه وغاضباً على تصرفاته.

---

٧ ـ وقال عليه السلام: الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ(١) مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ(٢)، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ(٣) فِي آجَالِهِمْ(٤).

اللغة

١ ـ الدواء : العلاج.
٢ ـ العاجل : ضد الآجل، والعاجلة هي الدنيا.

٣ ـ نصب أعينهم : أمامها.
٤ ـ آجالهم : جمع أجل وهو الوقت المضروب، يوم القيامة.

الشرح

(الصدقة دواء منجح) الصدقة عبارة عن العطاء المجاني يقصد به وجه الله وقد جعلها علاجاً ناجحاً يشفي من الأمراض وذلك لأن الفقير يأخذها ويدعو للمعطي وهذا الدعاء هو الدواء الناجح لأنه توجه إلى الله والذي يمرض هو الذي يشفي وقد ورد عن النبي قوله: «داووا مرضاكم بالصدقة».

(وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجالهم) كل ما يعمله الإنسان في دنياه يجده في آخرته قال تعالى: **﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** وقال تعالى: **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾** ومن هذه الآيات وما أشبهها وما كان مثل هذه الكلمة استفاد بعضهم بتجسيم الأعمال في الآخرة...

---

٨ ـ وقال عليه السلام: أَعْجَبُوا لِهذَا ٱلإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ(١) وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ(٢)!!.

اللغة

١ ـ الشحم : ما ابيض وخف من لحم الحيوان وشحمة العين مقلتها.
٢ ـ الخرم : الثقب وخرم الإبرة ثقبها التي يدخل منه الخيط.

الشرح

الإنسان عجيب التكوين وكل عضو فيه معجزة إلهية تحكي دقة الصنع وحكمة الخالق وعظمة المبدع القدير والإمام يذكر عظمة الباري في هذه الأعضاء الأربعة فينبه الإنسان ليعتبر ويتعظ ويلتفت إلى الله فيعبده ويتوجه إليه فهذه العين تتراءى وكأنها شحمة وبها يرى الإنسان مع أن في البدن يوجد أمثالها وكذلك يتكلم بلحم وهو اللسان وفي البدن أضعاف مضاعفة مثله فلماذا لا يكون الكلام إلا به ولا يؤدي وظيفته شيء آخر في بدن الإنسان وكذلك السمع يتم بواسطة الأذن وهي عظيمات مجتمعة ومؤلفة بشكل تتم

بواسطتها نقل الأصوات والاستماع مع أن في البدن عظام أكبر منها وأصلب وكذلك من ثقب الأنف يتم التنفس أو من ثقب الفم مع أن في البدن غيره فلماذا يكون التنفس منه سبحان من خلق فأبدع وعلى الإنسان أن ينظر ويعتبر ويفكر ويتعظ ويرجع إلى الله العليم الخبير. . .

---

٩ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَقْبَلَتِ(١) الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ(٢) مَحَاسِنَ(٣) غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ(٤) سَلَبَتْهُ(٥) مَحَاسِنَ نَفْسِهِ.

اللغة

١ ـ **أقبلت الدنيا** : أتت بخيراتها وما فيها.
٢ ـ **العارية** : العطية للشيء للانتفاع به على أن يرده أو مثله.
٣ ـ **المحاسن** : جمع حسن وهو الجمال والمحاسن هنا أفضل الأشياء.
٤ ـ **أدبر عنه** : تولى عنه وأعطاه دبره ذاهباً.
٥ ـ **سلب الشيء** : انتزعه.

الشرح

هذا هو حال الدنيا وهذه طريقتها مع بعض الناس، إنها إذا أقبلت عليهم وتوجهت نحوهم أخذت محاسن غيرهم فأعطتهم إياها. . . إذا أصبح إنسان غنياً وأعطى درهماً حوّلت الدنيا هذا العطاء القليل إلى عطاء كثير تتحدث به الناس وتنقله الركبان ونحن قد قرأنا لبعض من عاصرنا كتباً ضعيفة ومع ذلك ترى وسائل الإعلام تحكي فيها وتتحدث عنها وترى الصحافة ورجالاتها تثني على مؤلفها وذلك لأنه شخصية اجتماعية مرموقة ولها وزنها على الساحة السياسية وأما إذا أدبرت الدنيا وحاربت بعض الناس فإنك تجد ما فيه من محاسن وكمالات تنقل عنه وتسلب منه. . .

---

١٠ ـ وقال عليه السلام: خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً(١) إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ(٢).

اللغة

١ ـ المخالطة : المعاشرة.

٢ ـ حنوا إليكم : اشتاقوا إليكم.

الشرح

دعا الإسلام إلى حسن العشرة وأن يسير الإنسان مع الناس سيرة طيبة بأن يلقاهم بالبشر ويتكلم معهم بالرقة والعطف ويشعرهم أنه معهم في سرائهم وضرائهم وما يصيبهم من شدة وعناء وهذا بطبيعة الحال له نتائج وآثار ومن آثاره ونتائجه أنه إذا غاب عنهم افتقدوه وبحثوا عنه وحنوا إليه واشتاقوا إلى رؤيته وأما إذا مات فإنهم يبكون عليه ويحزنون لأنهم يشعرون بخسارتهم لفقده وهكذا ينبغي أن يكون المسلم إن غاب اشتاقوا إليه وإن مات بكوا عليه.

---

١١ ـ وقال عليه السلام: إِذَا قَدَرْتَ(١) عَلَى عَدُوِّكَ فَٱجْعَلِ ٱلْعَفْوَ(٢) عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

اللغة

١ ـ قدر عليه : قوي عليه.

٢ ـ العفو : الصفح.

الشرح

لكل نعمة شكرها المناسب لها، والقدرة على العدو نعمة كبرى تستحق الشكر، فإذا أعطاك الله القدرة البدنية أو العسكرية أو العقلية وانتصرت بذلك على عدوك فاجعل شكر هذا النصر والقدرة على العدو أن تعفو عنه وتصفح.

وفي التاريخ أمثلة عظيمة في العفو والصفح وكم حوّل هذا الأسلوب من التعامل ألدّ الأعداء إلى أصدقاء أوفياء هذا إذا كان المعفو عنه كريماً شهماً يعرف منابت العز في رؤوس الرجال...

١٢ ـ وقال عليه السلام: أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ[١] الإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ[٢] مَنْ ظَفِرَ بِهِ[٣] مِنْهُمْ.

اللغة

١ ـ اكتسب : ربح.
٢ ـ ضيّع الشيء : فقده.
٣ ـ ظفر به : فاز به.

الشرح

دعوة إلى اكتساب الإخوان وعدم تنفير وتهجير من هم أصدقاء بالفعل بل يحافظ على أصدقائه ويحاول أن يكتسب غيرهم.

أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأصدقاء لأن اكتسابهم لا يحتاج إلا إلى بعض اللياقة والصدق وحسن اللقاء والكلمة الطيبة والسؤال عنهم ومدّ يد العون إليهم قدر الطاقة ومن لم يقدر على ذلك فهو من أعجز الناس عن اكتساب ما يحتاج إلى جهد وكلفة ومشقة عالية...

ولكن أعجز من هذا من ضيّع من ظفر به منهم أن يكون لك أصدقاء فتأتي بأعمال تبعدهم عنك وتجعلهم يتخلون عن صداقتك فهذا أشد عجزاً من أصل اكتسابهم لأن هروب العصفور من اليد أشد حسرة وأكثر ألماً من تحصيل عصفور بعيد لم يقع تحت يدك... ومن عجز عن الاحتفاظ بما في يده كان أعجز من أن يكتسب ما لم يقع في يده.

---

١٣ ـ وقال عليه السلام: إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ[١] فَلَا تُنَفِّرُوا[٢] أَقْصَاهَا[٣] بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

اللغة

١ ـ أطراف النعم : أوائلها.
٢ ـ تنفر الدابة : تشرد وتبعد.
٣ ـ أقصاها : أبعدها أي آخرها.

الشرح

إذا ابتدأت نعم الله تصل إليكم وتتساقط عليكم سواء كانت من النعم المادية كالمال أو المعنوية كالجاه فلا تقطعوا استمرار تدفقها ولا ترفعوا أسباب وجودها وذلك إنما يحصل بقلة شكرها الذي يعني أن تضعها في غير موضعها، وعلى العكس مع الشكر قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

---

١٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ضَيَّعَهُ(١) ٱلأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ(٢) ٱلأَبْعَدُ.

اللغة

١ ـ ضيّع الشيء : فقده.
٢ ـ أتيح له : قدر له وهيىء له.

الشرح

من لم يتنبه له الأهل والأقارب ولم يهتموا بشؤونه ويقفوا إلى جنبه هيأ الله له من هو أبعد منهم إليه يقومون بنفس دورهم وقد يكون أتم وأكمل وقد كان في سيرة رسول الله ودعوته أعظم العبر حيث إن قريشاً في مكة تخلت عنه وعن مساندته بل حاربته ولم تهتد ولم تتعاون معه في دعوته فكانت الهجرة إلى المدينة وهيأ الله له من الأوس والخزرج ما كان به الفتح والنصر وقاموا مقام عشيرته وأقرب الناس إليه.

---

١٥ ـ وقال عليه السلام: مَا كُلُّ مَفْتُونٍ(١) يُعَاتَبُ.

اللغة

١ ـ المفتون : الواقع في الفتنة.
٢ ـ العتاب : اللوم.

الشرح

نهى عليه السلام عن اللوم للإنسان لمجرد أن تجده يمارس أمراً غير مشروع إذ ربما كان له عذر في إقدامه على ذلك العمل فمن وجدته في مكان لا يليق به فلا تسارع

في لومه إذ ربما كان لوجوده في ذلك المكان ما يسوّغه.

وربما أراد عليه السلام: لا تلُمْ من لا تؤثر الملامة فيه أو لا تنفع ويؤيد ذلك أنهم قالوا: إن هذا الكلام منه عليه السلام كان لسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم العتاب واللوم لأنهم يعرفون الحقيقة وينحرفون عنها فلا ينفعهم اللوم...

---

١٦ ـ وقال عليه السلام: تَذِلُّ[١] ٱلأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ[٢]، حَتَّى يَكُونَ ٱلْحَتْفُ[٣] فِي التَّدْبِيرِ.

اللغة

١ ـ ذل البعير : سهل انقياده.

٢ ـ المقادير : جمع المقدار، القدرة.

٣ ـ الحتف : الموت.

الشرح

قد تصبح الأمور بين يديك تصرفها كيف تشاء وتنجح في تذليل الصعاب فترى في قبضة يدك كل شيء جاهزاً ولكن قد يكون في طيات ذلك موتك والقضاء عليك، فربما تسعى في تقوية دولة وتعزيزها ثم يأتي أربابها على نفسك وينهون حياتك كما وقع ذلك لأبي مسلم الخراساني فالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه هو خير معين...

---

١٧ ـ وسئل عليه السلام عن قول الرسول ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: «غَيِّرُوا[١] الشَّيْبَ[٢]، وَلاَ تَشَبَّهُوا[٣] بِٱلْيَهُودِ» فقال عليه السلام: إِنَّمَا قَالَ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ذَلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ[٤]، فَأَمَّا ٱلآنَ وَقَدِ ٱتَّسَعَ نِطَاقُهُ[٥]، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ[٦]، فَٱمْرُؤٌ وَمَا ٱخْتَارَ.

اللغة

١ ـ **غيروا** : بدّلوا.

٢ ـ **الشيب** : بياض الشعر.

٣ ـ **تشبّه به** : قلّده وحاكاه.

٤ ـ **قُلّ** : بضم القاف أي قليل أهله.

٥ ـ **النطاق** : الحزام.

٦ ـ **الجران** : مقدم عنق البعير.

الشرح

دعا رسول الله أصحابه من أهل الشيب أن يغيروا شيبهم بالخضاب بالحناء والسواد أو غيرها من الأصباغ ولا يتشبهوا باليهود الذين لا يصبغون شيبهم وأمره عليه السلام إنما كان لأجل أن يظهروا في فتوة وشباب فيها بهم الأعداء وإنما قال ذلك يوم كان المسلمون قلة وأما بعد أن كثر المسلمون وانتشر الإسلام وتوطدت أركانه وثبتت دعائمه فكل مسلم وما اختار فمن أحب أن يخضب فهو مباح له ومن أراد تركه فله الحرية الكاملة . . .

---

١٨ ـ وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا[1] القتال معه: خَذَلُوا ٱلْحَقَّ[2]، وَلَمْ يَنْصُرُوا ٱلْبَاطِلَ.

اللغة

١ ـ **اعتزل الشيء** : تنحى عنه وتركه.

٢ ـ **خذل الحق** : ترك نصرته ومعونة أربابه.

الشرح

بعض الناس في عهد الإمام اعتزلوا القتال فلم يقاتلوا معه ولا ضده منهم عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم فقال لهم الإمام: إنهم خذلوا الحق بالقعود عن القتال دونه ولم ينصروا الباطل بالقتال معه، فهم لم ينصروا الباطل لكنهم خذلوا الحق وهذه الكلمة منه لهم كلمة ذم بليغة أصابتهم إصابة موجعة لأن المؤمن لا يكون إلا ناصراً للحق مدافعاً عنه خاذلاً للباطل مقاتلاً له.

١٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ جَرَى[١] فِي عِنَانِ[٢] أَمَلِهِ عَثَرَ[٣] بِأَجَلِهِ[٤].

اللغة

١ ـ جرى : سار.
٢ ـ العنان : وزن كتاب سير اللجام تمسك به الدابة.
٣ ـ عثر : سقط ووقع.
٤ ـ الأجل : الوقت المضروب، الموت.

الشرح

الآمال كثيرة وكلما تحقق من آمالك شيء تجددت آمال وهكذا... فإذا استرسلت وراء تحقيقها وبقيت تسعى دون رأفة أو رحمة ودون نظر إلى حلال أو حرام أو جائز وممنوع ومارست في سبيلها كل السبل وشتى الطرق يأتيك الموت فجأة فيقطع آمالك ويقضي عليها وتنتقل إلى ربك في حالة تمرد وعصيان... فكلامه عليه السلام تنبيه لهذا الإنسان أن لا يسترسل وراء الأمل دون التفات إلى الله ودون حساب للموت...

---

٢٠ ـ وقال عليه السلام: أَقِيلُوا[١] ذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ[٢] عَثَرَاتِهِمْ[٣]، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلاَّ وَيَدُ ٱللهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ.

اللغة

١ ـ الإقالة في البيع : فسخه وهنا يراد بها الإغضاء والعفو والستر.
٢ ـ المروءة : فعل الأكمل والأجمل وترك القبيح وما يغض من شيمة الشخص.
٣ ـ العثرات : جمع عثرة السقطة والهفوة.

الشرح

من كان صاحب مروءة يأنف من القبيح ويترفع عن السفائف والصغار إذا وقعت منه زلة أو هفوة فاصفح عنه ولا تؤاخذه عليها أو تعاتبه بها... دعوة إلى الصفح عن

أصحاب الشيم الكريمة وعلل ذلك بأن الله بقوته يرفعهم منها ويسددهم للنهوض من هذه الكبوة وذلك لكثرة أفعالهم الطيبة التي تستر هذه الزلة وتغطيها.

٢١ ـ وقال عليه السلام: قُرِنَتِ ٱلْهَيْبَةُ(١) بِٱلْخَيْبَةِ(٢)، وَٱلْحَيَاءُ(٣) بِٱلْحِرْمَانِ(٤)، وَٱلْفُرْصَةُ(٥) تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ(٦)، فَٱنْتَهِزُوا(٧) فُرَصَ ٱلْخَيْرِ.

اللغة

١ ـ الهيبة : المخافة.

٢ ـ الخيبة : عدم الظفر بالمطلوب.

٣ ـ الحياء : الحشمة والخجل.

٤ ـ الحرمان : عدم توافر الشيء.

٥ ـ الفرصة : الوقت السانح والمناسب.

٦ ـ السحاب : الغيوم.

٧ ـ انتهزوا : استغلوا الفرصة.

الشرح

(قرنت الهيبة بالخيبة) إذا خفت من أمر لم تقدم عليه ولم تجرؤ على الطلب به فهذا يفوّت عليك المطلوب وهو أسلوب قبيح وطريقة غير صحيحة بل إذا أردت أمراً فاقتحم أبوابه ولا تأخذك هيبة الرجال وقوتهم فيضيع مطلوبك...

(والحياء بالحرمان) وهذا الحياء وهو الخجل الذي يمنع الإنسان من الطلب بمراده فمن خجل واستحى أن يطلب حقه منع منه ولم يعطى وهذه دعوة إلى رفض الحياء إذا كان يوجب حرمان الناس من حقوقهم ومنعهم منها...

(والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير) الفرصة فسحة من الوقت تستطيع أن تحقق مطلوبك خلالها وهي قد لا تعود إليك وقد لا تراها مرة أخرى فلذا يجب على الإنسان أن يبادر إلى الاستفادة من فرص الخير ويترقب حلولها ليستفيد منها ولا يقولن بعد فواتها «ليتني» وخصوصاً إذا كانت الفرصة لعمل الخير كمن آتته الفرصة لخدمة محتاج فينبغي عليه أن يبادر إلى قضائها ولا يتأخر إذ ربما قضاها غيره أو فات محلها أو عجز بعد ذلك فيقع في خسارة الأجر والثواب...

٢٢ ـ وقال عليه السلام: لَنَا حَقٌّ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ[١] الإِبِلِ[٢]، وَإِنْ طَالَ السُّرَى[٣].

قال الرضي: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء. وذلك أن الرديف يركب عجُزَ البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما.

اللغة

١ ـ أعجاز الإبل : مآخيرها جمع عجز وهو مركب شاق.

٢ ـ الإبل : الأباعر، الجمال.

٣ ـ السرى : سير الليل.

الشرح

فهم الرضي ما فهمه من كلام الإمام ويمكن أن يكون مراده عليه السلام أن الخلافة من حقوقنا وهي لنا فإن أعطينا حقنا فهو المطلوب وإن منعنا منه صبرنا واحتسبنا ولم نتركه مهما طالت الأيام وامتدت السنون. . .

وقال بعضهم: إن مراده أنه إن لم يحصل على حقه ركب الصعاب من أجله. . .

---

٢٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَبْطَأَ[١] بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ[٢].

اللغة

١ ـ أبطأ : تأخر.

٢ ـ النسب : القرابة.

الشرح

المقرب من الله ومن الناس هو عمل المرء وسلوكه وبمقدار جهادك وتضحياتك ترتفع منزلتك عند الله وترتفع أسهمك عند الخلق وهذا هو الميزان الصحيح وأما النسب والقرابة من الصالحين والعظماء وأصحاب الجاه فليس بنافع إن لم يُشفع بالعمل الصالح وإذا اجتمع الحسب والعمل والتقى طيب العنصر مع طيب العمل كان الكمال والتوفيق والفوز. . .

وهذه دعوة إلى عدم الاتكال على الحسب والنسب فيريد أن يركب أعناق الناس بحجة أنه يتحدر من آباء أصحاب خدمات وأمجاد وهذا غير صحيح وليس له حق. . .

---

٢٤ ـ وقال عليه السلام: مِنْ كَفَّارَاتِ[١] الذُّنُوبِ[٢] ٱلْعِظَامِ إِغَاثَةُ ٱلْمَلْهُوفِ[٤]، وَالتَّنْفِيسُ[٥] عَنِ ٱلْمَكْرُوبِ[٦].

اللغة

١ ـ الكفارات : جمع كفارة فدية أو عمل يُغطى بها الإثم ويمحى الذنب.

٢ ـ الذنوب : المعاصي.

٣ ـ إغاثة : إعانة.

٤ ـ الملهوف : الحزين، المفجوع في أمر ما.

٥ ـ نفّس عنه : فرّج عنه.

٦ ـ الكرب : الأحزان والمشقات.

الشرح

هناك ذنوب كبيرة يفعلها الإنسان يستطيع في حياته أن يكفر عنها ويمحو أثرها وذلك بالتوبة الصادقة وكذلك ربما تكون بعض الأعمال النافعة للناس مكفرة عن هذه الذنوب العظام كما هو الحال في إغاثة الملهوف فمن كان بحاجة إلى لقمة يسد بها رمقه أو قطعة يستر بها عورته أو ترد ظالماً أو تقضي حاجته فإن كل ذلك يكفّر عنك سيئاتك الكبيرة ويمحوها من دفتر السيئات وكذلك التنفيس عن المكروب أن تخرج إنساناً وقع في شدة أو تنقذ إنساناً من أزمة حاقت به فهذه موجبة لمحو الذنوب الكبيرة.

---

٢٥ ـ وقال عليه السلام: يَابْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَٱحْذَرْهُ[١].

اللغة

١ ـ احذره : خف منه واخشاه.

الشرح

تحذير لهذا الإنسان من أن الله إذا تابع عليه العطاء والنعم وهو مع ذلك مستمر على المعصية أن يكون ذلك من باب الاستدراج كي يضاعف عليه العقوبة فتكون النعمة نقمة وتتحول هذه العطايا إلى وسائل للعذاب والعقاب وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾.

---

٢٦ ـ وقال عليه السلام: مَا أَضْمَرَ[١] أَحَدٌ شَيْئاً إِلاَّ ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ[٢] لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ[٣].

اللغة

١ ـ أضمر : أسر وأخفى.

٢ ـ الفلتات : جمع الفلتة وهو الأمر الذي يقع عن غير رويّة.

٣ ـ صفحات الوجه : بشرته، جهاته.

الشرح

مهما تكن قادراً على إخفاء ما في نفسك فلن تستطيع أن تقضي على ذلك بالكلية أو تمحو أثره بل لا بد وأن تندّ منك كلمة تظهر في ساعات اللهو والاسترخاء أو ساعات الهرج والمرج أو ساعات التحدي والجد وقد يظهر آثار ذلك على وجهك فإذا كنت لا تحب شخصاً وجرى الطعن فيه بادرت إلى الطعن فيه مع الطاعنين ولو سهواً أو ظهر استبشار على وجهك أو برزت بعض علامات الرضا وقال بعضهم في تقريب هذا: إن الاعتقاد الذي في صميم الفؤاد كالرطوبة التي في أعماق الشجرة وأصولها فلا شك أنه تظهر آثارها بالأوراق والأزهار على أغصانها.

---

٢٧ ـ وقال عليه السلام: اْمْشِ بِدَائِكَ[١] مَا مَشَى بِكَ.

اللغة

١ ـ الداء : المرض.

الشرح

لا تتوقف عن عملك وتتمدد في فراشك بمجرد أن تشعر بالمرض بل تابع عملك ولا تتوقف عنه إلا إذا أقعدك عن الحركة ولم تعد تحتمله.

وهذا علاج نفسي يقوّي العزيمة ويشدّ الهمة ويحفزك للوقوف أمام المرض العارض المؤقت.

---

٢٨ ـ وقال عليه السلام: أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءِ الزُّهْدِ.

الشرح

الزهد مشوب بالرياء والسمعة وحب الظهور وقد يكون في بعض الأحيان مشبعاً لفضول الإنسان وتطلعاته ومدح الناس له، وقد يكون باباً من أبواب الثناء المريح ومن هنا كان إخفاؤه عن الناس وعدم الظهور أمامهم بمظهر الزهد هو الزهد الحقيقي وأفضل الزهد لأنه يبعد عن الرياء وإشباع فضول الإنسان.

---

٢٩ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ، وَٱلْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ ٱلْمُلْتَقَى!.

الشرح

إذا كان عمرك في إدبار يقصر شيئاً فشيئاً ـ وأكبر ما تكون عند ولادتك ـ فأنت تمشي نحو الآخرة والموت في المقابل يمشي نحوك فما أسرع ما تلتقي وإياه فيأخذك معه فإذا كان شخصان متقابلان ويسيران معاً نحو هدف في منتصف الطريق فإنهما سيلتقيان بسرعة...

وهذه دعوة إلى الاستعداد للآخرة والعمل لها وأن يكون الإنسان باستمرار متأهباً للرحيل في أي وقت يأتيه الأجل...

٣٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ! فَوَٱللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ.

الشرح

احذر سطوات الله ونقماته فإنه يستر عليك العيوب ولا يكشفها ليفضحك بها ولكنه قد يؤخرها ليوم شديد يأخذك فيه.

فإذا أذنبت فتدارك ذنبك بالتوبة وارجع إليه تعالى بالاستغفار والإنابة.

---

٣١ ـ وَسُئِلَ عَنِ ٱلإيمَانِ، فَقَالَ: ٱلإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ(١): عَلَى الصَّبْرِ، وَٱلْيَقِينِ، وَٱلْعَدْلِ، وٱلْجِهَادِ. وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ(٢): عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ(٣)، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ(٤): فَمَنِ ٱشْتَاقَ إِلَى ٱلْجَنَّةِ سَلاَ(٥) عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ ٱجْتَنَبَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا ٱسْتَهَانَ(٦) بِٱلْمُصِيبَاتِ(٧)، وَمَنِ ٱرْتَقَبَ(٨) ٱلْمَوْتَ سَارَعَ(٩) إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ. وَٱلْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِرَةِ(١٠) ٱلْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ ٱلْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ ٱلْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ ٱلأَوَّلِينَ. فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي ٱلْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ(١٢) لَهُ ٱلْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ(١٣)، وَمَنْ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي ٱلأَوَّلِينَ. وَٱلْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَائِصِ(١٤) ٱلْفَهْمِ، وَغَوْرِ ٱلْعِلْمِ(١٥)، وَزُهْرَةِ ٱلْحُكْمِ(١٦)، وَرَسَاخَةِ ٱلْحِلْمِ(١٧)، فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ صَدَرَ(١٨) عَنْ شَرَائِعِ ٱلْحُكْمِ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ(١٩) فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً(٢٠). وَٱلْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى ٱلأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي ٱلْمَوَاطِنِ(٢١)، وَشَنَآنِ(٢٢) ٱلْفَاسِقِينَ: فَمَنْ أَمَرَ بِٱلْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ(٢٣)

ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ ٱلْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ(٢٤) ٱلْكَافِرِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِىءَ ٱلْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لله، غَضِبَ ٱللهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. وَٱلْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ(٢٥) وَالتَّنَازُعِ(٢٦)، وَالزَّيْغِ(٢٧)، وَالشِّقَاقِ(٢٨): فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ(٢٩) إِلَى ٱلْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِٱلْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ ٱلْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ، وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلاَلَةِ، وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ(٣٠) عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَأَعْضَلَ(٣١) عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ. وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي(٣٢)، وَٱلْهَوْلِ(٣٣)، وَالتَّرَدُّدِ(٣٤)، وَٱلاسْتِسْلاَمِ(٣٥): فَمَنْ جَعَلَ ٱلْمِرَاءَ(٣٦) دَيْدَناً(٣٧) لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ، وَمَنْ هَالَهُ(٣٨) مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ(٣٩) عَلَى عَقِبَيْهِ(٤٠)، وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ(٤١) وَطِئَتْهُ(٤٢) سَنَابِكُ(٤٣) الشَّيَاطِينِ، وَمَنِ ٱسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا.

قال الرضي: وبعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الإطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب.

اللغة

١ ـ الدعائم : أعمدة البيت.
٢ ـ شُعب : جمع شعبة الفُرقة الطائفة من الشيء.
٣ ـ الشفق : الخوف.
٤ ـ الترقب : الانتظار.
٥ ـ سلا : هجر وترك.
٦ ـ استهان : لم يعر الأمر اهتماماً.
٧ ـ المصيبات : جمع مصيبة وهي البلية والكارثة.
٨ ـ ارتقب : انتظر.
٩ ـ سارع : بادر.
١٠ ـ التبصر : التعرف.
١١ ـ الفطنة : الفهم، والحذق في الأمر.

١٢ ـ تبينت : ظهرت .
١٣ ـ العبرة : العظة والاعتبار .
١٤ ـ غاص في البحر : دخل تحت الماء إلى العمق .
١٥ ـ غور العلم : باطنه وعمقه .
١٦ ـ زهرة الحكم : حسنه ونوره .
١٧ ـ رساخة الحلم : ثبوته واستقراره .
١٨ ـ صدر : رجع ضد ورد .
١٩ ـ يفرّط : يقصّر .
٢٠ ـ حميداً : محموداً ممدوحاً .
٢١ ـ المواطن : المواقع .
٢٢ ـ الشنآن : البغض .
٢٣ ـ شد الظهور : قواها .
٢٤ ـ أرغم أنفه : أجبره على الرضوخ .
٢٥ ـ التعمق : الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الأسرار .
٢٦ ـ التنازع : الخصام .
٢٧ ـ الزيغ : الانحراف عن الحق .
٢٨ ـ الشقاق : العناد والخلاف .
٢٩ ـ ينب : يرجع ويعود .
٣٠ ـ الطريق الوعر : الصعب السلوك لخشونته .
٣١ ـ أعضل الأمر : اشتد واستغلق .
٣٢ ـ التماري : المجادلة بغير الحق .
٣٣ ـ الهول : الفزع .
٣٤ ـ التردد : عدم الجزم بالشيء بل يقطع بالشيء ثم ينقضه وهكذا .
٣٥ ـ الاستسلام : عدم المقاومة .
٣٦ ـ المراء : بكسر الميم الجدال .
٣٧ ـ الديدن : العادة .
٣٨ ـ نكص : رجع واحجم .
٣٩ ـ هاله : أفزعه .
٤٠ ـ نكص على عقبيه : رجع متقهقراً .
٤١ ـ الريب : الشك .
٤٢ ـ وطأته : داسته .
٤٣ ـ السنابك : جمع سنبك طرف الحافر .

الشرح

(وسئل عن الإيمان فقال: الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد) في هذا الجواب عن الإيمان يوضح الإمام الإيمان ويفصله على حقيقته ويبين بعض خصوصياته وجوانبه وجزئياته فيقول: إن الإيمان يقوم على أربع قواعد أسياسية راسخة قوية عليها يقوم صرح الإيمان وبها يكون ولولاها لهوى وسقط. إنها الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم جاء إلى كل واحدة ليفصلها ويشرحها وعلى أي شيء تبنى وما هي مقوماتها. . .

(والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات) هذا هو الركن الأول من أركان الإيمان: إنه الصبر وهو أيضاً على أربع شعب:

أ ـ على الشوق إلى الجنة ومن اشتاق إليها ورغب فيها وحنّ إليها هجر الشهوات المحرمة وما ترغب فيه النفس من الأمور الباطلة.

ب ـ وعلى الشفق وهو الخوف من النار ومن خاف من عذاب النار وألمها ابتعد عن المحرمات والمعاصي والآثام فلم يترك واجباً ولم يفعل محرماً.

ج ـ وعلى الزهد في الدنيا والرغبة عنها ومن زهد في الدنيا وعزفت نفسه عنها أضحت عنده كل مصيبة وبلية ومحنة شيئاً عابراً لا يعتني بها ولا يهتم لأنها إلى زوال وانقضاء. . .

د ـ وعلى الترقب لحلول الموت ومن انتظر الموت وترقبه وعاينه وشعر بقربه بادر إلى فعل الخيرات فأعان الضعفاء وأغاث الملهوفين وكف الأذى عن الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهكذا سارع إلى كل فعل طيب خيّر. . .

(واليقين منها على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين) هذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان: إنه اليقين الذي يبنى على أربع شعب وكل واحدة مبتنية على الأخرى ومؤسسة عليها:

أ ـ بني على تبصرة الفطنة أي يكون ذكياً حاذقاً بصيراً في الأمور عميقاً في **حقائقها**.

ب ـ تأول الحكمة وهو تفسيرها وإدراك عمقها.

ج ـ ومن تبينت له الحكمة وأدرك عمق الأمور عرف العبرة وهي الموعظة النافعة التي تقربه من الله وتبعده عن الشيطان.

د ـ ومن عرف العبرة والعظة فكأنه كان في الأولين من الأنبياء والصالحين الذين سنوا طريق الحياة السليم ومنهاجها القويم.

(والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً) هذا هو الركن الثالث مما بني عليه الإيمان إنه العدل وهو أيضاً على أربع شعب:

أ ـ على غائص الفهم أي يقف على عمق العلم وأبعاده ويفهمه كما هو.

ب ـ على غور العلم وهو الإحاطة بالعلم من جميع جوانبه والوصول إلى كنهه وعمقه.

ج ـ نور الحكم أي يصل إلى الحكم بشكل واضح لا غبار عليه ولا شبهة فيه.

د ـ الحلم وهو الملكة التي يملك بها زمام غضبه ويسيطر بها على أعصابه فلا يخرج عن الحلال إلى الحرام ولا مما يجوز إلى ما لا يجوز وبذلك لا يظلم ولا ينحرف فيعيش في دنياه محموداً يذكره الناس بجميل الخصال وكريم الصفات.

(والجهاد منها على أربع شعب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنىء الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة) وهذا هو الركن الرابع للإيمان إنه الجهاد وهو على أربع شعب:

أ ـ على الأمر بالمعروف الذي يعني الأمر بكل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به ويريده ونتيجته وثمرته أن يقوى المؤمنون ويصبحوا أصحاب قوة وشدة وبأس لأنه متى قوي الإيمان قوي المؤمنون.

ب ـ وعلى النهي عن المنكر: الذي هو ردع الناس عن كل قبيح ومعصية وما لا يريده الله وفي ذلك إذلال للمنافقين وقهر لهم وقمع وردع لهم عن ارتكاب المعاصي.

ج ـ وعلى الصدق في المواطن: الذي يعني الثبات والصمود في المعارك والحروب وعدم الفرار منها والهروب من حرابها وسيوفها وفي ذلك انتصار لله ورضى له ودفاع عن المقدسات والحرمات.

د ـ وعلى شنآن الفاسقين: أي بغض المنحرفين وكراهتهم لفسقهم وانحرافهم وضلالهم ففي ذلك غضب منك لله وإرضاء له.

(والكفر على أربع دعائم: على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق: فمن تعمق لم ينب إلى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة، ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق عليه مخرجه) ذكر الكفر بعد الإيمان لأنه نقيضه وضده وأراد أن يبيّن على أي شيء يُبنى وما هي قواعده وأسسه الباطلة ليجتنب عنه وعنها من أراد الإيمان فقال: إنه يبنى على أربع دعائم:

أ ـ وبنى الكفر على التعمق وهو الدخول في بحث الأمور المستعصية التي لا يدرك قعرها ولا يصل فكر الإنسان إليها ومن أصبحت هوايته التعسف والتفلسف في بواطن الأمور وأصبحت ملكة عنده لم يرجع إلى الحق إذا اتضح له لأن الشبهة لديه قد أضحت حقيقة وظن أنه الوحيد الذي أدرك الأمور على حقيقتها فلا يقنع بغير ما وصل إليه ولو كان ما وصل إليه انحرافاً وضلالاً...

ب ـ وبني الكفر على التنازع وهو الجدال في علم الله وصنعه وحكمه والجدال وليد الجهل وعدم العلم فمن أصبح ملكة عنده استمر في ضلاله واستغرق في انحرافه ولم يعد إلى حق ولم يرجع إلى صواب.

ج ـ وبني الكفر على الزيغ وهو الانحراف عن الحق والسير وراء الباطل ومن انحرف انعكست عنده الموازين فأصبح يرى السيئة حسنة والحسنة سيئة يرى الحق باطلاً والباطل حقاً وكذلك يصبح يسيء التصرف ولا يضع الأمور مواضعها كحال السكران الذي لا يدرك تصرفه ولا يعرف ماذا يفعل...

د ـ وبني الكفر على الشقاق: وهو معاندة الحق وعداوته ومحاربته ومثل هذا تصعب عليه الطرق الطيبة فلا يصل إلى خير ولا يهتدي إلى هدى واستعصى عليه واقعه ولم يقدر على الخروج منه لشدته وضيقه.

(والشك على أربع شعب: على التماري والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدناً لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب

وطيئته سنابك الشياطين ومن استستلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما) وبين حكم الشك ووضع الشاك الذي لم يتخذ القرار الواضح ولم يقدر على اتخاذه وبين أنه على أربع شعب.

أ ـ بني الشك على التماري وهو الجدال ليظهر قوته لا ليثبت الحق ومن اتخذ هذا الاسلوب عادة دائمة له وملكة يبقى في جهل دائم لا يصحو منه ولا يهتدي بعده.

ب ـ وبني الشك على الهول وهو الخوف لأن الشاك يدافع أو يهاجم فهو ليس على يقين مما يقول فيخاف من كل من يقول ومن عاش الخوف من شكه رجع القهقرى ولم يستطع التقدم أبداً لأنه وجل يخشى الإقدام بل يخشى الثبات في مواقعه.

ج ـ وبني الشك على التردد وهو عدم الجزم في الأمور بل يبني على هذا تارة وعلى خلافه أخرى ويحتمل هذا مرة ويحتمل غيره أخرى ومثل هذا يقع فريسة الأهواء الباطلة التي تتقاذفه من جهة إلى أخرى ولا يستطيع الصمود لضعفه وتردده وعدم تمكنه من الوقوف عما يثار في وجهه وهذا الشاك لما استسلم لمن لهم بيان ولسان وكانوا على باطل هلك في الدنيا والآخرة لأنه في الدنيا يعيش الهوان والعذاب لأنه لم تستقر نفسه ولم تهدأ وأما في الآخرة فلعدم إيمانه بالله والرسول والكتب المنزلة على الأنبياء...

٣٢ ـ وقال عليه السلام: فَاعِلُ ٱلْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.

الشرح

هذا حث على فعل الخير وزجر عن فعل الشر وترغيب في الأول ونهي عن الثاني.

وأما كون فاعل الخير خير من نفس الخير فلأنه العلة الفاعلة لوجود الخير ولولاه لما وجد موجوده فالخير تابع للفاعل ونابع منه وصادر عن نفسه الطيبة وروحه الطاهرة ونزاهته الكريمة فكان خيراً من الخير وكذلك فاعل الشر شر من الشر لنفس السبب...

٣٣ ـ وقال عليه السلام: كُنْ سَمَحاً(١) وَلاَ تَكُنْ مُبَذِّراً(٢)، وَكُنْ مُقَدِّراً(٣) وَلاَ تَكُنْ مُقَتِّراً(٤).

اللغة

١ ـ السمح : الجواد من غير تقتير ولا تبذير.
٢ ـ المبذر : الذي يضع المال في غير محله.
٣ ـ المقدر : المقتصد.
٤ ـ المقتر : المضيق على نفسه في النفقة.

الشرح

أمر عليه السلام أن يكون الإنسان في حالة الاعتدال في تدبير أموره وصرف أمواله فلا يكون مبذراً يبدد أمواله ويفرقها بدون فائدة ولا يكون مقتراً على نفسه مضيقاً عليها وعلى من يعول من أهله حباً في المال ورغبة في جمعه وادخاره بل يجب أن يكون سمحاً يعطي بدون تبذير ومقدراً يصرف بحسب قدرته ودون تقتير وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً**...﴾ وقوله تعالى: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً**...﴾.

---

٣٤ ـ وقال عليه السلام: أَشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ ٱلْمُنَى[1].

اللغة

١ ـ المنى : جمع المنية وهو التمني، ما يتمناه الإنسان لنفسه.

الشرح

يتمنى الإنسان كثيراً من الأشياء ويعيش حياته يطلب ما يتمنى وهذه الأمنيات تلح عليه وكلما تأخر تحقيقها ازدادت تعاسته وهكذا يعيش في سبيل تحقيقها يبذل من نفسه وكرامته ويتعرض للإهانة وفي ذلك من الذل ما فيه ومن هنا كان أشرف الغنى وأعلاه أن يترك الأمنيات ويهملها...

---

٣٥ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ بِمَا لاَ يَعْلَمُونَ.

الإساءة إلى الناس توجب الكراهة والبغض منهم له وهذا يوجب بنفسه بحسب طبايع الناس إلى القول في المسيىء بما أساء وبما لم يسء وينسبون إليه أموراً كثيرة سيئة قد يكون بريئاً منها تشفياً منه وانتقاماً.

---

٣٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَطَالَ ٱلْأَمَلَ أَسَاءَ ٱلْعَمَلَ.

الشرح

إطالة الأمل هي المكروهة ـ وليس أصل الأمل ـ فمن أطال أمله سوّف توبته وتراخى في عمله بل أجله فتراه ينسى الآخرة ويقبل على الدنيا بكل وسيلة وطريق ونرى من يعتد بقوته ويحسب أنه لن يموت عن قريب يسيء العمل فيفعل ما لا يجوز اعتماداً على أنه سيتوب ويرجع إلى الصلاح بعد ذلك...

---

٣٧ ـ وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين(١) الأنبار(٢)، فترجلوا(٣) له واشتدوا(٤) بين يديه، فقال:

مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فقالوا: خُلُقٌ(٥) مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا، فقال: وَٱللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ! وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ(٦) عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ(٧) بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ. وَمَا أَخْسَرَ ٱلْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا ٱلْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ(٨) مَعَهَا ٱلْأَمَانُ مِنَ النَّارِ!.

اللغة

١ ـ الدهاقين : جمع دهقان زعيم الفلاحين عند العجم.
٢ ـ الأنبار : بلد في العراق.
٣ ـ ترجلوا : نزلوا من خيولهم ومشوا.
٤ ـ اشتدوا : أسرعوا.
٥ ـ خلق : طبيعة وعادة.
٦ ـ تشقّون : من المشقة وهي التعب وأن يكلف النفس أكثر مما تطيق.
٧ ـ تشقون : بسكون السين من الشقاوة وهي التعاسة والبؤس.
٨ ـ الدعة : الراحة.

الشرح

هذه حالة يراها الإمام فلا يرتضيها فينبه أهلها للكف عنها . . .

يمر الإمام بزعماء الفلاحين من العجم في بلدة الأنبار وهو يقصد الشام فيخرج إليه هؤلاء ينزلون عن دوابهم ويسرعون إليه فيستفهم الإمام عن ذلك فيقولون عادة نكرم بها أمراءنا. فأجابهم الإمام.

أولاً: إن أمراءكم لا ينتفعون بذلك.

وثانياً: إن فيما تقومون به مشقة على أنفسكم في الدنيا وهي مشقة غير مطلوبة.

وثالثاً: إنكم بعملكم هذا تعذبون وعليه تعاقبون لأنه أمر لغير الله ولم يشرع في الدين ونفّر عنه أن الإنسان يحتمل المشقة والعذاب في الدنيا ومع ذلك يعاقب في الآخرة فيجمع مشقة الدنيا وعذاب الآخرة.

ورغب في ضده وهي الدعة والراحة في الدنيا التي تكون بدون هذا العمل ومع ذلك ينجو الإنسان من النار فيعيش الراحة في الدنيا والأمان من العذاب في الآخرة . . .

---

٣٨ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن:

يَا بُنَيَّ، ٱحْفَظْ عَنِي أَرْبَعاً، وَأَرْبَعاً، لاَ يَضُركَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى ٱلْغِنَى ٱلْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ ٱلْفَقْرِ ٱلْحُمْقُ(١)، وَأَوْحَشَ ٱلْوَحْشَةِ ٱلْعُجْبُ(٢)، وَأَكْرَمَ ٱلْحَسَبِ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْفَاجِرِ(٣)، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ(٤)، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ(٥): يُقَرِّبُ عَلَيْكَ ٱلْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ ٱلْقَرِيبَ.

اللغة

١ ـ الحمق : قلة العقل وضعفه أو فساده.

٢ ـ العجب : حالة نفسية يرى الإنسان من خلاله إنه أعظم من غيره.

٣ ـ الفاجر : الفاسق الذي لا دين له.

٤ ـ التافه : القليل الحقير.

٥ ـ السراب : ما يتراءى في الصحراء أنه شيء وهو ليس بشيء.

الشرح

وصية حنونة من قلب كبير وبرقة وعطف الأبوة يخاطبه يا بني... إنها أمور ثمانية تغطي كل العيوب وتقضي على كل الهنات وتقيل كل العثرات.

١ ـ إن أغنى الغنى العقل: والعقل جوهرة مكنونة بها يصح أن يسمى الإنسان إنساناً... بالعقل يكتسب الإنسان طاعة الرحمن وبه يعصى الشيطان... به يعرف مصادر الأمور ومواردها وبه يدرك الإنسان الحسن من القبيح به يبعد عن الشر ويقبل نحو الخير... إنه أغنى الغنى وأعظم الثروات لأن به يكتسب الدنيا والآخرة...

٢ ـ وأكبر الفقر الحمق: لأن الحمق ضد العقل والأحمق لا يسمع إلى موعظة ولا يقبل رأي عاقل ويتعجل الأمور قبل أوانها ويفسدها في وقتها فهو أكبر الفقر لأنه يفقد به الأصدقاء والصالحات.

٣ ـ وأوحش الوحشة العجب: فإن المعجب بنفسه الذي يراها أعظم من غيره وفوق غيره فيتكبر على الناس ينفرون منه ويبتعدون عنه فيعيش الوحدة والوحشة عكس المتواضع السموح.

٤ ـ وأكرم الحسب حسن الخلق: فإن حسن الخلق يستقطب حولك الخلْق ويوجب لك ثناء الناس ومدحهم فإن سعة الصدر وطول الأناة والعفو والصفح من أعظم ما يوجب المدح والإطراء...

٥ ـ يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك: حذره من مصادقة الأحمق الذي مر ذكره لأن تصرفاته لا تستند إلى عقل ولا تعتمد على فكر وعلل ذلك من حيث إنه يريد أن ينفعك فيضرك.

٦ ـ وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه: نهاه أيضاً عن

مصادقة البخيل الذي يسيء الظن بالله فيشد يده على الدرهم فإن هذا لا يعينك عندما تكون بأشد الحاجة بل يتخلى عنك وما أنت فيه من الحاجة. . .

٧ ـ وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه: ونهى عن مصادقة الفاجر وهو العاهر الذي ليس له هم إلا قضاء شهوته والوصول إلى لذته فإنه لدناءته وسفالته يستبدلك بأقل الأثمان وأحقرها ففي مقابل لذته يقضي عليك من أجل امرأة أو كأس خمر أو أمنية ينشدها.

٨ ـ وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب: ونهاه عن مصادقة الكذاب الذي لا يتورع عن اختلاق الأحداث ونسبتها إلى من يشاء بدون رادع من دين أو ضمير إنه كالسراب في الصحراء تظن أنه شيء وهو ليس بشيء تتحرك نحوه وكلما تحركت ابتعد عنك وهكذا الكذاب إذا أراد أمراً قربه منك وسهله عليك وزينه لك وإذا أبغض شيئاً عظمه وحقره وبعده وقبحه في عينك. . . إنه ينتقل من الضد إلى ضده فيرميك في المشاكل والأحداث ويجري عليك المصائب والويلات.

---

٣٩ ـ وقال عليه السلام: لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ[١] إِذَا أَضَرَّتْ بِٱلْفَرَائِضِ[٢].

اللغة

١ ـ **النوافل** : هي المستحبات وما لم يوجبه الله عليك.

٢ ـ **الفرائض** : جمع فريضة وهي الأمر الواجب.

الشرح

هذا حث على المحافظة على الواجبات والاهتمام بها وأن المستحبات إذا وقفت في طريقها وكانت سبباً في الإخلال بها فلا أجر عليها فإذا كانت صلاة الليل تضر بصلاة النهار فلا أجر فيها وهكذا. . .

---

٤٠ ـ وقال عليه السلام: لِسَانُ ٱلْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ ٱلأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

الشرح

العاقل يفكر ويتعقل الأمور ثم يطلق لسانه فيما ينفع فينصر حقاً أو يدفع باطلاً.

وأما الأحمق فإنه يتكلم بدون رويّة وتدبر يطلق الكلام ثم بعد ذلك يفكر فيه ولكن ما وقع قد وقع وآثاره ظهرت ولا يمكن رد ما وقع...

قال الرضي: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة. والأحمق تسبق خذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه فكأن لسان العاقل تابع لقلبه وكأن قلب الأحمق تابع للسانه.

٤١ ـ وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله:

قَلْبُ ٱلأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَلِسَانُ ٱلْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ.

ومعناهما واحد.

الشرح

فالكلام يصدر بدون روية من الأحمق بينما العاقل لا يطلقه إلا بعد تفكر وهذا يرجع إلى ما تقدم...

٤٢ ـ وقال لبعض أصحابه في علة[1] اعتلها: جَعَلَ ٱللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ[2] حَطًّا[3] لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ ٱلْمَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ، وَلكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحُتُّهَا حَتَّ[4] ٱلأَوْرَاقِ. وَإِنَّمَا ٱلأَجْرُ فِي ٱلْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَٱلْعَمَلِ بِٱلأَيْدِي وَٱلأَقْدَامِ، وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْجَنَّةَ.

قال الرضي: وأقول: صدق عليه السلام، إن المرض لا أجر فيه، لأنه ليس من قبيل ما يستحق عليه العوض، لأن العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد، من الآلام

والأمراض، وما يجري مجرى ذلك. والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد، فبينهما فرق قد بينه عليه السلام، كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب.

اللغة

١ ـ العلة : المرض.

٢ ـ الشكوى : المرض.

٣ ـ حط حطاً : وضعه أو تركه.

٤ ـ حت الورق : قشره وأسقطه.

الشرح

يتوجه الإمام إلى بعض أصحابه الذين أصابهم المرض فيدعو له أن يكون ما به من مرض سبباً لمحو سيئاته وإزالة عثراته ونفى عليه السلام أن يكون في المرض أجر أو ثواب ولكنه يزيل السيئات ويسقط الآثام كما تسقط أوراق الشجر ثم بين موارد الأجر وأنه يكون في العمل المتجسد باللسان ذكراً وتسبيحاً والعمل باليد بإعانة الفقراء وشد أزرهم ومساعدتهم وكذلك بالسعي بالأقدام في قضاء حاجاتهم وتنفيس كربهم. . .

ثم إنه عليه السلام بين أن العبد إذا احتسب ما أصابه في مرضه من التعب والعذاب والألم وكان ذلك بصدق نية مع صلاح سريرته فإنه سبحانه يعطي العبد الأجر والثواب تفضلاً منه ويدخله الجنة بمنه وإحسانه. . .

---

٤٣ ـ وقال عليه السلام في ذكر خباب بن الأرتّ: يَرْحَمُ ٱللهُ خَبَّابَ بْنَ ٱلأَرَتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَقَنِعَ(١) بِٱلْكَفَافِ(٢)، وَرَضِيَ عَنِ ٱللهِ، وَعَاشَ مُجَاهِداً.

اللغة

١ ـ قنع : رضي.

٢ ـ الكفاف : ما يكفي الإنسان لحاجاته الأساسية.

ذكر الإمام لخباب بن الأرت أوصافاً كريمة.

١ ـ أسلم راغباً ومن يسلم رغبة في الإسلام لأنه دين الحق دون مطمع في مال أو جاه أو سلطان أو دون خوف من العذاب مثل ذلك الإنسان هو في أرقى درجات الإيمان وخصوصاً أن خباب كان من أوائل المسلمين مع ما في تلك الظروف من المشقات والآلام...

٢ ـ هاجر طائعاً: أي ترك مكة مسقط رأسه ولم يترك دينه فطاعة لرسول الله بالهجرة هاجر.

٣ ـ قنع بالكفاف: كان زاهداً يقنع بما يكفيه لحاجاته الضرورية على طريقة الصالحين والزهاد المخلصين.

٤ ـ رضي عن الله: أي رضي بكل أمر أراده الله منه وامتنع عما نهى عنه وعلم أنه عبد مأمور فارتاحت نفسه لإرادة الله وحكمه.

٥ ـ عاش مجاهداً: فهو يعيش حالة الجهاد في زمن رسول الله حيث حضر جميع مشاهده وشهد معارك أمير المؤمنين فهو شاخص في سبيل الله باستمرار.

ترجمة خباب بن الأرت:

قال ابن سعد في طبقاته: خباب بن الأرت ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب من بني سعد بن زيد مناه ابن تميم يكنى أبا عبد الله وكان من المستضعفين في مكة الذين يعذبون ليرجعوا عن دينهم. أسلم قبل دخول رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها وقيل: إنه كان سادس ستة. هاجر خباب إلى المدينة في جملة من هاجر من المسلمين وآخى النبي بينه وبين جبير بن عتيك وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ.

شهد مع أمير المؤمنين النهروان وصفين ونزل الكوفة فتوفي فيها سنة سبع وثلاثين وله من العمر ثلاثاً وسبعين سنة وصلى عليه الإمام ودفن بظهر الكوفة فكان أول من دفن هناك...

---

٤٤ ـ وقال عليه السلام: طُوبَى[١] لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعَادَ[٢]، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنعَ بِٱلْكَفَافِ[٣]، وَرَضِيَ عَنِ ٱللهِ.

اللغة

١ ـ طوبى : سعادة وخير وغبطة.
٢ ـ المعاد : يوم الحساب، يوم القيامة.
٣ ـ الكفاف : ما يكفي الإنسان لحاجاته الضرورية.

الشرح

الإمام يغبط ويحكي سعادة هذا الإنسان الذي صرف وجهه إلى هذه الأمور التي بها يكتسب الآخرة.

١ ـ ذكر المعاد: عرف أن له يوماً سيعود فيه إلى الله فهو على ذكر دائم له ومن ذكر الوقوف بين يدي الله أصلح سريرته وأصلح عمله.

٢ ـ وعمل للحساب: فهو يعرف أنه سيحاسب فلذا يعمل من أجل أن يقف ذلك الموقف فيريد أن يحقق ربحاً من وراء حسابه.

٣ ـ وقنع بالكفاف: أي بما يحتاجه على وجه الضرورة فلم تمتد عيناه إلى زهرة الحياة الدنيا وهذا تعبير أخر عن الزهد في متاع الدنيا.

٤ ـ ورضي عن الله: تقبل ما ورد عن الله من أحكام وتشريعات وآداب ووصايا برضى نفس واطمئنان إلى عدالة التشريع وحكمة المشرع وأنه سبحانه لا يفعل إلا لمصلحة هذا الإنسان...

٤٥ ـ وقال عليه السلام: لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ[١] ٱلْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ[٢] الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا[٣] عَلَى ٱلْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي. وَذلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَٱنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لاَ يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ.

اللغة

١ ـ الخيشوم : أصل الأنف.
٢ ـ صببت : كفأت وسكبت.
٣ ـ الجمات : جمع جمة وهو مجتمع الماء من الأرض وهذا استعارة.

الشرح

المؤمن لا يبغض الإمام مهما كانت الظروف والأحوال لأن محبته جزء من الإيمان والمنافق لا يحب الإمام لأن المنافق كافر والكافر لا يحب الإيمان ودعامته وعمدته ولذا يقول الإمام: لو ضربت كناية عن أنه مهما كانت مواقف الإمام قاسية مع المؤمن حتى لو أدى الأمر إلى ضربي له على موضع كرامته وعزه ما أبغضني وفي المقابل لو جمعت للمنافق الدنيا بكل ما فيها من جليل أموالها وحقيرها ووضعتها في حجره وسلمتها إلى يده ما أحبني ثم بين سبب ذلك وأن رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ حكم وقضى بما كان وهو أنه لا يبغض علياً مؤمن ولا يحبه منافق وبهذا القول النبوي حسم الموقف واتضحت الصورة وانجلت الأمور فلا مراجعة فيها ولا شك. . .

---

٤٦ ـ وقال عليه السلام: سَيِّئَةٌ تَسُوءَكَ خَيْرٌ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

الشرح

السيئة ـ وهي كل ذنب تمارسه أو يقع منك ـ إذا صدرت منك فتأثرت لصدورها وحزنت لوقوعها وندمت لحدوثها فأنت إنسان صالح تعيش في عمقك الإيمان بالله والخوف منه لأن هذا الإحساس بالذنب مؤشر إيمان فلذا أحدثت عندك هذه الردة القوية وجعلتك تشعر بعظيم الجرم فتندم ويغفرها الله لك بالتوبة.

أما إذا عملت حسنة فأعجبتك نفسك بها وذهبت بك الأمور إلى أن تقول: إنه ليس في الدنيا أحد مثلك فهذا العجب ممقوت عند الله مردود عليك لأنه يدل على مرض في النفس رديء. . .

---

٤٧ ـ وقال عليه السلام: قَدْرُ(١) الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ(٢)، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ(٣)، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ(٤).

اللغة

١ ـ قدر الرجل : قيمته.

٢ ـ المروة : النخوة وكمال الرجولة.

٣ ـ الأنفة : عزة النفس.
٤ ـ الغيرة : النخوة والغيرة على الزوجة حفظها وعدم المس بها من الأجنبي.

الشرح

أشار عليه السلام إلى أمور أربعة تتولد منها أربعة:

١ ـ بمقدار همة الرجل وعلو نفسه وما يطلبه من الأمور يكون قدره فإن طلب الأمور العظيمة الجليلة طلب المعالي من الأمور فإن قدره يعظم في أعين الناس ويحتل مرتبة جليلة عندهم ويكبر في نظرهم، أما إذا كانت همته صغائر الأمور ومحقراتها والأمور الصغيرة فإن الأعين تزدريه ويصغر ويكون مقداره وقيمته ما يتطلع إليه من هذه الصغائر.

٢ ـ وعلى قدر مروءة الرجل وكماله وما يتصف به من صفات كريمة رفيعة يكون صدقه فإن هذه الصفات تمنع الإنسان عن الكذب لأنه يحط من شأنه وتأنف مروءته أن تتعاطاه لأنه يتنافى وما يحمله من مروءة...

٣ ـ وشجاعة الرجل بمقدار أنفته، وبمقدار ما يكون عزيز النفس شامخ الروح يأبى الدنية ويرفض الذلة فبالتالي يمتلك الشجاعة التي يحفظ بها هذا الشموخ والإباء.

٤ ـ وعفته على قدر غيرته: بمقدار ما يكون غيوراً على عرضه وحريمه ومقدساته ويأبى لها أن تدنس بعيب تكون عفته وامتناعه لأنه كما يأبى للغير أن يدنسوا شرفه ويهتكوا حرمته يأبى لنفسه أن يدنس أعراض الناس ويهتك حرمتهم وقد قيل: «ما زنا غيور قط».

---

٤٨ ـ وقال عليه السلام: الظَّفَرُ[١] بِالْحَزْمِ[٢]، وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ[٣] الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ[٤].

اللغة

١ ـ الظفر : النصر.
٢ ـ الحزم : ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة.

٣ ـ الإجالة : الإدارة وإجالة الرأي إعماله.
٤ ـ تحصين الأسرار : كتمانها.

الشرح

إذا أردت أن تنتصر في معركة أو في موقف يجب أن تجزم على وجه اليقين بصحة ما تقدم عليه، ولكن الجزم بذلك لا يكون بالرأي الفطير الذي يخطر على بالك لأول مرة المعبر عنه «بالنظرة الحمقاء» بل يكون بإجالة الرأي وقلب الأمور ظهراً لبطن ودراسة الآراء والاحتمالات وسد المنافذ التي يمكن أن تكون غير صحيحة أو سليمة واختيار أفضل الآراء والاحتمالات وإجالة الآراء، . واختيار الأفضل لا يكون مفيداً إلا أن يكون بين الخبراء محفوظاً عندهم بحيث لا يتسرب منها شيء إلى الأعداء فيكتشفوا الخطط ويضعوا لها ما يواجهها فمن هنا كانت الأسرار ضرورية الحفظ.

---

٤٩ ـ وقال عليه السلام: ٱحْذَرُوا[١] صَوْلَةَ[٢] ٱلْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمِ[٣] إِذَا شَبعَ[٤].

اللغة

١ ـ احذروا : خافوا، وتنبهوا مع أخذ الحيطة.
٢ ـ الصولة : السطوة.
٣ ـ اللئيم : الدنييء الأصل، المهين.
٤ ـ شبع : امتلأ من الطعام وهنا كناية عن الغنى.

الشرح

حذر عليه السلام من رجلين:

١ ـ من الكريم إذا جاع فإن شريف النفس كبير الهمة إذا مسته الحاجة ومرّ في ضيق وأزمة شديدة لم تطق نفسه ذلك بل بادر إلى الانتقام وأخذ الحق بالقوة وانعدمت الرحمة في نفسه لمن كان السبب في ذلك أو يريد أن يقف في وجهه لتحقيق مقاصده ورفع الحاجة عنه.

٢ ـ واللئيم إذا شبع: لأن مستحدث النعمة من ضعته يتكبر ويتجبر من حيث إنه

يعيش عقدة النقص التي كانت فيه فهذا النقص الذي كان فيه يحرك فيه الحس للانتقام من الضعفاء والفقراء ويتحول إلى جبار عنيد. . .

---

٥٠ ـ وقال عليه السلام: قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.

الشرح

الأصل في القلوب أنها بعيدة عن بعضها فمن لا تعرفه لا تألفه ولا تأنس به وترى بينك وبينه حواجز كثيرة ولكن تُقبل النفوس على بعضها وتلتقي فيما بينها وتستأنس إذا وجدت ما يجمعها ويوحدها سواء كان بالكلمة الطيبة والحديث الطريف والبسمة المفرحة والمعاملة الحسنة، والإعانة وبمثل هذه الأمور تُقبل النفوس على بعضها وترتاح. . .

---

٥١ ـ وقال عليه السلام: عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ[١] جَدُّكَ[٢].

اللغة

١ ـ أسعده الله : جعله سعيداً.

٢ ـ الجد : الحظ.

الشرح

ما دام حظك سعيداً وأيامك مقبلة ودنياك غنية فأنت في مأمن من إظهار عيوبك. . . إنها ستبقى مستورة بل ربما تتحول العيوب إلى محاسن عند بعض الناس كما لو سكت صاحب الحظ عن عي قالوا: لحكمة سكت وإن بخل بشيء قالوا: اقتصد وأراد تعليم الناس وإن أسرف في شيء قالوا: كرم وجود.

وأما إذا عثر الزمان فسقط الحظ في الطريق عندها تكون الطامة الكبرى فتتحول الحسنات سيئات والأعمال الطيبة إلى قبائح ومعايب.

٥٢ ـ وقال عليه السلام: أَوْلَى النَّاسِ بِٱلْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى ٱلْعُقُوبَةِ.

الشرح

أقدر الناس على العقوبة وأقواهم عليها أولى الناس بالعفو والصفح وذلك لأن عظيم قدرته مع عفوه يدل على رحمته وكمال رأفته وهذا من الشكر لتلك النعمة التي هي القدرة، هذا إذا كان العفو يرد الجاني ويؤدبه ويصلحه وأيضاً إذا كان في الأمور الشخصية التي ليست من قبيل الحدود والحقوق الإلهية التي لا يجوز العفو عنها.

---

٥٣ ـ وقال عليه السلام: السَّخَاءُ(١) مَا كَانَ ابْتِدَاءً، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ(٢).

اللغة

١ ـ **السخاء** : الجود.
٢ ـ **التذمم** : الاستنكاف والاستحياء.

الشرح

السخاء هو الكرم والجود ولا يكون إلا إذا ابتدأ به الإنسان من تلقاء نفسه وبادر إلى العطاء بدون جزاء وأما إذا كان العطاء عن مسألة تقدمت ويد امتدت وماء وجه بذله صاحبه في الطلب فهذا ليس سخاء بل قد يكون عن حياء وخجل من رد السائل أو خوفاً من ذمه فيكون عندئذ له مقابل فيتعرى عن صفة الجود والكرم والسخاء. . .

---

٥٤ ـ وقال عليه السلام: لاَ غِنَى كَٱلْعَقْلِ، وَلاَ فَقْرَ كَٱلْجَهْلِ، وَلاَ مِيرَاثَ كَٱلأَدَبِ، وَلاَ ظَهِيرَ كَٱلْمُشَاوَرَةِ.

الشرح

(لا غنى كالعقل) من كان ذا عقل كان من أغنى الناس لأنه بالعقل يحصل الإنسان على المال والجاه والسلطان وكل شيء وقد أشاد الإسلام بالعقل وأناط به الثواب

والعقاب، وعلى العكس من ذلك من أعطي مالاً وثروة ولم يعط عقلاً فإنه يضيّع المال ويبدده وكذلك من أعطي سلطاناً ومقاماً ولم يعط عقلاً ضيّع السلطان والمقام ومن هنا كان العقل أغنى الغنى.

(ولا فقر كالجهل) والجهل يقابل العلم تقابل الملكة والعدم كما يقول أصحاب المنطق والجهل أم الرذائل ومجمع القبائح، فالجاهل يبدد ما بيده ويقضي على ما بيد غيره واضرب ببصرك إلى الأمم الجاهلة كيف تُستعبد وكيف تُستعمر وكيف تُسلب منها خيرات بلادها وثمرات أرضها ويعيش أهلها أذلاء محتقرين لا يستطيعون الوقوف والمواجهة...

الجهل هو الفقر الحقيقي في مقام تعداد درجات الفقر وأنواعه...

(ولا ميراث كالأدب) فخير ما تورثه أبناءك حسن الأدب أن يكونوا أصحاب أخلاق طيبة وسلوك جيد وعشرة حسنة ومعاملة صادقة وأخلاق عالية فإن هذا هو الميراث الذي يتعاملون به مع الناس وعلى أساسه يمدحون ويعرفون ولذا كان أفضل ميراث تتركه لأبنائك حسن تأديبهم...

(ولا ظهير كالمشاورة) أي لا نصير ولا معين كالمشاورة مع الناس العقلاء وأهل الخبرة فإن مشاورة الرجال ومعرفة آرائهم ينكشف بها الكثير من الحقائق ويتوصل بها الإنسان إلى وجه الصواب والوصول إلى الحقيقة ويكون رأيهم أقوى معين على الخير والوصول إلى الصواب واليقين.

---

٥٥ ـ وقال عليه السلام: الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ.

الشرح

الصبر معناه ضبط النفس وعدم الانهيار أمام الأحداث سواء كانت إيجابية أم سلبية ثم التفكير في الخروج من هذا الضيق... والصبر تارة يكون على ما يكره هذا الإنسان كالصبر على المصيبة ففي مثل ذلك يجب أن يضبط أعصابه ولا ينهار أمامها بل يفكر في حكمة الله وتقديره وما سيصل هو بنفسه إليه... والصبر تارة أخرى يكون على ما يحب فأنت تحب المال ولكنك أمين على بعض الأموال فيجب أن تصبر على الأمانة وتؤديها

لأهلها وكذلك أنت تحب الجاه فيجب أن لا تتخذ الطرق الملتوية من أجل الوصول إليه بل تسلك المشروع منها وهكذا كل ما تحب يجب أن تضبط أعصابك وتمتنع عنه إذا كان فيه معصية لله وانحرافاً عن خطه. . .

---

٥٦ ـ وقال عليه السلام: ٱلْغِنَى فِي ٱلْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَٱلْفَقْرُ فِي ٱلْوَطَنِ غُرْبَةٌ.

الشرح

الوطن هو مكان ولادة الإنسان وفيه يقيم أهله وأقاربه وأحبابه. . . هذا الوطن يتحول إلى غربة بالنسبة إلى الشخص إذا كان فقيراً لأنه يفقد الأحباب ولا يسأل عنه الأقارب وينقطع عنه من يحب بل الفقير في وطنه يعيش مشرداً يفقد المأوى ولقمة العيش وما يستر العورة وعلى العكس من ذلك إذا كان الشخص غنياً فإن الأصدقاء يكثرون والأحباب لا يعدون ومن يطلب رضاه أكثر من أن يحصى وهو لغناه يعيش موفور الكرامة عزيز الجانب إنه وإن كان في الغربة فإنها تتحول إلى وطن. . .

---

٥٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ.

الشرح

القناعة تعبير آخر عن الرضا بالحال التي عليها الإنسان وما هو فيه فلا تذهب نفسه حسرات على ما لم يقع في يديه، وإذا قنع الإنسان بما عنده كان راضياً وإذا رضي كان سعيداً، والقناعة هي المال الذي لا ينفد من حيث إنها باستمرار توجب على المرء كفاية ما عنده والاستغناء عن الناس والحاجة إليهم بينما المال يزول بالإنفاق والصرف.

٥٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ.

الشرح

الشهوات هي رغبات المرء وتطلق على كل أمر تهواه النفس وإن كان بعيداً عن الدين قريباً من الهوى وتحقيق هذه الشهوات من الأكل الطيب والملبس الفاخر والجاه العريض والسطوة والسيطرة كلها أو أغلبها أو في أكثر الأحيان تتحقق عن طريق المال فمتى وجد المال استطعت به أن تأتي بكل هذه الأمور وغيرها والفارق أن أصحاب الدين يتخذونه وسيلة لتحقيق رضا الله من التوسعة على العيال وإعانة الفقراء وصيانة وجوههم من الابتذال أمام الأغنياء ويحجون به ويزورون ويتصدقون بينما الفساق والفجار يتخذونه في حبك المؤامرات والفتن والرشوة ومظالم العباد وإقامة الحفلات الداعرة الماكرة والسهرات الماجنة الساقطة وهكذا . . .

---

٥٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ.

الشرح

التحذير هو التنبيه والتخويف من أمر مضر كي يأخذ المحذَّر استعداده ويتوقى الوقوع فيما حذّر منه وفيه وفي ذلك سرور وفرح لأنه يدفع المضرة عنك وهو عند المقارنة على حدّ من بشّرك بشيء يفرحك ويدخل على قلبك السرور فينبغي أن يكون فرحك بمن حذرك على مستوى فرحك بمن بشّرك.

---

٦٠ ـ وقال عليه السلام: اللِّسَانُ سَبُعٌ[1]، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ[2].

اللغة

١ ـ السبع : المفترس من الحيوان مطلقاً.

٢ ـ عقر : جرح.

الشرح

السبع هو الحيوان المفترس إذا تُرك قضى على كل حيوان ضعيف وهذه طبيعة فيه . . . واللسان إذا لم يحفظه الإنسان ويراقبه ويعرف متى يكون الكلام؟ وكيف يكون؟

وأنّى يكون قد يقضي على الإنسان وينهي حياته فمن أطلق لسانه في سب الناس وشتمهم واغتيابهم وإلقاء الفتن بينهم زرع البغضاء له وحصد العداوة والمقت والكراهة لوجوده وقد يكون جرمه في بعض الأحيان أن يُقضى عليه فيقتل من جراء عثرات لسانه كما لو أثار بلسانه فتنة تذهب بالأرواح وتقضي على الحرث والنسل. . .

٦١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ(١) حُلْوَةُ اللَّبْسَةِ(٢).

اللغة

١ ـ **العقرب** : دويبة من ذات السموم تطلق على الذكر والأنثى وقد يقال للأنثى عقربة وعقرباء.

٢ ـ **اللسبة** : اللسعة.

الشرح

العقرب لها لسعة مؤذية وقد تكون مميتة في بعض الأحيان والمرأة لها لسعة ولكن الملسوع يفرح ويستأنس بها فترى المغرم بامرأة قد تؤذيه فيغض عنها وقد ترميه في بلية وهو راضٍ عنها وقد تطلب منه أمراً يكون فيه هلاك دينه فيستجيب لها وهو فرح مسرور فهي على أذيتها محبوبة الفعل لا يستغني عنها أحد مع علمه بمشاكلها. . .

٦٢ ـ وقال عليه السلام: إِذَ حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ(١) فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ(٢) يَدٌ(٣) فَكَافِئْهَا(٤) بِمَا يُرْبِي(٥) عَلَيْهَا، وَٱلْفَضْلُ مَعَ ذٰلِكَ لِلْبَادِىءِ(٦).

اللغة

١ ـ **حيا تحية** : سلّم عليه.

٢ ـ **أسدى إليه** : أحسن إليه.

٣ ـ **يد** : نعمة أو إحسان.

٤ ـ **كافأه** : جزاه عليه.

٥ ـ يربي : يزيد.
٦ ـ البادىء : المبتدء.

الشرح

أدب من آداب الإسلام الذي يجب أن يتأدب به المسلمون... مفردات رفيعة الشأن لو امتثلها المسلمون لكانوا في قمة الأخلاق وأدوا رسالة الله إلى الناس وشكّلوا الدعاة الصادقين للإسلام...

إذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها فالسلام كلمات معدودة ولكنه يحمل معه الأمان بجميع مراتبه وعلى كل المستويات فمن ابتدأك به وجب عليك أن ترد مثله ولكن الأفضل والأكمل أن ترد بأحسن منه وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها...**﴾.

وقد ورد استحباب التسليم قال رسول الله (ص): أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أبخل الناس من بخل بالسلام.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من التواضع أن تسلم على من لقيت وأما رد السلام فهو واجب بمثله واستحباباً بأحسن منه...

والتحية عنوان لكل خير فإذا أكرمك إنسان بكرامة وقدم إليك معروفاً من هدية أو ضيافة أو هبة فعوّضه عن معروفه بمعروف أكبر منه وأعظم ثم اعلم أن له الفضل عليك لأنه الذي ابتدأك وأنت إنما ترد الجميل، والفضل للمبتدىء لأنه المتبرع الذي بادر ابتداءً...

---

٦٣ ـ وقال عليه السلام: الشَّفِيعُ(١) جَنَاحُ(٢) الطَّالِبِ.

اللغة

١ ـ الشفيع من العدد : الزوج جمع شفعاء الذي يتولى التوسط في قضاء حاجة...
٢ ـ الجناح : ما يطير به الطائر.

الشرح

الشفيع هو الذي يسعى بحاجتك إلى من يقضيها لك وعبّر عنه بالجناح لأنه يوصل حاجته إلى المشفوع عنده ولذا ينبغي أن يكون الجناح ـ الشفيع ـ قوياً كي ينهض بالأمر ويستطيع أن يقضي حاجتك. . .

---

٦٤ ـ وقال عليه السلام: أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ[1] يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ.

اللغة

١ ـ الركب : ركبان الإبل والخيل.

الشرح

هذا تحذير لنا وتنبيه أن نستيقظ من غفلتنا ونتوجه إلى العمل الصالح. . . أن نجدّ من أجل الآخرة خوفاً من أن لا نستفيق إلا بالموت. . .

فالناس في الدنيا كركبان الإبل وهم نيام عليها فهي تسير وتجد في السير وهم يغطون في النوم فلا يفيقون إلا وقد أدركوا مقاصدهم وكذلك الناس في الدنيا فالأيام تمضي والسنون تمر وهم في غفلة لا يستيقظون إلا عندما يدركهم الموت. . .

---

٦٥ ـ وقال عليه السلام: فَقْدُ[1] ٱلأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ.

اللغة

١ ـ فقده : غاب عنه وعدمه.

الشرح

إذا فقد الإنسان أحبابه وأقاربه وأهله والأعزاء على نفسه فقد أضحى في غربة لا ناصر له ولا معين ولا محب ولا محبوب ولا من يسأل عنه أو يهتم بشأنه وهذه هي الغربة. . .

٦٦ ـ وقال عليه السلام: فَوْتُ ٱلْحَاجَةِ(١) أَهْوَنُ(٢) مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.

اللغة

١ ـ فوت الحاجة : ذهابها وعدم إدراكها.

٢ ـ أهون : أسهل وأيسر.

الشرح

لقضاء الحاجات أهل وهم أهل الفضل والكرم والدين والحاجة عندهم تُقضى مع حفظ كرامة المحتاج وصون ماء وجهه بتصغيرها وكتمانها وتعجيلها...

ولكن المصيبة إذا كانت عند غير أهلها... إذا كانت عند لئام الناس الذين يقضون على كرامة الإنسان قبل قضائها فمثل هؤلاء يقيناً إذا فاتت الحاجة وانعدمت من الوجود وبقي الإنسان بأمس ما يكون إليها فإن ذلك أيسر وأسهل من طلبها منهم والمذلة إليهم... والإمام هنا يردع صاحب الحاجة أن يتوجه بها إلى غير أهلها ويقول: إن بقاءك في حاجة أهون عليك وأيسر من أن تطلبها من غير أهلها...

---

٦٧ ـ وقال عليه السلام: لَا تَسْتَحِ(١) مِنْ إِعْطَاءِ ٱلْقَلِيلِ، فَإِنَّ ٱلْحِرْمَانَ(٢) أَقَلُّ مِنْهُ.

اللغة

١ ـ لا تستح : لا تخجل.

٢ ـ الحرمان : المنع.

الشرح

لا تخجل أن تعطي القليل مما بيدك ـ مهما كان قليلاً ـ فإنه يبقى شيء بينما الحرمان وعدم العطاء بتاتاً ـ فهو عدم ولا شيء ـ والشيء أفضل من لا شيء والشيء

يكون له أثر نافع ويقع في محله. . وهذه الكلمة ترغيب في العطاء مهما كان قليلاً وأن لا يخجل المعطي فيمتنع لقلته. . .

٦٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعفَافُ[١] زِينَةُ[٢] ٱلْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَى.

اللغة

١ ـ **العفاف** : الكف عما لا يحل.
٢ ـ **زيّن الشيء** : حسّنه وزخرفه.

الشرح

أن تكون فقيراً فليس ذلك عيب وإنما العيب أن تكون فقيراً تقف على أبواب الناس تستجدي منهم لقمة العيش فيقابلك هذا بالاستهزاء والآخر بالشتم والثالث بالإعراض فإذا كنت فقيراً فكن متعففاً تتيه على أصحاب المال وعلى الأغنياء وهذه زينة الفقراء. . .

وإذا كنت غنياً فإنك ستحاسب على غناك وستؤدي الضريبة قاسية ولكن تستطيع أن تؤدي حقه وتؤجر عليه بشكره، وشكر الغنى أن تأخذه من حله وتصرفه في محله فإذا أنت قد أديت شكره عندها يكون الشكر زينة هذا الغنى.

٦٩ ـ وقال عليه السلام: إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ[١] مَا كُنْتَ.

اللغة

١ ـ **لا تبل** : لا تكترث ولا تهتم.

الشرح

إذا لم تتحقق أغراضك كما تريد بل فاتتك ولم تستطع إدراكها فلا تأسف أو تتحسر على ما فاتك وما كنت تأمله بل مرّ عليه مرور الكرام وانظر إليه بعدم المبالاة. . .

٧٠ ـ وقال عليه السلام: لَا تَرَى ٱلْجَاهِلَ إِلاَّ مُفْرِطاً[١] أَوْ مُفَرِّطاً[٢].

اللغة

١ ـ أفرط : جاوز الحد.
٢ ـ فرّط : قصّر.

الشرح

الجاهل خلاف العالم ففي حين يضع العالم الأمور مواضعها يقف الجاهل ليضع الأمور في غير محلها فهو إما أن يكون مسرفاً أو بخيلاً... متهوراً أو جباناً... غيوراً دون مبرر أو لا مبالي... وهكذا الجاهل لا يعرف أين يضع قدمه فهي دائماً إما متقدمة عن المطلوب أو متأخرة عنه...

---

٧١ ـ وقال عليه السلام: إِذَا تَمَّ[١] ٱلْعَقْلُ نَقَصَ ٱلْكَلَامُ.

اللغة

١ ـ تم : كمل.

الشرح

العقل هو الحاكم ـ إذا تم ـ واللسان هو الناطق فمتى تم العقل واكتمل لم يسمح للسان أن يثرثر أو يكثر من الكلام بل يلجمه ويحدد له مواقع الكلام وأزمنته وأمكنته فلا يتكلم إلا إذا كان في الكلام فائدة وبذلك ينقص الكلام ويقل...

---

٧٢ ـ وقال عليه السلام: الدَّهْرُ[١] يُخْلِقُ[٢] ٱلأَبْدَانَ[٣]، وَيُجَدِّدُ[٤] ٱلآمَالَ، وَيُقَرِّبُ ٱلْمَنِيَّةَ[٥]، وَيُبَاعِدُ ٱلأُمْنِيَّةَ[٦]: مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ[٧]، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ.

اللغة

١ ـ الدهر : الزمن، الوقت.

٢ ـ يُخلق : يفني ويبلي.

٣ ـ الأبدان : جمع البدن وهو جسم الإنسان.

٤ ـ جدد الشيء : صيّره جديداً وهو ضد القديم.

٥ ـ المنية : الموت.

٦ ـ الأمنية : ما يتمناه الإنسان.

٧ ـ النصب : التعب.

الشرح

الدهر هو الزمن المكوّر من الليل والنهار وكلما مرت لحظة أثرت في بدن الإنسان وقضت على ملايين الخلايا وتجددت غيرها وهكذا يبقى الدهر يقضي على الأبدان حتى تعجز ولا تبقى قابلة للنمو فتموت الخلايا ويتحول الشاب القوي هرماً عاجزاً لا يقدر على الحركة.

ومن خصائص الدهر أنه يجدد الآمال فترى الإنسان كلما كبر وامتد به العمر ازدادت آماله وتوسعت وأضحى أشد حرصاً من أيام الشباب ولذا نرى الكبار في السن يأملون باستمرار بقاءهم ويتعاملون مع أموالهم بحرص فيحافظون عليها ويبخلون بها حتى على أنفسهم وإن كانوا بحاجة إليها وكلما سقط أمل تجددت عندهم آمال. . .

ومن خصائص الدهر أيضاً أنه يقرّب المنية فإن الإنسان كلما كبر عمره قرب من الموت ودنى الموت منه.

ومن خصائص الدهر أنه يباعد الأمنية لأن آمال المرء يقطعها الموت فلا يتحقق كثير منها كما هو المشاهد عند الكثيرين الذين كانوا يتمنون أموراً ويعملون لها وإذا بالموت يقضي على أمانيهم. . .

ثم ذكر عليه السلام أنه إذا جاءت الدنيا للمرء تعب في حفظها وصيانتها وإدارة شؤونها وإذا فاتته ولم يظفر بها أو يدركها تراه في شقاء وتعب لعدم حصوله عليها فالمدرك للدنيا يعيش التعب وكذلك غير المدرك لها يعيش التعب. . .

٧٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ نَصَبَ(١) نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً(٢) فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

اللغة

١ ـ نصب نفسه : أقامها.
٢ ـ الإمام : القدوة.

الشرح

الإمام هو المقدّم في كل شيء. هو مجمع الكمالات وملتقى حميد الصفات فمن أراد أن يكون إماماً للناس وموجهاً لهم ومعلماً فقبل كل شيء يجب أن يبدأ بتعليم نفسه وتهذيبها وإلزامها بقبول الحق ورفض الباطل... يجب عليه أن يستقيم ويأخذ نفسه بأحسن ما يكون من الأقوال والأفعال أولاً وليكن ذلك بسيرته وسلوكه ولا يكتفي بالأقوال الصادرة عنه والتصريحات والإرشادات فإن تحريك اللسان سهل هين ولكن الالتزام هو الأساس وبه العسر والشدة.

هذه دعوة إلى الدعاة والعلماء والأئمة والقادة والرعاة أن يكونوا في موضع الكمال والثقة حتى تؤثر كلماتهم في الناس ويكون لها نفع وفائدة...

---

٧٤ ـ وقال عليه السلام: نَفَسُ ٱلْمَرْءِ خُطَاهُ(١) إِلَى أَجَلِهِ(٢).

اللغة

١ ـ الخطوة : جمعها خطوات وخطى ما بين القدمين عند المشي.
٢ ـ الأجل : الوقت المضروب، الموت.

الشرح

كلما تنفس المرء مرة مرت عليه لحظة انقضت من عمره فهو يخطو إلى الآخرة ويقرّب أجله ويدنو نحو الموت كلما تنفّس نفساً.. وفي هذا الكلام تزهيد عظيم بالدنيا

فلا يغترّ الإنسان فيها ولا يركن إليها بل عليه أن يعدّ العدة للقاء الله ويكون باستمرار على حذر من الموت أن يفاجئه بدون استعداد. . .

٧٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ(١)، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ(٢) آتٍ.

اللغة

١ ـ انقضى الشيء : فني وتصرم.
٢ ـ توقع الشيء : ترقبه.

الشرح

العمر معدود بالساعات والأيام والأشهر والسنين وهي منقضية بسرعة. . . بالأمس كنا أطفالاً واليوم شباباً وغداً شيباً وبعده في عالم الآخرة. . . وكل ما نتوقعه ابتداء بالموت ومروراً بالبرزخ والحساب فيوم القيامة كل ذلك آتٍ لا محالة فأين المفر؟ لا مفر إلا إلى الله والعمل بما أراد وأمر. . .

---

٧٦ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلأُمُورَ إِذَا ٱشْتَبَهَتْ(١) ٱعْتُبِرَ(٢) آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.

اللغة

١ ـ اشتبهت : التبست.
٢ ـ اعتبر الشيء : اختبره.

الشرح

تستطيع أن تعرف أواخر الأمور ونهاياتها بما يبدو ويظهر من أولها فإذا كانت المقدمات سليمة كانت النتيجة سليمة وإذا كانت إحدى المقدمات مخطئة كانت النتيجة مخطئة وإذا اشتبهت الأمور في أولها لم تتضح في آخرها وعلى العاقل أن يعتبر بأواخر الأمور بما يجري في أولها. . .

٧٧ ـ ومن خبر ضرار بن حمزة الضبائي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين، وقال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله[١] وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ[٢] تململ السليم[٣]، ويبكي بكاء الحزين ويقول:

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي[٤]، أَبِي تَعَرَّضْتِ[٥]؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ[٦]؟ لَا حَانَ حِينُكِ! هَيْهَاتَ! غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ. آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ!.

اللغة

١ ـ السدول : جمع سديل وهو ما أسدل على الهودج ومراده بأرخى سدوله أي حجب ظلامه.

٢ ـ التململ : عدم الاستقرار من المرض كأنه على ملة وهي الرماد الحار.

٣ ـ السليم : الملدوغ من الحية وشبهها سمي بذلك تفاؤلاً.

٤ ـ إليك عني : أبعدي عني.

٥ ـ تعرض : تصدى.

٦ ـ لا حان حينك : لا حضر وقتك.

٧ ـ تشوقتي : رغبتي وتزينتي.

الشرح

ذكر ابن أبي الحديد نقلاً عن كتاب الاستيعاب لابن عبد البر بسنده قال:

قال معاوية لضرار الضبابي: يا ضرار صف لي علياً.

قال: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لتصفنه.

قال: أما إذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استفتيناه ونحن

والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرّب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييئس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غري غيري... إلى آخر الكلمة المتقدمة.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا حسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟.

قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها...

أقول: هذه صورة علي يحكيها أحد رواده وأصحابه... صورة الزاهد العابد الراهب الراغب... صورة تشد الإنسان ليعيش مع علي بضع لحظات وهو ينشد يا دنيا إليك عني فالرغبة فيها مفقودة... إنه ينحيها عن ناظريه وينعيها بأبلغ بيان...

إليك عني... أبعدي من أمامي وابحثي عمن يحبك ويرغب فيك... أنت تتصدين لي وتعترضين سبيلي بما فيك وأنت في شوق إلى أن ترميني بدواهيك ولكن لا كان ذلك الوقت الذي أقع فيه فريسة سائغة بين أيديك... هيهات... إن ما تطلبينه مني بعيد فأنا أملك حصانة قوية تمنعك من القرب مني ولكن ابحثي عن غيري واخدعيه واستدرجيه إلى أحضانك أما أنا فلا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثاً بائناً يحرم الرجوع فيه حاكياً شدة كراهته لها ثم بين أسباب كراهيته لها.

فعيشك قصير: مدة العمر قليلة ضئيلة فما هي إلا سنوات معدودة مملوءة بالمنغصات والآلام والعذاب.

وخطرك يسير: قيمتك في عيني قليلة ضئيلة لا تستحق العناية والاهتمام.

وأملك حقير: فما يؤمل منها حقير لا يطلبه ذو همة عالية وهل المال والجاه والسلطان وأمثالها إلا أمور تافهة إن لم تحقق مرضاة الله وتنفيذ أمره.

آه من قلة الزاد: كلمة تأوه خرجت من عمق القلب العلوي... علي في جهاده وإيمانه وكل حياته التي تحولت إلى ساحة واسعة لرضا الله كل هذا وهو يقول: إنه قليل الزاد ليوم المعاد... نعم إنها نظرة الأولياء والأئمة إلى أرفع درجات الجنة... علي يتأوه فلنعد نحن النظر في سلوكنا... نحن الذين نعيش الخطايا طيلة نهارنا وليلنا ولا نكف عن المعاصي حتى في أوقات نومنا آه من قلة الزاد وطول الطريق وما أطوله وأشقه إنه يحتاج إلى ترويض لهذه النفس وتعويد على الخير وما أبعده من سفر قد يصل الإنسان

خلاله سليماً في دينه ضامناً لآخرته وقد يسقط في وسط الطريق في المعاصي والمآثم.

ثم أخيراً ما أعظمه من مورد إنه مورد عظيم إنه الموت والحساب فإما إلى جنة وإما إلى نار إنه مورد عظيم لمن لم يجعل الله له نوراً. . .

٧٨ ـ ومن كلام له عليه السلام للسائل الشامي لما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاءٍ من الله وقدر؟ بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيْحَكَ[١]! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً[٢] لاَزِماً، وَقَدَراً[٣] حَاتِماً[٤]! وَلَوْ كَانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ، وَسَقَطَ ٱلْوَعْدُ[٥] وَٱلْوَعِيدُ[٦]. إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى ٱلْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرَهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ ٱلأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ ٱلْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً[٧]، وَلاَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً: ﴿ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

اللغة

١ ـ ويح : كلمة ترحم وتوجع وقد تأتي بمعنى المدح والتعجب.

٢ ـ القضاء : الحتم والجزم.

٣ ـ القدر : التقدير.

٤ ـ الحتم : الجزم الذي لا مفر منه.

٥ ـ الوعد : يكون بالأمر الحسن على الحسن.

٦ ـ الوعيد : التوعد بالعقاب على الأمر القبيح.

٧ ـ العبث : ما لا فائدة فيه.

الشرح

في كتاب الكافي روي الحديث: كان أمير المؤمنين جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثى بين يديه ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل

الشام أبقضاء من الله وقدره؟ فقال أمير المؤمنين: أجل يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله عز وجل وقدره.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين عندها التفت إليه أمير المؤمنين وقال له: ويحك لعلك ظننت...

حوار رقيق ودقيق بين شيخ اشتبهت عليه الأمور فأراد أن يستوضحها من الإمام... سؤال وجواب.

أبقضاء الله وقدره كان المسير إلى أهل الشام فأجابه الإمام نعم... كل ذلك بتقدير الله فذهب فهم الشيخ إلى أنه لا أجر إذن في مسيره حيث كان مجبراً عليه عندها التفت الإمام ليصحح له ما أراد ويبين له ما يجب أن يفهمه من كلامه...

ظن الشيخ أن المسير لازم حتم لا يمكن أن يتخلص منه فردّ عليه الإمام أنه لو كان الأمر كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد لأن هذه الأمور مرهونة بالاختيار وأن يملك الإنسان حريته في الفعل وعدم الفعل فإذا ملك الاختيار ترتب الأجر والثواب وصح الوعد والوعيد وإلا كيف يعاقب أو يثاب من لا يملك حريته ويكون ما وقع منه مكرهاً عليه...

ثم بين له أن الله صدّر الأوامر والزواجر وترك حرية الطاعة والعصيان للمكلف... إنه سبحانه كلف الإنسان بما يقدر عليه ولم يكلفه بما يعسر عليه أو يشق ومع ذلك أعطى على العمل القليل الأجر الجزيل...

ثم بين له بعض الخصوصيات الدقيقة:

إن الله لم يعص مغلوباً: فمن عصاه لم يعصه لأنه سبحانه عاجز مقهور لا يقدر على ردعه ورده بل لو أراد ذلك لفعل ولكنه يتركه ليرى مقدار طاعته والتزامه.

ولم يطع مكرهاً: فمن أطاعه سبحانه لم يطعه عن جبر وإكراه وأنه ملزم لا يمكنه تركه.

لم يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزل الكتاب عبثاً: إنه سبحانه لم يرسل الأنبياء للتلهي وقضاء الوقت وقتله دون غاية عظيمة تتجسد في تكامل الإنسان ورفعته وصيرورته قريباً من الله وكذلك لم ينزل الكتاب للعباد عبثاً فما أنزله من كتب لم يقصد به العبث وإنما أنزله لهداية الخلق وردهم إلى الله والأخذ بيدهم إلى ما فيه صلاحهم ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً بل خلقهما بالحق من أجل الإنسان وسعادته...

ومن ظن بأنه خلقهما باطلاً فذلك هو ظن الذين كفروا والعذاب لهم على هذا الظن ولهم العقاب. . .

٧٩ ـ وقال عليه السلام: خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ ٱلْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ(١) فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ(٢) إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ.

اللغة

١ ـ تلجلج : تتحرك وتتردد.

٢ ـ تسكن : تقرّ وتثبت.

الشرح

دعوة إلى أخذ الحكمة وعدم الترفع عن أخذها من أي مصدر كانت حتى لو كانت عند المنافقين، والحكمة لا تستقر في صدر المنافق بل تضطرب وتتحرك لأنه ليس من أهلها فتجده في حيرة من أمرها يبحث عن إنسان يلقيها إليه فتخرج عنه قهراً وتدخل صدر المؤمن فتسكن وتستقر إلى صواحبها من الحكميات التي يحويها صدر المؤمن فينتفع بها ويرتاح إليها. . .

٨٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ(١) ٱلْمُؤْمِنِ، فَخُذِ ٱلْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ ٱلنِّفَاقِ.

اللغة

١ ـ الضالة : الشيء المفقود.

الشرح

المؤمن يبحث عن الحكمة ويفتش عنها لأنه الإنسان المستفيد منها فهي له وهو لها هي الضالة التي يهمه أن يصل إليها ولذا يأخذها ولا يترفع عنها ولو كانت لدى المنافقين فإن المنافق ليس من أهلها ولا علاقة له بها. . .

٨١ ـ وقال عليه السلام: قِيمَةُ[1] كُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ.

اللغة

١ ـ **قيمة الرجل** : قدره.

الشرح

إذا أردت أن تعرف قيمتك عند الله وعند الناس فانظر ما قدمت نحو الله والناس، فهل قدمت جهاداً وتضحية ودفاعاً عن الوطن؟ هل قدمت عبادة من صلاة وصيام وحج وصدق وإخلاص؟ هل قدمت للناس خدمة وإعانة وإغاثة ورفع حاجة؟ هل قدمت مشروعاً عاماً يستفيد منه أهل الفاقة والحاجة والعوز من مستشفى ومصح ومدرسة؟ هل استطعت أن تصلح بين متخاصمين وتجمع مفترقين وتوحد قلبين؟ هل استطعت أن تقدم شيئاً نافعاً للبشرية وتسعدها في أيامها؟ انظر مقدار ما قدمت واعرف أن قيمتك بقدره... وأما إذا لم تقدم إلا الرذيلة والفجور والإنحلال والخلاعة والفساد فقيمتك وقدرك ما قدّمته...

---

٨٢ ـ قال عليه السلام: أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ[1] ٱلإِبِلِ لَكَانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً: لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ رَبَّهُ، وَلاَ يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ، وَلاَ يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لاَ أَعْلَمُ، وَلاَ يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ ٱلإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ، وَلاَ خَيْرَ فِي جَسَدٍ لاَ رَأْسَ مَعَهُ، وَلاَ فِي إِيمَانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ.

اللغة

١ ـ **الإبط** : جمعه آباط باطن الكتف.

٢ ـ **ضرب الآباط** : كناية عن شد الرحال في طلبها.

الشرح

هذه أمور خمسة لو خرجتم في طلبها مهاجرين وسعيتم إليها جادين تضربون في سبيلها الجمال وتحركونها من أجلها هذا في القديم - أما اليوم - فلو ركبتم الطائرات والصواريخ في سبيلها لكانت أهلاً أن يهاجر من أجل طلبها وهذه الأمور هي:

(لا يرجونّ أحد منكم إلا ربه) لا تتوقع الخير ولا تطلبه إلا من الله فاحصر مطلوبك بالله وعند الله واجعل الوسائط والأسباب التي على يديها يجري الأمر ويحصل المطلوب إنها وسائل ووسائط وفرها الله وسخرها لقضاء حاجتك ورجاء الله والطلب منه فيه عز ورفعة لأنه الخالق والرازق المطلق...

(ولا يخافن إلا ذنبه) لأنه يدخله النار وينال به غضب الله الجبار وهو معصية وتمرد على أمر الله ويكفي للإنسان أن يتصور العقوبة على الذنب حتى يخاف منه ويحذر ويفر إلى الله بتركه والبعد عنه وهجره...

(ولا يستحين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم) وهذا نهي عن القول بغير علم وأن الإنسان إذا سئل عن أمر لا يعلمه ربما أخذه الحياء من إجابة السائل أنه لا يدري لأنه صاحب مقام أو لكونه شخصية اجتماعية يحط من منزلته قوله لا أدري أو لغير ذلك من الأسباب فنهى الإمام عن الغرور لأن في ذلك هلاك النفس والدين وفي ذاكرتي أن رجلاً سأل عالماً مسألة وكان جالساً للوعظ فأجابه العالم لا أدري فقال الرجل: انزل عن الكرسي لمن يدري فأجابه العالم: ويلك إن هذا الكرسي لمن يقول أعلم تارة، ولا أعلم أخرى أما من يعلم كل شيء فلا مكان له، يشير إلى الله وأنه العالم بكل شيء...

(ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه) لأن بقاءه بدون علم لذلك الشيء جهل والجهل قبيح بل أقبح - إن كان هناك قبح فرضاً - من طلب العلم وقصد العلماء وشد الرحال إليهم في سبيل أن يرفع جهله وفي قصة موسى والعبد الصالح عبر وعظات...

(وعليكم بالصبر) وهو ضبط النفس ولزوم الاتزان وعدم الضعف والسقوط أمام الأحداث والمشاكل والتفكير في حلها بهدوء ورزانة عليكم بالصبر.

(فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه) فالجسد بدون الرأس لا فائدة فيه ولا خير يرجى منه وكذلك الإيمان يفقد مدلوله ومفعوله ويصبح مجرد دعوى وشعار إذا كان خالياً من الصبر لأن الصبر

يتضمن التسليم لله والرضا بقضاء الله وقدره وبقاء الإنسان أمام الأحداث مهما كانت عظيمة وجسيمة متزناً محافظاً على توازنه وطاعته لله. . .

٨٣ ـ وقال عليه السلام لرجل أفرط[1] في الثناء[2] عليه، وكان له مُتَّهِماً: أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

اللغة

١ ـ أفرط : تجاوز الحد.

٢ ـ الثناء : المدح.

الشرح

أفرط الرجل في مدح الإمام والثناء عليه دون أن يكون معتقداً ذلك فلذا رد الإمام على الإفراط بأنه دون ما يقول ويثني واتهمه بعدم الإخلاص والصدق في قوله بقوله: وفوق ما في نفسك لأنك تظهر غير ما تضمر. . .

---

٨٤ ـ وقال عليه السلام: بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً، وَأَكْثَرُ وَلَداً.

الشرح

قال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو عثمان: ليته لما ذكر الحكم ذكر العلة. . .

والمعنى أن من نجى من السيوف وانتصر في المعركة كان أبقى عدداً وأكثر ولداً ممن عاش الذل والقهر والاضطهاد وإن كان كثير العدد والولد فإن المنتصر يكون أقوى وأقدر على إفناء خصومه وقتلهم. . .

---

٨٥ ـ وقال عليه السلام: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لاَ أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ[1].

اللغة

١ ـ المقاتل : موضع قتله الذي إذا أصاب صاحبه لا ينجو.

الشرح

من سئل عن كل شيء وأجاب بأنه يدري أجاب بالخطأ والجهل وهذا الجواب فيه هلاك الدين والدنيا لأن من يدري كل شيء هو الله ومن يجيب على كل مسألة هو الله أو من انتجبه الله من خلقه كالأنبياء. . .

وهذا تعليم لنا أن لا يأخذنا الغرور فنحسب أنفسنا علماء بكل شيء ومحيطين بكل شيء. بل إن عرفنا شيئاً يبقى ما نجهله أكثر مما نعرفه ويجب أن نكون أمام كل سؤال بين أمرين. . . أدري ولا أدري بحسب معرفتنا وعدم معرفتنا. . .

---

٨٦ ـ وقال عليه السلام: رَأْيُ الشَّيْخِ[1] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ[2] ٱلْغُلَامِ. وَرُوِي «مِنْ مَشْهَدِ ٱلْغُلَامِ[3]».

اللغة

١ ـ **الشيخ** : من تقدم في السن وظهر عليه الشيب.
٢ ـ **جلد الغلام** : صبره على القتال.
٣ ـ **مشهد الغلام** : إيقاعه بالأعداء.

الشرح

الحكمة والرأي السديد فيمن عاش تجارب السنين واختبر الحياة كما وأن القوة والعزيمة تكون في الشباب.

والحرب تحتاج إلى الحكمة والتجربة كما تحتاج إلى القوة والعزم. . .

والحكمة والرأي السديد والتجربة أقوى في الحروب من القوة وأشد فعلاً وتأثيراً فلذا فضّل الإمام رأي الشيخ وحكمته الصادرة منه على قتال الشاب وصبره وقوته على النزال.

---

٨٧ ـ وقال عليه السلام: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ[1] وَمَعَهُ ٱلاسْتِغْفَارُ.

اللغة

١ ـ **القنوط** : اليأس.

اليأس من رحمة الله أعظم الذنوب وأشدها إذ هو تحجيم لقدرة الله وتعجيز له لأن من يتصور أن ذنبه أعظم من أن يغفر فقد أخطأ وأساء الظن بالله ورفض قوله تعالى: ﴿**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ فإذا آمن بقدرة الله واستغفر الله غفر الله له ذنوبه.

---

٨٨ ـ وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، أنه قال:

كَانَ فِي ٱلأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ ٱللهِ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ ٱلآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا ٱلأَمَانُ ٱلَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، وَأَمَّا ٱلأَمَانُ ٱلْبَاقِي فَٱلاسْتِغْفَارُ. قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾.

قال الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

الشرح

وجود رسول الله وبركته القائمة أمان من العذاب لأهل ملته وزمانه وبلده فلا يأخذهم بالخسف والهدم والصيحة وغيرها مما أخذ به الأمم من العذاب...

وبعد رحيله عن دار الفناء وغيابه ترك لأمته الاستغفار الذي يعني الإقلاع عن الذنب والرجوع إلى الله والتوبة عن المعصية فإن من قال استغفر الله تضمن قوله توبة صادقة وإقلاعاً عن المعصية والله يتقبل منه توبته ويؤمّنه من العذاب.

وهذا الاستنباط من الإمام هو دأبه ودأب الأئمة من ذريته ولا عجب في ذلك فهم خزان علم الله ومعادن حكمته وورثة رسول الله قال النبي (ص): أنا مدينة العلم وعلي بابها...

---

٨٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ[١] مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللهِ أَصْلَحَ ٱللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاس، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ ٱللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱللهِ حَافِظٌ.

اللغة

١ ـ أصلح الشيء : ضد أفسده.

الشرح

من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس وذلك لأن من قام بحقوق الله وعمل بما أمر الله انعكس ذلك على علاقته بالآخرين فأصبح تعامله فيما بينه وبين الناس جيداً فأحسن عشرتهم وصفح عن مسيئهم وأعان ضعيفهم وبذلك يصلح ما بينه وبينهم فيرتفع الشر والأذى وتصلح الأمور معهم.

ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه: من أصلح أمر آخرته فصلى وصام وسعى في سبيل تحصيل رضا الله وجاهد أصلح الله له أمر دنياه لأن أوامر الله فيها صلاح الدنيا وسعادة الآخرة ومتى اتجه الإنسان نحو الآخرة وسعى لها صلحت دنياه بشكل طبيعي لأنه يتنازل عن كثير من الكماليات وغير الضروريات ولم ينافس أهل الدنيا في دنياهم بل يسعى في الأرض ويكد على عياله كما أمر الله وبذلك تحصل عنده القناعة والرضا ويكسب الدنيا.

ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ فإن العاقل من يفكر في عواقب الأمور وما ينفع الناس ويروّض نفسه على قبول الحق مهما كان مراً ومثل هذا يعيش الأمان والسلام ويرفع الأذى عن نفسه لأنه يعرف بعقله كيف يسلك في الحياة.

---

٩٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْفَقِيهُ كُلُّ ٱلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ(١) النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ(٢) مِنْ رَوْحِ(٣) ٱللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللهِ.

اللغة

١ ـ القنوط : اليأس وقنّطه يأسه.

٢ ـ اليأس : القنوط وقطع الرجاء.

٣ ـ روح الله : لطفه ورأفته.

الشرح

الفقيه هو الرجل الذي فهم الشريعة ووعاها وأدرك عمقها ومتطلباتها وأن الفقيه الكامل هو الذي يحمل الناس على أن يكونوا بين الخوف والرجاء فمهما عملوا من سيئات وارتكبوا من تجاوزات يبقى لهم الأمل بعفو الله وغفرانه ومهما عملوا من حسنات وطاعات يبقى احتمال الخطر على مستقبلهم قائم فلا يوصد أبواب الرحمة عنهم مهما عصوا ولا يدخلهم الجنة مهما أطاعوا وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ وقوله تعالى: ﴿**أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**﴾.

---

٩١ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ هذِهِ ٱلْقُلُوبُ تَمَلُّ[١] كَمَا تَمَلُّ ٱلأَبْدَانُ[٢]، فَٱبْتَغُوا[٣] لَهَا طَرَائِفَ ٱلْحِكَمِ[٤].

اللغة

١ ـ **مل الشيء ومن الشيء** : سئمه وضجر منه.
٢ ـ **الأبدان** : الأجسام.
٣ ـ **ابتغوا** : اطلبوا.
٤ ـ **طرائف الحكم** : غرائبها المستطرفة.

الشرح

إذا كلت الأبدان وتعبت من العمل توجّه أصحابها لإراحتها بنوع من الرياضة أو التسلية والترفيه الذي يتجدد به نشاطها وتعود إليها حيويتها والقلوب تصاب أيضاً كما تصاب الأبدان فالعقل يتوقف عن التفكير والنفس تتراخى وتتكاسل والتوجه نحو المطالب التي تحتاج إلى تحقيق وتدقيق لا يتوفر فهذه الحالات تحتاج إلى نكتة لطيفة مريحة ولطيفة أدبية ظريفة وفكاهة خفيفة فيعود النشاط الفكري والتوجه النفسي والنشاط الروحي وكل منا قد يمر في بعض أيامه بهذا النوع من الملل والسأم والضجر فباجتماع مع أصحاب النكتة أو بنزهة أو بطريفة أو بوسيلة من وسائل الترفيه يرتفع عنه كل ذلك ويعود إليه إقباله على ما هو فيه...

٩٢ ـ وقال عليه السلام: أَوْضَعُ ٱلْعِلْمِ(١) مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْجَوَارِحِ(٢) وَٱلأَرْكَانِ.

اللغة

١ ـ **أوضع العلم** : أدناه.
٢ ـ **الجوارح** : الأعضاء.
٣ ـ **أركان البدن** : أعضاؤه الرئيسية.

الشرح

العلم هو حصول صورة الشيء في الذهن هذا قد يحصل عليه كثير من الناس والإمام يجعل لهذا العلم درجات فأدنى درجاته وأحقرها أن يظهر أثره على اللسان فحسب فالعالم يرشد ويعظ ويخطب ولا يتأثر بما يقول أو لا يفعل ما يقول...

وهناك درجة أخرى هي الأرفع والأعظم وقد حث النبي والأئمة عليها وهي أن يقترن العلم بالعمل فتنطلق الجوارح والأعضاء لتنفيذ ما يعلم ويعرف، والعمل ثمرته العمل وإلا تحول إلى كنز مدفون في أعماق الأرض لا يستفيد منه أحد بل وجوده يوجب الأسى والحسرة.

---

٩٣ ـ وقال عليه السلام: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ(١)» لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ(٢) عَلَى فِتْنَةٍ، وَلكِنْ مَنِ ٱسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ ٱلْفِتَنِ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: **﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾**، وَمَعْنَى ذلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ(٣) لِرِزْقِهِ، وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلكِنْ لِتَظْهَرَ ٱلأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ، لأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ ٱلإِنَاثَ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ ٱلْمَالِ(٤)، وَيَكْرَهُ ٱنْثِلَامَ(٥) ٱلْحَالِ.

قال الرضي: وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير.

اللغة

١ ـ الفتنة : الاختبار والامتحان.

٢ ـ اشتمل بالثوب : تلفف به وأداره على جسمه كله.

٣ ـ الساخط : الغاضب.

٤ ـ تثمير المال : إنماؤه بالربح.

٥ ـ ثلم الإناء : كسره من حافته.

الشرح

نهى عليه السلام أي فرد منا أن يستعيذ من الفتنة التي تعني الاختبار والامتحان لأنه ليس أحد إلا وهو في موقع الامتحان وما الدنيا كلها ووجودنا فيها إلا من أجل أن يختبرنا الله فيها ويمتحننا.

نعم من أراد أن يستعيذ فليستعذ من مضلات الفتن وهي التي يفقد الإنسان فيها الرؤية الصحيحة ويضل وجه الحق عنده فهذه تحتاج إلى استعاذة.

وعلل ذلك بقول الله: ﴿**واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ وكل منا يمتحن في أمواله وأولاده ليعرف هل يطيع الله فيهم أم يضل بسببهم؟ هل يعصي الله بسببهم أم يطيع الله فإن الاختبار ليرى الساخط الغاضب على حكم الله وإرادته من الراضي بذلك وإن كان سبحانه يعلم أحوالهم وأنفسهم ولكن من أجل أن يقيم الحجة عليهم ويقطع أعذارهم وما يتعللون به إنه لكي يستبين من يستحق الثواب بعمله ومن يستحق العقاب بعمله...

ثم ذكر جزئين من ذلك فبعضهم يحب الذكور ويكره الإناث فهل يطيع الله فيما يكره وفيما يحب أم لا وبعضهم يحب زيادة المال وعدم نقصانه فهل يستغل الطريق المنحرف لزيادة المال كأن يرابي ويغش أو يقنع بما يرضى الله وإن كان فيه نقص المال وقلته...

---

٩٤ ـ وسئل عن الخير ما هو؟ فقال: لَيْسَ ٱلْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلكِنَّ ٱلْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ(١)

النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ ٱللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ ٱللهَ. وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا[٢] بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي ٱلْخَيْرَاتِ.

اللغة

١ ـ تباهي : تفاخر.
٢ ـ تداركه : أتبعه وألحقه.

الشرح

بعض الناس ينظر إلى أن الخير كل الخير في جمع الأموال وكثرة الأولاد وهذا ميزانهم والإمام هنا يرد على هذا الميزان بأن الخير كل الخير في أمور:

أن يكثر علمك لأنه الموصل إلى مغفرة الله ورضوانه وأن يعظم حلمك فلا تغضب لأتفه الأسباب وأحقرها بل تكون واسع الصدر تستقبل الأمور الصعبة فتحللها وتصبر عليها وأن تباهي الناس تفتخر عليهم بعبادة الله لأنها الرصيد العظيم الذي يجب أن يتفاضل به الناس وبه ترتفع درجاتهم في الآخرة...

ثم علمنا أمراً وهو أن نحمد الله إن أحسنا شكراً له على التوفيق للطاعة وأن نستغفره سبحانه وتعالى إن أسأنا وأخطأنا.

ثم إنه عليه السلام أعطى للحياة قيمتها وأنه لا يستحقها إلا رجلان: رجل أذنب وعصى الله فزلت قدمه وعثر في مشيته فسقط في المعصية فهذا يتدارك ذنبه بالتوبة والإنابة إلى الله والرجوع إليه والاستغفار فتمحى السيئات ومثل هذا تكون الحياة بالنسبة له عظيمة وذات قيمة ويستحق البقاء والاستمرار ورجل لم يعص ولم يخطىء ولكنه صاحب أعمال طيبة وخيرات يبحث عن الحسنات ويدور وراء الأجر والثواب وأعمال البر فمثل هذا يستحق الحياة لترتفع درجاته وتعلو منزلته...

وأما من يقضي العمر وليس بأحد الرجلين فلا فائدة من حياته ولا ثمرة لعمره طال أم قصر فإن الدنيا ليس للأكل واللذة والتمتع بالطيبات دون أن تكون ذات هدف عظيم أو مرمى بعيد...

٩٥ ـ وقال عليه السلام: لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟.

الشرح

لا يقبل الله عملاً بدون تقوى مهما كان العمل كبيراً قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ وفي المقابل يقبل الله كل عمل مع التقوى ومن قبل الله عمله كان العمل كبيراً وعظيماً لأنه مقبول عند الله ومن قبل الله عمله أدخله الجنة. . .

---

٩٦ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ(١)، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!.

اللغة

١ ـ **اللحمة** : القرابة.

الشرح

هذا تحديد وبيان لمن يكون ولي الأمر بعد النبي. . . من هو الخليفة القائم مقامه والمتولي الأمر عنه إنه أعلم الناس بما جاء به وأعملهم به.

قال ابن أبي الحديد: والرواية أعلمهم والصحيح أعملهم لأن استدلاله بالآية يقتضي ذلك وكذا قوله فيما بعد: إن ولي محمد من أطاع الله. . . فلم يذكر العلم. . . وهذا التحديد الشريف لولاية الأمر والاستدلال بآية أن أولى الناس بإبراهيم. . . يريد النفوذ من خلاله إلى نفسه الشريفة وأنه أولى الناس بالنبي لجهاده وتضحياته وطاعته لله ولرسوله.

---

٩٧ ـ وسمع عليه السلام رجلاً من الحرورية(١) يتهجد(٢) ويقرأ فقال:

نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ.

اللغة

١ ـ **الحرورية** : بفتح الحاء هم الخوارج الذين خرجوا على الإمام بحروراء قرية بالنهروان.

٢ ـ **يتهجد** : يتعبد بالليل.

الشرح

الحرورية فرقة من الخوارج نسبوا إلى حروراء ـ بالمد والقصر ـ قرية بالنهروان وقد كانوا زهاد الأمة وعبادها كما كانوا جهالها وأغبياؤها دخلت عليهم شبهة أضلتهم عن دينهم.

وقال بعضهم فيهم: الخارجي يقول الزور ويعتقده الحق ويفعل المنكر ويظنه المعروف ويعتمد على الله ولا يتصل إليه بسبب مشروع...

والإمام يعطي درساً بليغاً لكل أصحاب القضايا أن يخرجوا من الشك الذي يعيشونه في أي قضية من قضاياهم إلى مرحلة اليقين الساطع وليدع الإنسان حتى العبادة إذا شغلته عن تحصيل اليقين.

ويقول ابن أبي الحديد معنى آخر هو: ترك التنفل بالعبادات مع سلامة العقيدة الأصلية خير من الاشتغال بالنوافل وأوراد الصلاة مع عدم العلم...

---

٩٨ ـ وقال عليه السلام: اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ(١) لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ(٢)، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

اللغة

١ ـ **عقل رعاية** : ضبطه بالفهم.

٢ ـ **عقل رواية** : ضبط ألفاظه وحفظه دون فهم.

الشرح

دعوة من الإمام إلى تحقيق ما يصل إلينا من الأخبار والروايات وتفحّص صحيحها من سقيمها وتفهم معانيها وما المراد منها ولا يكتفي الإنسان بحفظ الرواية ونقلها كما

هي فيتحول إلى آلة تسجيل ينقل ما يشاهد ويحفظ ما يسمع دون وعي وتفهم فإن رواة العلم ونقلته والحافظون له عن ظهر قلب كثيرون ولكن وعاته والواقفون على حقيقته والمدركون لمعناه فهم قلة قليلة ولذا نجد الحفظة كثيرون وخصوصاً في أزمنتنا التي انتشرت فيها الطباعة وأضحت كتب الحديث في كل بيت ولكن ما أقل من يفهمها ويقف على معانيها ويتدبر ما فيها. . .

٩٩ ـ وسمع رجلاً يقول: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» فقال عليه السلام:

إِنَّ قَوْلَنَا: «إِنَّا للهِ» إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِٱلْمُلْكِ، وَقَوْلَنَا: «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِٱلْهُلْكِ(١).

اللغة

١ ـ الهلك : بالضم الهلاك.

الشرح

التفاتة علوية عميقة ودقيقة ينبه بها الإمام هذا القائل ويعلمه ويعظه.

«إنا لله» اعتراف صريح منّا وإقرار بأننا مملوكون لله ومن كان مملوكاً وجب عليه أن يطيع المالك ولا يعصي له أمراً ولا يفر أو يهرب من حكمه. . .

«وإنا إليه راجعون» اعتراف وإقرار بالهلاك والموت وأن لا بقاء لنا ولا خلود ومن كان ميتاً يجب أن ينظر إلى ما بعد الموت وما أعده الله له من الثواب والعقاب. . .

١٠٠ ـ وقال عليه السلام، ومدحه قوم في وجهه، فقال: ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، وَٱغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ.

الشرح

هذا تواضع منه لله وكسر للزهو الذي يمكن حصوله بالمدح وتعليم لنا كيف نقابل المادحين لنا في وجوهنا. . .

اللهم إنك أعلم بي من نفسي، فأنا الذي أحمل هذه النفس أنت أعلم مني بها. . . أنت يا رب خلقتها وتعرفها وتعرف تكوينها وما تحوي و أنا عاجز أمام معرفتك هذه وأمام كل معارفك. . .

وأنا أعلم بنفسي من هؤلاء المادحين. . . هؤلاء يعرفون الظواهر وما وقع لهم وأما أنا فأعرف الداخل وما في عمق نفسي. . .

اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، فهو عليه السلام يطلب الكمال كما يطلب الغفران لما لم تقع عليه عيونهم أو يدركونه بأيديهم. . .

---

١٠١ ـ وقال عليه السلام: لَا يَسْتَقِيمُ(١) قَضَاءُ ٱلْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِٱسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ، وَبِٱسْتِكْتَامِهَا(٢) لِتَظْهَرَ، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ(٣).

اللغة

١ ـ لا يستقيم : لا يعتدل ويتم.
٢ ـ استكتامها : الحرص على كتمانها وعدم نشرها.
٣ ـ تهنؤ : يلتذ بها.

الشرح

كمال قضاء الحاجة يكون بهذه الشروط:

١ ـ أن يستصغرها القاضي لها فتعظم في أعين الناس وعين صاحبها.

٢ ـ أن تكتم فلا تذاع وكتمانها يكون السبب في انتشارها بين الناس لأن الناس على عادتهم يحبون معرفة ما استتر واختفى.

٣ ـ تعجيلها ليهنأ بها صاحبها فإن تسويفها وتأخير قضائها ينغصها على أهلها. . .

١٠٢ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ(١) فِيهِ إِلاَّ ٱلْمَـاحِـلُ(٢)، وَلاَ يُظَـرَّفُ(٣) فِيـهِ إِلاَّ ٱلْفَـاجِـرُ، وَلاَ يُضَعَّـفُ(٤) فِيـهِ إِلاَّ ٱلْمُنْصِفُ(٥)، يَعُدُّونَ(٦) الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً(٧)، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً(٨)، وَٱلْعِبَادَةَ ٱسْتِطَالَةً(٩) عَلَى النَّاسِ! فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ، وَتَدْبِيرِ ٱلْخِصْيَانِ(١٠)!.

اللغة

١ ـ قرّبه : أدناه.
٢ ـ الماحل : الساعي بين الناس بالوشاية.
٣ ـ يظرّف : يُعد ظريفاً.
٤ ـ يضعّف : يعد ضعيفاً.
٥ ـ المنصف : العادل.
٦ ـ يعدون : يحسبون.
٧ ـ الغرم : الدين والغرامة.
٨ ـ المنّ : تعداد النعمة على الغير مظهراً بالعلو عليه.
٩ ـ الاستطالة : الارتفاع.
١٠ ـ الخصيان : العبيد.

الشرح

هذه جملة أمور كشف الإمام عنها... إنه سيحملها الزمن وتلدها الأيام القادمة... يقرأ الأحداث قبل وقوعها ويستشرف المستقبل فيجد فيه هذه الصورة الكريهة... إنه زمان شؤم ونحس تتبدل فيه الموازين وتتحطم المقاييس... إنه زمان له علامات وعلاماته هي:

١ ـ **لا يقرّب فيه إلا الماحل**: من يسعى بين الناس بالوشاية وينقل منهم وإليهم ما يفتنهم به ذلك هو الرجل المقرّب المقدّر الذي يصبح له حظوة ومكانة، فالمفرق بين الأحبة الذي يزرع الفتن هو المقرب من الناس.

٢ ـ **ولا يظرّف فيه إلاّ الفاجر**: فمن تهتك يصبح ظريفاً لطيفاً وأني أجد مصداق

ذلك في المغنين والمغنيات الذين يغوون كثرة كثيرة من الناس.

٣ ـ لا يضعف فيه إلا المنصف: فالعادل الذي ينصف الله وينصف الناس يرونه ضعيفاً حقيراً أو أنهم يعدون المنصف لا يفهم لأنهم لا يحترمون العدل الذي يحمله ويرونه شيئاً لا قيمة له لأنه لا يخدمهم.

٤ ـ يعدّون الصدقة فيه غرماً: وهذه من غرائب ذلك الزمن إن أهله يعدون دفع الزكاة الواجبة عليهم والتي فرضها الله على الأغنياء منهم يعدونها ضريبة إجبارية يدفعونها قهراً عنهم ورغماً عن أنوفهم.

٥ ـ وصلة الرحم منّاً: إذا وصل أحدهم رحمه منّ عليه بها وهذا ما نجده فإذا زار الأخ أخاه رأى نفسه متفضلاً عليه يذكره بزيارته ويكرر ذلك.

٦ ـ والعبادة استطالة على الناس: فإذا أدى ما وجب عليه من صلاة وصيام وعبادة تكبّر على الناس وأحس من نفسه أنه أعلى منهم فترفع وتكبر وأخذه العجب والزهو.

ثم إنه عليه السلام بعد أن ذكر ما سيحمله الزمن وتتبدل الموازين ويصبح الأمر كما مر عندئذ يكون الحكم بمشورة النساء فلا يقطع الحاكم أمراً إلا إذا استشار امرأة ويحدثنا بعض أصحاب السلطان أن الحاكم لا يقدر على إمضاء أمرٍ إذا لم ترض به زوجته وعندئذ تكون الإمرة بيد الصبيان فيوصى إلى ولاة العهد وهم أطفال صغار رضع ويدبر الأمر عنهم ويصرفه المرتزقة من الناس عبيد الحكم والمنصب والجاه...

١٠٣ ـ ورئي عليه إزار[(١)] خلقٌ[(٢)] مرقوع فقيل له في ذلك، فقال:

يَخْشَعُ لَهُ ٱلْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ ٱلْمُؤْمِنُونَ. إِنَّ الدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ[(٣)]، وَسَبِيلاَنِ[(٤)] مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ ٱلآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ ٱلآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ[(٥)]!.

اللغة

١ ـ الإزار: ثوب يستر البدن.

٢ ـ الخلق: البالي.

٣ ـ متفاوتان : مختلفتان متباعدتان.
٤ ـ سبيلان : مثنى سبيل وهو الطريق.
٥ ـ ضرة المرأة : امرأة زوجها وهما ضرتان.

الشرح

ربما كان هذا المشهد أيام خلافته... أمير المؤمنين في زي مسكين يلبس ثوباً بالياً قد أكل الدهر عليه وشرب ومرقّع فلا يخجل به أو يستحي... إنه ينطلق من مفهوم أن الجمال هو جمال النفوس وطهرها وعفافها وأن العمدة على ما يحمله الإنسان في داخله فربما احتوت الثياب الجميلة قلوب الذئاب وحيل الثعالب وحسد النساء وعداوة الضرائر ومكر الشياطين...

إنه عليه السلام يُعَاتَب على ذلك فينطلق بهذا البيان الذي يتضمن موعظة عظيمة...

إنه ثوب يخشع له القلب فلا يأخذه الكبر والعلو كما يأخذ أصحاب الثياب الجديدة الجميلة الجيدة.

كما أنه تذل به النفس تتواضع وتنحني أمام أولئك الذين لا يجدون ما يسترون أبدانهم...

وثالثاً يقتدي به المؤمنون: فأنا إمام فيقتدي بي المؤمنون فلا يأخذ الثوب الجديد نفوسهم ويخرجها عن طاعة الله فيعصون الله فيه...

ثم بين أن الدنيا والآخرة متنافرتان فهذه عدوة لتلك وتلك عدوة لهذه متباعدتان لا جامع بينهما فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها... فالدنيا سبيل وطريق يتجه إلى النار والآخرة سبيل وطريق يتجه إلى الجنة إنهما بمنزلة المشرق والمغرب والإنسان بينهما فهل يمكن أن تتحدان أو تجتمعان فكما لا يمكن ذلك لا يمكن الجمع بين الدنيا والآخرة كما أن الإنسان إذا كان يقف بينهما فإنه كلما اقترب من واحدة ابتعد عن الأخرى ثم شبههما بضرتين لا يمكن للرجل أن يرضيهما معاً بل إن أرضى واحدة أسخط الأخرى وعلى العاقل أن يختار المريحة منهما ومن له فيها العقبى السعيدة.

١٠٤ ـ وعن نوف البكالي قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من

فراشه فنظر في النجوم فقال لي: يا نوف أراقد[١] أنا أم رامق؟ فقلت: بل رامق[٢] قال:

يَا نَوْفُ، طُوبَى[٣] لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي ٱلآخِرَةِ، أُولئِكَ قَوْمٌ ٱتَّخَذُوا ٱلأَرْضَ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَائَهَا طِيباً، وَٱلْقُرْآنَ شِعَاراً[٤]، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً[٥]، ثُمَّ قَرَضُوا[٦] الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ[٧] ٱلْمَسِيحِ.

يَا نَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي مِثْلِ هذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا ٱسْتُجِيبَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً[٨] أَوْ عَرِيفاً[٩] أَوْ شُرْطِيّاً[١٠]، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ (وهي الطبل. وقد قيل أيضاً: إن العرطبة الطبل والكوبة الطنبور).

اللغة

١ ـ راقد : نائم.
٢ ـ رامق : من رمقه إذا لحظه لحظاً خفيفاً.
٣ ـ طوبى : سعادة وهناء.
٤ ـ الشعار : ما يلي البدن من الثياب.
٥ ـ الدثار : ما يعلو البدن من الثياب.
٦ ـ قرضوا : اقتطعوا.
٧ ـ المنهاج : الطريق.
٨ ـ العشار : جامع أعشار المال.
٩ ـ العريف : من يتجسس على أعراض الناس ليكشفها لأميره.
١٠ ـ الشرطي : معاون الحاكم في ظلمه ومنفذ أمره.

الشرح

نوفى البكالي من شيعة أمير المؤمنين والمخلصين في محبته وقد خرج الإمام إلى الفضاء ينظر إلى ملكوت السموات والأرض ثم استفهم من نوف هل هو نائم أم مستيقظ فأجابه نوف أنه غير نائم فوجه إليه هذه الموعظة الرقيقة.

هنأ أولئك الزهاد في الدنيا الذين عزفت نفوسهم عنها وتوجهت نحو الآخرة... إنهم الذين تعلقت قلوبهم في الآخرة ولئلا يشتبه عليه الأمر فيمن ادعى الزهد في الدنيا

ذكر له بعض مواصفات الزهاد الذين يقصدهم إنهم قوم لهم عدة صفات:

١ ـ إنهم قوم اتخذوا الأرض بساطاً رفضوا ما عليه أبناء الدنيا من بسط وسجاد وفراش حيث يفترشون ذلك ويتنعمون به.

٢ ـ اتخذوا من التراب فراشاً ينامون عليه ويرتاحون إليه ولا يهتمون بما يتنازع عليه أبناء الدنيا.

٣ ـ وماءها طيباً: فتحول الماء إلى شراب طيب ورفضوا تأنق أهل الدنيا وسعيهم وراء المشروبات اللذيذة.

٤ ـ اتخذوا القرآن شعاراً: فالقرآن يعيش في قلوبهم يرتلونه ويحيون أحكامه وينفذون أوامره.

٥ ـ اتخذوا الدعاء دثاراً: إنهم قوم يعيشون مع الدعاء فإن قاموا دعوا الله وإن قعدوا دعوا الله وكيفما تحركوا دعوا الله فالدعاء ملازم لهم ومن صفاتهم أنهم قوم أهل دعاء.

٦ ـ ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح: إنهم أخذوا من الدنيا وأكلوا منها ما أكله المسيح فهو القدوة لهم وهو لم ينل منها إلا الكفاف الذي يقيم أوده وما يكمل به استمرارية الحياة...

ثم نبهه إلى أن هذه الساعة التي قام بها أمير المؤمنين هي الساعة التي قام بها داوود عليه السلام ترغيباً لنوف إلى أنها ساعة يقوم بها الأنبياء ولعلها ساعة السحر فإنها ساعة يستجاب فيها الدعاء ولا يرد إلا دعاء من انقطعت الصلة بينهم وبين الله وتعطلت الإتصالات وقد ذكر العشار الذي يأخذ العشر من أموال الناس وغلاتهم ظلماً وعدواناً وكذلك العريف الذي يتجسس على عيوب الناس وينقلها إلى أسياده الظالمين والثالث هو الشرطي الذي ينفذ أمر الحاكمين الظالمين في قهر الناس وإذلالهم والرابع صاحب عرطبة وهو الطنبور ويمكن أن ينطبق على الموسيقار الفاسق أو صاحب كوبة وهو الطبل أي أهل الغناء والفسق الذين يضلون الناس وينحرفون بهم إلى غير طاعة الله.

---

١٠٥ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللهَ ٱفْتَرَضَ(١) عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ(٢)، فَلاَ تُضَيِّعُوهَا(٣)، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً، فَلاَ تَعْتَدُوهَا(٤)، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ، فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا(٥)، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا(٦) نِسْيَاناً، فَلاَ تَتَكَلَّفُوهَا(٧).

اللغة

١ ـ افترض : أوجب.
٢ ـ الفرائض : الواجبات.
٣ ـ ضيّع الصلاة : أهملها.
٤ ـ تعتدوها : تتجاوزوها.
٥ ـ الانتهاك : الإهانة والإضعاف.
٦ ـ يدعها : يتركها.
٧ ـ تكلف الأمر : تجشمه وتحمله على مشقة أو على خلاف عادته.

الشرح

موعظة بالغة موجزها أن على الإنسان أن يقف أمام تكاليفه فينفذ الواجب منها ويترك الحرام ويسكت عما سكت الله عنه:

١ ـ إن الله أوجب عليكم واجبات من صلاة وصيام وحج وزكاة ورفع للظلم ورد للاعتداء فلا تتخلوا عن ذلك أو تتركوه.

٢ ـ وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها: رسم لكم الأطر والحدود التي يجوز لكم أن تتحركوا ضمنها فلا تتجاوزوها أو تخرجوا عنها فتحاسبوا عليها...

٣ ـ ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها: نهاكم عن ارتكاب بعض المحظورات وحرم عليكم تناولها أو القيام بها كالزنا والسرقة وشرب الخمر وظلم الناس والاعتداء عليهم فلا تفعلوها وتقوموا بها.

٤ ـ وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها: والله سبحانه سكت عن أشياء ولم يبيّنها كما لم يوجب البحث عنها والتدقيق فيها ولم يكن ذلك نسياناً منه لها بل هو الله الذي لا ينسى وإنما تركها لعدم فائدتها ونفعها فلا تكلفوا أنفسكم وتشقوا عليها بالبحث عنها والنظر في حقيقتها كما هو الحال في الملائكة والجن والملأ الأعلى وغيرها من الأمور التي لم يكلفنا الله بالبحث عنها ولم يحملنا مسؤولية دراستها...

---

١٠٦ ـ وقال عليه السلام: لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ.

الشرح

قد يتصور البعض أنه إذا ترك أمراً من أمور الدين يستطيع أن يحصل على دنيا سعيدة وحياة رغيدة ولكن القضية قد تكون أقسى وأضر عليه وتأتي خلاف ما يطلب، فقد يترك الجهاد للحفاظ على حياته ودنياه فإذا به يعيش الذل والهوان ويموت وهو يتحرك وقد يقضي الظالمون على حياته في آخر الأمر...

وهذه من الإمام دعوة إلى الحفاظ على الدين وعدم إضاعة شيء منه من أجل الدنيا وما فيها...

١٠٧ ـ وقال عليه السلام: رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لاَ يَنْفَعُهُ.

الشرح

الذي يخالف علمه فهو من جهة يصدق عليه أنه عالم عارف ومن جهة مخالفته لهذا العلم يصدق عليه أنه جاهل بل يأخذ حكم الجاهل وتلحقه آثار الجهل وعدم المعرفة فيقتله ذلك لعدم عمله بما يعلم فيورد النار وبئس القرار...

---

١٠٨ ـ وقال عليه السلام: لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ(١) هذَا ٱلإِنْسَانِ بَضْعَةٌ(٢) هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ: وَذلِكَ ٱلْقَلْبُ. وَذلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ(٣) وَأَضْدَاداً مِنْ خِلاَفِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ(٤) الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ(٥) بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ ٱلْحِرْصُ(٦)، وَإِنْ مَلَكَهُ ٱلْيَأْسُ قَتَلَهُ ٱلأَسَفُ(٧)، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ ٱلْغَضَبُ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْغَيْظُ(٨)، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ(٩)، وَإِنْ غَالَهُ(١٠) ٱلْخَوْفُ شَغَلَهُ ٱلْحَذَرُ(١١)، وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ ٱلأَمْرُ ٱسْتَلَبَتْهُ ٱلْغِرَّةُ(١٢)، وَإِنْ أَفَادَ(١٣) مَالاً أَطْغَاهُ(١٤) ٱلْغِنَى، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ(١٥) ٱلْجَزَعُ(١٦)، وَإِنْ عَضَّتْهُ(١٧)

ٱلْفَاقَةُ(١٨) شَغَلَهُ ٱلْبَلاءُ(١٩)، وَإِنْ جَهَدَهُ(٢٠) ٱلْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ(٢١) بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ(٢٢) ٱلْبِطْنَةُ(٢٣). فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

اللغة

١ ـ النياط : عرق غليظ متصل بالقلب.

٢ ـ البضعة : بفتح الباء القطعة من اللحم.

٣ ـ الحكمة : القول السديد.

٤ ـ سنح له : عرض له وظهر.

٥ ـ هاج : ثار وانبعث.

٦ ـ الحرص : التمسك بالشيء وعدم التفريط فيه.

٧ ـ الأسف : الحزن.

٨ ـ الغيظ : الغضب أو أشده.

٩ ـ التحفظ : التوقي والتحرز من المضرات.

١٠ ـ غاله : أخذه على غرة.

١١ ـ الحذر : الاحتراز والتنبه.

١٢ ـ الغرة : بالكسر الغفلة.

١٣ ـ أفاد : استفاد وانتفع.

١٤ ـ أطغاه : من الطغيان وهو البطر وتجاوز الحد.

١٥ ـ فضحه : كشف عيوبه.

١٦ ـ الجزع : عدم الصبر وإظهار الحزن.

١٧ ـ العض : الأخذ بأطراف الأسنان.

١٨ ـ الفاقة : الحاجة.

١٩ ـ البلاء : المصائب والمحن.

٢٠ ـ جهده : أعياه وأتعبه.

٢١ ـ أفرط : تجاوز الحد.

٢٢ ـ الكظة : امتلاء البطن كثيراً.

٢٣ ـ البطنة : امتلاء البطن حتى يضيق النفس.

الشرح

أراد الإمام في هذا الفصل أن ينبه الإنسان إلى أنه ينبغي عليه أن يحافظ على الاعتدال في الأمور فلا يأخذ جانب الإفراط كما لا يأخذ جانب التفريط وذكر بعض الحالات التي تعترض هذا الإنسان فتشده إلى التهور وعدم الاعتدال.

ابتدأ بذكر محور هذه الأمور ومصدرها ومنطلقها وحركتها إنه القلب الذي يتصل بكل تلك الملكات والحالات وهو يتحملها ويكون المصبّ لها جميعاً أنه يحمل الشيء وضده والقضية ونقيضها وقد ذكر موارد ينحرف فيها الإنسان ويتجاوز الحدود.

١ ـ فإن سنح له الرجاء أذله الطمع: إذا مرّ في خاطره أن فلاناً يحقق له ما يرجوه ويصبو إليه تراه يخضع له ويذل نفسه من أجل أن يصل إلى ما يرجو... إن الطمع في الوصول إلى ما يرجو هو الذي يقوده إلى إذلال نفسه وإهانتها ثم إذا اشتد الطمع وازداد واستفحل أمره يتحول إلى حرص قاتل لأن من حرص على شيء بذل نفسه في سبيل تحقيقه إن كان مفقوداً وفي الحفاظ عليه إن كان موجوداً.

٢ ـ وإن ملكه اليأس قتله الأسف: إن انسدت الأبواب في وجه مطلوبه ودب اليأس في قلبه حتى وصل إلى العمق فإن الحزن والأسى سيقتله لأنه يعيش الكآبة الدائمة وتصبح بالنسبة له ملازمة فتتحول حياته إلى شقاء وعذاب وهو نوع من الموت إن لم يكن هو الموت كله.

٣ ـ وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ: إذا ثار الغضب في نفسه فإنه قد يشتد إلى أن يحنق ويكاد ينفجر من شدته.

٤ ـ وإن أسعده الرضى نسي التحفظ: إذا رضي عن حاله أو ماله وأقبلت عليه الدنيا من جهة نسي أن يصونها ويحفظها ويضعها موضعها فإذا أعطى المال واطمأن إليه نسي المحافظة عليه بأداء الحق المعلق فيه وعدم استعماله في الحرام وهكذا إن أعطي صحة وولداً وجاهاً.

٥ ـ وإن غاله الخوف شغله الحذر: إن سيطر الخوف عليه واستولى على قلبه تراه يعيش الحذر والخوف من كل شيء وكأن كل صيحة عليه فإن سيطر عنصر الخوف من المرض حذر من كل طعام وعده عدواً له وهكذا...

٦ ـ وإن اتسع له الأمر استلبته الغرة: إذا وسع الله عليه في نفسه أو ماله بأن اطمأن إلى صحته أو إلى سعة ماله وكثرته فإنه يأمن غوائل الدهر ويروح في دعة وهناء لا يفكر

في تحصين ما عنده وإذا بالقدر يأتيه على جين غرة فيفاجأه بحادث يغير عليه مجرى حياته ويسلبه ما كان يعيش من الأمان. . .

٧ ـ وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى: إن استغنى طغى مصداقاً للآية الكريمة: ﴿**إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾ وهذه رذيلة عدم المحافظة على النعمة فيحولها الإنسان إلى ضد الهدف التي كانت من أجله.

٨ ـ وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع: إذا أصابته مصيبة فحلّ المرض في نفسه أو مات عزيز لديه من والد أو ولد تراه يصرخ ويضج ويتأوه حتى يذهب أجره لفقدانه الصبر وعدم الانضباط ولم يلتزم فيما أمر الله من الاعتدال واتخاذ الصبر مطية يقطع عليها وبها جميع الحالات الصعبة. . .

٩ ـ وإن عضته الفاقة شغله البلاء: إن افتقر وأملق استولى عليه الحزن واشتد بلاؤه حتى أنساه نفسه.

١٠ ـ وإن جهده الجوع قعد به الضعف: إن جاع واشتد به الجوع خارت قواه وهوى تحت وطأته ذليلاً ضعيفاً.

١١ ـ وإن أفرط به الشبع كظته البطنة: إن أكل حتى تجاوز الحد فامتلأت بطنه زيادة عما تتحمله أتخمه الأكل وأضرّ به.

وبالجملة فكل تقصير به مضر من جوع أو حاجة أو جزع وغيرها كما أن كل إفراط به مضر من تخمة أو غنى فاحش أو غضب أو غيرها وبقي الحد الوسط والاعتدال في الأمور دون إفراط أو تفريط هو الدواء المفيد لهذا الإنسان وبه تتحقق سعادته. . .

---

١٠٩ ـ وقال عليه السلام: نَحْنُ النّمْرُقَةُ[١] ٱلْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي[٢]، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ ٱلْغَالِي[٣].

اللغة

١ ـ **النمرقة** : الوسادة.

٢ ـ **التالي** : المفرّط المقصّر؛

٣ ـ **الغالي** : المبالغ في الأمر المجاوز للحد.

الشرح

شبّه أهل البيت بالوسادة الوسطى المعتدلة التي تريح من يتكىء عليها وإليها وأنه لا بد للناس لكي يسعدوا وينجحوا من الرجوع إليهم والاعتماد عليهم باعتبارهم أهل الحق وأئمة العدل يجب أن يعود إليهم المنحرف عن طريقتهم والمتخلف عنهم كما يجب أن يرجع إليهم وإلى طريقتهم من تجاوز حدوده المفروضة وبهم يتحقق الاعتدال فالمقصر في حقهم مارق والمغالي بهم هالك والحد الوسط هو الناجي.

١١٠ ـ وقال عليه السلام: لَا يُقِيمُ[١] أَمْرَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ مَنْ لاَ يُصَانِعُ[٢]، وَلاَ يُضَارِعُ[٣]، وَلاَ يَتَّبِعُ ٱلْمَطَامِعَ.

اللغة

١ ـ **أقام الحق** : أظهره وأقام الصلاة أتمها.

٢ ـ **المصانعة** : المداراة والمداهنة.

٣ ـ **المضارعة** : المشابهة أو من الضراعة بمعنى الخضوع.

الشرح

الذي يتولى أمور الأمة ويقيم أمر الله في العباد والبلاد يجب أن يكون قوياً أميناً عادلاً نزيهاً فهو قدوة الشعب وامامهم إليه تتجه الأنظار وبه يقتدي الأخيار وقد وضع الإمام بعض الشروط لمن يتولى الأمر وهي:

١ ـ لا يصانع: أي لا يداهن ويداري الناس بالرشوة والأمور الحرام ليكتسب ودهم على حساب الدين.

٢ ـ لا يضارع: أي لا يذل ويخنع فإن الذليل لا يقيم حدود الله أو لا يشابه الكفار والمبطلين في أعماله وفي سلوكه فإن ذلك يتنافى والدين.

٣ ـ ولا يتبع المطامع: لا ينقاد إلى الطامعين فيه من المسلمين فيستسلم لشهواتهم وأطماعهم ويعطل بذلك حدود الله...

١١١ ـ وقال عليه السلام، وقد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين، وكان أحب الناس إليه:

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ[١].

معنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه، فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله عليه السلام: مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً. «وقد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره».

اللغة

١ ـ تهافت : تصدع وتساقط.

الشرح

قال بعضهم في توضيح ما ذهب إليه الشريف من المعنى الآخر...

قال: قد ثبت أن النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ قال له (لعلي): «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

وقد ثبت أن النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ قال: «إن البلوى أسرع إلى المؤمن من الماء إلى الحدور» وفي حديث آخر «المؤمن ملقّى والكافر موقّى» وفي حديث آخر «خيركم عند الله أعظمكم مصائب في نفسه وماله وولده».

وهاتان المقدمتان يلزمهما نتيجة صادقة وهي أنه عليه السلام لو أحبه جبل لتهافت ولعل هذا هو مراد الرضي بقوله: «وقد يؤول ذلك على معنى آخر»...

---

١١٢ ـ قال عليه السلام: مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً[١].

اللغة

١ ـ الجلباب : القميص أو الثوب الواسع.

الشرح

قد فسّره الشريف الرضي في الكلمة السابقة وقال: إنها وهذه الكلمة تؤديان نفس المعنى وأقول كأن ذلك من جهة أن أهل البيت يمثلون الحق والعدل وأكثر الناس على خلاف ذلك وضده ـ وخصوصاً الحكام الظلمة ـ فيلاقون تشريداً وتطريداً وقتلاً وتنكيلاً فضلاً عن قطع أرزاقهم وعدم إعطائهم حقوقهم وهكذا. . .

وإن نظرة سريعة إلى ما مضى ومر على شيعة أهل البيت يكشف بعض ما أقول. . .

١١٣ ـ وقال عليه السلام: لَا مَالَ أَعْوَدُ(١) مِنَ ٱلْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ(٢) أَوْحَشُ(٣) مِنَ ٱلْعُجْبِ(٤)، وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ(٥)، وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى، وَلَا قَرِينَ(٦) كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ، وَلَا مِيرَاثَ كَٱلأَدَبِ، وَلَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ، وَلَا تِجَارَةَ كَٱلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ، وَلَا وَرَعَ كَٱلْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي ٱلْحَرَامِ، وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ ٱلْفَرَائِضِ(٧)، وَلَا إِيمَانَ كَٱلْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَلَا حَسَبَ(٨) كَالتَّوَاضُعِ، وَلَا شَرَفَ كَٱلْعِلْمِ، وَلَا عِزَّ كَٱلْحِلْمِ، وَلَا مُظَاهَرَةَ(٩) أَوْثَقُ مِنَ ٱلْمُشَاوَرَةِ.

اللغة

١ ـ أعود : أنفع.
٢ ـ الوحدة : الإنفراد بالنفس.
٣ ـ أوحش : من الوحشة التي هي ضد الأنس.
٤ ـ العجب : بضم العين الإعجاب بالنفس.
٥ ـ التدبير : تنظيم الأمر، أو التفكر فيما يكون في عاقبته.
٦ ـ القرين : الصاحب.
٧ ـ أداء الفرائض : القيام بالواجبات.
٨ ـ الحسب : شرف الأصل، ما يعدّ من مفاخر الآباء.
٩ ـ المظاهرة : المعاونة.

الشرح

كلمات قصار تحمل المعاني الكبار . . . إنها عبارات كريمة كل واحدة منها عصارة تجارب طويلة وأيام مديدة.

١ ـ لا مال أعود من العقل: العقل هو رأس المال الذي به يستطيع الإنسان أن يكتسب كل شيء، يكتسب المال والمقام والجاه والسلطان وإذا فقده فلا يستطيع أن يحصل إلا على الشقاء والتعب والعذاب وكم من عاقل جرّ لنفسه العظمة واكتسب المال وربح السلطان وكم من صاحب مال ضيّع ماله لقلة عقله وكم من ملك ضيّع ملكه لقلة عقله وسوء تصرفه . . .

٢ ـ ولا وحدة أوحش من العجب: العجب إعظام النفس لما يرى فيها حقيقة أو ادعاء وهو من المهلكات وقد ورد التحذير منه فقد جاء عن رسول الله (ص): ثلاث مهلكات: «شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه».

والعجب يوجب مقت الناس لأن المعجب يرى نفسه أعظم منهم وأعلى فيجافيهم ويقابلونه بالمثل فينفرد ويعيش الوحشة لأنه لا يرى أحداً يقاربه في فضائله فيذهب بعيداً لا يلتقي مع الناس ولا يعيش معهم . . .

٣ ـ لا عقل كالتدبير: تصريف الأمور ووضعها مواضعها ومعرفة كيف يحافظ على القضايا والأشياء واستغلال كل صغيرة وكبيرة كل ذلك من أعظم موارد العقل ومصاديقه فكم من غني سيىء التدبير لا يستطيع استثمار أمواله والحفاظ عليها وكم من قليل المال استطاع بلباقته وحسن تدبيره تنمية ماله وزيادة ثروته.

٤ ـ ولا كرم كالتقوى: فإن أكرم الناس وأشرفهم أتقاهم قال تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

٥ ـ ولا قرين كحسن الخلق: أفضل الأصحاب وخير من تصاحب حسن الخلق فإنه يجر وراءه كل الصفات الطيبة ويجمع لصاحبه الناس ويحببهم به وما رأيت صاحب خلق حسن إلا ورأيت الناس حوله وله . . .

٦ ـ ولا ميراث كالأدب: الآباء يتركون للأبناء ميراثاً من مال ودور وقصور وعقارات ومكانة ومنزلة والإمام هنا يعلّمك أن أفضل ميراث تتركه لمن بعدك الأدب أن تعلم أبناءك احترام الناس وإعانتهم وسد عوزهم، وأن يكونوا أمناء أوفياء . . . أن تجعل من نفسك مدرساً للأجيال بحسن الأدب والسلوك.

٧ ـ ولا قائد كالتوفيق: التوفيق هو التسديد من الله وتسهيل الأمور لتحصيل المطلوب وإذا كان التوفيق حليف إنسان تراه يشق الصخر ويمخر عباب البحر ويحصل على مطلوبه وإذا أردنا أن نثني على إنسان نقول له: إنه موفق. . .

٨ ـ ولا تجارة كالعمل الصالح: لأن العمل الصالح يدوم أجره وثوابه بينما الأعَمال الأخرى ليس فيها ذلك فمن هنا كان العمل الصالح ثمرته الجنة وربحه الدار الآخرة. . .

٩ ـ ولا ربح كالثواب: لأن أرباح الدنيا إلى زوال وفناء وتتعرض للخسران أو تبقى للوراث بينما الثواب هو الذي يدخره الإنسان ليوم حاجته وفاقته وبه تكون سعادته. . .

١٠ ـ ولا ورع كالوقوف عند الشبهة: الورع حالة نفسية تستدعي من صاحبها أن يبتعد عن الحرام فلا يرتكبه كما يستدعي منه أن لا يترك واجباً وأشد درجات الورع وأعظمها أن يجتنب مواضع الشبهات التي يحتمل أن يقع في بعض أفرادها في الحرام دون شعور أو علم فمن يجتنب عن الشبهة لاحتمال وجود الحرام فيها فهو عن الحرام أشد اجتناباً فيكون أورع الناس وأتقاهم.

١١ ـ ولا زهد كالزهد في الحرام: فليس الزهد أن يمتنع عن أكل الطيبات من الحلال وإنما الزهد أن يمتنع عن الحرام وهو أفضل من لبس الخشن وأكل الجشب في كثير من الأحيان. . .

١٢ ـ ولا علم كالتفكر: لأن التفكر يوصل إلى الحقيقة ويؤدي إلى العمل وأما مجرد الحفظ عن ظهر قلب دون تدبر أو تفكر فهو آلة تسجيل ينقل ما هو موجود دون أن يؤثر أو يتأثر ولا فائدة مهمة فيه.

١٣ ـ ولا عبادة كأداء الفرائض: لأن الفرائض هي الواجبة عليك والتي تسأل عنها يوم القيامة فمن أداها فقد أدى أفضل عباداته من نوافل وسنن.

١٤ ـ ولا إيمان كالحياء والصبر: الإيمان المقرون بالحياء والصبر هو الإيمان الكامل لأن المؤمن يستحي من الله فيترك الحرام ويستحي من الناس فلا يعمل ما يشينه ويهينه أو يسقطه من أعين الناس وهكذا دواليك. .

وكذلك الصبر فإن المؤمن يصبر على البلاء وعلى المصائب ويصبر على مشقة التكاليف وهكذا مع الصبر يذلل الصعاب ويدرك ما يتمنى.

١٥ ـ ولا حسب كالتواضع: فإن شرف الآباء وإن كان يعلو بـه الإنسان ويكبر ولكن بالتواضع يرتفع ويعلو أكثر لأن الأول جاء بالميراث والثاني بالاكتساب وما كان

عن الطريق الثاني أشرف وأفضل. . .

١٦ ـ ولا شرف كالعلم: فإن العلم يرفع الخامل ويأخذ بيد الفقير إلى الغنى والاحترام ويشرف الحقير ويدل على كل خير وهو باب كل فضيلة وشرف كل شرف.

١٧ ـ ولا عز كالحلم: فالترفع عن السفيه والعفو عن المسيء والإغضاء عن المؤذي يعز المرء ويرفعه في الدنيا والآخرة. . .

١٨ ـ ولا مظاهرة أوثق من المشاورة: من شاور الناس شاركهم في عقولهم واستطاع أن يدرك وجه الصواب فيما يصبو إليه ويريد، فالمشاورة نعم المعين والنصير لإدراك ما يريد الإنسان ويطلب.

---

١١٤ ـ وقال عليه السلام: إِذَا ٱسْتَوْلَى(١) الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَةٌ(٣) فَقَدْ ظَلَمَ! وَإِذَا ٱسْتَوْلَى ٱلْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ(٤)!.

اللغة

١ ـ استولى عليه : غلبه وتمكّن منه.

٢ ـ استولى على الشيء : صار الشيء في يده.

٣ ـ الحوبة : الإثم.

٤ ـ غرّر : أوقع نفسه في الغرر وهو الخطر.

الشرح

إذا كان المجتمع صالحاً والأمة ورعة تقية فلا يجوز لك أن تظن بأحد سوءاً إلا إذا ظهرت منه سيئة أو معصية.

وإذا انعكس الأمر فكان الزمان زمان الأشرار والفجار والضلال والانحراف وعاشت الأمة بعيدة عن الله ثم أحسن المرء ظنه بالناس فقد أوقع نفسه بالضرر والهلاك لأن الغالب هو الفساد. . . فالمعيار لحسن الظن بالناس ولسوء الظن بهم صلاح المجتمع وفساده. . .

١١٥ ـ وقيل له عليه السلام: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ، وَيَسْقَمُ(١) بِصِحَّتِهِ وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ(٢)!.

اللغة

١ ـ **السقم** : المرض.
٢ ـ **المأمن** : أماكن الأمن والسلامة.

الشرح

أجاب عليه السلام بموعظة بليغة تنبه الإنسان إلى عدم الاطمئنان لشيء من أمور الحياة وما فيها ولا يعتمد على شيء منها... فلا تغره الصحة ولا الأمان ولا طول البقاء فإنه قد يؤتى من قبلها جميعاً... قد يأتي الهمّ والألم والعذاب من هذه الجهات...

كيف يكون حال من يفنى ويزول ببقائه فهو على قيد الحياة وأيامه تنقضي وتتصرم وكلما كبر عمره دنى أجله وأيضاً بينما هو صحيح إذ به يحمل جراثيم المرض وآفات البدن وثالثاً بينما هو في دعة وأمان إذ بالموت يجهز عليه ويقضي على وجوده وفي هذه الأمور عبرة وعظة.

---

١١٦ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ(١) بِٱلإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ(٢) بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ٱبْتَلَى(٣) ٱللهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلإِمْلاَءِ لَهُ(٤).

اللغة

١ ـ **المستدرج** : المأخوذ على غرة واستدرجه إلى كذا قرّبه إليه.
٢ ـ **المغرور** : المخدوع.
٣ ـ **ابتلي** : امتحن.
٤ ـ **الإملاء** : الإمهال وتأخير المدة.

الشرح

هذه عيوب يجب على المرء أن يتنبه لها ويجتنب عنها.

١ ـ كم من مستدرج بالإحسان إليه: فكم من شخص أحسن الله إليه بالنعم المتتالية فأكثر له المال والأولاد وأعطاه الجاه وهو مع ذلك يتمرد على ربه ويتمدد في معصيته ولا يشكر نعمته فهذا الإمهال من الله والتأخير في أخذه إنما كان استدراجاً له لينال العذاب الشديد فيأخذه الله أخذ عزيز مقتدر على حين غفلة منه فيفقد كل ما بيده ويرد إلى ربه ليعذبه بها عذاباً شديداً. . .

٢ ـ ومغرور بالستر عليه: وهذا عيب آخر فكم من مغرور يعصي الله فيستر الله عليه عيوبه لعله يرجع أو يتوب ولكنه يتمادى في غيّه ويزداد من إثمه حتى تأتي الساعة فيكشف الله سوءته ويفضحه على رؤوس الأشهاد ويشهّر به وهو في بيته. . .

٣ ـ ومفتون بحسن القول فيه: وهذا من العيوب الكبيرة فكم من إنسان إذا مدحته وأثنيت عليه وأطريته أخذه الزهو فتكبر وتجبر وأفتتن وامتنع عن زيادة الفضل واكتساب المكارم. . .

٤ ـ وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له: وهذا أشد الإبتلاءات إنه الإبتلاء بالإملاء بأن يعطي الله للإنسان ويمدّ له في العطاء ولا يؤاخذه بشيء منها حتى يزداد إثماً وتتضاعف عقوبته وهو يحسب أن عطاء الله له إنما كان محبة منه له.

---

١١٧ ـ وقال عليه السلام: هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ[1]، وَمُبْغِضٌ قَالٍ[2].

اللغة

١ ـ **الغلو** : تجاوز الحد.

٢ ـ **القالي** : المبغض الشديد البغض.

الشرح

هذا الكلام من الإمام تحقق فعلاً فهلك في حب الإمام وبغضه رجلان: .

هلك المحب الغالي الذي رفعه إلى منزلة الألوهية ومثل هذا الإنسان عاد مشركاً بالله وهذا موجود عند بعض الغلاة الذين رأوا من خوارق العادات التي جاءت على يديه والكرامات التي تحققت منه وصدرت عنه فاستحكمت الشبهة عندهم دون قصد ولم تتحمل عقولهم أن ترى هذه الخوارق فضلّت وانحرفت وهلكت.

وهلك أيضاً رجل مبغض للإمام لأن حب أهل البيت وعلى رأس أهل البيت سيدهم الإمام علي من مسلمات الدين وبديهيات الشريعة بل جُعلت محبة أهل البيت أجراً للرسالة ومن هنا كان الاعتدال هو المطلوب ومحبتهم فرض واجب.

---

١١٨ ـ وقال عليه السلام: إِضَاعَةُ ٱلْفُرْصَةِ(١) غُصَّةٌ(٢).

اللغة

١ ـ أضاع الشيء : فقده ولم يحفظه.

٢ ـ الغصة : الشجى في الحلق.

الشرح

رب فوات ساعة بقيت حسرتها إلى قيام الساعة فإذا توفرت لك فرصة فأضعتها ولم تغتنمها ندمت على فواتها أشد الندامة وإذا لمعت في الأفق برقة استطعت أن تنقل خلالها قدميك فانقلها ولا تتأخر فلسوف تندم وتعجز.

وقد قيل: «الفرص تمر مر السحاب فاغتنموها».

---

١١٩ ـ وقال عليه السلام: مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ(١) مَسُّهَا(٢)، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ(٣) فِي جَوْفِهَا(٤)، يَهْوِي(٥) إِلَيْهَا ٱلْغِرُّ(٦) ٱلْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ(٧) ٱلْعَاقِلُ!.

اللغة

١ ـ **اللين** : الطري الناعم.
٢ ـ **مسّ الشيء** : لمسه.
٣ ـ **السم الناقع** : السم القاتل البالغ.
٤ ـ **الجوف** : البطن، الداخل.
٥ ـ **يهوي إليها** : يطلبها.
٦ ـ **الغر** : بالكسر الشاب لا خبرة له.
٧ ـ **ذو اللب** : صاحب العقل.

الشرح

شبه الدنيا بالحية ووجه الشبه جمال ظاهرهما وقبح باطنهما، فالحية لين مسها طري جلدها يحسبها الأعمى والجاهل أنها حرير ناعم فيندفع نحوها لأخذها وتناولها بينما هي تحوي في باطنها السم القاتل إذا استحكمت منه لسعته وقضت عليه.

وأما الدنيا فظاهرها أنيق يتراءى نعيمها للعيون بهجة وسروراً ولذتها يحسبها الإنسان أنها تخلد وتدوم ولكن ما أن يتنعم ويتلذذ حتى يأتي الحساب الأليم والعذاب الشديد فهي تغره وتضره حيث تحرفه إلى طريق الضلال والفساد ويرتكب عن طريقها الحرام وعصيان الملك الديان...

والإمام يقصد من الدنيا هذه هي الدنيا المنقطعة عن الآخرة التي يريدها الإنسان من الحرام وكيف حصلت ويريد أن يستعملها في الحرام والفساد فهو عليه السلام يحذرنا من الاطمئنان إليها والاستسلام لها...

---

١٢٠ ـ وسئل عليه السلام عن قريش فقال: أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ[(١)] قُرَيْشٍ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ. وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ[(٢)] لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ[(٣)]، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ.

اللغة

١ ـ الريحان : كل نبت طيب الريح.

٢ ـ البذل : العطاء.

٣ ـ أنكر : أشد لفعل المنكرات وهي الفواحش.

الشرح

هذا سؤال توجه للإمام وأجاب عنه بذكر أهم بطون قريش وهم بنو مخزوم وبنو عبد شمس وبنو هاشم وذكر لكل بعض خصوصياته فأشار:

١ ـ أما بنو مخزوم فريحانة قريش من حيث جمالهم وحالهم ودلالهم وغض قوامهم وفي حديث رجالهم أنس وله حلاوة ولذة فلذا يأنس الإنسان بهم وأما نسائهم فإنهن طيبات العشرة لينات العريكة سهلات الانقياد مطيعات يسعدن أزواجهن ويؤدبن أبنائهن...

٢ ـ وأما بنو عبد شمس ومنهم أبو سفيان ومن خلفه ذريته فرأيها يذهب بعيداً يدور خلف المنافع والفوائد تستقصي الأمور لتصدر رأيها وفيهم أيضاً حمية الدفاع عن أنفسهم والثأر لها كما وقع ليزيد حيث ثأر لقتلى بدر من أهله في حربه للحسين بن علي وقتله وقتل أهل بيته ومن معه من المسلمين وقال يومها: يوم بيوم بدر...

٣ ـ وأما نحن بنو هاشم رهط النبي وعشيرته وأهله فأسخياء كرماء وفيهم أنزل الله قوله: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً...**﴾.

وكذلك نحن أهل الجهادو التضحية والشهادة فهناك جعفر وحمزة وعبيدة وسيد الشهداء الحسين بن علي.

ثم ذكر فرقاً مهماً بين بني هاشم وبني أمية فذكر أن بني أمية أكثر عدداً ولكنهم أشد مكراً وحيلاً فهم سادة في الخداع والضلال وتمويه الأمور على البسطاء وكذلك هم أنكر فهم أهل المنكرات والموبقات حيث كانت نسائهن لا يدفعن يد لامس وكان رجالهم في المقابل يطلبون البغايا دون تورع أو تعيب.

بينما في المقابل بنو هاشم أفصح لساناً وأقوى بياناً وأشدهم نصحاً لله ورسوله ولعامة الناس أجمعين وكذلك أصبح الناس وجوهاً...

١٢١ ـ وقال عليه السلام: شَتَّانَ(١) مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ(٢)، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ(٣) وَيَبْقَى أَجْرُهُ.

اللغة

١ ـ شتان : اسم فعل بمعنى بَعُد.
٢ ـ التبعة : الإثم.
٣ ـ مؤونته : كلفته وأتعابه.

الشرح

الفرق شاسع وبعيد بين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته كمن يزني فإنه يأخذ لذته لحظة قصيرة من عمر الزمن ولكن أثر ذلك يبقى يلاحقه ففي الدنيا قد يأتي بابن الخطيئة الذي يشير إليه وإلى رذيلته باستمرار وفي الآخرة عذاب الله وعقوبته...

وبين عمل آخر تذهب مؤونته أي أتعابه ومشقاته ويبقى أجره وثوابه كمن يحجب سفك دم أو يدفع فتنة فإن ذلك وإن كان فيه مشقة لكنها تذهب ويبقى الأجر إذاً ففرق كبير بين العملين والعاقل يختار ما ينفعه في آخرته ودنياه معاً.

---

١٢٢ ـ وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال: كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ ٱلْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ(١)، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ ٱلأَمْوَاتِ سَفْرٌ(٢) عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ(٣) أَجْدَاثَهُمْ(٤)، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ(٥)، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ! ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ(٦) وَجَائِحَةٍ(٧).

اللغة

١ ـ وجب : ثبت.
٢ ـ سفر : مسافرون.

٣ ـ الأجداث : القبور.
٤ ـ تراثهم : ميراثهم، تركتهم.
٥ ـ نبوئهم : ننزلهم.
٦ ـ الفادح : ما أثقل الكاهل وبهظه والفادح الصعب والفادحة المصيبة.
٧ ـ الجائحة : الآفة تهلك الأصل والفرع.

الشرح

المشهد رهيب إنسان يغادر الدنيا يحمل جنازته الناس وعادة تأخذ الجميع رهبة وتفكر وخشية وردة إلى الله ولكن هناك من يكون في غفلة فينطلق في أجواء هذا المشهد الرهيب ينطلق في الضحك وتصل تلك الضحكات إلى مسامع الإمام فيقول هذه الكلمات بما تحمل من عظة وعبرة. . .

بادر إلى استفهام إنكاري يقرر من خلاله حقيقة تمر علينا جميعاً كأن الموت فيها على غيرنا كتب فلذا نضحك والموتى على أكتافنا.

وكأن الحق فيها على غيرنا وجب والموت حق والحساب والعذاب والعقاب كلها حقوق كأنها لغيرنا وجبت وثبتت أما نحن فلا يطالنا شيء منها. . .

ثم بعد ذلك حكى قصة هؤلاء الراحلون واستنكر أن يكونوا في سفر لتجارة أو حج أو زيارة وبعد قليل سيعودون إلينا وكيف يكونون كذلك ونحن ننزلهم قبورهم وندفنهم فيها ونقسم أموالهم ونوزع تركتهم إذ لو كانوا أحياء في سفر يعودون منه لما صح ذلك ولكن بما أننا نفعله إذاً لا يعودون ولا يرجعون ونحن نستعمل معهم أسلوب من لا يعودون أبداً.

وأخيراً قال لنا: إن سهام الآفات التي تجتاح الأصل والفرع هي في كل يوم تصيبنا فأرض تبلع في كل يوم عزيز تقضي على الأصول من الآباء والأجداد وتأتي على الفروع الأبناء والأحفاد ومن كان عاقلاً احترز وتأهب واستعد. . .

---

١٢٣ ـ وقال عليه السلام: طُوبَى(١) لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ(٢)، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ(٣)، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ(٤)، وَأَنْفَقَ ٱلْفَضْلَ(٥) مِنْ

مَالِهِ، وَأَمْسَكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى ٱلْبِدْعَةِ.

قال الرضي: أقول: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، وكذلك الذي قبله.

اللغة

١ ـ طوبى : سعادة وخير.

٢ ـ الكسب : ما يكتسبه الإنسان ويجمعه من المال.

٣ ـ السريرة : جمعها سرائر ما يكتمه الإنسان.

٤ ـ الخليقة : الخلق والطبيعة.

٥ ـ الفضل : الزيادة.

الشرح

طوبى أي كل سعادة وهناء وخير لمن كانت هذه أعماله وصفاته وهذا إما دعاء من الإمام أو إخبار عن واقع ما سيصل إليه هؤلاء الأخيار وهم أصناف.

١ ـ طوبى لمن ذل في نفسه: الذلة في النفس أن يستشعر الإنسان أنه صغير أمام الله العزيز القدير. . .

إنه يعيش حالة التواضع والالتزام فيعطف ويرق يحمل نفساً شفافة رقيقة تتأثر لكل مشهد من مشاهد الضعفاء والمظلومين. . . وبمقدار ذلة النفس بهذا التفسير يكون المرء عزيزاً أمام الكافرين قوياً عليهم شديداً في مواجهتهم. . .

٢ ـ وطاب كسبه: طوبى لمن اتخذ السبل المشروعة لاكتساب ماله. . . إنه ينظر إلى السبل التي أباحها الشارع فيسلكها فلا يأكل مال الناس بالباطل ولا يتخذ الربا والغش والسرقة وغيرها طرقاً لاكتساب المال وإنما يأكل المال من كد يمينه وعرق جبينه.

٣ ـ وصلحت سريرته: فلا يحمل غلاً على الذين آمنوا ولا ينصب لهم عداء ولا ينوي لهم شراً. . . من صلحت سريرته تمنى الخير لكل الناس وفرح بكل أمر يسعدهم وتأثر لكل أمر يحزنهم.

٤ ـ وحسنت خليقته: طبيعته طيبة ليّنة تستجيب للخيرات وتكره الشر والأشرار.

٥ ـ وأنفق الفضل من ماله: ما زاد عن حاجته أدى ما وجب فيه من الحق الشرعي من الخمس والزكاة والصدقات للأيتام والمساكين والفقراء. . .

٦ ـ وأمسك الفضل من لسانه: فهناك مقدار يتحرك فيه اللسان إنه بمقدار الواجب والمستحب وأما الزيادة فيرفضها ويمتنع عن الحديث فيها فلا يهذي ولا يثرثر ولا يسب ولا يشتم.

٧ ـ وعزل عن الناس شره: أراح الناس من شره فكانوا في أمن وأمان من جهته لا يلحقهم منه أذى أو شر.

٨ ـ ووسعته السنة: قبل ما جاء به النبي والأئمة وكان له فيما جاء عنهم كفاية.

٩ ـ ولم ينسب إلى البدعة: ففي مقابل قبوله بالسنة رفض البدعة ولم يقبل بشيء يخالف هذه السنة أو يهدمها بل من واجب المسلم أن يحارب البدعة ويرفعها بكل الوسائل وشتى الطرق. . .

---

١٢٤ ـ وقال عليه السلام: غَيْرَةُ[1] ٱلْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ.

اللغة

١ ـ الغيرة: بالكسر نفرة تكون عن بخل مشاركة الغير في أمر محبوب له (مجمع البحرين للطريحي).

الشرح

باختلاف المصدر يتبدل الحكم: فإن صدرت الغيرة من المرأة كان الكفر من حيث إنها إذا غارت ذهبت إلى تحريم ما أحل الله فهي تحرم على الزوج تعدد الزوجات وهذا قد يستدعي إنكار تشريع ثابت من ضروريات دين الإسلام وهو موجب للكفر وأما إذا كان الرجل غيوراً فإن ذلك علامة الإيمان من حيث إنه لا يرضى لأحد من الرجال أن يشترك معه في زوجته أو يمسها أو يتطلع إليها بنظرة مريبة وهذا من أسّ الإيمان وقواعده وكذلك من الإيمان أن يغار عليها من التبذل. . .

---

١٢٥ ـ وقال عليه السلام: لأَنْسُبَنَّ[1] ٱلإِسْلاَمَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ

قَبْلِي. ٱلإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ ٱلْيَقِينُ، وَٱلْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلإِقْرَارُ(٢)، وَٱلإِقْرَارُ هُوَ ٱلأَدَاءُ(٣)، وَٱلأَدَاءُ هُوَ ٱلْعَمَلُ.

اللغة

١ ـ نسب الرجل : وصفه وذكر نسبه.
٢ ـ الإقرار : الاعتراف.
٣ ـ أداه : أوصله.

الشرح

هذا الكلام من الإمام حضّ على العمل والالتزام بأحكام الإسلام وأن من يدعي الإيمان يجب أن يقرن دعواه بالعمل.

والإمام هنا يفرّق بين الإسلام الظاهري التي تجري عليه المواريث وتحل المناكح وتحقن الدماء من حيث إن هذه تجري على كل من نطق بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى لو كان في باطنه كافراً أو منافقاً يفرّق الإمام بين هذا وبين من قالها بحقها وحقيقتها معتقداً بها مؤمناً بصحتها.

فالإسلام هو التسليم لأمر الله وحكمه فلا مناقشة ولا احتجاج على أي حكم وإن خالف هواك ولم يوافق ذوقك أو مصلحتك.

والتسليم هو اليقين والاطمئنان القلبي.

واليقين هو التصديق بكل ما جاء به وأنه لأجل مصلحة الإنسان وسعادته.

والتصديق هو الإقرار والاعتراف وإعلان ذلك أمام الملأ.

والإقرار هو الأداء فمن أقر بشيء أداه لصاحبه والأداء هو العمل. . .

فالمسلم عامل بكل ما أراد الله منه منفّذ لحكمه ملتزم بكل صغيرة وكبيرة صدرت عنه وهذا هو الإسلام الذي يكافأ عليه معتقده بالجنة وبه يفرّق بينه وبين المنافق. . .

---

١٢٦ ـ وقال عليه السلام: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ ٱلْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ

هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ ٱلْغِنَى ٱلَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ ٱلْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي ٱلآخِرَةِ حِسَابَ ٱلأَغْنِيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِٱلأَمْسِ نُطْفَةً[١]، وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً[٢]، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي ٱللهِ، وَهُوَ يَرَى خَلْقَ ٱللهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ ٱلْمَوْتَ، وَهُوَ يَرَى ٱلْمَوْتَى، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ ٱلأُخْرَى، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ ٱلأُولَى، وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ ٱلْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ ٱلْبَقَاءِ.

اللغة

١ ـ النطفة : الماء الذي يتكوّن منه الولد.

٢ ـ الجيفة : الجثة المنتنة.

الشرح

هذه أمور تعجّب منها الإمام وأراد من خلال تعجبه أن يحذرنا منها وينفرنا عنها ويرغبنا في أضدادها.

١ ـ هذا أول ما يثير العجب أنه البخيل الذي يجمع المال والعقار ويبخل على نفسه بالقليل من الزاد... إنه يجمع ويبخل ويريد من وراء ذلك أن يهرب من الفقر المتوقع فإذا به يقع في الفقر فعلاً بعمله، إنه لا يأكل طيباً ولا يلبس جيداً ولا يشرب لذيذاً إنه يعيش حياة الفقراء الذين لا تتوفر لهم مقومات الحياة ولكنه يحاسب في الآخرة حساب الأغنياء الذين جمعوا وكنزوا وسيسأل يوم القيامة عن أسباب بخله وأنه لم يكن إلا عن سوء ظنه بالله فيلقى في جهنم...

٢ ـ عجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة: هذه التفاتة عجيبة من الإمام... إنه يريد أن يرد هذا المتكبر المتعاظم الذي ينتفخ كبراً يريد أن يرده إلى أصله ويصغّره إلى أن ينزع تكبره ويعود إلى طبيعته... هذا المتكبر الذي تراه يتعالى قد تكوّن بالأمس من نطفة حقيرة وهو ماء الرجل والمرأة... كان تكوينه من نطفة يغسل الإنسان يده وبدنه من نجاستها وأما غداً وما أدراك ما يحمل الغد لهذا المتكبر... إنه سيتحول بالموت إلى جيفة نتنة تتقزز منها النفس ويسرع إلى مواراتها تحت الثرى خوف

انتشار رائحتها وأذية الناس فيها. . . والإنسان أي إنسان إذا لاحظ مبدأ تكوينه ومنتهى ما سينتهي إليه طأطأ رأسه وانحنى تواضعاً وخشية.

٣ ـ وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله: وهذا أمر عجيب أن يقف الإنسان في مرحلة شك بالله وأفعاله وصنعه وحكمته وصفاته وهو يرى خلقه من سماوات مبنية وأرض مدحية. . . يرى دقة الصنع والتكوين من الذرة إلى المجرة. . . يرى الحكمة الدقيقة في أصغر المخلوقات فإن ذلك الصنع يدل على الصانع ويحكي عن حكمته وعلمه. . .

٤ ـ وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى: ومما يبعث العجب أن هذا الإنسان يحمل في كل يوم جنازة ويشيّع عزيزاً، ويدفن صديقاً ومع ذلك ينسى مصيره ولا يتأهب لتلك الساعات الصعبة التي ستحل به وتتركه جثة هامدة. . . وهذه دعوة إلى أن يبقى الموت أمام عيون الناس لأنهم إليه صائرون ومن هذا ينطلقون ليجيدوا أعمالهم ويحققوا ما يعزّهم في آخرتهم.

٥ ـ وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى: بعض الناس لا يكتفي بالشك بالحساب والعقاب وأن الله سيعيدنا بل ينطلق لإنكار الإعادة للحساب وهذا بعينه يرى كيف كان تكوينه ونشأته وكيف تدرج حتى أصبح رجلاً. . . ينكر الإعادة للحساب لحسابات خاطئة توهمها فراح ينسج عليها إنكاره ولكنه لو التفت إلى تكوينه وصل إلى الحقيقة من أن الله الذي ابتدأه من لا شيء قادر على إعادته وقد صار شيئاً. . .

قال تعالى: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. . .﴾**.

٦ ـ وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء: وهذا مما يثير العجب أن هذا الإنسان يعكس القضايا ويقلبها رأساً على عقب تراه يبني في الدنيا دوراً وقصوراً وجاهاً وسلطاناً وهو يعرف أنه سيرحل عن كل ما يبني وسيتخلى قهراً عنه ويتركه للوارث ومع ذلك يبني بينما يترك عمارة الآخرة وما يبقى ويدوم له فيها. . . تنبيه إلى كل فرد أن يعكس الأمر فيبني الدار الآخرة التي هي دار الخلود له ولما يبنيه ويترك الدنيا الفانية الزائلة.

---

١٢٧ ـ وقال عليه السلام: مَنْ قَصَّرَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱبْتُلِيَ بِٱلْهَمِّ(١)، وَلاَ حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ(١).

اللغة

١ ـ الهمّ : الحزن.

٢ ـ نصيب : سهم.

الشرح

(من قصر في العمل ابتلي بالهم) هذه صورة الإنسان العاقل الذي يقف أمام تقصيره ليحاسب نفسه ويلومها على تقصيره فيحزن لما أصابه وما وقع منه ولا يرفع همه إلا أن يجبر تقصيره بعمل يعوّض به هذا التقصير . . .

(ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب) الله هو الغني المطلق ومن لم يكن لله من الناس في ماله نصيب من زكاة أو خمس فلم يؤدها ولم يكن لله في نفسه نصيب أي جهاد من أجل الله وفي سبيله وفي سبيل الدفاع عن دينه فإن الله لا ينظر إليه . . .

وقيل: يمكن أن يكون هذا كناية عن التعرض للبلاء والنقص في المال أو النفس . . . أي إن الإنسان مبتلى في نفسه وماله ومن لم يبتل فيهما فالله غني عنه ولم يرض عليه . . .

---

١٢٨ ـ وقال عليه السلام: تَوَقَّوا[١] ٱلْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ[٢] فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ، وَآخِرُهُ يُورِقُ[٣].

اللغة

١ ـ توقوا : احترزوا وتجنبوا.

٢ ـ تلقوه : استقبلوه.

٣ ـ أورق الشجر : ظهر ورقه.

الشرح

دعوة للصحة وتخوف من الابتلاء بالمرض من جراء عدم الوقاية والتحفظ . . .

توقوا من البرد واحترزوا منه، وخذوا الاحتياط له ففي أول فصل الخريف ينبغي أن يستعد الإنسان ويأخذ الإجراءات التي تحميه من البرد وذلك باعتبار أن الجسم قد تعّود طيلة فصل الصيف على الحر فإذا فاجأه البرد أصيب بالمرض وذلك عكس تلقيه في آخره وهو فصل الربيع فإن البدن قد تعود على البرودة وهواء الربيع لطيف خفيف ليس فيه قساوة الشتاء ولا حرارة الصيف فينتعش الجسم ويصح وقد علله الإمام بهذه العلة اللطيفة وأنه يفعل في الأبدان كما يفعل في الأشجار وكيف أنه في أول الشتاء يحرق الورق ويسقطه وكيف أنه في آخره في أيام الربيع يورقها وتعود إليها الحياة فتنتعش فهكذا يفعل في الأجسام.

١٢٩ ـ وقال عليه السلام: عِظَمُ ٱلْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ ٱلْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

الشرح

بمقدار ما يتعمّق الإيمان بالله في نفسك ويعظم الله في عينك يصغر ما دونه من المخلوقات في عينك فمهما كان الإنسان طاغياً جباراً ظالماً يكون صغيراً حقيراً ذليلاً لأنك ترى الله في نفسك فوق كل شيء وبيده كل شيء وهذا الطاغية ما هو إلا ذرة صغيرة يمحقها الله ويقضي عليها بلحظة واحدة. . . الطاغية بجبروته وظلمه يتحول أمام الله إلى هشيم محطم تذروه الرياح، هذا النظر بالنسبة إلى الطواغيت أما بالنسبة إلى عباد الله وأهل طاعته فهم يكبرون في عينك ويجب أن تكون منازلهم جليلة عندك لأنهم أهل طاعة الله ومنفذي أمره وتقديرهم واحترامهم وإجلالهم يعود إلى تقدير الله وإجلاله واحترامه لهم. . . وفرق كبير بين المطيعين والعاصين والجبارين والمنقادين.

١٣٠ ـ وقال عليه السلام، وقد رجع من صفين، فأشرف على القبور بظاهر الكوفة:

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ ٱلْمُوحِشَةِ(١)، وَٱلْمَحَالِّ(٢) ٱلْمُقْفِرَةِ(٣)، وَٱلْقُبُورِ ٱلْمُظْلِمَةِ، يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ ٱلْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ ٱلْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ ٱلْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ(٤) سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ(٥) لَاحِقٌ. أَمَّا الدُّورُ(٦) فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا ٱلأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا ٱلأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هٰذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي ٱلْكَلَامِ لأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ «خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى».

اللغة

١ ـ **الموحشة** : من الوحشة وهي ضد الأنس.
٢ ـ **المحال** : جمع محلّ وهو المكان.
٣ ـ **أقفر المحل** : خلى من الناس.
٤ ـ **الفرط** : بالتحريك المتقدم.
٥ ـ **التبع** : التابع.
٦ ـ **الدور** : البيوت.

الشرح

بعد معركة صفين التي جرت بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان عاد الإمام إلى الكوفة فلما أشرف على القبور كانت منه هذه الكلمات التي يحسّها الإنسان في عمقه ويعيشها في مجتمعه ويتأثر بها في واقعه... إنها صرخة إنذار لعلها تيقظ النائمين وتنبه الغافلين وترد الضالين. خطاب توجه به إلى أهل القبور يريد من ورائه الأحياء الذين سيصبحون مثلهم في غد أو بعد غد...

يا أهل الديار الموحشة وأي ديار هي أشد وحشة من القبور فلا حسيس ولا أنيس بل رهبة قاتلة ووحشة مفزعة... من هو الذي يتصور أحبابه وأصدقاءه وخلانه الذين كان يأنس بهم ويرتاح لحديثهم ثم يمر فوق أجداثهم اليوم قد خرسوا عن الكلام وعجزوا عن إبداء المرام من ذا الذي يتصور ذلك ثم لا يستوحش... للقبور وحشة وخصوصاً في الليالي المظلمة...

يا أهل الديار المقفرة فمنازلهم التي هي القبور خالية من الناس الذين يعرفهم ويعرف آمالهم وتطلعاتهم وما يعيش فيه أبناء الدنيا. . . أنتم أبناء القبور المظلمة فلا نور يخترقها لينيرها وأنتم أهل التراب خدودكم عليه فأنتسبتم إليه يا أهل الغربة فلا أنيس لكم ولا خليل أنتم مع قربكم بعيدون ومع دنوكم متقاطعون.

يا أهل الوحدة: كل واحد منكم رهين قبره منفرد فيه.

يا أهل الوحشة: أنتم مستوحشون فلا والد ولا ولد ولا خليل ولا صاحب.

أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق: أنتم سبقتمونا وتقدمتم علينا في هذا الطريق ونحن وراءكم سنتبع خطاكم ونقتفي أثركم، فهو درب مكتوب علينا ولا بد من السير عليه والوصول إلى نهايته.

أما الدور فقد سكنت وأما الأزواج فقد نكحت وأما الأموال فقد قسمت هذا خبر ما عندما فما خبر ما عندكم؟ أراد الإمام أن ينبه الحاضرين السامعين إلى هذه الحقائق التي سيصل أغلبهم إليها لوجود هذه الحالات فيهم. . . تنبهوا أيها السامعون إلى هذه الحقائق إنها دورة الحياة ستشملكم كما شملت هؤلاء الأموات أما الدور التي بنيتموها من الحلال والحرام وتعبتم من أجل تزيينها وزخرفتها هذه الدور التي كانت جنى أعماركم وكانت عندكم عزيزة قد انتقلت عنكم بالموت وسكنها غيركم.

وأما الأزواج: فنساؤكم اللاتي ترملن لفقدكم قد تزوجن وانتقلن إلى أحضان غيركم.

وأما الأموال التي جمعتموها وتعبتم من أجلها فقد قسمت على الورثة ووزعت عليهم فلم تبق مجموعة كما كانت في أيديكم صرة واحدة بل راح كل وارث بنصيبه يتصرف فيه في ملذاته وشهواته.

وبعد هذا العرض والحديث التفت إلى أصحابه وأراد أن يرمي صيده وهذا هو بيت القصيد ومن أجله كانت تلك المقدمة التفت إليهم وقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن «خير الزاد التقوى» فخير ما تجمعه وتأخذه من دنياك هو تقوى الله التي تعني الالتزام بأوامر الله وبما أراد والانتهاء عما حرم ونهى. . .

---

١٣١ ـ وقال عليه السلام، وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: أَيُّهَا الذَّامُّ

للدُّنْيَا، ٱلْمُغْتَرُّ(١) بِغُرُورِهَا، ٱلْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا(٢)! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ ٱلْمُتَجَرِّمُ(٣) عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ ٱلْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى ٱسْتَهْوَتْكَ(٤)، أَمْ مَتى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ(٥) آبَائِكَ مِنَ ٱلْبِلَى(٦) أَمْ بِمَضَاجِعِ(٧) أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى(٨)؟ كَمْ عَلَّلْتَ(٩) بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ(١٠) بِيَدَيْكَ! تَبْتَغِي(١١) لَهُمُ الشِّفَاءِ، وَتَسْتَوْصِفُ(١٢) لَهُمُ ٱلأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلَا يُجْدِي(١٣) عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ. لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ(١٤)، وَلَمْ تُسْعَفْ(١٥) فِيهِ بِطِلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ.
إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ ٱتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ ٱللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ ٱللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ ٱللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ. ٱكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا ٱلْجَنَّةَ. فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ(١٦) بِبَيْنِهَا(١٧)، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ(١٨) نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ(١٩) لَهُمْ بِبَلَائِهَا ٱلْبَلَاءَ(٢٠)، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَٱبْتَكَرَتْ(٢١) بِفَجِيعَةٍ(٢٢)، تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ(٢٣) النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَٱتَّعَظُوا.

اللغة

١ ـ المغتر : المخدوع.
٢ ـ الأباطيل : جمع باطل، ضد الحق.
٣ ـ المتجرم : من تجرم عليه أي اتهمه بجرم وهو الذنب.
٤ ـ استهوتك : حيرتك بشكل سلبت عقلك.
٥ ـ المصارع : جمع مصرع وهو مكان الصرع وأصله الطرح على الأرض.
٦ ـ البلى : بكسر الباء الفناء بالتحلل.
٧ ـ المضاجع : جمع مضجع مكان الاستلقاء على الجنب.

٨ ـ الثرى : التراب.
٩ ـ علل المريض : خدمه في علته.
١٠ ـ مرّضه : خدمه في مرضه.
١١ ـ تبتغي : تطلب.
١٢ ـ تستوصف : يطلب منه أن يصف له ما يريد.
١٣ ـ لا يجدي : لا ينفع.
١٤ ـ الإشفاق : الخوف.
١٥ ـ أسعفه : أعانه.
١٦ ـ آذنت : أعلمت.
١٧ ـ ببينها : بزوالها وبعدها.
١٨ ـ نعت نفسها : أخبرت بزوالها ونعاه إذا أخبر بوفاته.
١٩ ـ مثّلت : صوّرت.
٢٠ ـ البلاء : المصاب.
٢١ ـ ابتكرت : أصبحت.
٢٢ ـ فجيعة : مصيبة فاجعة مؤلمة.
٢٣ ـ الغداة : أول النهار.

الشرح

الذامون للدنيا كثيرون ولكنهم هم أنفسهم عبّادها والمتسمكون بها، والإمام قد سمع رجلاً يذمها فكانت منه هذه الموعظة البليغة.

(أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع بأباطيلها أتغتر بالدنيا ثم تذمها) هذه هي حالة كثيرين منا يذمون الدنيا ويذكرون رذائلها وسيئاتها وهم مجذوبون إلى لذاتها ومتاعها وما فيها من مال وضياع إنهم ينخدعون بما فيها من أباطيل ومن لهو وزينة وأموال وأولاد... إنهم يعيشون غرورها ويجرون معها على قدم وساق ومع ذلك يذمونها... فهي مذمومة لهم مرغوبة عندهم يجرون وراءها ويبحثون عنها ويتلهفون عليها ثم يذمونها ويوسعونها شتى الشتائم والإهانات... إنهم لا ينسجمون مع أنفسهم ويخالف قولهم عملهم.

(أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك) استفهام توبيخي لهذا الرجل الذام للدنيا وأنها هل هي المجرمة في حقك والجانية عليك أم أنت المجرم فيها والجاني على نفسك فيها...

(متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى) استفهام استنكاري يراد به استبعاد غرور الدنيا له وأن من يجري عليه مثل هذا يجب أن يتنبه ويستيقظ ولا يغتر... متى سلبت الدنيا فكرك وجذبتك إليها ونادتك نحوها ومتى أضلتك وانحرفت بك وأنت ترى مصير آبائك ونهايتهم فقد أنهتهم من الوجود وأصبحوا رهائن القبور وكذلك أمهاتك أين أصبحن وأين صرن ألم يمتن ولم يبق منهن أحد؟ وهل هذا يوجب الاعتبار بها وإلى أخذ العظة منها بأنك لن تبقى أنت عليها ولن تدوم هي لك... إنها من دواعي التنبه لا من دواعي الاغترار...

(كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء غداة لا يغني عنهم دواؤك ولا يجدي عليهم بكاؤك) كل منا يمرض له كبير يخدمه ويطلب له الدواء والأطباء يريد له الشفاء فترانا نطلب لهم الوصفات الطبية التي نريد من وراءها شفاؤهم ولكن يغلب المقدور وتتعطل الأدوية ويرتفع الشفاء ويسقط المداوى ميتاً بين أيدينا لا يشفيه الدواء ولا يرده البكاء...

(لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك) هذا بيان لسقوط الحيل أمام الموت فلا تجدي الرحمة منك والشفقة على الميت وما تطلبه له لا ينفعه ولا يعينه ومهما كانت قوتك في سبيل ذلك تتعطل وتتوقف لقد صورتك الدنيا به فهو صورة عنك فكأنك أنت الملقى بين أيدي أحبتك يعللونك ويسعفونك ويطلبون لك الأدوية والشفاء ولكن لا ينفعك شيء منها بل يأتيك الموت رغماً عنك وعنهم فكأنك أنت نفسك وكأن مصرعه مصرعك وموته موتك...

(إن الدنيا دار صدق لمن صدقها) ذكر محاسن الدنيا وكيف يستطيع هذا الإنسان أن يستفيد منها ويستغلها لصالحه في دنياه وآخرته فإذا صدقت مع الدنيا ـ بعد معرفتك بها ـ صدقتك هي وصدقك معها أن تعرفها وتحذر غوائلها وتبتعد عن مفاسدها ومآثمها وبذلك تصدقك الدنيا وتصدق معك فلا تغرك ولا تضلك ولا تدفعك إلى النار.

(ودار عافية لمن فهم عنها) فمن فهم مواعظ الدنيا ورسائلها التي جرت على الآباء والأمهات والأسلاف وعامة الأموات كانت له عافية من المآثم والمعاصي والحرام.

(ودار موعظة لمن اتعظ بها) فمن أراد العبرة والعظة منها استطاع أن يأخذ ذلك مما يمر بنفسه فيه أو سما يمر فيه غيره من المآسي والمصائب والفجائع والدواهي.

(مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله) هذه محاسن الدنيا وأرفع ما فيها عليها اتعبّد

الأنبياء والصالحون وتهجد العباد والمريدون. . . في هذه الدنيا عاش الأنبياء في أصفى أجوائهم الروحية فاتخذوها مركز عبادتهم كما أنها المكان الذي تصلي فيه الملائكة وهذه فضيلة للدنيا تذكر.

(ومهبط وحي الله) إنها محل نزول وحي الله ففيها كان مهبط جبرئيل فتشرفت بنزوله عليها وهبوطه فيها فأخذت بركة ورحمة. . .

(ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة) وهذه حسنة من حسنات الدنيا وبركة من بركاتها إنها المكان الذي اتجر فيه أولياء الله فربحت تجارتهم حيث عبدوا الله أياماً قليلة وأطاعوه أوقاتاً قصيرة ربحوا بها الجنة وما فيها والخلود الدائم في مرابعها. . . إنهم ربحوا الرحمة وربحوا الجنة وذلك هو الفوز العظيم. . .

(فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها) إنها الدنيا قد أعلمت الناس بفراقها لهم وبعدها عنهم وأنها لا تدوم لهم ولا تبقى وإذا كان لسان حالها قد أفصح بهذا البيان فكيف يذمها الذام وهل الحق إلا عليه فحسب دونها. . .

(فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها إلى السرور) فمن بلائها ومصائبها وأحزانها نعرف بلاء الآخرة وحزنها ومصائبها ومن سرورها ونعيمها وعافيتها نعرف سرور الآخرة ونعيمها وعافيتها مع الفارق بين الدنيا والآخرة. . .

(راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً) هذه حالات الدنيا وتقلباتها لا تدوم أيام السرور ولا تبقى أيام الحزن إنها تمسي عليك وأنت في صحة وعافية وأمان وسرور ولا تصبح عليك ويظهر صبحها عليك إلا بفاجعة ومصيبة في النفس أو الأهل أو المال إنها باستمرار ترغب في بعض الحالات وتخوف في بعضها الآخر. . . إنها تحذر وتبشر وهكذا. . .

(فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة) يوم الندامة هو يوم القيامة اليوم الذي يحزن الإنسان على ما ارتكبه من حرام ويقول يا أسفي على ما فرطت في جنب الله أما أهل الطاعة والالتزام بأوامر الله فإنهم سيوجهون للدنيا الحمد لأنها حذرتهم فقبلوا تحذيرها ولم يغتروا بها فشكروها لهذا ولأنها المكان الذي اكتسبوا فيه الجنة ودار الخلود. . .

(ذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا) هذه صفات الذين حمدوا الدنيا في يوم القيامة إنهم وهم في الدنيا كانوا عقلاء فطناء.

ذكرتهم الدنيا بمعايبها وجرائمها وأخذها فتذكروا وأخذوا الحيطة وأعدوا واستعدوا وحدثتهم بفجائعها ونوائبها وما يجري فيها فصدقوا حديثها ووعظتهم بما مرّ عليها وما يجري على أهلها فاتعظوا وارتدعوا عن الحرام واجتنبوا الآثام وسعوا إلى الجنة والحياة الأبدية...

١٣٢ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لله مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا[١] لِلْمَوْتِ، وَٱجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ[٢]، وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ.

اللغة

١ ـ لدوا : فعل أمر من ولد، وولدت الأنثى وضعت حملها.
٢ ـ الفناء : الهلاك.

الشرح

هذا هو لسان حال الحياة وعاقبة هذه الأمور... فالأولاد عاقبتهم الموت وما نجمع من حطام الدنيا ومتاعها إلى الفناء والهلاك وما نعمّر ونبني ونشيد فإنه للخراب والدمار وكل مَنْ عليها فان وكل شيء هالك إلا وجهه الكريم...

١٣٣ ـ وقال عليه السلام: الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لاَ دَارُ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلاَنِ: رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا[١]، وَرَجُلٌ ٱبْتَاعَ[٢] نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا[٣].

اللغة

١ ـ أوبقها : أهلكها.
٢ ـ ابتاع : اشترى.
٣ ـ أعتقها : حرّرها.

الشرح

الدنيا دار يعبر عنها الإنسان ويمر بها إلى الآخرة حيث المستقر النهائي والدائم له، والعاقل من يعرف كيف يمر ويعمل من أجل المستقر... والناس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه بلذائذها ومحرماتها ومحظوراتها فأوبقها أي أهلكها وقضى عليها بالعذاب الدائم...

ورجل ابتاع نفسه أي اشتراها بالعمل الصالح والطاعة لله ورسوله فأعتقها من النار وأنجاها من عذاب الملك الجبار.

---

١٣٤ ـ وقال عليه السلام: لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ(١)، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ.

اللغة

١ ـ النكبة : المصيبة.

الشرح

هذا تحديد للصديق الكامل الذي تُرعى صداقته ويعتز به.

إنه من يحفظ أخاه في هذه الأمور الثلاثة:

١ ـ يحفظه في نكبته: عندما يقلب له الدهر ظهر المجن وتدبر الدنيا عنه عندها يقبل هذا الأخ عليه يواسيه يهدىء من شجونه يعينه على بلواه ومصابه بما يقدر عليه مادياً ومعنوياً وكل مساعدة تشد من عزيمته وتقويه ليجتاز نكبته ويتخطاها...

٢ ـ ومن يحفظه في غيبته: فإذا كان غائباً صديقه عنه حفظه ولم يغتابه بل يرد الغيبة عنه... لا يجرحه بكلمة تحط من شأنه... يرعاه في عائلته وأهله وأولاده ومن يحب فيتفقدهم ويعطف عليهم ويساعدهم.

٣ ـ والصديق هو من يحفظ صديقه بعد وفاته فلا ينساه بمجرد أن يدفنه وتنتهي مراسيم الدفن... إن الصديق هو ذلك الذي يعيش صديقه الميت في وجدانه وفي

أعماله . . . يقرأ لروحه القرآن ويذكره بفاتحة الكتاب باستمرار ويتذكره ليترحم عليه . . . ويتصدق عن روحه بما تيسر له ثم يفتش عن أهله ومن كان يعولهم فيقوم بإعالتهم وعيادتهم ومد يد العون إليهم . . .

---

١٣٥ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلإِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلْقَبُولِ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

قال الرضي: وتصديق ذلك كتاب الله، قال الله في الدعاء: ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال في الاستغفار: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللهَ يَجِدِ ٱللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ وقال في الشكر: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى ٱللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

الشرح

من أعطي أربعاً أعطاه الله في مقابلها أربعاً.

١ ـ من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة: إذا توفق المرء إلى الدعاء وذلك بالوقوف بين يدي الله وقفة العبد أمام سيده وقفة التذلل والخشوع والانقطاع إليه سبحانه والإخلاص له . . . إذا دعا مع استجماع شروط الدعاء وأهمها أن يكون قائماً بالواجبات مبتعداً عن المحرمات ملتزماً بما أمر الله ومنتهياً عما نهى استجاب الله دعاؤه وهذا المعنى مصداق قوله تعالى: **﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾**[1].

٢ ـ ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول: وهذه أخرى إذا أعطيها العبد قوبلت بأخرى أفضل منها من أعطي التوبة التي تعني الكف عن المعصية والندم على فعلها والاستغفار منها ورد الحق إلى أصحابه سواء كان ذلك في المال أو غيره من حقوق الله أو حقوق العباد وليعلم أن التوبة واجبة على كل واحد منا إذا ارتكب ذنباً أو عمل سوءاً وفي مقابل توبة العبد هناك استجابة إلهية لهذا العبد فإن الله يتقبلها منه ويكفر عنه سيئاته وهذا مصداق قوله تعالى في كتابه قال سبحانه: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء**

---

(١) سورة غافر، آية ٦٠.

بجهالة ثم يتوبون من قريب فإولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾[١].

٣ ـ ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة: هذه ثالثة العطايا للعبد الصالح... من أعطي الاستغفار وتوفق له وليس الاستغفار هو ما اعتاده الناس من كونه لقلقه لسان فحسب بل إنه في داخل القلب يترجمه اللسان... الاستغفار الذي يعني تنزيه الله عن كل قبيح والالتزام بكل ما أمر والكف عن كل ما نهى... ويقابل هذا الاستغفار من العبد بالمغفرة من الله وهذا مصداقه من كتاب الله قال تعالى: **﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾**[٢].

٤ ـ ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة: أي نعمة أنعم الله بها على الإنسان سواء كانت مادية أو معنوية في بدنه أو خارجه ثم شكرها، وشُكْرها يعني الإقرار أنها من الله ثم وضعها في موضعها المعدّ لها فمن أعطى الشكر على النعمة قابله الله بزيادتها وإنمائها ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قال سبحانه: **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**[٣].

---

١٣٦ ـ وقال عليه السلام: الصَّلاَةُ قُرْبَانُ[١] كُلِّ تَقِيٍّ، وَٱلْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ ٱلْبَدَنِ[٢] الصِّيَامُ، وَجِهَادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ[٣].

اللغة

١ ـ قربان : ما يتقرب به إلى الله.

٢ ـ البدن : جسد الإنسان.

٣ ـ حسن التبعل : معاشرة الزوج وصحبته بالحسنى.

الشرح

(الصلاة قربان كل تقي) الصلاة صلة بين الله والعبد ينعكس الأثر على نفسية المسلم فتحوله إلى عملاق يتحدى طواغيت الأرض وأشرارها... ترتفع هذه الصلاة

---

(١) سورة النساء، آية/ ١٧.

(٢) سورة النساء، آية/ ١١٠.

(٣) سورة إبراهيم، آية/ ٧.

بهذا الإنسان إلى أعظم مراتب الفضيلة والطهارة فلذا كانت قربان يتقرب بها العبد من الله بل إنها أفضل وسيلة يتقرب بها العبد إلى الله . . .

(والحج جهاد كل ضعيف) والحج مؤتمر إسلامي ينعقد في مكة بدعوة من الله وباعتبار ما يتطلبه من جهود مضنية وسفر وغربة كان جهاداً للضعفاء الذين لا يقوون على حمل السلاح ومقارعة الأعداء فكان الضعفاء بحجهم يجاهدون أنفسهم ويغالبونها في سبيل الوصول إلى رضا الله وهو نوع من الجهاد . . .

(ولكل شيء زكاة وزكاة البدن الصيام) هذه قاعدة عامة يجب أن يتنبه لها المسلمون وهي: إن لكل شيء زكاة فالجاه له زكاة وزكاته خدمة الناس وقضاء حوائجهم والعلم له زكاة وزكاته تعليم الناس وبذله لطالبيه والقوة لها زكاة وزكاتها أن يقوى على عبادة الله وخدمة عباده فلا يطغى بها على الناس وهكذا دواليك ومن جملتها البدن فإن له زكاة وزكاته أداء الصيام فإنه ينقّيه ويذكره بالله وأيامه العظيمة . . .

ثم ذكر أن للمرأة جهاداً ولكن في ميدانها المرسوم لها وهو ميدان الزوجية بمعنى أن تكون الزوجة وفيّة مخلصة مطيعة صادقة لا تعصي له أمراً تسمع قوله وتعينه على أمر آخرته ودنياه وبعبارة مختصرة أن تحسن عشرته من جميع وجوه العشرة وهذا هو ميدان جهادها التي تعادل به جهاد الرجال . . .

---

١٣٧ ـ وقال عليه السلام: اَسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

الشرح

الصدقة هي العطاء قربة لوجه الله وتجوز على كل إنسان محتاجاً أو غنياً مسلماً أو كافراً ـ ما لم يكن حربياً ـ ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً.

ودرهم الصدقة بعشر حسنات والله يحب البذل والعطاء ويدفع نحوهما وأنت عندما تتصدق تتعامل مع الله بتجارة رابحة فتعطي لتأخذ تعطي المال لتأخذ الجنة.. وتعطي المال لتربح المال قال تعالى: ﴿**إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم** . . .﴾[1] تعطي الدرهم فيضاعفه الله لك أضعافاً كثيرة فينزل عليك الرزق فإنه وعد ووعده صادق لا يخلفه.

---

(١) سورة البقر، آية/ ٢٤٥.

١٣٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَيْقَنَ بِٱلْخَلَفِ(١) جَادَ(٢) بِٱلْعَطِيَّةِ(٣).

اللغة

١ ـ الخلف : البدل والعوض.

٢ ـ جاد : تكرّم وبذل.

٣ ـ العطية : ما يعطى، الصدقة.

الشرح

هذا ترغيب في البذل والعطاء وحث على الكرم بذكر ما يدفع المرء في هذا الميدان فقد ذكر أن من أيقن وصدّق أنه متى أنفق من ماله جاء عوضه وبدله سخى وتكرم وبذل وهكذا كل عطية أو بذل أو هدية في سبيل الله وعلى عباده فإن الله يعوضه عنها أضعافاً مضاعفة... قال تعالى: **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾**(١).

---

١٣٩ ـ وقال عليه السلام: تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ(١) عَلَى قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ(٢).

اللغة

١ ـ المعونة : المساعدة.

٢ ـ المؤونة : القوت، الشدة والثقل.

الشرح

إذا كانت الدول الظالمة تتعامل مع رعاياها بهذا المنطق فالأعزب من الموظفين تفرض له راتباً معيناً يكفيه فإذا تزوج زاد راتبه وفرض لزوجته راتباً فإذا رزق أولاداً فرضت لهم رواتباً وهكذا يكبر الراتب ويزداد بكبر العائلة وزيادة أفرادها... أقول: إذا كانت هذه هي سيرة الظالمين فكيف بك في الله أكرم الأكرمين الذي أفاض علينا أصل الوجود وكان عن يديه كل موجود فلا شك أن بركاته تنزل أضعافاً مضاعفة وقد علمتنا

---

(١) سورة البقرة، آية/ ٢٦١.

الأحداث والأيام وسمعنا ورأينا بأم العين كيف أن الله يوسّع على صاحب العيال بمقدار كفايتهم وزيادة. . .

١٤٠ ـ وقال عليه السلام: مَا عَالَ[١] مَنِ ٱقْتَصَدَ[٢].

اللغة

١ ـ عال : افتقر.

٢ ـ اقتصد في النفقة : اعتدل في النفقة بدون إفراط ولا تفريط.

الشرح

هذه دعوة إلى الاعتدال في النفقة وأن لا يسرف الإنسان، فإن الاقتصاد في النفقة يعني الإنفاق قدر الحاجة وهذا قد تكفّل الله به ونحن نجد من يقتصد في صرفه وإنفاقه كيف أنه لا يقع في حاجة ولا فقر. . .

١٤١ ـ وقال عليه السلام: قِلَّةُ ٱلْعِيَالِ[١] أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ[٢].

اللغة

١ ـ العيال : من يقوم بمعاشهم.

٢ ـ اليسار : الغنى.

الشرح

المال هو اليسار الأول وبه يستطيع الإنسان أن يقضي حاجاته. . .

وقلة العيال هو اليسار الآخر فإن من كانت عائلته قليلة الأفراد خفّ مصروفهم وقلّت النفقة عليهم وباعتبار انتفاء المصرف وعدم الحاجة إلى المال فهو نوع من الغنى.

١٤٢ ـ وقال عليه السلام: التَّوَدُّدُ[١] نِصْفُ ٱلْعَقْلِ.

اللغة

١ ـ التودد : التحبب.

الشرح

التودد هو الحب والعطف وهو نوع من لين الجانب للناس وإظهار جانب الرحمة لهم والعطف عليهم وهذا بنفسه يوجب محبتهم له ورغبتهم فيه وهذا دليل كمال عقل الإنسان ووعيه لأن العقل يحلل الأمور ويفصّلها ويرى منافعها ومضارها والتودد هو التطبيق لما يراه العقل ويتبناه فهو نصف العقل بتعبير الإمام. . .

---

١٤٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلْهَمُّ(١) نِصْفُ ٱلْهَرَمِ(٢).

اللغة

١ ـ الهم : الحزن، ما يشغل الفكر.

٢ ـ الهرم : من بلغ أقصى الكبر.

الشرح

الهرم كبر في السن وثقل في الهمة وضعف في البنية وقد يعتور الإنسان بعض النقص العقلي فيرجع إلى أرذل العمر من حيث العلم والمعرفة وضبطه للأمور.

والهم قد يسبب ذلك أو بعضه فترى الكآبة مسحة على وجهه ظاهرة وترى تشتت الفكر وترى أثر الهم في بدنه وخصوصاً إذا بلغ بعض مراتبه العليا فقد يحطم معنويات الإنسان وبُنيته. . .

---

١٤٤ ـ وقال عليه السلام: يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمُصِيبَةِ(١)، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ(٢) عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ(٣).

اللغة

١ ـ **المصيبة** : البلية وكل أمر مكروه، فجيعة الموت.

٢ ـ **الفخذ** : ما بين الركبة والورك.

٣ ـ **حبط عمله** : بطل.

الشرح

مهما كانت المصيبة عظيمة فهناك ما يقابلها من الصبر إذاً فلا تغلب مصيبة مصاباً ومن فعل أمراً يستنكر فيه قضاء الله ويرفض حكمه ـ كمن ضرب يده على فخذه أو خمش وجهه أو شق جيبه ـ فقد أسخط الله وذهب ثوابه وأجر احتسابه لمصيبته.

---

١٤٥ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ ٱلْجُوعُ وَالظَمَأُ(١)، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ وَٱلْعَنَاءُ(٢)، حَبَّذَا نَوْمُ ٱلأَكْيَاسِ(٣) وَإِفْطَارُهُمْ!.

اللغة

١ ـ **الظمأ** : العطش.

٢ ـ **العناء** : التعب.

٣ ـ **الأكياس** : جمع كيّس بالتشديد وهو العاقل.

الشرح

العبادة متقومة بالإخلاص لله والتوجه إليه وأن تكون على الطريقة المرسومة شرعاً شروطاً وشرائطاً مع المحافظة على أجزائها وأحكامها ومعرفة ما يفسدها ويبطلها فإذا أخل القائم بها ببعض ما وجب فيها استوى مع من لم يصل وكلمة الإمام تنطلق من هذا المنطلق وأن كثيراً من الناس الذين يصلون لا ينالهم من صلاتهم ولا يقبل الله منهم فرضاً بل لا ينالهم إلا التعب بالقيام والركوع والسجود وهكذا من لم يعرف أحكام الصوم فيرتكب المبطلات لـه فإنه لا يناله إلا الجوع والعطش... ثم مدح نوم العلماء الواعين، لأن نومهم كان عن صلاة أدوها بجميع خصوصياتها وكذلك مدحهم لصومهم وإفطارهم

لمعرفتهم بموارد الصوم وموارد الإفطار ويعرفون كيف يؤدون عباداتهم على الوجه السليم. . .

١٤٦ ـ وقال عليه السلام: سُوسُوا(١) إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا(٢) أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَٱدْفَعُوا أَمْوَاجَ ٱلْبَلاءِ(٣) بِالدُّعَاءِ.

اللغة

١ ـ سوسوا : أمر من السياسة وهي صيانة الشيء وحفظه وإدارته.

٢ ـ حصنوا : احفظوا وحوطوا.

٣ ـ البلاء : المصائب.

الشرح

احفظوا إيمانكم وحافظوا عليه وارعوه بالصدقة لأنها تدرّ الشفقة ولا تنبعث إلا عن قلب رحيم. . . وحصنوا أموالكم من التلف بما تخرجونه من زكاتها وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: والله ما ضاع مال في بر أو بحر إلا وكان لله فيه حق. . . والبلاء مهما كان عظيماً وقريب الوقوع فإنه يُدفع بالدعاء والالتجاء إلى الله قال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾.

---

١٤٧ ـ ومن كلام له عليه السلام: لكُمَيْل بن زياد النخعي.

قال كُمَيْل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخرجني إلى الجبّان(١)، فلما أصحر(٢) تنفس الصّعَداء(٣)، ثم قال:

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ(٤)، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا(٥)، فَٱحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: .

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ(٦)، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ(٧) رَعَاعٌ(٨) أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ(٩)، يَمِيلُونَ(١٠) مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ

ٱلْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا[١١] إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كُمَيْلُ، ٱلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَالِ، ٱلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ. وَٱلْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ[١٢]، وَٱلْعِلْمُ يَزْكُو[١٣] عَلَى ٱلإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ[١٤] ٱلْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ ٱلْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ[١٥] بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ ٱلإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ ٱلأُحْدُوثَةِ[١٦] بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَٱلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلُ، هَلَكَ خُزَّانُ[١٧] ٱلأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَٱلْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ[١٨] مَفْقُودَةٌ[١٩]، وَأَمْثَالُهُمْ[٢٠] فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هَا هُنَا لَعِلْماً جَمّاً[٢١] (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ[٢٢] لَهُ حَمَلَةً[٢٣]! بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً[٢٤] غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِراً[٢٥] بِنِعَمِ ٱللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ ٱلْحَقِّ، لاَ بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ[٢٦]، يَنْقَدِحُ[٢٧] الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلاَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ! أَوْ مَنْهُوماً[٢٨] بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ[٢٩] ٱلْقِيَادِ[٣٠] لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً[٣١] بِٱلْجَمْعِ وَٱلادِّخَارِ[٣٢]، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ[٣٣] الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا ٱلأَنْعَامُ[٣٤] السَّائِمَةُ[٣٥]! كَذلِكَ يَمُوتُ ٱلْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

ٱللَّهُمَّ بَلَى! لاَ تَخْلُو ٱلأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً[٣٦]، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ ٱللهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولئِكَ؟ أُولئِكَ ـ وَٱللهِ ـ ٱلأَقَلُّونَ عَدَداً، وَٱلأَعْظَمُونَ عِنْدَ ٱللهِ قَدْراً[٣٧]. يَحْفَظُ ٱللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ[٣٨]، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

هَجَمَ(٣٩) بِهِمُ ٱلْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ ٱلْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ ٱلْيَقِينِ، وَٱسْتَلاَنُوا(٤٠) مَا ٱسْتَوْعَرَهُ(٤١) ٱلْمُتْرَفُونَ(٤٢)، وَأَنِسُوا(٤٣) بِمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ ٱلْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِٱلْمَحَلِّ ٱلأَعْلَى. أُولئِكَ خُلَفَاءُ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ. آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ! ٱنْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ.

اللغة

١ ـ **الجبان** : الجبانة، المقبرة.
٢ ـ **أصحر** : صار في الصحراء.
٣ ـ **تنفس الصعداء** : تنفساً طويلاً ممدوداً.
٤ ـ **الأوعية** : جمع وعاء وهو الإناء.
٥ ـ **أوعاها** : أكثرها حفظاً.
٦ ـ **الرباني** : المنسوب إلى الرب.
٧ ـ **الهمج** : ذباب صغير كالبعوض والمقصود هنا الحمقى.
٨ ـ **الرعاع** : العوام والسفلة وأمثالهما.
٩ ـ **ناعق** : صائح، داعي.
١٠ ـ **يميلون** : ينحرفون.
١١ ـ **يلجؤون** : يعتمدون ويرجعون.
١٢ ـ **النفقة** : ما ينفقه الإنسان أي يصرفه.
١٣ ـ **يزكو** : ينمو.
١٤ ـ **الصنيع** : الإحسان.
١٥ ـ **يدان** : يُجزى.
١٦ ـ **الأحدوثة** : .
١٧ ـ **خزان** : جمع خازن من يتولى حفظ المال.
١٨ ـ **أعيانهم** : أشخاصهم.
١٩ ـ **مفقودة** : غائبة.
٢٠ ـ **أمثالهم** : صورهم.
٢١ ـ **الجمّ** : الكثير.
٢٢ ـ **أصبت** : وجدت.

٢٣ ـ الحملة : بالتحريك جمع حامل.
٢٤ ـ اللقن : بفتح فكسر من يفهم بسرعة.
٢٥ ـ مستظهراً : متغلباً واستظهر عليه علاه وغلبه.
٢٦ ـ أحنائه : جوانبه.
٢٧ ـ ينقدح : يظهر ويبرز.
٢٨ ـ المنهوم : المفرط في شهوة الطعام.
٢٩ ـ سلس : لين.
٣٠ ـ القياد : ما تقاد به الدابة من حبل ونحوه وفلان سلس القياد أي يطاوعه.
٣١ ـ المغرم : المولع.
٣٢ ـ ادخار المال : جمعه واكتنازه.
٣٣ ـ الرعاة : جمع الراعي من ولي أمر قوم واهتم بشؤونهم.
٣٤ ـ الأنعام : البهائم.
٣٥ ـ السائمة : غير المعلوفة وهي التي تترك لترعى.
٣٦ ـ المغمور : المغطى الذي لا يظهر.
٣٧ ـ قدراً : منزلة.
٣٨ ـ نظراءهم : أشباههم وأمثالهم.
٣٩ ـ هجم : انتهى إليه بغتة وعلى غفلة، أسرع.
٤٠ ـ استلانوا : عدوا الشيء ليناً.
٤١ ـ استوعروه : عدوه وعراً أي خشناً صعباً.
٤٢ ـ المترفون : أهل الترف هم أهل التنعم مع البطر.
٤٣ ـ أنسوا : ضد استوحشوا.

الشرح

(يا كميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها اسمع عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق) أراد الإمام أن يبثّ علمه فلم يجد أذناً صاغية... كان يطلب من الناس أن يسألوا ويستفهموا ويبحثوا فلم يجد منهم إلا الاستهزاء والاستخفاف فلذا كان يختار من أصحابه بعض الخواص فينشر عليهم من علومه ويعطيهم من حكمته...

وهذه وقفة مع كميل بن زياد أحد أصحابه الذي استشهد على ولائه ومحبته له...

صورة جليلة ينقلها كميل. . . صورة علي وهو يأخذ بيد كميل. . . يأخذ بيده ويخرج به إلى القبور إلى حيث لا يفهم لغة علي أحد في الحياة. . . المعادلة العلوية لا تستوعبها أذهان الأحياء فأراد أن يريح نفسه ببيانها بين القبور وتحت السماء. . .

خرج الاثنان علي وكميل ومرّا على الجبانة ولما صارا في الفضاء الطلق أخذ الإمام تنفساً طويلاً تنفّس المتعبين من الحياة. تنفس الذين أكلت الهموم قلوبهم ولم يجدوا من يبثون إليه شكواهم وألمهم. . . صورة تحكي عمق الأسى الذي يعيش في قلب الإمام فتدفعه إلى هذا التنفس الطويل. . . إنه يريد أن يبث في أذن كميل علماً كريماً ينقله للأجيال ويحكي به قصته معه. . .

في الهواء الطلق يريد الإمام أن تنطلق الكلمات منه لعل الزمن يحملها إلى طلابها فيستفيدوا منها. . . وفي هذا الجو وهذه اللحظات ينطلق الإمام بمقدمة ينبه بها كميل. . . إنها إشارة إلى أن هذه القلوب هي أوعية العلم وخزنته فيها يجمع العلم والحكمة والمواعظ والعبر وخير هذه القلوب أكثرها علماً وحفظاً ووعاية ودراية. . .

ثم قال له: احفظ عني ما أقول لك احفظه في نفسك وانقله للأجيال لتسمع كلام علي. . . ثم قسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ عالم رباني: وهو المنسوب إلى الرب وهم الأنبياء والأوصياء الذين يأخذون علومهم بواسطة الوحي. . . إنهم الذين يرسل الله إليهم ملائكة تنقل مراداته أو يلهمهم أو يكلمهم من وراء حجاب وهؤلاء هم الصفوة وأعلى طبقات الناس. . . إنهم أخلصوا لله فاصطفاهم الله ونسبهم إليه. . .

٢ ـ ومتعلم على سبيل نجاة: وهم العلماء والسائرون في طريق تحصيل العلم الذين يتوجهون إلى الله في دراستهم فهم في طريق النجاة.

٣ ـ وهمج رعاع: وهم بقية الناس إنهم العوام الغالبية من البشر. . . هذا السواد الأعظم الذي يملأ الدنيا ويشغلها. . . وقد وصفهم بأوصاف.

أ ـ إنهم همج تصغير لهم وتحقير فقد شبههم بالذباب الصغير الذي يطير إلى هنا تارة وإلى هناك أخرى. . .

ب ـ إنهم رعاع وفي هذا اللفظ تحس العوام من الناس الذين لا يرتبطون بعهود ومواثيق لا يفكرون ولا ينطلقون مع الفكر. . .

ج ـ أتباع كل ناعق: فمن دعاهم أسرعوا وراءه دون دراسة لدعوته ولماذا يدعو؟

إنهم يسيرون بسرعة وراء دعوته الباطلة دون دراسة لخلفيات الداعي وما وراءها وما يريد. . .

د ـ يميلون مع كل ريح: ليس لهم استقامة وثبات في اتجاه واحد بل كيف يوجهون يتوجهون. . . إذا كانت القوة مع الظالم انحرفوا معه وإذا كانت مع العادل كانوا معه. . . وإذا كان الحاكم مؤمناً تحركوا بأمره وإذا كان فاسداً كانوا معه. . . وهكذا. . .

هـ ـ لم يستضيؤوا بنور العلم: لم يتعلموا ويكتشفوا رموز الحياة. . . لم يملكوا الرؤية الواضحة. . . لم تنكشف إليهم الأمور كما تنكشف لأهل العلم. . . إنهم يعيشون في ظلام الجهل وعدم العلم. . .

و ـ ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق: لم يعتمدوا فيما يأخذون ويتركون على أمور يقينية ثابتة لا تتزلزل.

(يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله) فاضل عليه السلام بين العلم والمال وقدّم العلم وفضّله على المال ترغيباً به واهتماماً بشأنه وشأن من يحمله. . .

العلم خير من المال ووجه الخيرية والأفضلية عدة اعتبارات.

أ ـ العلم يحرسك وأنت تحرس المال: العلم هو الذي فجر الذرة وركب الإنسان به ظهر المجرة. . . بهذا العلم احتمت الدول الكبرى من الظلم وحمّت أصدقاءها. . . بما قدمه العلم من مخترعات ووسائل وقاية احتفظ هذا الإنسان بوجوده. . . بينما المال يحتاج إلى من يحرسه ويحميه وإلا امتدت إليه أيدي اللصوص والسراق واختطفوه. . . ثم هناك فرق بين أن تكون حارساً أو محروساً. . . خادماً أو مخدوماً. . .

ب ـ والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق: المال يحتاج إلى الحارس والحاسب والمكان وغيرها من المؤونة له وهذا يعرضه للنقصان هذا إذا تجمد وأما العلم فإنه ينمو ويزداد فإنك كلما علمت انتفتحت أمامك أبواب وإشكالات ونكات ولطائف دقيقة. . . إن الذهن يتفتق عن أمور جليلة وكنوز دفينة من العلم أثناء التدريس والتعليم. . .

ج ـ وصنيع المال يزول بزواله: هذا أيضاً فرق بين المال والعلم وكون العلم أفضل وذلك أن الإحسان بالمال يزول بزوال المال فلو أعطيت إنساناً سيارة يزول هذا الإحسان وتنتفي العين المحسن بها بزوالها أما بالحوادث أو بالتلف الطبيعي وهكذا دواليك في كل

الأموال. . . وأما العلم فإنه يصفي القلوب ويكشف الدروب وهو أيضاً ينتقل من عالم إلى متعلم ويسري بين المتعلمين ويبقى أجره وثوابه إلى المعلم الأول دون أن ينقص من أجور من يأتي بعده ويعلمه. . .

(يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. . .) وهذه أيضاً ميزات للعلم وخصوصيات له.

أ ـ إنه دين يدان به: أي طلب العلم ركن من أركان الدين وواجب مفروض يجب تحصيله وقد قال النبي (ص): «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» وقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ويكفي أن أول سورة نزلت على النبي هي سورة «إقرأ» ومطلعها: **﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** دعوة إلى العلم صريحة ولولا العلم ما عرف الله حق معرفته ولا عبد حق عبادته.

ب ـ بالعلم يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته. . . وهذه من بركات العلم وثمراته إن أمر العالم يطاع من الناس، والناس تسمع له وتستجيب وتقبل ما يقول وهذه من نعم الله على العلماء فالملوك حكام على الرعية والعلماء حكام على الملوك وأيضاً بالعلم يبقى للإنسان جميل الذكر بما زرعه في قلوب رواده وتلامذته ومن نهل من منهله. وهؤلاء هم علماؤنا رضوان الله عليهم قد مر عليهم مئات السنين نذكرهم بآثارهم وبما تركوا من علم ومعرفة وسرّح نظرك في قائمتهم واقرأ الطوسي والطبرسي والرضي والمرتضى والعلامة والشهيد وهكذا. . . لا يزالون يعيشون معنا ولا نزال نذكرهم بما تركوا وخلفوا. . .

ج ـ والعلم حاكم والمال محكوم عليه: العلم هو الذي يحكم الحياة إذ بالعلم تعرف كيف تتصرف ومتى تتصرف. . . بالعلم استطاعت الدول الكبرى أن تحكم الصغرى وتستعمر أرضها وتستعبد شعبها بينما المال محكوم لا ينتقل إلا بأمر العلم وتوجيهه وأمامنا اليوم المال العربي المحكوم للعلم الأمريكي والأوروبي. . . تراه محكوم لإرادة أولئك يستغلونه في مصالحهم ويحرموننا منه وهل هناك شاهد أعظم مما نعيش. . . مليارات الدولارات العربية مجمدة في المصارف الأمريكية، بل مملوكة لغير المسلمين إنه الجهل الذي نعيشه. . . إن وظيفتنا حراسة المال لأرباب العلم يتصرفون فيه كيف يشاؤون ويحكمون به كما يريدون. . .

(يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر: أعيانهم

مفقودة وأمثالهم في القلوب موجوده) وهذا ترغيب في العلم من وجه آخر وذلك بالحكم يموت خزان الأموال وإن كانوا على قيد الحياة وفي المقابل بحياة العلماء وبقاؤهم وإن كانوا أمواتاً.

أما هلاك خزان الأموال فلأنهم لم ينفقوه في طاعة الله وخدمة عباده فماتوا معنوياً وهو أعظم من الموت الحسي... أو لأنهم عاشوا لذاته وشهواته فلم يعرف عنهم أحد شيئاً.

أما حياة العلماء فإنهم يعيشون ما بقي الدهر... إنهم وإن غابوا بأجسادهم عن الحياة ولكن آثارهم وما تركوه لا يزال يعيش بيننا، فهم يعيشون بما تركوا وخلفوا... يعيشون بتراثهم... بأفكارهم... بنظرياتهم بكتبهم ومؤلفاتهم وقراءة سريعة ترى أصحاب الأموال في زاوية العدم لا تذكر منهم أحداً بينما قائمة العلم بالآلاف المؤلفة وهذه المكتبات العامرة تحكي عنهم وتنقل أقوالهم فكأنهم يعيشون بيننا وكأننا وإياهم في حوار فما أعجبنا من آرائهم قبلناه ووافقناهم عليه وما لم يعجبنا ناقشناهم وحاورناهم وهكذا...

(ها إن ها هنا لعلماً جماً وأشار بيده إلى صدره لو أصبت له حملة) أكلت الحسرة قلب الإمام إذ لم يجد من يبث إليه علمه وفقْد من يقدر على حمل ذلك العلم... هكذا يموت العظماء وفي نفوسهم حسرات... وعلي يتمنى أن يضع يده على فرد يحمل علمه ليبثه إليه... العلم يفقد بفقد العلماء وبفقد من يتحمله... علي يعلنها صرخة من عمق نفسه يتمنى أن يجد لعلمه حملة فلا يضيع ذلك العلم بفقده... نعم لم يجد من يحمل علمه وبقيت الحسرة في قلبه وانتقل إلى ربه يحملها وبقيت هذه الكلمات ذكريات نرددها ونأسف لعدم وجود من يحمل عن الأئمة علومهم.

(بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه) بعد أن نفى عليه السلام وجود من يحمل عنه علمه استدرك بأنه قد وجده ولكن من وجدهم ليسوا أهلاً لحمله، وهذا بمنزلة عدمه وبمنزلة المفقود وقد ذكر أربعة رجال وكل رجل يحمل سمات لا تؤهله لحمل هذا العلم وهذا أول الرجال وقد وصفه بأنه لقن فطن لبيب نبيه ولكنه خائن للعلم لا يعمل بما يعلم ولا يضع العلم موضعه أو يستعمله في موضعه يستغل الدين ليصطاد به الدنيا فهو يظهر النسك والعبادة من أجل أن يصل إلى الدنيا ويبلغ مرامه منها كما أنه بما جمع من العلم يرى نفسه أعظم العباد فيفتخر عليهم ويأخذ من البراهين والحجج التي تعلمها ما يلبس الحق بالباطل والصدق بالكذب.

(أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة إلا لا ذا ولا ذاك) وهذا الرجل الثاني الذي توفر لحمل العلم ولكنه ليس مؤهلاً له وقد وصفه بأنه رجل طيب ينقاد لأهل الحق ويسمع منهم ولكن مشكلته في أمرين سيئين فيه.

١ ـ إنه لا بصيرة له ولا عمق في تفكيره: لم يتبحر في الأمور الإلهية ولم يصل إلى أعماق الأمور وجوانبها ومنعطفاتها أي إشكالاتها والشبهات التي ترد عليها ويفهمها ويدقق فيها.

٢ ـ إن الشك يثور في نفسه إذا اعترضته شبهة فلقصور باعه في هذا العلم تستقر الشبهة في نفسه وتحركه الأيدي المغرضة في كل اتجاه.

ثم إن الإمام بعد أن يذكر هذين الرجلين يقول: لا هذا ولا ذاك يصلح لحمل هذا العلم الإلهي الذي أحمله وبعد ذلك يذكر الرجل الثالث وهو.

(أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة) هذا هو الرجل الثالث المغرم باللذة الذي يريد اقتناصها أنى كانت تجره الشهوات إليها بكل يسر وسهولة وبمجرد أن تتراىء له يتراخى لها ويجري خلفها...

(أو مغرماً بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه) وهذا رابع الأربعة إنه رجل له حب وهوى في جمع المال وادخاره فهو يسعى في سبيل المال ويحوله إلى المصارف ليزداد رقم حسابه هناك.

ثم رفض الإمام أن يكون هذان القسمان من حملة الدين وأهله فصاحب الشهوة والمغرم بالمال كلاهما لا يعرفان غير اللذة والمال ولا يتعرفان على الدين ولا علاقة لهما به.

وبعد ذلك وصفهما بأنهما كالبهائم التي ترعى مسترسلة في البراري لا تحسب لغير بطنها ولذتها حساباً فهما أيضاً لا يتنبهان للدين ولا يلتفتان إليه وإلى الآخرة وبعد أن وصل إلى هنا تأسف لوصول الحال إلى هذه المرحلة التي إذا طلب فيها فرداً يؤهله لتلقي علومه لا يجده...

(اللهم بلى! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته) استدرك عليه السلام على قوله: إن العلم يموت

بموت صاحبه قائلاً: لا. . . إن العلم لا يموت بموتي فأنا إذا فارقت الحياة فإن هناك حملة للعلم يقام بهم الحق وعليهم مدار العلم وهم أقطاب هذا الوجود. . . إنهم الأئمة الذين يواكبون مسيرة البشرية ولا يفارقونها أبداً ولولاهم لساخت الأرض بأهلها ولا تخلو منهم الأرض وهم بين ظاهر شاهر سيفه أو مستور غائب ينتظر الفرج والأمر له بالخروج وتطهير الأرض كما هو الحال في الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه الذي غاب عن الأنظار وينتظر إذن الله له بالخروج. . . إن ذلك التقدير الإلهي وحفظ هذا العلم عند الأئمة لئلا تبطل حجج الله وبيناته فإنه إذا ارتفع البيان ووصول الحجة إلى الناس لم يكن لله أن يعاقب عباده على تقصيرهم.

ويقول ابن أبي الحديد: وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية ولكنه على عادته يلوي النص ويحرفه ليخدم معتقده وما يذهب إليه فمع صراحة هذا الكلام الذي يذهب إليه العرف العام وكل إنسان مستقيم الفهم سليم العقل يذهب به مذهباً بعيداً لا يقبله منه عوام الناس فكيف بالعلماء والمحققين وأصحاب الرأي. . .

وقال غيره من شراح النهج: هذا تصريح منه بوجوب الإمامة بين الناس في كل زمان ما دام التكليف باقياً وأن الإمام قائم بحجة الله على خلقه ويجب بمقتضى حكمته وهو إما أن يكون ظاهراً معروفاً كالذين سبقوا إلى الإحسان ووصلوا إلى المحل الأعلى من ولده الأحد عشر وإما أن يكون خائفاً مستوراً لكثرة أعدائه وقلة المخلصين من أوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. . .

(وكم ذا أو أين أولئك ـ والله ـ الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعهم نظراءهم ويزرعون في قلوب أشباههم) بعد أن ذكر أنه لا تخلو الأرض من حجة استقل عددهم إنهم قلة قليلة اختارهم الله ثم استفهم عن مكانهم ومحلهم واستقرارهم وبعد أن بشرّ بهم ذكر أوصافهم في معرض مدحهم وهي:

١ ـ الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً: عددهم اثنا عشر إماماً لا غير ولكنهم نخبة العالم وأعظم الناس قدراً جعلهم الله أئمة يهدون بأمره إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

٢ ـ يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعهم نظراءهم ويزرعون في قلوب أشباههم.

بهؤلاء الأئمة حفظ الله ما أنزل من القرآن وما ورد في السنة فقد فهموا آيات الله وخطاباته وردوا كل شبهة ودحروا كل متفلسف يريد الطعن في أي جانب من جوانب

التشريع . . . إنهم الأئمة الذين يملكون ناصية الكلام قد كشفوا زيف المبطلين والمعاندين وهكذا كان كل واحد منهم يودعها من يخلفه ويأتي بعده ويعلم من يريد أن يتعلمها ممن يحمل الأمانة من العلماء والفقهاء .

٣ ـ **(هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة)** وهذا من صفات أهل البيت الأئمة . . . فإن العلم قد دخل إلى قلوبهم لأن علومهم من لدن الباري جل جلاله فهو علم حقيقة انكشفت لهم الأمور والحقائق .

٤ ـ **(وباشروا روح اليقين)** لمسوا راحة اليقين والوصول إلى ما يحبون .

٥ ـ **(واستلانوا ما استوعره المترفون)** أي رفضوا حياة المترفين ونعيمها ووجدوا ما يعرفه المترفون من خشونة وقساوة وجدوه طيباً لذيذاً فالزهد والتقشف وجشوبة العيش كلها بالنسبة لهم حياة كريمة لينة لأن وراءها أهدافاً عظيمة . . .

٦ ـ **(وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم انصرف يا كميل إذا شئت)** وهذا من خصائص الأئمة وصفاتهم . . . فأبدانهم في الأرض وأرواحهم عند الله . . . إنهم مع الله لا ينفصلون عنه لحظة ولا ينسون ذكره ساعة . . . إنهم الأئمة الذين يقيمون حدود الله وينفذون أحكامه الذين يدعون إلى دينه وينشرون مراداته . . . يوضحون ويشرحون ويبينون . . . ينذرون . . . يبشرون وفي الأخير إنه يتشوق إلى رؤيتهم لأنه يرى من خلالها العدل والحق والصدق وكل المعاني الطيبة الخيرة . . . برؤيتهم يرى رسول الله لأنهم ذريته وأبناؤه الذين حملوا ميراث النبوة وثقلها . . .

---

١٤٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَرْءُ(١) مَخْبُوءٌ(٢) تَحْتَ لِسَانِهِ .

اللغة

١ ـ المرء : مثلثة الميم الإنسان جمعه رجل من غير لفظة .

٢ ـ مخبوء : مستور .

الشرح

إذا أردت أن تعرف شخصاً فاتركه يتكلم فإن لسان المرء عنوان شخصيته وبه تكشف حقيقته ومن خلاله يظهر ما يبطن . . . فاللسان يكشف هذا الإنسان فلربما ظننت

به شيئاً فلما تكلم كشف عن خلافه فقد تزدري الرجل وتحتقر مرآه فلما يتكلم وتستمع إلى حديثه يأخذك منطقه وبيانه ويجذبك إليه فتحترمه قهراً عنك بمنطق العقل والأدب.

١٤٩ ـ وقال عليه السلام: هَلَكَ ٱمْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ[١].

اللغة

١ ـ القدر : الشأن.

الشرح

إن من لم يعرف قدره ولا منزلته على حقيقتها فلا بد وأن يرفعها أكثر مما تستحق ويضعها في غير موضعها وينزلها في غير منزلتها وبذلك يهلك فمن جهل قدره ووضع نفسه موضع العلماء ثم أخذ يفتي بغير علم ويتكلم بدون رصيد شرعي فإنه يهتك ستره في الدنيا وينكشف للناس وبذلك تسقط منزلته ويحتقر وأما في الآخرة فالعذاب حليفه والعقاب رفيقه لأن من أفتى بغير علم أكبه الله على منخريه في جهنم وهكذا دواليك في كل رجل لم يعرف قدره ووضع نفسه في غير موضعها...

١٥٠ ـ وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لاَ تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو ٱلآخِرَةَ بِغَيْرِ ٱلْعَمَلِ، وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ[١] بِطُولِ ٱلأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ[٢]، وَيَبْتَغِي[٣] الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَى وَلاَ يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لاَ يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلاَ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ ٱلْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ[٤] عَلَى مَا يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقِمَ[٥] ظَلَّ نَادِماً، وَإِنْ صَحَّ[٦] أَمِنَ لاَهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ[٧] وَيَقْنَطُ[٨] إِذَا ٱبْتُلِيَ[٩]، إِنْ أَصَابَهُ بَلاَءٌ[١٠] دَعَا

مُضْطَرًّا، وَإِنْ نَالَهُ(١١) رَخَاءٌ(١٢) أَعْرَضَ مُغْتَرًّا(١٣)، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلاَ يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنْ ٱسْتَغْنَى بَطِرَ(١٤) وَفَتِنَ، وَإِنِ ٱفْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ(١٥)، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ(١٦) ٱلْمَعْصِيَةَ، وَسَوَّفَ(١٧) التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ(١٨) ٱنْفَرَجَ(١٩) عَنْ شَرَائِطِ ٱلْمِلَّةِ(٢٠). يَصِفُ ٱلْعِبْرَةَ(٢١) وَلاَ يَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي ٱلْمَوْعِظَةِ وَلاَ يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِٱلْقَوْلِ مُدِلٌّ(٢٢)، وَمِنَ ٱلْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى. يَرَى ٱلْغُنْمَ(٢٣) مَغْرَماً(٢٤)، وَٱلْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَى ٱلْمَوْتَ، وَلاَ يُبَادِرُ(٢٤) ٱلْفَوْتَ(٢٥)، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ(٢٧)، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ(٢٨)، اللَّهْوُ مَعَ ٱلأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ ٱلْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ(٢٩) غَيْرَهُ وَيُغْوِي(٣٠) نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي(٣١) وَلاَ يُوفِي(٣٢)، وَيَخْشَى(٣٣) ٱلْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَلاَ يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

قال الرضي: ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة، وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكر.

اللغة

١ ـ يرجّي التوبة : يؤخرها.
٢ ـ أوتي : أعطي.
٣ ـ يبتغي : يطلب.
٤ ـ يقيم على الشيء : يداوم عليه.
٥ ـ سقم : مرض.
٦ ـ صحّ : سلم وتعافى.

٧ ـ عوفي	:	من العافية وهي الصحة وعدم المرض.
٨ ـ يقنط	:	ييأس.
٩ ـ ابتلي	:	أصيب بمصيبة.
١٠ ـ البلاء	:	الغمّ.
١١ ـ ناله	:	أصابه.
١٢ ـ الرخاء	:	النعيم والسعة.
١٣ ـ المغتر	:	الذي أصابه الغرور.
١٤ ـ بطر	:	طغى بالنعمة.
١٥ ـ وهن	:	ضعف.
١٦ ـ أسلف	:	قدّم.
١٧ ـ سوّف	:	أخّر.
١٨ ـ عرته محنة	:	أصابته مصيبة وعرضت له.
١٩ ـ انفرج عنها	:	ابتعد عنها وانخلع منها.
٢٠ ـ الملة	:	الدين.
٢١ ـ العبرة	:	الموعظة التي تنبه النفس إلى ما يصيب غيرها فتحترس منه.
٢٢ ـ المدل	:	المستعلي.
٢٣ ـ الغنم	:	بالضم الغنيمة.
٢٤ ـ الغرم	:	الغرامة.
٢٥ ـ بادر	:	أسرع وعجّل.
٢٦ ـ الفوت	:	فوات الفرصة وانقضاؤها.
٢٧ ـ طاعن	:	عائب.
٢٨ ـ المداهن	:	المخادع الذي يظهر خلاف ما يبطن.
٢٩ ـ يرشد	:	يهدي.
٣٠ ـ يغوي	:	يضل.
٣١ ـ يستوفي	:	يأخذ حقه كاملاً.
٣٢ ـ يوفي	:	من وفيّ توفية الرجل حقه أعطاه إياه تاماً.
٣٣ ـ يخشى	:	يخاف.

الشرح

هذا رجل شعر أن بقلبه قساوة فتوجه إلى الإمام طالباً منه الموعظة التي ترقق هذا القلب وتلين قساوته فبادر إلى موعظته بهذه الكلمات الكريمة التي قال عنها الشريف

الرضي: إنه لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر.

وقد أجاد بعضهم حيث ذكر أنه عليه السلام قد نهى طالب الموعظة عن أربع وثلاثين رذيلة ونحن سنبتدأ بذكر هذه الموعظة بذكر فقراتها فقرة فقرة.

١ ـ لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل: فإذا كنت تطلب الآخرة وتريد الوصول إليها فلا تقتصر في طلبك لها على مجرد التمني بل لا بد لك من أن تقرن الرجاء بالعمل وتجمع بينهما...

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو[1].

٢ ـ ويرجّي التوبة بطول الأمل: فإذا أذنب لا يبادر إلى التوبة والرجوع إلى الله بل لأن أمله طويل في الدنيا يؤخرها ويسوّفها ولا يدري أن الموت ربما أتاه فجأة فيقطع أمله ويبطل توبته وبذلك أعظم الفواجع وأقساها فلا تكن أنت ذلك المسوف للتوبة بل بادر إليها وبأسرع ما يكون...

٣ ـ يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين: فهذا إذا تحدث عن الزهد تراه يبلغ الغاية في وصفه ومنافعه وثمراته وما أعده الله للزاهدين... ففي حديثه زاهد متنسك ولكن في عمله راغب طالب نهم شره فقوله يخالف عمله وهذا خداع وتضليل وتحريف وتزوير.

٤ ـ إن أعطي منها لم يشبع: وهذه رذيلة الحرص... إنه يفتح بطنه ولا يملأه إلا الموت... فما يأتيه من الدنيا لا يكتفي به ولا يوفيه.

٥ ـ وإن منع منها لم يقنع: إذا منع عن بعض الأمور تراه يلح ويصرّ ويكرّر الطلب ولا يرضى بالقناعة.

٦ ـ يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي: فهو يجمع بين رذيلة عدم الشكر لما أعطاه الله فلا يقوم بأداء شكره وبين رذيلة طلب الزيادة وأنه مهما أعطي يبقى يطلب الزيادة وينشد الكثرة... لا يؤدي شكر ما أعطى ويطلب ما لم يعط...

٧ ـ ينهى ولا ينتهي: ينهى الناس عن الدنيا وحطامها ولا ينتهي عنها أو يكف عن طلبها والسعي لها.

---

(١) وسائل الشيعة كتاب جهاد النفس باب ١٣ حديث ٥.

٨ ـ ويأمر بما لا يأتي: يأمر غيره من الناس بالإحسان وكرم الأخلاق وطيب العشرة ولكنه لا يأتي هو بشيء مما يأمر. . .

٩ ـ يحب الصالحين ولا يعمل عملهم: يحب الصالحين لعملهم لأنهم قوم مع الله وفي خدمة عباده ولكنه لا يعمل عملهم ولا يقتدي بهم. . .

١٠ ـ ويبغض المذنبين وهو أحدهم: في نفسه كره للمذنبين لأنهم خرجوا عن طاعة الله وإرادته ولكنه أحدهم بأفعاله وممارساته وسلوكه فكأنه في العمق يكره نفسه ولا يدري.

١١ ـ يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت من أجله: فهو يكره الموت لكثرة ذنوبه لأن بعد الموت حساب وعقاب وعذاب فيكره الموت خوفاً من العذاب ولكنه لتعاسته يمارس الذنوب والأعمال السيئة التي من أجلها كان يكره الموت فهو يكره الشيء ويمارسه. . .

١٢ ـ إن سقم ظل نادماً: إذا حل به المرض وجم وحزن وتأسف على تلك الساعات التي قضاها بعيداً عن الله وفي غير طاعته.

وإن صح أمن لاهياً: إذا كان سليماً معافى في بدنه وصحته تراه يلهو مطمئناً مسروراً وكأنه قد ملك الدنيا وأمن من العذاب لا يفكر في عاقبة ولا يحسن تدبير أمور الآخرة. . .

١٣ ـ يعجب بنفسه إذا عوفي: إذا كان معافى أخذه العجب فتاه ولم يعد ينظر إلى قفاه فأهلك نفسه وأوبقها.

١٤ ـ ويقنط إذا ابتلي: إذا ابتلاه الله بمصيبة في نفسه أو في ماله تراه يدب اليأس إلى قلبه ويقطع رجاءه ممن بيده الشفاء. . .

١٥ ـ إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء أعرض مغتراً: إذا نزلت به نازلة عاد إلى الله ودعاه دعاء المضطر بقلب كله حرقة واندفاع وصدق ولكنه إذا أقبلت الدنيا عليه وأصبح في سعة أعرض عن الله ونسي فضله واغتر بما يملك قال تعالى: ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأ بجانبه**﴾[2].

---

(١) سورة النحل، آية/ ٥٣.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٣.

١٦ ـ تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن: وهذه رذيلة حيث ينساق وراء ما تظنه نفسه وتشتهيه فبمجرد أن يظن بأمر ويكون منسجماً وهواه تراه يميل إليه فتغلبه شهوته بينما لا يستطيع أن يقهرها على ما يعلم أنه سيصير إليه من الموت والحساب والوقوف بين يدي الله.

١٧ ـ يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله: فهو يخاف على الآخرين ذنوبهم الصغيرة التي هي أقل من ذنوبه ولا يخاف ذنوبه وهذا عيب كبير أن تخاف على الناس من ذنوبهم الصغيرة ولا تخاف على نفسك من ذنوبك التي هي أكبر من التي تخافها على غيرك.

وكذلك من العيوب أن يرجو لنفسه على العمل الذي يقوم به أكثر مما يستحق فإذا عمل عملاً صغيراً رجى الثواب الكبير.

١٨ ـ إن استغنى بطر وفتن: قال تعالى: **﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾** فإذا أصابه الغنى فصار من الأغنياء تحول بأمواله إلى المجون واستعمله كسلاح يستعلي به على الناس وهكذا...

١٩ ـ وإن افتقر قنط ووهن: إذا أصابه الفقر يئس من الحياة ووقع ما في يديه وعجز عن مقاومة الحالة الحاضرة المطبقة بقساوتها عليه... إنه ينهار ويدب اليأس إلى قلبه...

٢٠ ـ يقصر إذا عمل: إذا عمل عملاً لا يتمه أو لا يكمله أو لا يجيده فهو يعيش التقصير في عمله.

٢١ ـ ويبالغ إذا سأل: إذا أراد أمراً وسأل أربابه ألح عليهم وطلبه بشدة منهم وهذا عكس قوله تعالى: **﴿تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾**(١) فمدحهم سبحانه لعدم الإلحاح في السؤال.

٢٢ ـ إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة: فهو يعصي الله لمجرد أن تدعوه شهوته لأمر محرم فهو بعزمه على ارتكاب الحرام كان مقدماً على المعصية قبل وقوعها وإذا وقعت لا يبادر إلى التوبة بل يؤخرها لشقائه وتعاسته.

٢٣ ـ وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة: إذا وقع في مصيبة أو بلية يخرج عن

---

(١) سورة البقرة، آية/ ٢٧٣.

الإسلام ويكفر بالرحمن وينسى الصبر وأجر الصابرين.

٢٤ ـ يصف العبرة ولا يعتبر: يصف ما فيه عظة وعبرة ودروس لغيره من الناس حتى يتعظوا ويعتبروا ولا يعتبر هو أو يتعظ... يصف الدواء لغيره ولا يداوي نفسه.

٢٥ ـ ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ: يجيد الموعظة لغيره ويبلغ بها منتهاها فيتأثر بها الغير ويتعظ أما هو فلا يتأثر بما يقول ولا ينتبه إليه...

فهو بالقول مدلّ ومن العمل مقلّ: كلامه كثير وفعله قليل فهو يدخل في قوله تعالى: ﴿**كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾.

٢٦ ـ ينافس فيما يفنى ويسامع فيما يبقى: إنه يزاحم الناس ويعلو عليهم في الجمع فيما يفنى من متاع الدنيا وحطامها بينما لا يسأل عن الآخرة ونعيمها وما فيها مما يبقى له ولا يفنى أبداً...

٢٧ ـ يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً: يرى الإنفاق في سبيل الله المتمثل بإداء الزكاة والخمس والصدقات ضريبة ثقيلة على نفسه بينما يرى ما ينفقه في اللهو ويصرفه في الانحراف هو ما ينتفع به ويستفيده...

٢٨ ـ يخشى الموت ولا يبادر الفوت: إنه يخاف الموت وما بعده من الحساب والعقاب ولكن لسوء حظه وتعاسة جده لا يبادر إلى اغتنام الفرص فيستفيد من الوقت قبل الموت... لا يستفيد منه بالعمل الصالح الذي به يأمن من الموت وما بعده...

٢٩ ـ يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن: يرى معصية غيره كبيرة جداً بينما معصيته وإن كانت كبيرة يراها صغيرة يكبّر القشة لتصبح جذعاً إذا كانت عند غيره بينما يصغر الجذع ليصبح قشة إذا كان عنده وكذلك لو أتى ببعض الأعمال الصالحة يراها كبيرة جداً بينما لو أتى بالأعمال الكبيرة الصالحة غيره لرآها قليلة حقيرة فهو بسلوكه هذا يذم الناس ويعيبهم ويطعن عليهم بينما لنفسه مداهن متساهل في أمر نفسه لا يذكر لها عيباً ولا يرى فيها نقصاً...

٣٠ ـ اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء: من شدة حبه للدنيا وتعلقه بها يرى اللهو مع الأغنياء وأصحاب المال في الملاهي والبارات أحب إليه من مجالس الذكر مع الفقراء، فهو لا يحب طاعة الله مع الفقراء بل يؤثرها بمعصيته مع الأغنياء...

٣١ ـ يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره: فهو يصدر الحكم على الغير

لصالح نفسه بينما لا يحكم لغيره على نفسه ولا يدين نفسه لصالح غيره. . .

٣٢ ـ يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي: إنه يهدي غيره إلى الطرق السليمة وما فيه فوزه ونجاته بينما هو نفسه يضل وينحرف ويعدل عن الاستقامة والهدى فهو يطاع من قبل غيره ممن يسمع له بينما هو يعصي ويتمرد على كل من يأمره بخير أو يهديه إلى هدى. . .

٣٣ ـ ويستوفي ولا يوفي: إذا كان له على الناس حق أخذه كاملاً تاماً غير منقوص بينما إذا كان للناس عليه حق لا يسلمهم حقهم كاملاً متكاملاً وهذا يدخل في قوله تعالى: **﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾**[(١)].

٣٤ ـ ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه: يخاف من العباد ويحسب لهم ألف حساب في أمر ليس لله وهذا يستدعي أن يعصيه ليرضيهم. . .

وكذلك لا يخاف ربه في عباده أي لا يطيعه في الإحسان إليهم وعدم الأذية لهم. . .

---

١٥١ ـ وقال عليه السلام: لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.

الشرح

إذا كانت الكلمة «لكل أمرٍ» فهذه دعوة منه إلى تدبر الأمور والنظر في عواقبها فإن كانت حلوة أقدم عليها كالنظر إلى الآخرة وما وراءها من سعادة دائمة فيقبل عليها. . . وإن كانت العاقبة مرة وسيئة كالإقبال على الدنيا وما فيها من متاعب وآثار سيئة اجتنبها وابتعد عنها بل سخرها للآخرة. . .

وأما إذا كانت الكلمة «لكل امرىء» فهذا كقوله تعالى: **﴿يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾** فنهاية بعض الناس إلى الجنة وبعضهم إلى النار والأولى عاقبة حلوة والثانية عاقبة مرة.

---

(١) سورة المطففين، آية/ ١ ـ ٢.

١٥٢ ـ وقال عليه السلام: لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

الشرح

الشباب والصحة والجاه والمال كلها إذا أقبلت عليك فإنها ستدبر عنك وستتركها قهراً عنك وما أدبر عنك كأن لم يكن وكأنه لم يوجد وكأنك لم تتنعم به فهي إذاً حقيرة سخيفة لا يجوز للإنسان أن يصرف همه إليها وهذا توجيه إلى الاهتمام بالأمور الباقية التي لا تفنى ككمالات النفس وتهذيبها والآخرة وما فيها. . .

---

١٥٣ ـ وقال عليه السلام: لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ[١] وَإِنْ طَالَ[٢] بِهِ الزَّمَانُ.

اللغة

١ ـ **الظفر** : الفوز.
٢ ـ **طال** : امتد.

الشرح

الصبر مهما كان قاسياً ومراً ومهما كان دربه طويلاً وشاقاً فإن لذة الظفر والفوز بالمطلوب تهوّنه وتسهله وتيسره على أهله وما من أمة صبرت إلا وظفرت وفي التاريخ شواهد كثيرة وعلى رأس القائمة أمتنا الإسلامية في ابتداء تكوينها. . .

---

١٥٤ ـ وقال عليه السلام: الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ. وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ[١] الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَى بِهِ.

اللغة

١ ـ **الإثم** : الذنب.

الشرح

هناك مرتكب للحرام في الخارج يمارسه في سلوكه وعمله فيشرب الخمر أو يزني، وهناك إنسان بعيد عن ذلك ولكنه راضٍ بهذا الفعل يقبله من غيره وهنا على الفاعل إثمان إثم الرضى وإثم الممارسة والفعل وعلى الراضي بذلك إثم واحد هو إثم الرضى بما يرتكب من الحرام...

فإن قلت: لماذا يأثم الراضي بفعل الحرام من غيره مع أنه هو شخصياً لم يمارس الحرام...

قلت: إن هذا الراضي بفعل الحرام متمرد على الله عاصٍ له من حيث إنه في عمقه الداخلي يرضى بمعصية الله ومن يرضى بمعصية الله فهو متمرد عليه لأن ذلك دليل مرضه من الداخل ومن مقتضى الإيمان أن لا يرضى المؤمن بمعصية الله وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم.

١٥٥ ـ وقال عليه السلام: اْعْتَصِمُوا[١] بِالذِّمَمِ[٢] فِي أَوْتَادِهَا[٣].

اللغة

١ ـ **اعتصموا** : تحصّنوا.
٢ ـ **الذمم** : العهود.
٣ ـ **الأوتاد** : جمع وتد ما رز في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه.

الشرح

قالوا: إن هذه الكلمة قالها بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبايعوه منهم مروان بن الحكم فقال: وماذا أصنع ببيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس يعني بعد مقتل عثمان ثم أمر بإخراجهم ورفع نفسه عن مبايعة أمثالهم وتكلم بكلام ذكر فيه ذمام العرب وذمام الإسلام وذكر أن من لا دين له لا ذمام له ثم قال في أثناء الكلام هذه الكلمة: أي إذا صدرت عن ذوي الدين فاقبلوها أما من لا دين له لا عهد له...

وبعبارة أخرى: اتخذوا أصحاب الدين دخلاء صدق واقبلوهم اخواناً لكم ولا تقبلوا الخونة ومن لا دين لهم...

١٥٦ ـ وقال عليه السلام: عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لاَ تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ.

الشرح

عليكم بطاعة الله ورسوله والإمام الذي يخلف الرسول في منصبه فإن معرفتهم واجبة ولا يعذر المرء إذا جهلها فوجب الالتزام بطاعتهم...

وقال ابن أبي الحديد وقوله حق في الجملة: يعني نفسه عليه السلام وهو حق على المذهبين جميعاً أما نحن فعندنا أنه إمام واجب الطاعة بالاختيار فلا يعذر أحد من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته وأما على مذهب الشيعة فلأنه إمام واجب الطاعة بالنص فلا يعذر أحد من المكلفين في جهالة إمامته وعندهم أن معرفة إمامته تجري مجرى معرفة محمد ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ومجرى معرفة الباري سبحانه ويقولون: لا تصح لأحد صلاة ولا صوم ولا عبادة إلا بمعرفة الله والنبي والإمام. وعلى التحقيق فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى لأن من جهل إمامة علي عليه السلام وأنكر صحتها ولزومها فهو عند أصحابنا مخلد في النار لا ينفعه صوم ولا صلاة لأن المعرفة بذلك من الأصول الكلية التي هي أركان الدين ولكننا لا نسمي منكر إمامته كافراً بل نسميه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك والشيعة تسميه كافراً فهذا هو الفرق بيننا وبينهم وهو في اللفظ لا في المعنى.

١٥٧ ـ وقال عليه السلام: قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ ٱهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ ٱسْتَمَعْتُمْ.

الشرح

هذه الآثار نراها بأم العين، إنها آثار من تقدم علينا ومخلفاتهم فيجب أن نتبصر بها ونعتبر ونأخذ الحكمة من ذلك.

وهذه أبواب الهداية مفتوحة أمامنا لو أردنا أن نهتدي لأهتدينا.

وهذه نداءات الله على ألسنة الرسل وهذه عظات الصالحين تملأ الخافقين لمن أراد أن يسمع فكل هذه الآيات أمامنا ينبغي أن نعتبر بها...

١٥٨ ـ وقال عليه السلام: عَاتِبْ(١) أَخَاكَ بِٱلإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَٱرْدُدْ(٢) شَرَّهُ بِٱلإِنْعَامِ(٣) عَلَيْهِ.

اللغة

١ ـ عتب عليه : أنكر عليه شيئاً من فعله.
٢ ـ اردد : اصرف.
٣ ـ الأنعام : العطايا.

الشرح

هذا هو أدب أئمتنا ومنهاجهم في تأديب شيعتهم... هذا هو سلوكهم مع من كان يؤذيهم... إنه الصفح والعفو والإحسان... لقد نالوا أكبر قسط ورجعوا بأوفر نصيب من هذه المكارم... لقد علموا الناس كيف يتجسد الإسلام بشراً يتحرك على هذه الأرض... فإذا أردت معاتبة أخيك فلا تقابله بالشدة والقسوة ولا بالكلمة القارصة بل قابله بالإحسان إليه والتفضل عليه وإذا آذاك فأكرمه وأنعم عليه حتى يعود إلى رشده ويلتفت إلى ربه ويرجع إلى ضميره...

---

١٥٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ(١) فَلاَ يَلُومَنَّ(٢) مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ.

اللغة

١ ـ التهمة : ما يتهم به وهو الظن به.
٢ ـ اللوم : العذل.

الشرح

أنت تقيم في الخمارة وعلى أبواب الدعارة وتتردد باستمرار على بيوت الفساد واللهو وتريد من الناس أن يحسنوا الظن بك هذا أمر محال بل لا بد وأن يظنوا بك ظن

السوء نتيجة مواقفك ومداخلك السيئة فإذا أساؤوا بك الظن فلا تلومنهم بل يجب أن تلوم نفسك التي لم تتنزه عن هذه المحلات القبيحة... وهذه دعوة إلى تجنب الأماكن التي يتهم بها المرء ويساء الظن به من خلالها...

١٦٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ مَلَكَ ٱسْتَأْثَرَ[١].

اللغة

١ ـ استأثر : استبد.

الشرح

من طبيعة الحاكم أن يستبد ومن طبيعته أن يستأثر لنفسه بأمور يحبها ويرغب فيها كما أنه يرفض لغيره أن يشاركه فيها ولا أقل أنه يستأثر بمركز القيادة ومركز القرار ولا يرضى أن يتنازل عنه لأحد ومن هذا المركز تتفرع كل الاختصاصات الأخرى...

---

١٦١ ـ وقال عليه السلام: مَنِ ٱسْتَبَدَّ[١] بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا.

اللغة

١ ـ استبد : استقل به منفرداً.

الشرح

من استقل برأيه واكتفى به دون أن يرجع إلى أصحاب الخبرة والدراية وأهل المعرفة فإنه يهلك لأنه يملك عقلاً واحداً ليس معصوماً عن الخطأ.

ومن شاور الناس فأبدوا آراءهم وعرف ما عند كل واحد منهم فكأنه شاركهم في عقولهم فيختار ما هو أصلح وأنجح من الآراء والمقترحات وهذا ترغيب في المشاورة

وتنفير عن الانفراد بالرأي والاستقلال به وليس كل أحد يستشار وليس في كل قضية تكون الاستشارة فهناك شروط يجب أن تتوفر فيمن تستشيره وأهمها أن يكون متديناً ملتزماً خبيراً فيما تستشيره فيه إلى غير ذلك مما يجب توفره في المستشير . . .

---

١٦٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ(١) كَانَتِ ٱلْخِيرَةُ(٢) بِيَدِهِ.

اللغة

١ ـ **كتم السر** : أخفاه.

٢ ـ **الخيرة** : الخيار.

الشرح

ترغيب في كتمان السر، وإن من كتم سره ولم يفشه لأحد كان الخيار بيده إن شاء أذاعه وأظهره متى شاء وإن شاء احتفظ به وأبقاه عنده . . .

وأما إذا أفشاه فقد صار عند غيره وامتنع هذا الخيار وصار سره في عهدة غيره . . .

---

١٦٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلْفَقْرُ ٱلْمَوْتُ ٱلأَكْبَرُ.

الشرح

كأنه عليه السلام قسم الموت إلى قسمين.

القسم الأول هو المعتاد بين الناس الذي يتم بانقضاء الحياة فيستوفي الإنسان أجله عند تمامه وهذا هو الموت الأصغر.

القسم الثاني هو الموت الأكبر الذي يكون ضمن الفقر وذلك لأن الفقير لا يصل إلى رغباته ويبقى يكابد ألم الحاجة ومسّ الضر بما يحمل ذلك من مرارة وقساوة وعدم استقرار وقد يصل الأمر بالفقير أن يطلب الموت أكثر من مرة من أجل التخلص مما هو فيه وهذا الطلب للموت دليل على أن ما هو فيه أكبر مما سيقع عليه من الموت الذي

يختم الحياة وينهي وجود هذا الإنسان.

وهذه واحدة من كلمات الإمام التي يذكر فيها الفقر ويصفه بالموت الأكبر وله عليه السلام كلمات منها قوله: الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت ومنها مساوته بالكفر حيث قال: كاد الفقر أن يكون كفراً وهكذا...

١٦٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ قَضَى(١) حَقَّ مَنْ لاَ يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ.

اللغة

١ ـ قضى : أدى.

الشرح

هناك قراءة «عبّده» بالتشديد ويكون المعنى أن من أنعمت عليه ابتداءً فقد جعلته عبداً بإحسانك وإنعامك عليه لأنه لا يستحق ذلك منك ولكن تفضلاً منك فتعبّده بإحسانك.

وأما إذا كانت «عبده» بالتخفيف فيكون المعنى أنك إذا قضيت حق من لا يستحق قضاء الحق فقد عبدته أي عندما يقضي الإنسان حق الغير بدون استحقاق ولا خوف ولا رجاء فقد اعتبره يستحق ذلك لذاته وهذا معنى العبودية الصرفة...

١٦٥ ـ وقال عليه السلام: لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ.

الشرح

في الأصل يجب أن تكون الطاعة لله لأنه الخالق الذي أفاض علينا الوجود فشكره يتجسد في طاعته ومن هذه الطاعة تتفرع الطاعات الأخرى كطاعة الرسول باعتباره مبلغاً لرسالة الله ـ وطاعة الأئمة ـ باعتبارهم خلفاء رسول الله ـ وطاعة الوالدين أو الزوجة

لزوجها ـ فلأن الله أمر بذلك ومن هنا فكل طاعة يكون فيها معصية لله لا تقبل. . . فلو أمرت بترك الصلاة أو السرقة أو بأمر فيه حرام فلا طاعة للآمر إذا كانت مؤدية إلى معصية الله والانحراف عن أوامره. . .

وهذه دعوة إلى رفض كل أمر يتعارض مع أمر الله. . .

١٦٦ ـ وقال عليه السلام: لَا يُعَابُ ٱلْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.

الشرح

قال ابن أبي الحديد: إن هذا الكلام منه عليه السلام جواب لسائل سأله: لِمَ أَخّرت المطالبة بحقك من الإمامة؟ فأجابه بهذا الجواب.

وكأنه عليه السلام يريد أن يقول للسائل: لا عيب ولا غضاضة إذا أخّر المسلم المطالبة بحقه إذا كان له عذر في التأخير كحدوث فتنة وما أشبهها وإنما العيب على من أخذ ما ليس له بحق فذلك هو المجرم والمنحرف وفي هذا طعن على من سلبه حقه واستبد به دونه. . .

١٦٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلإِعْجَابُ يَمْنَعُ ٱلازْدِيَادَ.

الشرح

الاعجاب بالنفس أن يراها قد بلغت الكمال والغاية العظمى وإذا رأى المرء نفسه كذلك امتنع عن طلب الزيادة وارتفع عن اكتساب الكمال لظنه أنه لا زيادة حتى يطلبها. . .

وقد وردت الأحاديث في ذم العجب وبيان أخطاره وعواقبه السيئة.

في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه

ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله ذلك فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه.

وقال رسول الله (ص) في حديث: ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

١٦٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلأَمْرُ قَرِيبٌ وَٱلاصْطِحَابُ[١] قَلِيلٌ.

اللغة

١ ـ اصطحبه : جعله في صحبته.

الشرح

مراده بالأمر «الموت» وليس هناك أقرب منه فالإنسان في كل يوم يتحرك نحو أخرته ولكن ما يأخذه معه من الدنيا قليل جداً فهو لا يفعل الخير بل يزهد فيه وهذا هو ما يصطحبه معه وما ينفعه ويفيده وهو قليل قلما يتنبه الإنسان له...

١٦٩ ـ وقال عليه السلام: قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ.

الشرح

أراد أن يبين أن الحق واضح جلي فمن أراد الرشاد استرشد وأما من أراد أن يحوم حول الشُبه ويتمسك بالأباطيل فلن تنفعه كل الحجج والبراهين.

١٧٠ ـ وقال عليه السلام: تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ ٱلتَّوْبَةِ.

الشرح

ترك الذنب أي عدم ارتكابه أمر ميسور مقدور لا يحتاج إلى كلفة ولا زيادة مؤنة.

وأما التوبة فإنها تحتاج إلى مقدمات قد تتوفر لمن أراد التوبة وقد لا تتوفر وقد

يعجز عنها وقد لا يقدر عليها كمن أذنب بسرقة أموال الناس وبعد إنفاقها أراد التوبة ثم عجز وأفلس فمثل هذا لا تسقط التوبة حقوق الناس بل يبقى يُطالب بها فلو ترك النذب من رأس لكان أهون عليه من طلب التوبة الآن . . .

١٧١ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ أَكَلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ! .

الشرح

أضحت هذه الكلمة مثلاً سائراً يتناقله الناس وهو يضرب لمن فعل فعلاً كان سبباً في حرمانه من غيره من الأمور الطيبة الأخرى فصار إفراطه سبباً في حرمانه .

وأصله : إن الرجل يأكل حتى يتخم فيحمى عن الأكل ويؤمر بالكف عن تناوله عدة أيام فتكون الأكلة الزائدة سبباً في منعه من تناول الأكلات الأخرى أثناء الحمية بل ربما أدت هذه الأكلة إلى الموت إذا ازدادت زيادة فاحشة . . .

١٧٢ ـ وقال عليه السلام: النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

الشرح

إذا جهلت أمراً أو حكماً أو قضية تعاملت معها معاملة العدو من حيث بُعدك عنها وعدم اهتمامك بشأنها بل قد تحاربها إذا توفرت لك الظروف ـ اعتقاداً منك بأنها باطلة أو سخيفة أو لا يجوز بقاؤها غافلاً عن وجه المصلحة والمنفعة فيها لجهلك ـ ومن هنا كان العلم الذي هو ضد الجهل يفتح القلوب وينير الأذهان ويكشف الظلمات ويوقف الإنسان أمام الأشياء بدقة وعلى الوجه السليم .

١٧٣ ـ وقال عليه السلام: مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ ٱلْخَطَإِ .

الشرح

في الحوزات العلمية والجامعات وعند العلماء المحققين أنهم عندما يطرحون مسألة عليهم أن يذكروا جميع الأقوال فيها وكل الاحتمالات الممكن فرضها والتي يمكن أن تتحمله المسألة ثم يبدأون بمناقشة كل رأي مستقلاً وكذلك كل احتمال حتى يأتوا على الآراء كلها فيبطلوها ثم يتبنون رأياً لهم خاصاً يدعمونه بالأدلة والبراهين وهكذا كل قضية فإذا عرضت على العلماء الآراء عرفوا الخطأ من الصواب فرفضوا الخطأ وتبنوا الصواب. . .

---

١٧٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَحَدَّ[1] سِنَانَ[2] ٱلْغَضَبِ للهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ ٱلْبَاطِلِ.

اللغة

١ ـ أحدّ : بفتح الهمزة والحاء وتشديد الدال أي شحذ.

٢ ـ السنان : نصل الرمح.

الشرح

من تنمّر لله وأخذته العزة في سبيل الله استطاع أن يقهر الباطل مهما كان قوياً وعظيماً وجباراً فموسى النبي الضعيف في موازين البشر استطاع بصبره وجلده وتمسكه بدينه أن يقهر فرعون ويذله ويزيل دولته وينهي حكمه.

والنبي محمد بقوة إيمانه وثبات عقيدته وهو يتيم استطاع أن يقضي على الجاهلية بكل رموزها وعاداتها وتقاليدها ويبني الإسلام في نفوس الناس وفي الحياة وهكذا يستطيع كل إنسان مؤمن أن يسير على نفس الطريق التي سلكها موسى ومحمد والأنبياء ويقضي على الباطل بكل أشكاله وألوانه. . .

١٧٥ ـ وقال عليه السلام: إِذَا هِبْتَ[١] أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيه[١] أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ.

اللغة

١ ـ هبت أمراً : خفت منه.
٢ ـ التوقي : الاحتراز.

الشرح

إذا كنت تتخوف من قضية فأطرق أبوابها بحكمة وحذر واستعد لها بالأمور الممكنة عندك التي يجب توفرها لمثلها ولا تحجم عن اقتحامها وتعيش متردداً في اتخاذ القرار بحقها، فإن التردد والتهيب منها أعظم هماً وأسى على النفس من اقتحامها وهذا مجرّب بالوجدان فإنك تتهيب وتخشى أن تقابل شخصية معينة وقبل لقائه تقف تفكر كيف يستقبلك وتحسب لكلماتك كل كلمة حسابها فإنت تعيش لحظات ما قبل اللقاء بأشد صعوبة مما تعيشها أثناؤه بل عندما تلتقي معه تتبدد كل تلك المحاذير والمخاوف ويذهب التهيب بالكلية...

---

١٧٦ ـ وقال عليه السلام: آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

الشرح

الرياسة تعني الزعامة، والزعامة تختلف فقد تضيق وقد تتسع وباعتبار أنها تتطلب تصريف أمور الناس وحلّ مشكلاتهم ودرس قضاياهم، وقد يعرض على الرئيس السلم تارة والحرب أخرى والمهادنة ثالثة وهذه الأمور كلها تحتاج إلى الإنسان الذي يتحملها ويحملها بسعة صدر ويستقبلها بكل هدوء وسرور فيقضي حاجة المحتاج دون ضجر ويحل عقدة الآخر دون ملل ويرفع النزاع ثالثة وهكذا دواليك وهذه تحتاج إلى صبر وأناة وسعة صبر ليستوعب الناس ويحتملهم وهذا من لوازم الرياسة وصفات الرؤساء والزعماء.

١٧٧ ـ وقال عليه السلام: ٱزْجُرِ[١] ٱلْمَسِيءَ بِثَوَابِ ٱلْمُحْسِنِ.

اللغة

ـ الزجر : الصيحة بشدة وانتهار، المنع.

الشرح

هذا أسلوب من أساليب التربية أن تكرم المحسن وتثيبه وتكافئه وبهذا من جهة تشجع المحسن وتقوّي عزيمته ليزداد إصراراً في شق طريق نجاحه وتكامله وتقديم أعظم الإنجازات ومن جهة أخرى تأنيب للمسيىء وزجر له عن إساءته لأنه عندما يرى نتيجة الإحسان والنجاح يؤنبه ضميره ويحس من نفسه أن عليه أن يشد العزيمة ويطرد الكسل ويلتحق بركب الناجحين والعاملين المحسنين. . .

---

١٧٨ ـ وقال عليه السلام: ٱحْصُدِ[١] الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ[٢] مِنْ صَدْرِكَ.

اللغة

١ ـ الحصاد : بالفتح والكسر قطع الزرع وهو يكون من على وجه الأرض.

٢ ـ القلع : انتزاع الشيء من أصله.

الشرح

إذا أردت أن تقتل الشر المتمثل بالحقد والحسد والغل والضغينة وغيرها من قلوب الناس فابدأ بقتلها من نفسك أولاً فإن استطعت القضاء عليها واجتثاث جذورها من نفسك فأنت على القضاء عليها من نفوس الآخرين أقوى وأقدر.

وقال بعضهم: إن معنى الكلمة: لا تضمر لأخيك سوءاً فإنك لا تضمر ذلك إلا يضمر لك ذلك لأن القلوب يشعر بعضها ببعض فإذا صفوت لواحد صفا لك.

١٧٩ ـ وقال عليه السلام: اللَّجَاجَةُ[١] تَسُلُّ الرَّأْيَ[٢].

اللغة

١ ـ **اللجاجة** : شدة الخصام تعصباً لا للحق.

٢ ـ **سل الشيء** : انتزعه وأخرجه برفق.

الشرح

اللجاجة تعني الإصرار على الإنكار والتمرد في وجه القضايا المطروحة بحيث يفقد اللجوج الصبر والتروي وبذلك يؤثر على رأيه ووعيه ولا يعود يسمع كلمة الحق أو ينصاع إلى العقل أو يستمع إلى المحاور فيبقى في إطار نفسه ينغلق عليها ويفقد صحة الرأي وسلامته الذي يمكن أن يحصل عليه بالحوار والنقاش...

---

١٨٠ ـ وقال عليه السلام: الطَّمَعُ رِقٌّ[١] مُؤَبَّدٌ[٢].

اللغة

١ ـ **الرق** : العبودية.

٢ ـ **المؤبد** : من الأبد وهو الدهر.

الشرح

الذي يعيش الطمع وينظر باستمرار إلى ما في أيدي الناس يترقب منهم دائماً إمداده وإعطاؤه، هذا الإنسان يعيش الذل والهوان ويقبل الاستعباد والاستبداد فهو عبد مؤبد لا ينفك عن العبوّدية لطمعه ولمن يطمع به ولما يطمع فيه...

وهذه دعوة إلى التخلي عن الطمع والاكتفاء بما قسم له الرحمن وما كسبته يداه...

١٨١ ـ وقال عليه السلام: ثَمَرَةُ(١) التَّفْرِيطِ(٢) النَّدَامَةُ، وَثَمَرَةُ ٱلْحَزْمِ(٣) السَّلَامَةُ.

اللغة

١ ـ **الثمرة** : ما تحمله الشجرة.

٢ ـ **التفريط** : التقصير.

٣ ـ **الحزم** : ضبط الأمور والاستيقان منها.

الشرح

إذا كان الإنسان مطلوباً بأمر ما ثم فرّط فيه وقصّر ولم يستعد له أو يتأهب فإنه سيفشل وستكون نتيجته الندم والخزي فمن فرّط في العمل لأجل الآخرة ولم يستعد لها سيحصد الندامة والخزي يوم القيامة ثم النار.

وأما من استعد وتأهب وشمّر وبادر إلى تحصيل المقدمات فقام بالواجبات وانتهى عن المحرمات وأدى ما هو مطلوب منه فإنه سيفوز يوم الحساب وينجح وله الجنة خالداً فيها...

---

١٨٢ ـ وقال عليه السلام: لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ(١) عَنِ ٱلْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ.

اللغة

١ ـ **الصمت** : السكوت.

الشرح

إذا كنت تعرف وجه الحق وعين الصواب فلا خير في سكوتك إن سكت بل أنت آثم في هذا السكوت يجب عليك أن تبين الحقيقة وتجهر بالصواب وتظهر الحكم

الصحيح كما أنه إذا كنت تجهل وجه الحق فلا خير في قولك ولا بورك في منطقك لأنه قول بالباطل وكلام بغير الحق.

١٨٣ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً.

الشرح

لأن الحق واحد لا تعدّد فيه كانت إحدى الدعويين باطلة وضالة ومنحرفة عن الصراط المستقيم.

وربما كانتا معاً على ضلالة وانحراف ولذا عبّر عليه السلام بأن (إحداهما ضلالة) وهو لا ينفي كونهما معاً على ضلالة إذ ربما لم تكن إحداهما على حق...

١٨٤ ـ وقال عليه السلام: مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ.

الشرح

رأى الإمام الحق بعينه وأدركه بحسه وعاشه في وجدانه وأحياه في قلبه فاستحكمت الرؤية وانجلت كأظهر ما يكون... أخذ الحق من الرسول الأعظم مباشرة دون واسطة ولذا لم يخامره شك ولم يعترضه تردد وقد قال النبي فيه: «علي مع الحق والحق مع علي اللهم أدر الحق معه كيف دار».

١٨٥ ـ وقال عليه السلام: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بِي.

الشرح

هذا هو منطق العظماء الشرفاء في الدنيا لا يكذبون في حديثهم. . . إنهم صادقون مع الله ومع أنفسهم ومع الناس في منطقهم وسلوكهم وحركة حياتهم كما أنهم لم يجعلوا للناس طريقاً للطعن فيهم وتكذيبهم. . . إنهم دائماً على الهدى والحق إنهم قادة الحق وهداة البشر فلم يضلوا ولم يضلل بهم أحد. . .

١٨٦ ـ وقال عليه السلام: لِلظَّالِمِ ٱلْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ(١).

اللغة

١ ـ **العضّ** : الإمساك بالأسنان.

الشرح

هذا تقبيح للظلم وتنفير منه وأن المبتدىء بالظلم غداً تأخذه الندامة على فعله ويجازى عليه بأسوأ ما عمل وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**يوم يعضّ الظالم على يديه**﴾.

١٨٧ ـ وقال عليه السلام: الرَّحِيلُ وَشِيكٌ(١).

اللغة

١ ـ **وشيك** : قريب.

الشرح

هذا بيان لسرعة انقضاء الدنيا والرحيل عنها إلى عالم الآخرة وأن على الإنسان أن يعدّ العدة ويستعد لمواجهة ما سيقدم عليه ويحاسب من أجله. . .

١٨٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَبْدَى[١] صَفْحَتَهُ[٢] لِلْحَقِّ هَلَكَ.

اللغة

١ ـ أبدى : أظهر.
٢ ـ صفحة الوجه : ناحيته.

الشرح

من وقف في وجه الحق وعانده وأراد محاربته هلك لأن الحق لا بد وأن ينتصر ولا بد وأن تكون الهزيمة لمن وقف في وجهه وعانده.

---

١٨٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ لَمْ يُنْجِهِ[١] الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ[٢].

اللغة

١ ـ نجاه : خلّصه.
٢ ـ الجزع : الحزن الشديد.

الشرح

هذا حث على الصبر وحمل عليه وإن كان صعباً وقاسياً ولكنه أقرب إلى الله وإلى النجاة من عذابه، فإن صاحب المصيبة إذا لم يصبر بل أصابه الجزع فإن يهلك نفسه من حيث إنه يقضي عمره مغموماً حزيناً وقد يموت من الغمّ...

---

١٩٠ ـ وقال عليه السلام: وَاعَجَبَاهُ! أَتَكُونُ ٱلْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ وَٱلْقَرَابَةِ؟.

قال الرضي: وروي له شعر في هذا المعنى:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى[١] مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهذَا وَٱلْمُشِيرُونَ غُيَّبُ[٢]؟
وَإِنْ كُنْتَ بِٱلْقُرْبَى حَجَجْتَ[٣] خَصِيمَهُمْ[٤] فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

اللغة

١ ـ **الشورى** : المشورة.
٢ ـ **غيّب** : جمع غائب وهو من لم يكن حاضراً.
٣ ـ **حججته** : انتصرت عليه.
٤ ـ **الخصيم** : المجادل.

الشرح

هذا إنكار منه عليه السلام ورفض للقول بأن الخلافة عن رسول الله تكون بالقرابة أو الصحابة لمجرد القرابة والصحابة وهذا ينسجم ويتصف مع مذهب الإمامية القائلين: لا بد وأن ينص النبي على الخليفة من بعده لأن الإمامة عندهم كالنبوة تحتاج إلى أن يكون الإمام معصوماً عن الخطأ والزلل وهذه الملكة النفسية لا يمكن للبشر أن يطلعوا عليها فلذا يخبر عنها النبي ويعين من بعده الولي...

وأما الشعر فواضح المعنى ومفاده أن الخلافة التي صارت إلى أبي بكر لا تخلو إما أن تكون بالشورى وهذا لم يتم لأن أصحاب المشورة الحقيقيون كانوا غائبين في شغل شاغل وهو تجهيز رسول الله ودفنه وهم أهل البيت وعلى رأسهم سيدهم أمير المؤمنين.

وإما أن تكون الخلافة بالقرابة من رسول الله وهذا لم يتم في أبي بكر لأن هناك من هو أقرب إلى النبي منه يعني به نفسه الشريفة وأهل البيت كالحسن والحسين والعباس بن عبد المطلب وبني هاشم...

---

١٩١ ـ وقال عليه السلام: إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ[١] تَنْتَضِلُ[٢] فِيهِ ٱلْمَنَايَا[٣]، وَنَهْبٌ[٤] تُبَادِرُهُ[٥] ٱلْمَصَائِبُ[٦]، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ[٧] شَرَقٌ[٨].

وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ(٩). وَلاَ يَنَالُ ٱلْعَبْدُ نِعْمَةً إِلاَّ بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلاَ يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَنَحْنُ أَعْوَانُ(١٠) ٱلْمَنُونِ(١١)، وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ ٱلْحُتُوفِ(١٢)، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو ٱلْبَقَاءَ وَهٰذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً(١٣)، إِلاَّ أَسْرَعَا ٱلْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!.

اللغة

١ ـ الغرض : الهدف المرمي.
٢ ـ تنتضل فيه : تصيبه وتثبت فيه.
٣ ـ المنايا : جمع منية وهي الموت.
٤ ـ النهب : المنهوب وهو المسلوب.
٥ ـ بادر : أسرع.
٦ ـ المصائب : البلايا.
٧ ـ الجرعة : البلعة.
٨ ـ شرق : غص بالريق.
٩ ـ الغصة : الشجى في الحلق.
١٠ ـ أعوان : مساعدون.
١١ ـ المنون : المنية، الموت.
١٢ ـ الحتوف : الهلاك، الموت.
١٣ ـ الشرف : العالي من الشيء.

الشرح

هذه موعظة بليغة لهذا الإنسان وقد ذكر له جملة أمور تنغّص عليه حياته وتقلقه وتصيبه في نفسه ذكرها لينفي عن هذا الإنسان السعادة في الدنيا وأن لا بد له من الرحيل عنها إلى عالم آخر هو مكان السعادة وموطنها وهذه الأمور هي:

١ ـ إنما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا: فالإنسان في الدنيا هدف يرميه الموت بسهامه التي هي المرض والعلل وسائر الأمور المهلكة.

٢ ـ ونهب تبادره المصائب: شبه الإنسان بالمال المنهوب الذي يريد كل إنسان

أخذه وكذلك المصائب والبلايا تتناوش هذا الإنسان وتتناوله من كل جانب.

٣ ـ ومع كل جرعة شرق: مع كل شربة ماء ما ينغّصها حيث يشرق بها ولا يكاد يستسيغها.

٤ ـ ومع كل أكلة غصص: ما يختاره من الأطعمة ليلتذ به يغصّ فيه وتتنغّص لذته فيه.

٥ ـ لا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى: فإذا توفق إلى نعمة المال تراه تسلب منه الراحة وهدوء البال وإذا توفرت له نعمة الصحة ابتلي بفساد الأولاد وهكذا دواليك.

٦ ـ ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله: فلا يدخل في يوم غد إلا وقد فارقه يوم أمس وبذلك يقترب أجله وتدنو منيته مع كل يوم يأتي. . .

٧ ـ فنحن أعوان المنون وأنفسنا نصب الحتوف: نحن نساعد الموت في القضاء علينا فالأكل والشرب والملذات لا بد لنا منها وهي أدوات في تخريب بنيتنا فترى المعدة تصاب بالداء وترى اللذة توجب ضعف البدن وهزاله ومن هنا نعرف أن أنفسنا هدف يقصده الموت ويركز اهتمامه به لينهي وجوده من الدنيا ويرفع أثره منها.

وأخيراً استفهم مستنكراً على من يرجو البقاء في الدنيا وحكم أنه لا بقاء له وكيف يبقى والليل والنهار ما بنيا شيئاً إلا وهدماه وما رفعا أحداً إلا وأسقطاه فترى كيف يهدما الأجساد العامرة بعد أن بنياها ويردا المرء إلى أرذل العمر بعد العلم والمعرفة وهكذا يهدما كل شيء بمرورهما عليه وبما يحدث فيهما من حوادث.

١٩٢ ـ وقال عليه السلام: يَا بْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ(١) فَوْقَ قُوتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ(٢) لِغَيْرِكَ.

اللغة

١ ـ كسب : ربح.

٢ ـ خازن : حافظ وجامع.

الشرح

هذه دعوة إلى عدم جمع المال وتخزينه وكنزه بل دعوة إلى الإنفاق على النفس وعلى الأهل وعلى العيال، دعوة إلى إخراج الحقوق وإلى قضاء حاجات الناس بما لديك . . .

وإن واقع الأمر وحقيقته أن الإنسان مهما جمع فأوعى من الأموال والعقارات فإنه سيتخلى عنها جميعاً قهراً عنه وسيتركها للوارث يتنعم بها ويصرفها على ملذاته وشهواته فأنت بجمعك المال تكون خازناً له .

١٩٣ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قَبْلِ[١] شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.

اللغة

١ ـ من قبل : من ناحية .

الشرح

دعوة إلى الرفق واللين والدخول إلى القلوب من المنافذ التي تريحها وهذا مدرك بالوجدان لمن أراد النجاح فإن بعض الأعمال يرغب بها الإنسان ويشتهيها فتراه إذا مارسها واشتغل فيها حقق تقدماً ونجاحاً وأما إذا كنت لا ترغب في أمر وحُمّلت عليه وأكرهت نفسك على القيام به فغالباً ما يخالفك النجاح ولا تفوز بالفلاح لأن الإنسان يملّ ويكلّ وفي مثل ذلك لا يثمر تحركه . . .

وبعبارة أخرى: إذا أقبلت القلوب على أمر فكونوا معها واحملوها عليه ورغبوها فيه وإذا أدبرت عن أمر فاتركوها وشأنها فإنها لن تفلح إذا أكرهت عليه . . .

١٩٤ ـ وكان عليه السلام يقول: مَتَى أَشْفِي غَيْظِي[١] إِذَا غَضِبْتُ؟

أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ ٱلانْتِقَامِ[٢] فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ.

اللغة

١ ـ الغيظ : أشد الغضب.

٢ ـ انتقم منه : أعاقبه.

الشرح

ترغيب في الصبر والعفو، والإمام ينظر إلى أشد ساعات ينفعل فيها الإنسان وهي ساعات الغضب فيقول إذا غضبت هل أستطيع أن أشفي غيظي وأبرد حرارة قلبي؟ إن ذلك غير ممكن بالنسبة لي لأنني حين أغضب إما أن أعجز عن الانتقام فيشمت بي الآخرون ويهدؤون روعي بقولهم: لو صبرت واحتسبت وبقولهم هذا أرى الهوان والامتهان فكأن قولهم يحمل سخرية واستهزاء لأنني لا أقدر على الانتقام.

وأما حين أقدر فيبادرون إلى القول لي: لو عفوت عمن أذنب معك وسامحته وغفرت له ولا مجال لترك هذه الخصلة الكريمة والالتزام بها لأنها خصلة يرغب الإسلام فيها ويريدها بل يطلبها من أتباعه...

١٩٥ ـ وقال عليه السلام وقد مر بقذر[١] على مزبلة[٢]: هٰذَا مَا بَخِلَ بِهِ ٱلْبَاخِلُونَ.

اللغة

١ ـ القذر : الوسخ وقد يطلق على الغائط.

٢ ـ المزبلة : مواضع الزبل وهو روث الحيوان.

الشرح

هذا الكلام منه عليه السلام لتقبيح فعل المتقاتلين على الدنيا وما فيها من طيبات الطعام. . . فأنت تبخل بالصدقة على الفقير لتوفر المبلغ لنفسك فتشتري به أكلة طيبة لذيذة فتأكلها وتتحول هذه الأكلة إلى قذارة مادية تنفر نفسك منها وتقتلك رائحتها. . . وهكذا الناس يتنافسون في المآكل الطيبة والولائم الثمينة الجيدة ونهايتها أنها تتحول إلى قذارة فينبغي للعاقل أن يخفف من التنافس على أكل الطيبات قدر الإمكان. . .

---

١٩٦ ـ وقال عليه السلام: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ.

الشرح

المال الذي يذهب دون مقابل هو المال الذي يذهب هدراً وهو المال الذي يذهب حقيقة ويجب أن يتأسف عليه الإنسان وأما المال الذي يكون مقابله عوض وبدل فهذا لم يذهب دون فائدة أو انتفاع بل ربما كانت الموعظة المستفادة من المال الذاهب أنفع وأجدى بكثير من ذهابه لأن في مقابله يتحقق العلم الذي يفوق ذهابه. . .

---

١٩٧ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ هذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ(١) كَمَا تَمَلُّ ٱلأَبْدَانُ، فَٱبْتَغُوا لَهَا(٢) طَرَائِفَ ٱلْحِكْمَةِ.

اللغة

١ ـ تمل : تسأم وتضجر.

٢ ـ ابتغوا لها : اطلبوا لها.

الشرح

تمر على الإنسان لحظات تقفل فيها منافذ الاستقبال في القلب لكثرة العمل وزيادة الملل حتى قد يصل الإنسان في بعض الأحيان إلى تشويه العمل والإساءة فيه فإذا رفّه عن

نفسه بنكتة أدبية طريفة أو فكاهة ظريفة أو نزهة لطيفة تعود إليه قوته ويستجد نشاطه ويكمل عندها مسيرته بنجاح وفلاح. . .

١٩٨ ـ وقال عليه السلام لما سمع قول الخوارج: «لا حكم إلاّ لله»: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ.

الشرح

قولهم: لا حكم إلا لله هي كلمة الحق المأخوذة من قوله تعالى: ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾ ولكنهم أرادوا بها الفتنة وإثارة الفوضى والمشاغبة على الحكم العادل. . . أرادوا من وراء طرحها الباطل وإضلال الناس وهكذا كثير من الشعارات التي تطرح وتكون شعارات حق ولكن وراءها الأهداف الباطلة المشبوهة كشعار الحرية والتحرر وغير ذلك. . .

١٩٩ ـ وقال عليه السلام في صفة الغوغاء[١]: هُمُ الَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا. وقيل: بل قال عليه السلام: هُمُ الَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فقيل: قد عرفنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ ٱلْمِهَنِ[٢] إِلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ ٱلْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَٱلْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ.

اللغة

١ ـ الغوغاء : أوباش الناس وعامتهم.
٢ ـ المهن : جمع مهنة، الحرفة.

الشرح

العامة من الناس المعبر عنهم بلغة العصر «الجماهير» إذا اجتمعوا واستطاع بعض المنحرفين أن يستغلهم خربوا الديار وأهلكوا العباد وإذا تفرقوا استفاد الناس عامة منهم

كما يستفيد بعضهم من بعض للعلة التي ذكرها الإمام من انصراف كل عامل إلى عمله...

٢٠٠ ـ وقال عليه السلام وأتى بجان[١] ومعه غوغاء فقال: لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ[٢].

اللغة

١ ـ **الجاني** : المذنب.

٢ ـ **السوأة** : الفاحشة، العورة، الخلة القبيحة.

الشرح

صورة منكرة تؤذي الشعور لما تحكي عنه وتنطق به... صورة إنسان ارتكب فعلاً قبيحاً فقبض عليه بالجرم المشهود فساقه المسؤولون ومشى خلفه العامة... لقد لملم هذا المشهد كل العاطلين عن العمل وكل الفضوليين... مشهد آذى الإمام فبادرهم بقوله: لا مرحباً ولا أهلاً بوجوه لا ترى إلا عند كل قبيح فكأنها نذير شؤم وعلامة على حدوث حدث غير كريم...

٢٠١ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقَدَرُ[١] خَلَّيَا[٢] بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ ٱلأَجَلَ[٣] جُنَّةٌ[٤] حَصِينَةٌ[٥].

اللغة

١ ـ **القدر** : ما قدره الله وكتبه.

٢ ـ **خلياه** : تركاه.

٣ ـ **الأجل** : مدة العمر المقدرة لحياة الإنسان.

٤ ـ **جنة** : بالضم وقاية.

٥ ـ **حصينة** : منيعة.

الشرح

هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين**﴾ ومن قوله تعالى: ﴿**ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون**﴾ فإن الملائكة الحفظة يحفظون الإنسان فإذا جاء أجله المقدر له والموت المحتوم عليه خلياه وشأنه فيقبض ملك الموت روحه... ثم أشار إلى أن الأجل إذا كان فيه متسع ووقت الموت لم يحن كفى بذلك حصناً حصيناً لا يمكن اختراقه ولا القضاء على صاحبه...

---

٢٠٢ ـ وقال عليه السلام وقد قال له طلحة والزبير: نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر: لَا، وَلكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي ٱلْقُوَّةِ وَٱلاسْتِعَانَةِ، وَعَوْنَانِ[١] عَلَى ٱلْعَجْزِ وَٱلأَوَدِ[٢].

اللغة

١ ـ عونان : مساعدان.

٢ ـ الأود : العجز البالغ.

الشرح

أراد طلحة والزبير أن يكونا شريكان للإمام في الحكم وإدارة البلاد على نحو يكون كل منهما نافذ الأمر يحلّ ويربط يفك ويعقد مقابل أن يبايعاه بالخلافة ولكن الإمام رد عليهم أن ذلك لا يمكن ولا يخدم المصلحة العامة نعم أنتما تقويان إن قوي الإسلام وقويتُ أنا وإن طرأ عجز لي فأنتم تعينانى على عجزي وترفعا تعبي...

---

٢٠٣ ـ وقال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، ٱتَّقُوا ٱللهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ[١] عَلِمَ، وَبَادِرُوا[٢] ٱلْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ.

اللغة

١ ـ أضمر : أسرّ في ضميره.

٢ ـ بادروا : أسرعوا.

الشرح

موعظة بالغة لعلها تصادف قلباً عامراً طيباً فترده إلى الله عبداً منيباً يحسب حساب ربه يوم القيامة...

اتقوا الله الذي إن قلتم سمع إنه السميع العليم وإن أضمرتم أمراً وأخفيتم سراً علم قال تعالى: ﴿**إنه يعلم السر وأخفى**﴾ وبادروا الموت واستعدوا له فإنكم إن هربتم منه أدرككم كما قال تعالى: ﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**﴾ وإن أقمتم أخذكم ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ وإن نسيتم ذكركم فهو في طلبكم مستمر على كل حال سواء كنتم مقيمين أم مرتحلين، ذاكرين له أم ناسين...

---

٢٠٤ ـ وقال عليه السلام: لاَ يُزَهِّدَنَّكَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لاَ يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدَ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ ٱلْكَافِرَ، ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾.

الشرح

المعروف كل فعل مطلوب منك شرعاً ولو على نحو الاستحباب كإعانة الضعيف والصدقة وسد عوز المحتاج والإحسان بشتى وجوهه، وهذا المعروف حسن بذاته ومأجور عليه فاعله، وكلمة الإمام فيها حض لفاعل المعروف أن لا يزهد ويمتنع عن فعل المعروف إذا لم يشكره عليه مَنْ فعله معه وقد رغبه بالمعروف والحال كذلك من وجوه ثلاثة.

١ ـ إنه قد يشكره عليه غير المحسن إليه ممن يسمع بإحسانه.

٢ ـ قد يكون شكر الشاكر ـ الذي سمع بصنيعك المعروف ـ أكثر من شكر المحسن إليه.

٣ ـ إن الإحسان بنفسه محبوب إلى الله والله يحب المحسنين...

٢٠٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ وِعَاءٍ[١] يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلاَّ وِعَاءَ ٱلْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ.

اللغة

١ ـ الوعاء : الإناء.

الشرح

ترغيب في طلب العلم وإن العقل كلما اكتسب علماً اتسع له وكلما ازدادت معارفك توسع وعاء العلم عندك فلا تقصر نفسك على بعض المسائل ثم تكتفي بها وهذا عكس الأمور المادية فالكوز له حجم معين لا يتسع لأكثر من حجمه وهكذا. . .

---

٢٠٦ ـ وقال عليه السلام: أَوَّلُ عِوَضُ ٱلْحَلِيمِ مَنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى ٱلْجَاهِلِ.

الشرح

الحلم ملكة يترفع الإنسان من خلالها أن يجاري السفيه في فعله أو يردّ عليه بالمقابل والمثل. والحلم في نفسه كمال، وفيه لذة تجرع الأذى وكظم الغيظ، وفيه أجر عظيم من الله.

والإمام هنا يذكر أول ثمرة للحلم وهي ثمرة كريمة، إن الناس يقفون إلى جانبك ضد الجاهل وهي نتيجة طيبة وثمرة عظيمة للحلم. . .

٢٠٧ ـ وقال عليه السلام: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً[١] فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ[٢] مَنْ تَشَبَّهَ[٣] بِقَوْمٍ إِلاَّ أَوْشَكَ[٤] أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

اللغة

١ ـ تحلّم : تصنّع الحلم.
٢ ـ قل : ضد كثر.
٣ ـ تشبه به : ماثله وجاراه في العمل.
٤ ـ أوشك : قارب.

الشرح

التحلم هو إظهار الحلم والتعود عليه وإن كان خلاف الطبع لهذا الإنسان ومن المعروف أن الإنسان يتغير طبعه إذا استطاع أن يضبط نفسه ويسيطر على أعصابه في أكثر المواقف فإذا أخذ بهذا القرار وأخذ في ترويض نفسه بالتدريج فإن ذلك على التكرار وطول الاستمرارتنشأ عنده عادة دائمة ويتحول عن طبعه الشاذ الغضوب إلى طبع الحلماء وأصحاب الملكات الطيبة الممدوحين.

---

٢٠٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

الشرح

هذه كلمات خالدات تعيد الإنسان إلى ذاته وتضع خطواته في الاتجاه الصحيح...

من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر: من حاسب نفسه عرف الربح والخسارة وأدرك مواقع الضعف والخلل فيها فتدارك ذلك وفكّر فيما يوجب الربح ويجبر الخسارة وأما إذا غفل عنها ولم يحاسبها فإنها تجره إلى المعصية والانحراف فيقع في الأمور المحرمة وتزل قدمه فيسقط في عالم المعصية وفي ذلك خسارة الدنيا والآخرة...

ومن خاف أمن: من خاف عذاب الله وحرّ ناره عمل على طاعته ومن أطاعه أمن من عذابه ونجا من ناره.

ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم: من نظر في مواقع العبرة مما جرى مع غيره وما مر على الناس من قبله أدرك الحقيقة وأبصر ما ينفع مما يضر وفهم العبر ثم علم نتائجها الحسنة الطيبة.

---

٢٠٩ ـ وقال عليه السلام: لَتَعْطِفَنَّ[١] الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا[٢] عَطْفَ[٣] الضَّرُوسِ[٤] عَلَى وَلَدِهَا، وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

اللغة

١ ـ **عطف إليه** : مال.
٢ ـ **وعطف عليه** : رجع عليه.
٣ ـ **الشماس** : بكسر الشين امتناع ظهر الفرس من الركوب.
٤ ـ **الضروس** : الناقة السيئة الخلق تعضّ حالبها.

الشرح

هذا إخبار منه عن حال الدنيا وكيف أساءت إلى أهل البيت وقلبت لهم ظهر المجن فعاشوا في عذاب وألم وتشريد وتطريد وشبهها بقساوتها وظلمها بالفرس التي لا تمكّن صاحبها من ظهرها وأنها وإن كانت بهذا المستوى من العناء لكنها سترجع إليهم وتعطف نحوهم وتكون معهم كالناقة التي تدفع حالبها لتحتفظ بحليبها لابنها عطفاً منها عليه وكذلك الدنيا ستتحول لصالح أهل البيت ولصالح شيعتهم عندما يظهر الإمام المنتظر ويتولى قيادة العالم وتصبح الأمور بين يديه وأما الاستشهاد بالآية فظاهر.

قال ابن أبي الحديد: والإمامية تزعم أن ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً في آخر الزمان...

---

٢١٠ ـ وقال عليه السلام: اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ[١] تَجْرِيداً[٢]،

وَجَدَّ(٣) تَشْمِيراً، وَكَمَّشَ(٤) فِي مَهَلٍ(٥)، وَبَادَرَ(٦) عَنْ وَجَلٍ(٧)، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ(٨) ٱلْمَوْئِلِ(٩) وَعَاقِبَةِ ٱلْمَصْدَرِ، وَمَغَبَّةِ(١٠) ٱلْمَرْجِعِ.

اللغة

١ ـ شمر للأمر : أراده وتهيأ له.
٢ ـ تجرد للأمر : تفرّغ له وجدّ فيه.
٣ ـ جد : اجتهد.
٤ ـ أكمش : أسرع.
٥ ـ المهل : الإمهال، ضد الإسراع.
٦ ـ بادر : أسرع.
٧ ـ الوجل : الخوف.
٨ ـ الكرّة : الرجعة.
٩ ـ الموئل : المرجع.
١٠ ـ المغبة : العاقبة.

الشرح

أمر عليه السلام بتقوى الله تقوى من شمر في ميادين الطاعة لبلوغ رضاه وتجرد من كل هوى وتفرغ في سبيل الحصول على مبتغاه، تقوى من أسرع وجد في مدة عمره الباقية إلى الأعمال الصالحة وعبّر عن ذلك ـ كمش في مهل ـ وأسرع إلى الأعمال المرغوبة والمحبوبة خوفاً من الله وعذابه. . . تقوى من نظر في العاقبة والنهاية وما سيؤل إليه أمر آخرته وخاتمة مصيره وما إليه سيرجع فيعمل ما يحمد عليه وما به تكون سعادته وانتصاره وفوزه. . .

---

٢١١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْجُودُ(١) حَارِسُ ٱلأَعْرَاضِ(٢)، وَٱلْحِلْمُ فِدَامُ(٣) السَّفِيهِ، وَٱلْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ(٤)، وَالسُّلُوُّ(٥) عِوَضُكَ(٦) مِمَّنْ غَدَرَ، وَٱلاسْتِشَارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدَايَةِ. وَقَدْ خَاطَرَ(٧) مَنِ ٱسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ. وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ

ٱلْحِدْثَانِ(٨)، وَٱلْجَزَعُ(٩) مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ. وَأَشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ ٱلْمُنَى(١٠). وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ! وَمِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ. وَٱلْمَوَدَّةُ(١١) قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ. وَلاَ تَأْمَنَنَّ مَلُولاً(١٢).

اللغة

١ ـ الجود	:	الكرم.
٢ ـ الأعراض	:	جمع عرض ما يحامي عنه الإنسان من حسب أو نسب أو شرف.
٣ ـ الفدام	:	بكسر الفاء شيء يُشد على الفم.
٤ ـ الظفر	:	الفوز.
٥ ـ سلوت عنه	:	صبرت عنه.
٦ ـ العوض	:	البدل.
٧ ـ المخاطر	:	الذي في معرض الهلاك.
٨ ـ الحدثان	:	نوائب الدهر.
٩ ـ الجزع	:	شدة الفزع والخوف.
١٠ ـ أعوان	:	مساعدون.
١١ ـ المنى	:	ما يتمناه الإنسان ويرغب فيه.
١٢ ـ المودة	:	المحبة.
١٣ ـ الملل	:	السأم والضجر.

الشرح

هذه كلمات عظيمة حاكية عن الواقع وفيها ترجمة للحياة... إنها كلمات خالدة نتيجة خبرة في الحياة وتجربة طويلة فيها.

الجود حارس الأعراض: الكرم يمنع الناس أن يتناولوك بالذم والتهكم والتهم وكم ستر الجود من عيوب فأنت تقطع لسان القريب والبعيد والصديق والعدو بكرمك وفي المثل الكرم ستار العيوب.

الحلم فدام السفيه: الفدام ما يسد به الفم ويمنع من الكلام والحلم عن السفيه يسد فمه ويمنعه من الاسترسال في سفهه وطيشه وقلة حيائه.

والعفو زكاة الظفر: إذا ظفرت بعدوك فهذا أكبر المنى وأعظم منن الله عليك فاجعل زكاة هذا الظفر وحقه عليك أن تعفو عن المغلوب وتصفح عنه فكما أنك لو ظفرت بمال وجب عليك أن تخرج زكاته كذلك لو ظفرت اجعل العفو زكاة الظفر.

والسلو عوضك ممن غدر: من كنت تنتظر الوفاء منه إذا غدر بك فاهجره واصطبر فإن في تناسيه عوضاً عن ذكره وذكر قبائحه.

والاستشارة عين الهداية: لأن الاستشارة تكشف وجوه الصواب والخطأ ويستطيع العاقل المستشير أن يكشف الصحيح من غير الصحيح والسليم من السقيم فتبادل الآراء وإجالتها تهدي الإنسان إلى الصواب...

وقد خاطر من استغنى برأيه: لأن الاستبداد بالرأي والاستقلال به دون مشورة الرجال يبقى قاصراً فيكون في معرض الخطأ والزلل والحكم غير الصائب...

والصبر يناضل الحدثان: نوائب الدهر ومصائبه وما يجري على الإنسان في الحياة من شدائد لا يمكن التغلب عليها كلها إلا بالصبر الذي يعني عدم الانهيار أمام الأحداث بل الثبات والرزانة والتفكير في الحلول المناسبة لها وبهذا ينتصر الإنسان عليها...

والجزع من أعوان الزمان: الزمان بما يحمل من أحداث ومشاكل ومصائب إذا أردت أن ينتصر عليك فوفر له من الجنود والأعوان والمساعدون ما تريد وأهم أعوانه أن تسقط أنت فتفقد الصبر وتصاب بالجزع فإن انهيارك أمام أحداثه من أهم أعوانه وأنصاره عليك...

وأشرف الغنى ترك المنى: أن تتمنى أمراً دون أن تعمل له فهذا ضرب من الحمق، والغنى بل أشرف الغنى أن تترك المنى وتبادر إلى الحقائق فتحصلها وتحققها في الخارج.

وكم من عقل أسير تحت هوى أمير: هناك عقول كثيرة خاضعة للهوى وذليلة له وأسيرة عنده فإنك ترى أن الهوى هو الأمير المتحكم المسيطر صاحب الأمر والنهي وإن كان في ذلك مخالفة للعقل والدين والضمير...

وهذا تنبيه منه عليه السلام أن العاقل يجب أن يجعل العقل هو الأمير ويجعل الهوى هو الأسير وأمره بيد العقل وتحت سلطانه...

ومن التوفيق حفظ التجربة: إذا مررت بتجربة أو مرّ بها غيرك فاحفظها واحتفظ بها... اعرف آثارها وفوائدها ولا تنسى منافعها فإن من التوفيق والتسديد وحسن طالعك

أن تستفيد منها عند الحاجة وتنقلها إلى غيرك عندما يطلبها منك. . .

والمودة قرابة مستفادة: هناك قرابة نسب كالأخوة والأبوة والبنوة وهناك قرابة سبب كالزوجية وهناك قرابة محبة ولعل هذه في بعض مراتبها أكمل من الأولى وأشد دواماً وبقاءً.

ولا تأمنن ملولاً: لأن من ملّ منك باعك بأبخس الأثمان وأزعجك لمجرد أن تضيق نفسه. . . والملول لا يستطيع الاستقرار في مكان أو الراحة إلى شخص أو الدوام في عمل. . . إنه كل يوم في مكان وفي كل وقت مع صديق فكيف تؤمن صداقته وترتاح إلى خلقه. . .

٢١٢ ـ وقال عليه السلام: عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ.

الشرح

الحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عنك والعُجب يوقف النمو العقلي والإبداع الفني لأن المعجب يتصور الكمال في نفسه وأن لا زيادة ممكنة يمكن أن يسعى إليها فيتوقف السعي والنمو ومن هنا كان العجب أحد حساد العقل الذي يمنع بقاء النعمة في موضعها لأنه إذا امتنع عن النمو ضاع ما عنده وفقده.

٢١٣ ـ وقال عليه السلام: أَغْضِ(١) عَلَى ٱلْقَذَى(٢) وٱلأَلَمِ تَرْضَى أَبَداً.

اللغة

١ ـ **أغض** : من الإغضاء عن الشيء وهو التغافل عنه.
٢ ـ **القذى** : ما يقع في العين فيؤذيها.

الشرح

تحمل ما يرد عليك مما يؤذيك ويؤلمك بروح رياضية راضية فترتاح في حياتك وتستقر أوضاعك وأن بعض هذه الصور نراها في بعضهم ممن رضي بسنّة الحياة وعرفوا

أن الدنيا هكذا تكونت وبهذه الطريقة جعلت. . . أموات وأحياء وتعساء وسعداء وفقراء وأثرياء. . . هكذا هي الحياة فلنقبلها ضمن رضى الله وكما أراد منا.

٢١٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ لاَنَ(١) عُودُهُ(٢) كَثُفَتْ(٣) أَغْصَانُهُ.

اللغة

١ ـ **لان** : طري.
٢ ـ **العود** : الخشب، والغصن بعد أن يقطع.
٣ ـ **كثف** : غلظ وكثر والتف.

الشرح

من كان لين العريكة طيب العشرة حسن السليقة عظيم الأخلاق كثر أعوانه ومحبوه وأتباعه وأنصاره وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الطيبين.

٢١٥ ـ وقال عليه السلام: اَلْخِلاَفُ(١) يَهْدِمُ(٢) الرَّأْيَ.

اللغة

١ ـ **الخلاف** : النزاع.
٢ ـ **يهدم** : يزيل ويسقط.

الشرح

مهما كان الرأي جيداً وصائباً ومثمراً وفي المرتقى العالي من النضج والاستقامة، يسقط ويفشل إذا دب الخلاف بين الجماعة وبين المجتمعين، فالخلاف والخصام يقضي على الرأي الصائب ولا يبقى العمل الصالح بل يقضي على كل خير ونعمة.

٢١٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ نَالَ[١] ٱسْتَطَالَ[٢].

اللغة

١ ـ نال : أعطي.
٢ ـ الاستطالة : الاستعلاء بالفضل.

الشرح

من كثر ماله أو وجاهته أو مركزه استعلى على الناس ورأى نفسه أكبر رتبة ومنزلة وأنه أشرف وأعظم وهذا داء لا يزيله إلا الإيمان بالله والعمل بأوامره.

---

٢١٧ ـ وقال عليه السلام: فِي تَقَلُّبِ ٱلأَحْوَالِ[١]، عِلْمُ جَوَاهِرِ[٢] الرِّجَالِ.

اللغة

١ ـ تقلّب الأحوال : تغيّرها وتبدلها.
٢ ـ جوهر الشيء : الجبلة المخلوق عليها.

الشرح

إذا أردت أن تعرف إيمان الرجل فانتظر ساعات الامتحان وهي البلاء بالفقر أو الغنى أو الزعامة وإذا أردت معرفة الصديق فانتظر يوم الضيق وانظر هل يقدم لك المعونة ويرفع الحاجة عنك... وإذا أردت أن تعرف الشجاع فانتظر أيام الحرب والنزاع... إنها ساعات تكشف الرجال على حقيقتهم وتعرّيهم من ادعاءاتهم...

---

٢١٨ ـ وقال عليه السلام: حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ[١] ٱلْمَوَدَّةِ[٢].

اللغة

١ ـ السقم : المرض.
٢ ـ سقم المودة : ضعف الصداقة.
٣ ـ المودة : المحبة.

الشرح

الصداقة تستلزم المودة وصفاء الطوية وأن يحب الصديق لصديقه ما يحبه لنفسه فإذا حسد الصديق صديقه فهذا دليل على عدم صحة الصداقة بل إنها صداقة فيها خلل كبير تحتاج إلى إعادة نظر . . .

---

٢١٩ ـ وقال عليه السلام: أَكْثَرُ مَصَارِعِ[1] ٱلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ ٱلْمَطَامِعِ.

اللغة

١ ـ المصارع : جمع مصرع مكان الصرع وهو الطرح على الأرض والهلاك.

الشرح

الطمع رق مؤبد يذل صاحبه ويورده المهالك وكثير من العقول تتعطل عن العمل وتصاب بالشلل وتفقد التفكير من جراء الطمع، فمع أن صاحب الطمع يملك عقلاً ولكنه عقل صرعه الطمع فلا يعود يفكر فيه أو يستخدمه فيما ينفع أو يفيد.

---

٢٢٠ ـ وقال عليه السلام: لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱلثِّقَةِ بِالظَّنِّ.

الشرح

إذا كان عندك من تثق به وتطمئن إلى استقامته وتتيقن عدالته فلا يجوز إذا ظننت به

خلاف ذلك أن تحكم عليه بظنك ذاك، فإن حكمك يكون جوراً وظلماً لأنه بحكم العقلاء لا يجوز نقض اليقين بالشك أو الظن.

---

٢٢١ ـ وقال عليه السلام: بِئْسَ الزَّادُ[١] إِلَى ٱلْمَعَادِ[٢]، ٱلْعُدْوَانُ[٣] عَلَى ٱلْعِبَادِ.

اللغة

١ ـ **الزاد** : ما يتزوده الإنسان من طعام في السفر.

٢ ـ **المعاد** : يوم القيامة.

٣ ـ **العدوان** : الاعتداء.

الشرح

زاد الآخرة النافع المفيد يتجسد في إعانة الناس وسد عوزهم وقضاء حاجاتهم وكف الأذى عنهم والالتزام بأوامر الله وأحكام دينه وفي هذه الفوز يوم القيامة عندما تنصب الموازين للقضاء فيحكم لفاعل ذلك بالسعادة والفوز ودخول الجنة...

أما إذا كان زاده الذي يأخذه معه قطع الأرحام وإيذاء الناس والاعتداء عليهم وترك ما أمر الله به وأوجبه فهذا بئس الزاد لأنه سيورده النار ويدفعه إليها دفعاً وستكون نهايته النار نعوذ بالله منها ومن كل عمل يؤدي إليها...

---

٢٢٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.

الشرح

الكريم قريب من الله قريب من الناس يحبه الله ويحبه الناس وهو يمتاز بنفسية عالية كريمة وله صفات جليلة وعظيمة ومن أهمها التغافل عن السفهاء وغضّ النظر عنهم وإذا علم بهفوة من أحد سترها ولم يظهرها بل تغافل عنها حتى كأنه لم يسمع بها ولم يراها وهذا هو دأب النفوس الكبيرة التي ترفض أن تخوض في سفاسف الأمور وصغيرها...

٢٢٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ كَسَاهُ[١] ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسَ عَيْبَهُ.

اللغة

١ ـ كساه : ستره وغطاه.

الشرح

إذا كان الإنسان يمتلك ملكة الحياء، يستحي ويخجل ولا يرتكب عيباً قط لأنه يخجل من مقابلة الناس إذا انكشف لهم فعله القبيح فمن هنا كان يستحي فلن يقرب من عيب وإذا لم يقترف عيباً امتنع على الناس أن يروا إلا الأفعال الطيبة الحسنة...

---

٢٢٤ ـ وقال عليه السلام: بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ ٱلْهَيْبَةُ[١]، وَبِالنَّصَفَةِ[٢] يَكْثُرُ ٱلْمُوَاصِلُونَ[٣] وَبِٱلإِفْضَالِ[٤] تَعْظُمُ ٱلأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِٱحْتِمَالِ ٱلْمُؤَنِ[٥] يَجِبُ السُّؤْدَدُ[٦]، وَبِالسِّيرَةِ ٱلْعَادِلَةِ يُقْهَرُ ٱلْمُنَاوِىءُ[٧]، وَبِٱلْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ ٱلأَنْصَارُ عَلَيْهِ.

اللغة

١ ـ الهيبة : العظمة، الوقار، الخوف.
٢ ـ النصفة : بالتحريك الإنصاف.
٣ ـ المواصلون : المحبون.
٤ ـ الإفضال : الإنعام.
٥ ـ المؤن : القوت.
٦ ـ السؤدد : الشرف.
٧ ـ المناوىء : المخالف المعاند.

الشرح

هذه سبع فضائل جديرة بالاهتمام.

١ ـ بكثرة الصمت تكون الهيبة: إذا كان الصمت والسكون عن عقل وتفكر اقترن

بالاحترام والتقدير وكان للصامت هيبة في نفوس الناس بحيث يمتنعون عن العبث والثرثرة والكلام غير المفيد بل يقتصرون من الكلام على الضروري منه، وقد رأينا مهابة العظماء عندما يسكتون وينصتون كيف ينصت المجلس كله وكأن على رؤوس الجميع الطير ينصت المجلس كله دون أن يكون للعظيم سطوة أو سيف أو سوط وقد عهدنا ذلك عند علمائنا ومراجعنا في النجف الأشرف وعشنا في مجالسهم تلك الحالة فإنك تجلس بين أيديهم والمجلس يغصّ بالزوار ولا تحس بكلمة تخرج منهم يسمعها الحاضرون بل تجد الجميع سكون هيبة للمرجعية واحتراماً لها.

٢ ـ وبالنصفة يكثر المواصلون: بالإنصاف والعدل بين الناس يكثر أصحابك والقاصدون إليك وتقوى صلة الناس بك وتوجههم نحوك قاصدين عدلك وإنصافك عند كل حادثة تحتاج إلى حكم أو إلى فصل فيها.

٣ ـ وبالإفضال تعظم الأقدار: بما تبذل للناس وتتفضل عليهم بالعطاء وما تساعدهم به من مال أو جاه أو سلطان أو علم يرتفع قدرك وتعلو منزلتك لأن العطاء بجميع صوره إحسان والمحسن كبير في نظر الناس وله احترامه وقيمته.

٤ ـ وبالتواضع تتم النعمة: كمال النعمة وتمامها أن تقرنها بالتواضع للاخوان ولكل الناس ولا ترى بما أنعم الله عليك أنك فوقهم فيأخذك الكبر والعلو فتضيع النعمة عندئذ ويتفرق الاخوان عنك.

٥ ـ وباحتمال المؤن يجب السؤدد: بمقدار ما تحمل عن الناس من الأثقال من دين وغرامة وديات وبمقدار ما تخفف عنهم من الأتعاب وتقدمه لهم من العطايا ترتفع منزلتك وتتقدم في سلم الشرف ويعلو نجمك في الحياة وتكون المقدم عندهم...

٦ ـ وبالسيرة العادلة يقهر المناوىء: إذا أردت الانتصار على أعدائك وقهرهم فلتكن سيرتك وسلوكك وحركة حياتك في خدمة عباد الله ومرضاة الله... جسّد الحق عملياً وألبسه ثوب الحركة والواقعية ولا تكتفي بالكلام والحديث عن القيم والمثل فحسب فتلك أمور لا تؤثر في نفوس الناس كثيراً...

٧ ـ وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه: إذا قابلت السفيه بالعفو عنه والصفح عن سيئاته فلا محالة أن الناس سيقفون معك وإلى جانبك ضده وهذا انتصار كبير، والحلم ما عاش في نفس إلا وانتصر صاحبه وفاز...

٢٢٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ ٱلْحُسَّادِ، عَنْ سَلَامَةِ ٱلأَجْسَادِ!.

الشرح

الحسد كما يؤثر في الروح يؤثر في البدن، فكما أنه مخالفة إلهية منهي عنها يتصاغر الإنسان روحياً بارتكابها وتضعف صلته بالله كذلك يؤثر على البدن فإن الحاسد يتلمظ ويحنق ويتأذى وهذا يمنعه من طيب العيش وهدوء البال وهذا يؤدي إلى ضعف البدن والهزال بل إلى عدم سلامة البدن وصحته. . .

٢٢٦ ـ وقال عليه السلام: الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ(١) الذُّلِّ.

اللغة

١ ـ **الوثاق** : ما يشدّ به من قيد وحبل ونحوهما.

الشرح

الطمع هو النظر إلى ما في أيدي الناس والترقب في أن يمنُّوا عليه ببعض منها ومن كان نظره إلى ما في أيدي الناس ذل لهم وخطب ودهم ولو على حساب كرامته ودينه فمن هنا كان في وثاق الذل كل طامع وراغب بما في أيدي الناس. . .

٢٢٧ ـ وسئل عن الإيمان فقال: ٱلإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِٱلْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ(١) بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِٱلأَرْكَانِ.

اللغة

١ ـ **إقرار** : اعتراف.

الشرح

الإيمان الكامل الذي يثاب عليه المؤمن في الآخرة ويدخل به جنة عدن يتقوم بهذه الأمور الثلاثة: المعرفة بالقلب التي تعني عقد القلب على الإيمان بأصول الدين الخمسة، ثم الإقرار بها وإعلانها وإشاعتها بين الناس حتى يترتب الحكم عليها بحسب الظاهر ثم العمل بكل ما أوجبه الله بحيث تكون هناك ترجمة عملية لهذا الإيمان وهو يتجسد بالصوم والصلاة والحج والزكاة وأن تكون كل مسيرته الحياتية على طبق الموازين الإسلامية.

---

٢٢٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ ٱللهِ سَاخِطاً(١)، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً(٢) نَزَلَتْ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ ٱللهِ هُزُواً(٣)، وَمَنْ لَهِجَ(٤) قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا ٱلْتَاطَ(٥) قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ: هَمٍّ(٦) لَا يُغِبُّهُ(٧)، وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ.

اللغة

١ ـ السخط : الغضب وعدم الرضى.
٢ ـ المصيبة : البلاء.
٣ ـ الهزو : الاستهزاء والسخرية.
٤ ـ لهج بالشيء : أغري به فثابر عليه.
٥ ـ التاط : التصق.
٦ ـ الهم : شغل الفكر، الحزن.
٧ ـ لا يغبّه : لا يفارقه.

الشرح

أشار الإمام إلى خمسة خصال قبيحة ردع عنها الإمام ونفر عنها بذكر عللها...

١ ـ من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً: من فاتته الدنيا ولم

يستطع إدراك ما يريد منها ثم بات حزيناً كئيباً بحيث انعكس ذلك على أسارير وجهه وعلى قسمات محياه فهذا قد أصبح بفعله ساخطاً وغاضباً لما قضى به الله وقدره وأضحى عاصياً لله لأنه سبحانه قسّم الأرزاق وهو الذي أراد له ذلك فيعود حزنه إلى الإنكار على الله وهو انحراف وتمرد وسخط على إرادة الله واختياره.

٢ ـ ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه: لأن المصيبة إذا لم تكن بيد العبد ومن سوء تصرفه كما لو مات له ولد أو والد بشكل طبيعي حتف الأنف ـ فإن الشكوى عندئذ تكون كمن يشكو ربه وهو انحراف لأن الله كتب على الإنسان الموت والفناء فلماذا الشكاية وهل على الله تشتكي إنه ظلم وجور منك.

٣ ـ ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه: إذا كان الغني مؤمناً وتواضعت له لإيمانه ولم تزد في تواضعك له عن سائر المؤمنين فهذا لا بأس به أما إذا كان تواضعك له لماله وغناه فتحسبه عظيماً فهذا انحراف عن الإيمان ويذهب بثلثي الدين على حد تعبير الإمام لأنه ليس للمؤمن أن يتعامل مع الناس بموازين المنحرفين والفاسقين فينحرف ويفسق ويذهب إيمانه إن لم يكن كله فثلثاه وقال بعضهم: أما تقديره بالثلثين فالأصل فيه أن الدين على ثلاثة أقسام: بالقلب واللسان والجوارح والتواضع يبنى على أمرين: اعتقاد في القلب ونية وعمل بالجوارح فيستعمل فيه آلتان من آلات الإيمان وهو القلب والجوارح فيذهب بها عن الآلتين ويبقى ثلثه وهو الإقرار باللسان ربما يعظمه بلسانه وأفعاله ولم يعظمه بقلبه فصرف في تعظيمه ركنين من أركان الإيمان. وقال آخر إن مراده بالثلثين استعارة يراد به أكثر دينه.

٥ ـ ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث هم لا يغبه وحرص لا يتركه وأمل لا يدركه: إذا تملكت الدنيا من قلب إنسان فعشقها وذاب بها وبما فيها أفرزت في قلبه ثلاثة أمراض مزمنة لا تفارقه حتى يفارق الحياة نفسها فهو في همّ دائم لا يفارقه، همّ جمعها وحفظها وصيانتها وأيضاً الحرص عليها يريدها من أي سبب كان من الحلال أو الحرام وثالثاً ينفتح عنده باب الأمل الذي يسيء من خلاله العمل فيقطع الأرحام ويمنع الحقوق ويسيء الظنون في سبيل جمعها وحفظها والحصول عليها...

٢٢٩ ـ وقال عليه السلام: كَفَى بِٱلْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ ٱلْخُلُقِ نَعِيماً، وسئل عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فَقَالَ: هِيَ ٱلْقَنَاعَةُ.

الشرح

من ملك القناعة ملك كل شيء وذلك لأن فائدة الملك الاستغناء عن الناس وعدم الحاجة إليهم والقانع مستغني عن الناس ليس بحاجة إليهم فكأنه مالك أعظم الأمور وحسن الخلق يستدعي أن يكون كل من تعاشرهم من أحسن الناس معك وأطيبهم سلوكاً وأشدهم بذلاً لك فهم يقدمون لك كل معونة ويبذلون لك كل خير ولا يبخلون عليك بشيء تريده. . . وأما تفسيره للآية فواضح ومنطبق. . .

---

٢٣٠ ـ وقال عليه السلام: شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ(١) لِلْغِنَى، وأَجْدَرُ(٢) بِإِقْبَالِ ٱلْحَظِّ عَلَيْهِ.

اللغة

١ ـ أخلق : أولى.
٢ ـ أجدر : أولى.

الشرح

هذه نصيحة منه عليه السلام إلى مشاركة من كان الحظ مقبل عليه فإنك ترى بعض البسطاء الذين لا يعرفون كيف يتكلمون ولا ماذا يتكلمون كيف يُبسط لهم الرزق بينما ترى العالم اللبيب مقتر عليه رزقه إذا فتح باباً يريد الولوج إليه ويتوقع منه الفرج فإذا به يفتحه إلى البحر أو الصحراء فالجدب والماء ولا شيء أبداً وسبحان من قسم الأرزاق وكان بيده الأخذ والعطاء ليعرف الناس أنه وحده الرزاق، فالإمام يدعو إلى مشاركة من أقبل عليه الحظ فإن مشاركته داعية للغنى وإقبال الحظ عليه يمكن أن ينالك بعضه.

---

٢٣١ ـ وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾ ٱلْعَدْلُ: ٱلإِنْصَافِ، وَٱلإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ.

الشرح

هذه هي الآية ٩٠ من سورة النحل وأن الله كما أمر بالواجب أمر بالمستحب فالواجب الإنصاف والعدل والمستحب الإحسان والتفضل بالزيادة الطيبة . . .

---

٢٣٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ يُعْطِ بِٱلْيَدِ ٱلْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِٱلْيَدِ الطَّوِيلَةِ.

الشرح

قال الرضي: أقول: ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر ـ وإن كان يسيراً ـ فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً، واليدان ها هنا: عبارة عن النعمتين، ففرّق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالى ذكره، بالقصيرة والطويلة، فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأن نعم الله أبداً تُضعف على نعم المخلوق أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع.

هذا التفسير من الرضي يؤيده قوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** فإذا قدم العبد القليل أعطاه الله الكثير . . .

---

٢٣٣ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام: لَا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ(١)، وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ وَٱلْبَاغِي مَصْرُوعٌ.

اللغة

١ ـ المبارزة : القتال.

الشرح

تعليم وتدريب واجه به ولده والمراد به نحن من باب إياك أعني وأسمعي يا جارة نهاه أن يدعو أحداً إلى المبارزة والقتال لأن هذه الدعوة ظالمة وفيها خروج عن مقتضى الشجاعة والسير وراء شهوات النفس ومن كان كذلك لم يفلح بل يجازى بضد هذه

الدعوة ويعامل بما يخالفها ويكون هو المصروع والمقتول ومن هنا كان الإمام يجيب دعوة من دعاه إلى المبارزة ويسحقه كما فعل بعمرو بن ود العامري... وأما إذا دعي إليها وطلب منه البراز فليجب فإن النصر حليفه والله معه... لينفي عنه الجبن والهزيمة...

٢٣٤ ـ وقال عليه السلام: خِيَارُ(١) خِصَالِ(٢) النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ(٣)، وَٱلْجُبْنُ، وَٱلْبُخْلُ، فَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً(٤) لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا(٥)، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ(٦) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا.

اللغة

١ ـ **خيار الشيء** : أفضله.
٢ ـ **الخصال** : جمع خصلة وهي الخلة.
٣ ـ **الزهو** : بالفتح الكبر.
٤ ـ **مزهوة** : متكبرة.
٥ ـ **البعل** : الزوج.
٦ ـ **فرقت** : فزعت وخافت.

الشرح

قبائح الرجال فضائل النساء فإذا زهت المرأة لم يطمع فيها أحد من الناس ولم يقترب من ساحتها أحد لاستعصامها بزهوها فينفرون منها وهذه الصفة قبيحة للرجال، وإذا كان الرجل بخيلاً كان ذماً له وإهانة لكرامته بينما البخل في المرأة يعني المحافظة على مالها ومال زوجها فلا تبذره أو تسرف فيه أو تصرفه في غير مواضعه، وإذا كان الجبن عار على الرجال لأنه صفة مذمومة فإنه بالنسبة إلى المرأة شيء ممدوح باعتبار أنها لا تخاطر بنفسها وذلك يوجب صيانتها وحفظها وأما لو كانت شجاعة فتقع في بعض المواقع التي لا يمكن أن تحفظ عرضها وكرامتها...

٢٣٥ ـ وقيل له: صف لنا العاقل، فقال عليه السلام: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشِّيْءَ مَوَاضِعَهُ، فقيل: فصف لنا الجاهل، فقال: قَدْ فَعَلْتُ.

قال الرضي: يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكأن ترك صفته صفة له، إذ كان بخلاف وصف العاقل.

الشرح

قد قيل: والضد يظهر حسنه الضد فإذا عرّفت العاقل، فقد عرّفت الجاهل في نفس الوقت لأنهما ضدان...

---

٢٣٦ ـ وقال عليه السلام: وَٱللهِ لَدُنْيَاكُمْ هذِهِ أَهْوَنُ(١) فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ(٢) خِنْزِيرٍ(٣) فِي يَدِ مَجْذُومٍ(٤).

اللغة

١ ـ أهون : أحقر.
٢ ـ العراق : العظم الذي أخذ منه اللحم.
٣ ـ الخنزير : الحيوان النجس الكريه المنظر.
٤ ـ المجذوم : الذي أصابه الجذام وهو مرض تتساقط فيه الأعضاء.

الشرح

صورة قبيحة لا تجد قبحاً أشد منها صورة مجذوم تتقطع أوصاله شيئاً فشيئاً وهو يحمل في يده عظمة خنزير خالية من اللحم أو عليها قليل جداً منه، صورة تتقزز النفس منها وتنفر وقد لا تستطيع تصورها في ذهنك لشدة قبحها والدنيا في نظر علي أحقر من عظم الخنزير في يد المجذوم وقد صدق صلوات الله عليه قولاً وفعلاً وقد خرج من الدنيا وهو الخليفة العظيم ولم يترك صفراء أو بيضاء ولا دوراً ولا عقاراً...

٢٣٧ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللهَ رَهْبَةً(١) فَتِلْكَ عِبَادَةُ ٱلْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ ٱلأَحْرَارِ.

اللغة

١ ـ الرهبة : الخوف.

الشرح

العبادة لله تتمحور حول إحدى أمور ثلاثة إما رغبة أو رهبة أو بدونهما وإنما لأنه سبحانه يستحق العبادة فمن عبد الله رغبة في جنته وتوقعاً للحصول عليها فهذه عبادة التجار التي تقتضي المبادلة عيناً بعين عبادة متمثلة بصلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها بالجنة وإما أن تكون العبادة خوفاً من النار وفراراً من العذاب وهي عبادة العبيد الأذلاء الذين يخافون من السوط والعصا ولولا ذلك لما عبدوه وهؤلاء يدفعون الشر عن أنفسهم ولذا يعبدونه والقسم الثالث وهو الذي يعبد الله لأنه أهل للعبادة وشكراً له على تفضله وإحسانه وجوده وكرمه فهؤلاء هم الذين يعبدون ربهم حق عبادته. . .

---

٢٣٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْهَا!.

الشرح

الرجل له علاقة مع كل ما يحيط به ولكن علاقته بالمرأة أسوأ ما يكون فإنها بالنسبة له كلها شر فإن كانت جميلة تغويه وإن كانت قبيحة تؤذيه وإن كانت زوجة توجب عليه النفقة وإن كانت بعيدة أوجبت فتنة وإن عادته كادت له ونصبت له الحبائل وهكذا شرورها تتعدد وتتكثر والشيء الطريف أنه لا بد للرجل منها لحاجته الطبيعية لها إذن لا بد من شرها. . . والعاقل هو الذي يكون عند قول النبي (ص) في النساء: **كونوا من خيارهن على حذر. . .**

٢٣٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ[١] ضَيَّعَ ٱلْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ[٢] ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

اللغة

١ ـ تواني : فتر وقصّر.

٢ ـ الواشي : النمّام.

الشرح

التسويف والتأخير يؤدي إلى ضياع الحقوق فيكون أمراً قبيحاً ولذا ينبغي للعاقل أن يبادر في أول أزمنة الإمكان إلى تنفيذ ما أمر به ولا يؤخره أبداً ومن أطاع النمام ـ الذي ينقل إليه الكلام عن الأصدقاء ـ فقد أضاعهم وفقدهم لأنه إذا صدّقه عاداهم فيكون سبباً للفتنة وإضاعة للصديق والعاقل يرفض الوشاية على أصدقائه لأنه على العادة كما يوشي إليه يوشي عليه...

---

٢٤٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحَجَرُ ٱلْغَصِيبُ[١] فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.

قال الرضي: ويروى هذا الكلام عن النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، ولا عجب أن يشتبه الكلامان، لأن مستقاهما من قليب[٢]، ومفروغهما من ذنوب[٣].

اللغة

١ ـ الغصيب : المغصوب.

٢ ـ القليب : بفتح فكسر البئر.

٣ ـ الذنوب : بفتح فضم الدلو الكبير.

الشرح

الدار إذا بنيت على الحلال وكان فيها حجر مغصوب تهدم إذا كان صاحبها غاصباً للحجر وهو يعلم بالغصب بمعنى لو توقف خرابها على استخراج الحجر المغصوب

هدمت من أجل إعادته لأصحابه وهذا تعظيم لحرمة الغصب وأن الغاصب كما يقول الفقهاء: يؤخذ بأشد الأحوال، فالاغتصاب قاض بالخراب كما يقضي الرهن بأداء الدين المرهون.

---

٢٤١ ـ وقال عليه السلام: يَوْمُ ٱلْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى ٱلْمُظْلُومِ.

الشرح

يوم المظلوم على الظالم هو يوم القيامة وهو أشد وأعظم من يوم الظالم على المظلوم لأن الظالم في الدنيا أقصى ما يعمله أن يقتل المظلوم وهي ميتة واحدة وأما يوم المظلوم على الظالم في يوم القيامة فإنه عذاب مخلد لا يموت ولا يحيى بل عذاب مستمر دائم فهو أعظم من كل أيام الدنيا وما فيها من عذاب.

---

٢٤٢ ـ وقال عليه السلام: اتَّقِ ٱللهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَٱجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ سِتْراً(١) وَإِنْ رَقَّ(٢).

اللغة

١ ـ الستر : ما يستتر به أي يغطى ويطلق هنا ويراد به الحياء من الله.
٢ ـ رقّ : ضد غلظ وثخن.

الشرح

ما لا يدرك كله لا يترك كله هذه قاعدة عقلائية فإذا لم تكن من الطبقة الأولى من أهل التقى فلا تكن من أهل الفسق والانحراف بل استمر على البقاء مع أهل التقوى وإن كنت آخرهم... ولا تهتك الستر بينك وبين الله بل إذا ارتكبت حراماً في ساعة من ساعات الزلل فلا تصبح مجرماً وفي رعيل المتهتكين الذين لا يرعون لله حرمة.

٢٤٣ ـ وقال عليه السلام: إِذَا ٱزْدَحَمَ[١] ٱلْجَوَابُ، خَفِيَ الصَّوَابُ[٢].

اللغة

١ ـ ازدحم القوم : تدافعوا والمراد هنا تعددت الأجوبة.
٢ ـ الصواب : ضد الخطأ، الجواب الصحيح.

الشرح

إذا سئلت عن مسألة فأجبت عنها بعدة احتمالات ضاع الجواب الحقيقي واختفى على السائل وكذلك الأمر إذا طرح السؤال وكان في حلقة الفحول من العلماء وبادر كل منهم إلى الإجابة فازدحموا في الجواب فإنه يضيع السائل ولا يهتدي إلى الصواب...

---

٢٤٤ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ للهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا، فَمَنْ أَدَّاهُ[١] زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ[٢] بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ.

اللغة

١ ـ أداه : بلغه وأوصله، أخرجه.
٢ ـ خاطر : عرضها للهلكة.

الشرح

حق الله في كل نعمة أن تشكرها وشكرها أن تضعها موضعها وتخرج الحق الواجب منها فتنفقه على الفقراء والمساكين فمن أدى ذلك زادها الله له ونماها وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وأما من قصر في أداء شكرها فقد عرضها للزوال لأن عدم شكرها معصية والمعاصي منها ما يزيل النعم.

٢٤٥ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كَثُرَتِ ٱلْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.

الشرح

قد قيل ـ وأحب شيء إلى الإنسان ما منع ـ فإن القادر على الشيء في أي وقت وأي مكان استقرت نفسه وخفت شهوته وطلبه له وأما من أحس بعدم ذلك فتراه يشتد في طلبه ويزداد إلحاحاً للحصول عليه فزيادة المقدرة على الشيء يقلل الشهوة إليه.

٢٤٦ ـ وقال عليه السلام: ٱحْذَرُوا نِفَارَ[١] النِّعَمِ[٢] فَمَا كُلُّ شَارِدٍ[٣] بِمَرْدُودٍ.

اللغة

١ ـ **نفر** : شرد وبَعُد.
٢ ـ **النعم** : المواشي من إبل وبقر وغنم ونحوها.
٣ ـ **شرد** : نفر.

الشرح

احذروا زوال النعم بالمعاصي، فإن المعاصي تزيل النعم وتبعدها عنكم وإذا نفرت وبعدت عنكم فليس من المعلوم أن تعود إليكم فإن النعم إذا نفرت قد لا تعود بل تبقى شاردة تائهة... وهي دعوة إلى شكر النعم.

٢٤٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلْكَرَمُ أَعْطَفُ[١] مِنَ الرَّحِمِ[٢].

اللغة

١ ـ **أعطف** : من العطف وهو الميل.
٢ ـ **الرحم** : القرابة.

الشرح

الكريم قريب من الله قريب من الناس والعطف على الناس وإكرامهم وتقديم المعونة لهم توجب عطفاً لهم أكثر من العطف على الرحم لمجرد أنها رحم، فإنك ترى الكريم مسموع الكلمة محترم الجانب تتداعى الناس لخدمته ومعونته بشتى الطرق ومختلف الأساليب.

٢٤٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

الشرح

إذا قصدك إنسان لقضاء حاجة ظاناً بك القدرة على قضائها فصدّق ظنه واقضها له، وإن قصدك لاستدانة مبلغ من المال وهو متوفر لديك فاقض حاجته فإنه لم يقصدك إلا لحسن ظنه بك وإذا ظن بك الأخلاق الطيبة والمعاملة الجيدة فصدق ظنه...

٢٤٩ ـ وقال عليه السلام: أَفْضَلُ ٱلأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

الشرح

إذا كانت النفس ترغب في فعل انساقت وراءه وحققته بيسر وسهولة وأما إذا كان على خلاف ما ترغب وتشتهي فقد تمتنع عن فعله أو تتردد فمن هنا تكون مجاهدة النفس ويؤجر المرء على فعله لو فعله لأنه فعله امتثالاً لأمر الله مخالفاً هواه ورغبته.

٢٥٠ ـ وقال عليه السلام: عَرَفْتُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ ٱلْعَزَائِمِ(١) وَحَلِّ ٱلْعُقُودِ(٣)، وَنَقْضِ(٤) ٱلْهِمَمِ.

اللغة

١ ـ العزائم : جمع العزيمة ما يعقد الإنسان قلبه على فعله.

٢ ـ فسخ العزائم : نقضها وإبطالها.

٣ ـ العقود : جمع عقد وهو ما يعقد الإنسان ضميره على فعله.
٤ ـ نقض الشيء : أبطله.

الشرح

هذا أحد الطرق لمعرفة الله إنك تعزم على أمر وتهيء كل مقدماته ثم تعرض عنه وتصرف نظرك عن متابعته والقيام به وتخمد همتك القوية التي كانت مندفعة لتحقيقه، من الذي صرفك؟ ومن الذي حلّ عزيمتك حتى فترت همتك إنه الله سبحانه القائل: **﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾**.

---

٢٥١ ـ وقال عليه السلام: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ ٱلآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ ٱلآخِرَةِ.

الشرح

مشقة التكليف في الدنيا وما يصيب الإنسان من العناء من جراء تنفيذ أمر الله، هذا يعقبه حلاوة في الآخرة لا تقدر ولذة لا تحصر لأنه يترتب عليه الثواب وهو نعيم دائم بينما ملذات الدنيا وشهواتها التي تتراىء للناس أنها طيبة يعقبها في الآخرة مرارة عظمى والعاقل يبحث عن الدائم والباقي وهو حلاوة الآخرة ونعيمها.

---

٢٥٢ ـ وقال عليه السلام: فَرَضَ(١) ٱللهُ ٱلإِيمَانَ تَطْهِيراً(٢) مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةِ تَنْزِيهاً عَنِ ٱلْكِبْرِ(٣)، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيباً(٤) لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ٱبْتِلاءً(٥) لإِخْلَاصِ ٱلْخَلْقِ(٦)، وَٱلْحَجَّ تَقْرِبَةً(٧) لِلدِّينِ، وَٱلْجِهَادَ عِزًّا لِلإِسْلَامِ، وَٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ(٨)، وَالنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ رَدْعاً(٩) لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً(١٠) لِلْعَدَدِ، وَٱلْقِصَاصَ(١١) حَقْناً لِلدِّمَاءِ(١٢)، وَإِقَامَةَ ٱلْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ(١٣)، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ

إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنَى تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ[١٤] تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ[١٥]، وَالشَّهَادَاتِ[١٦] ٱسْتِظْهَاراً[١٧] عَلَى ٱلْمُجَاحَدَاتِ[١٨]، وَتَرْكَ ٱلْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَالسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ، وَٱلأَمَانَةَ نِظَاماً لِلأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإِمَامَةِ.

اللغة

١ ـ **فرض** : أوجب.
٢ ـ **التطهير** : التنظيف.
٣ ـ **الكبر** : التكبر.
٤ ـ **التسبيب** : السبب.
٥ ـ **الابتلاء** : الاختبار.
٦ ـ **الخلق** : البشر.
٧ ـ **التقربة** : القرب بعضهم من بعض.
٨ ـ **العوام** : عامة الناس.
٩ ـ **ردعه** : رده وجبهه.
١٠ ـ **منماة** : من النمو وهي الزيادة والكثرة.
١١ ـ **القصاص** : العقوبة.
١٢ ـ **حقن الدماء** : حفظها ولم يسفكها.
١٣ ـ **تحصيناً للنسب** : حفظاً له.
١٤ ـ **اللواط** : إتيان الذكر للذكر.
١٥ ـ **النسل** : الذرية.
١٦ ـ **الشهادات** : ما يدلي به الشهداء على الحقوق.
١٧ ـ **استظهاراً** : إسناداً وتقوية.
١٨ ـ **المجاحدات** : الجحود والإنكار.

الشرح

هذه أوامر إلهية أراد الإمام أن يرغّب الناس فيها فذكر عللها وأسباب تشريعها.

فرض الله الإيمان: بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له.

تطهيراً: وتنزيهاً.

من الشرك: الذي هو نجاسة معنوية باعتبار أن الشرك بالله بأي أنواع الشرك هو خلاف الواقع وفيه إسفاف عقلي وتصغير للإنسان ومسخ لعقله الذي وُهب له فكأن الشرك نجاسة والمشرك نجس ولا يطهره إلا التوحيد لله.

والصلاة: بما فيها من ركوع ووضع أشرف موضع ـ وهو الجبهة ـ على الأرض المعبر عنه بالسجود هذه الصلاة جعلت.

تنزيهاً: لهذا الإنسان.

عن الكبر: أن يأخذه ويشده إليه.

والزكاة: بما أنها حق مالي يدفعها الغني إذا اجتمعت شروطها جعلت.

تسبيباً للزرق: سبباً لرزق الفقراء والمساكين والمجاهدين.

والصيام: فرضه الله.

ابتلاء: وامتحاناً.

لإخلاص الخلق: ليرى المطيع من العاصي لما فيه من الشدة وهجر المطعم والمشرب وترك اللذة.

والحج تقربة للدين: أي يقرب الحج بين المسلمين فيجمعهم في صعيد واحد وعلى زي واحد ضمن شعار واحد أو تقوية للدين لأن المسلمين يجتمعون كلهم فتقوى نفوسهم بلقائهم وتشتد عزيمتهم لكثرتهم.

والجهاد عزاً للإسلام: لأنه يحطم قوة الكفر ويبسط سلطان الإسلام في الأرض.

والأمر بالمعروف مصلحة للعوام: لأنه يعلمهم الإسلام ويعرفهم معالم الحلال والحرام.

والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء: حتى لا يتمادوا في فسادهم وظلمهم وانحلالهم فيُضربوا على أيديهم منعاً لانتشار الرذيلة.

وصلة الرحم: وهي أن يتحاب الأقرباء فيما بينهم.

منماة للعدد: لأنهم إذا تواصلوا اقتربوا من بعضهم وواصل الرحم يكثر بأقربائه لالتفافهم حوله.

والقصاص حقناً للدماء: لأن القاتل إذا عرف أنه يقتل فلا يقدم على الجريمة وقاطع اليد إذا عرف أن يده تقطع فلا يقطع يد أحد.

وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم: حتى لا تنتهك حرمات الله وما لا يجوز في دين الله.

وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل: فإنه سبحانه فرض ترك شرب الخمر لئلا يفقد الإنسان عقله فيترك عندها الواجبات ويفعل المحرمات ويقتل النفوس المؤمنة ويعيث في الأرض الفساد.

ومجانبة السرقة: والبعد عنها.

إيجاباً للعفة: وصوناً لكرامة الإنسان وترفعاً له عن الضعة والخسة.

وترك الزنى تحصيناً للنسب: فإنه سبحانه نهى عن الزنا لما فيه من اختلاط المياه وتضييع الأنساب بحيث لا يعود يعرف الولد لمن هو ولما فيه أيضاً من القضاء على الأسرة كما هو الشائع في الدول الكافرة.

وترك اللواط تكثيراً للنسل: لأن اللواط معناه اكتفاء الذكر بالذكر في قضاء الشهوة وهذا مسخ للفطرة وهو أقبح من الزنا لأن الزنا انحراف وذاك مسخ واللواط يمنع النسل وعدمه يكثر النسل حيث يتزوج الإنسان ويثمر الزواج بأولاد.

والشهادات استظهاراً على المجاحدات: فمن أنكر أمراً اتهم به تأتي الشهادة عليه لترفع إنكاره وجحده وتثبت الحق عليه أو له إذا كان له دعوة صادقة مقرونة بالبينة والشهادة لصالحه.

وترك الكذب تشريفاً للصدق: نهى عن الكذب من أجل أن يعمر الكون بالصدق وتتم المعاملات وفقاً له ويقبل القول من أصحابه.

والسلام أماناً من المخاوف: لأن السلام يعني عدم الحرب والحرب فيها مخاوف وهلع وخراب ودمار والسلام عكس ذلك كله فمن هنا كان السلام أماناً.

والأمانة نظاماً للأمة: دستوراً وطريقاً بها يتعاملون وعليها تمشي أمورهم وعكسها الخيانة فإنها تفقد الثقة وذلك يوجب الحرج والعسر.

والطاعة تعظيماً للإمامة: فإن الأمة إذا اجتمعت حول قيادتها ارتفعت منزلة الإمامة وارتفاع منزلتها وتعظيمها تعظيماً للدين وارتفاعاً له. . .

٢٥٣ ـ وكان عليه السلام يقول: أَحْلِفُوا[1] الظَّالِمَ ـ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ ٱللهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ ٱلْعُقُوبَةَ، وَإِذَا حَلَفَ بِٱللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ ٱللهَ تَعَالَى.

اللغة

١ ـ الحلف : القسم.

الشرح

هذا من الأيمان المغلظة التي يقف لها شعر البدن فلا يتمالك المسلم المؤمن بالله أن يتلفظ بها وإذا أقدم جُرأة على الله فإن الله يأخذه كما ورد في الخبر: إن الصادق عليه السلام أحلف بيمين البراءة ـ وهو هذا اليمين ـ رجلاً ادعى عليه زوراً وكذباً أمام المنصور فما أتم الحالف يمينه حتى أصيب بالفالج وجر برجله من المجلس ثم مات...

---

٢٥٤ ـ وقال عليه السلام: يَٱبْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَٱعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ[1] أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.

اللغة

١ ـ تؤثر : تحب.

الشرح

اعتاد بعض الناس أنهم إذا دنت ساعة فراقهم من الدنيا أن يوصوا من خلفهم أن يتصدقوا عنهم أو يعملوا بأموالهم بعض الأعمال الحسنة التي يؤجرون عليها في آخرتهم وتنفعهم يوم لقاء ربهم والإمام ينبه هذا الصنف من الناس ويلفت نظرهم إلى أنه لا داعي للوصية ولا داعي لتأخير التنفيذ بل نفذ ما تريد في حال حياتك فأنت الذي تعبت حتى حصلت على المال وأنت الذي جنيت المال انفذ ما تريد فلعل غيرك لا ينفذ ما تريد ولا يعمل في أموالك ما تحب...

٢٥٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِدَّةُ[١] ضَرْبٌ مِنَ ٱلْجُنُونِ، لأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ[٢].

اللغة

١ ـ الحدة : ما يعتري الإنسان من الغضب.
٢ ـ استحكم الأمر : تمكّن.

الشرح

الحدة، الغضب الشديد والإثارة لأدنى شيء وصاحبها يرجع مباشرة إلى الاعتذار ويندم على فعله ولكنه إذا لم يندم بل بقي مصراً على فعله وحدته فهو مجنون وجنونه دائم لأنه لم يستعمل عقله الذي زوده به الله ومن لم يستعمل عقله دخل في زمرة المجانين وفي هذا البيان تنبيه إلى سيئات الحدة وهو تنبيه إلى بعض خصوصيات صاحب الحدة. . .

---

٢٥٦ ـ وقال عليه السلام: صِحَّةُ ٱلْجَسَدِ، مِنْ قِلَّةِ ٱلْحَسَدِ.

الشرح

هذا ترغيب في البعد عن الحسد بذكر بعض فوائد الاجتناب عنه وهو أن عدم الحسد يجعل البدن صحيحاً وقد تقدم ما يشبه هذا.

---

٢٥٧ ـ وقال عليه السلام لِكُمَيْلْ بن زِياد النخعي: يَا كُمَيْلُ، مُرْ[١] أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا[٢] فِي كَسْبِ ٱلْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا[٣] فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ. فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ ٱلأَصْوَاتَ، مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلاَّ وَخَلَقَ ٱللهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً. فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ[٤] جَرَى[٥] إِلَيْهَا كَٱلْمَاءِ فِي ٱنْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا[٦] عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ ٱلإِبِلِ[٧].

اللغة

١ ـ مر : فعل أمر من أمر.
٢ ـ يروحوا : يذهبوا من الرواح وهو الذهاب بعد الظهر.
٣ ـ يدلجوا : يدخلوا في الليل ويسافروا فيه.
٤ ـ النائبة : المصيبة.
٥ ـ جرى الماء : سال.
٦ ـ يطردها : يُبعدها.
٧ ـ غريبة الإبل : التي لم تكن من جملة القطيع ومن أفراده فهي غريبة يطردها أصحابهم أو نفس الإبل تطردها.

الشرح

توجيه لكميل أن يأمر أهل بيته بكسب المكارم ويتعلموا محاسن الأخلاق ويتعاملوا مع الناس بالحسنى ثم قضاء حاجة الناس وقد ورد الكثير من الأخبار في هذا الباب وورد عن أهل البيت أن من قضى حاجة لأخيه المؤمن قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة... وفي سيرة أهل البيت أعلى الدروس وأنفع النصائح ويكفي ما بشر به الإمام هنا فهذا اليمين منه ـ وهو صادق بدونه ـ بأن الله يخلق من ذلك السرور الذي أدخله على المؤمن بقضاء حاجته، يخلق له لطفاً فإذا نزلت نازلة ومصيبة تداعى اللطف فكشفها عنه فلعل بقضاء الحاجة للمؤمن يعرفه الناس ولا ينساه صاحبه فيكون ذلك كاشفاً لهمه وغمه ومصيبته.

---

٢٥٨ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَمْلَقْتُمْ(١) فَتَاجِرُوا ٱللهَ بِالصَّدَقَةِ.

اللغة

١ ـ أملقتم : افتقرتم.

الشرح

الإملاق هو الفقر فإذا حل الفقر بساحتك فتاجر مع الله بقليل من الصدقة تدفعها إلى فقير فيرتفع صوته بالدعاء لك بالرزق والخير وهذا الأمر يعلم الله سره وهو الذي بيده

مفاتيح خزائن السموات والأرض وليس ذلك بعزيز عليه فقد يجعل الرزق من هذا الباب إذا انسدت الأبواب كلها.

٢٥٩ ـ وقال عليه السلام: اَلْوَفَاءُ لأَهْلِ اَلْغَدْرِ[١] غَدْرٌ عِنْدَ اَللهِ، وَاَلْغَدْرُ بِأَهْلِ اَلْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اَللهِ.

اللغة

١ ـ الغدر : هو نقض العهد وترك الوفاء به.

الشرح

إذا اعتاد بعضهم على الغدر ثم وفيت لهم بما وعدت فهذا غدر عند الله لأنك تساعدهم على غدرهم وتعاونهم ليستمروا في نقضهم للعهود بينما إذا غدرت بهم وأدبتهم فهذا وفاء لهم باعتبار أنهم سيتأدبون ويعرفون قيمة الغدر وآثاره السيئة فيرتدعوا عنه ويكفوا عن ممارسته وفي ذلك وفاء عند الله لأنك أدبتهم وعلمتهم على الوفاء...

٢٦٠ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ[١] بِاَلإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ اَلْقَوْلِ فِيهِ. وَمَا اَبْتَلَى اَللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ اَلإِمْلاءِ لَهُ.

قال الرضي: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم، إلا أن فيه ها هنا زيادة جيدة مفيدة.

اللغة

١ ـ الاستدراج : تتابع النعمة على العاصي ليعذر في عذابه وأخذه.

٢ ـ الإملاء : الإمهال.

تقدم هذا بنصه الحرفي في الحكمة رقم ١١٦ فليراجع هناك.

فصل نذكر فيه شيئاً من غريب كلامه المحتاج إلى التفسير

١ ـ وفي حديثه عليه السلام

فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ.

قال الرضي: اليعسوب: السيد العظيم المالك لأمور الناس يومئذ، والقزع: قطع الغيم التي لا ماء فيها.

هذا إخبار منه بالإمام المنتظر وأنه بعد غيبته وخوفه سيخرج ويجتمع إليه المؤمنون فيبسط سلطانه على العالم ويقيم دولة العدل والإيمان.

٢ ـ وفي حديثه عليه السلام

هٰذَا ٱلْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ.

يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكل ماض في كلام أو سير فهو شحشح، والشحشح في غير هذا الموضع: البخيل الممسك.

قال المعتزلي في شرحه: قد جاء الشحشح بمعنى الغيور والشحشح بمعنى الشجاع والشحشح بمعنى المواظب على الشيء الملازم له والشحشح الحاوي ومثله الشحشحان.

وهذه الكلمة قالها علي عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله وكفى صعصعة بها فخراً أن يكون مثل علي عليه السلام يثني عليه بالمهارة وفصاحة اللسان وكان صعصعة أفصح الناس...

٣ ـ وفي حديثه عليه السلام

إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً.

يريد بالقحم المهالك، لأنها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر. ومن ذلك «قحمة الأعراب» وهو أن تصيبهم السنة فتتعرق أموالهم فذلك تقحمها فيهم. وقيل فيه وجه آخر: وهو أنها تُقْحِمُهُمْ بلاد الريف، أي تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو.

قال بعض شراح النهج إن هذه الكلمة قالها عندما وكّل عبد الله بن جعفر في الخصومة عنه، وهو شاهد وقال آخر لعلها كانت في أيام الثلاثة...

٤ ـ وفي حديثه عليه السلام

إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ ٱلْحِقَاقِ فَٱلْعَصَبَةُ أَوْلَى.

والنص: منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير، لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة. وتقول: نصصت الرجل عن الأمر، إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه. فنص الحقائق يريد به الإدراك، لأنه منتهى الصغر، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر، وأغربها. يقول: فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها، إذا كانوا محرماً، مثل الإخوة والأعمام، وبتزويجها إن أرادوا ذلك. والحقاق: محّاقة الأم للعصبة في المرأة، وهو الجدال والخصومة، وقول كل واحد منهما للآخر: «أنا أحق منك بهذا» يقال منه: حاققته حقاقاً، مثل جادلته جدالاً. وقد قيل: إن «نص الحقاق» بلوغ العقل، وهو الإدراك، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى الأمر الذي تجب فيه الحقوق والأحكام، ومن رواه «نص الحقائق» فإنما أراد جمع حقيقة.

هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام، والذي عندي أن المراد بنص الحقاق ها هنا بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها، تشبيهاً بالحقاق من الإبل، وهي جمع حِقّة وحِقّ وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره، ونصه في السير، والحقائق أيضاً: جمع حقة. فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنى واحد، وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولاً.

المراد أن البنت إذا بلغت وقد توفي أبوها فتنازع أقرباء الأم والأب كل يريدها ويريد تزويجها فأقرباء الأب أولى من غيرهم...

٥ ـ وفي حديثه عليه السلام

إِنَّ ٱلإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي ٱلْقَلْبِ، كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلإِيمَانُ ٱزْدَادَتِ اللُّمْظَةُ.

واللمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض. ومنه قيل: فرس ألمظ، إذا كان بجحفلته شيء من البياض.

وفي هذه الكلمة بيان أن الإيمان يزداد ويقلّ ويقوى ويضعف فإذا توجه الإنسان إلى الله وواظب على العبادة وقام باعمال الخير قوي الإيمان وترسخ وإذا عمل المفاسد وترك العبادات فإنه يضعف حتى يصل به الأمر إلى الكفر في نهاية المطاف...

٦ ـ وفي حديثه عليه السلام

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ، لِمَا مَضَى، إِذَا قَبَضَهُ.

فالظنون: الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذين هو عليه أم لا، فكأنه الذي يظن به، فمرة يرجوه ومرة لا يرجوه. وهذا من أفصح الكلام، وكذلك كل أمر تطلبه ولا تدري على أي شيء أنت منه فهو ظَنون، وعلى ذلك قول الأعشى:

مَا يَجْعَلُ ٱلْجُدَّ الظَّنُونَ الَّذِي جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ ٱلْمَاطِرِ
مِثْلَ ٱلْفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا يَقْذِفُ بِٱلْبُوصِيِّ وَٱلْمَاهِرِ

والجُدّ: البئر العادية في الصحراء، والظنون: التي لا يعلم هل فيها ماء أم لا.

الدين الظنون هو الدين على أحد الناس ولا يدرى أتحصل عليه أم يبقى إلى قيام الساعة والإمام هنا يحكم أنه إذا قبضه يجب تزكيته ويحمل الحكم هنا على الاستحباب ولا داعي للتأويلات والاحتمالات لأن الحكم بالوجوب مخالف لما ورد عن أهل البيت من عدم الزكاة في مثل هذه الصورة...

٧ ـ وفي حديثه عليه السلام

أَنه شيع جيشاً بغزية فقال: ٱعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ.

ومعناه: اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهن، وامتنعوا من المقاربة لهن، لأن ذلك يَفُتّ في عضد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العَدْو ويلفت عن الإبعاد في الغزو، وكل من امتنع من شيء فقد عذب عنه. والعاذب والعذوب: الممتنع من الأكل والشرب.

هذه وصية منه وتوجيه ليبقى الجيش خالصاً بنيته لله دون أن يشوب جهاده قلق أو أذية من خلال تذكره للنساء.

٨ ـ وفي حديثه عليه السلام

كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ.

الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور، والفالج: القاهر والغالب، يقال: فلج عليهم وفلجهم، وقال الراجز: لما رأيت فالجاً قد فلجا.

ومراده أن المؤمن الطاهر المطيع لله سعيد في دنياه وآخرته فله إحدى الحسنين النصر أو الشهادة...

٩ ـ وفي حديثه عليه السلام

كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ.

ومعنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو، واشتد عضاض الحرب، فزع المسلمون إلى قتال رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بنفسه، فينزل الله عليهم النصر به، ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه.

وقوله: «إذا احمر البأس» كناية عن اشتداد الأمر، وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها: أنه شبه حَمْيَ الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها. ومما يقوي ذلك قول رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، وقد رأى مُجْتَلَدَ الناس يوم حنين وهي حرب هوازن: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ» فالوطيس: مستوقد النار، فشبه رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ما استحرّ من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها.

هذه شهادة من فارس الإسلام والمسلمين وقاتل الكفار والمشركين، شهادة من أعظم المقاتلين يشهد أن رسول الله أشجع البشر فلا مفر للعالم كله أن يعترف ويقر بهذه الحقيقة المحمدية...

٢٦١ ـ وقال عليه السلام لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النّخَيْلَة فأدركه الناس، وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم، فقال:

مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا(١) قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا(٢)، وَإِنَّنِي ٱلْيَوْمَ لأَشْكُو حَيْفَ(٣) رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي ٱلْمَقُودُ وَهُمُ ٱلْقَادَةُ، أَوِ ٱلْمَوْزُوعُ(٤) وَهُمُ ٱلْوَزَعَةُ(٥)!.

فلما قال عليه السلام هذا القول، في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي، فمر بأمرك يا أمير المؤمنين نَنْقَدْ له، فقال عليه السلام:

وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ؟.

اللغة

١ ـ **الرعايا** : عامة الناس الذين عليهم راع.
٢ ـ **الرعاة** : جمع الراعي وهو كل من ولي أمر قوم.
٣ ـ **الحيف** : الظلم والجور.
٤ ـ **الموزوع** : المحكوم.
٥ ـ **الوزعة** : محركة جمع وازع بمعنى الحاكم.

الشرح

عانى الإمام من أصحابه أشد العناء وكان حظه منهم ضئيل حقير لم يطيعوه فيما أمر وألزموه بما رأوا وهذه الكلمات نفثة مصدور وآهة محموم أشعر فيها بغبن الحياة وظلمها للعظماء والشرفاء.

وهذه حادثة ـ من جملة حوادث ـ مرت على الإمام وهي أن معاوية كان يبعث بعض أصحابه للإغارة على أطراف ما يحكمه الإمام فيقتلون ويسلبون ويخربون حتى وصل شرهم إلى بلدة الأنبار ـ وهي بلدة تقع على الجانب الشرقي للفرات ـ فلما سمع الإمام خرج منفرداً ماشياً حتى وصل إلى منطقة النخيلة وهي بظهر الكوفة وفيها كان يعسكر الإمام وعندها تحرك الناس وأدركوه وقالوا له نحن نكفيك فأجابهم إنكم لا تكفونني أنفسكم، فأنتم تحتاجون إلى تهذيب وتعليم وإصلاح ورد إلى الله ورسوله

فكيف تكفونني غيركم، وإن الموازين قد تغيرت كانت الرعية تخاف ظلم الراعي والحاكم فصرت أشكو ظلم رعيتي لي حيث لم يطيعوا أمري ويريدون تنفيذ أوامرهم فكأني لظلمهم أصبحوا القادة وأنا الرعية وهم الحكام وأنا المحكوم وبعد كلام طويل منه تقدم إليه العبدان الصالحان وقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننقد له قال عليه السلام: وأين تقعان مما أريد فأنا أريد قتال معاوية وهذا يحتاج إلى جيش لجب وإلى رجال يقارعون بالسيوف وأنتم اثنان لا تكفيان لذلك. . .

---

٢٦٢ ـ وقيل إن الحارث بن حوط أتاه فقال: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟.

فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ[١]! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ ٱلْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ[٢]، وَلَمْ تَعرِفِ ٱلْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ.

فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام:

إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدُ ٱلله بْنِ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا ٱلْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلاَ[٣] ٱلْبَاطِلَ.

اللغة

١ ـ حرت : تحيرت.
٢ ـ من أتاه : من أخذه.
٣ ـ خذله : تخلى عن نصرته.

الشرح

هذه شبهة دخلت في ذهن هذا الرجل لبساطته وقلة معرفته وعدم إحاطته بالأمور فهو يستنكر أن يكون أصحاب الجمل على ضلالة وردّ الإمام عليه إنك يا حارث قصير النظر عديم المعرفة لأنك رأيت أصحاب النبي وزوجته فقلت إذن الحق معهم وإلى جانبهم وهذا هو الخطأ فالحق لا يعرف بالرجال بل القضية بالعكس متى عرفت الحق والباطل عرفت الرجال وأنهم على الحق أو الباطل.

ثم أراد أن يتخلّص بأسلوب آخر فقال إن سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر اعتزلا القتال واجتنبا الفتنة وعملهما هذا جيد مبرىء للذمة.

فأجابه الإمام إنهما لم ينصرا الحق المتمثل بالخلافة الشرعية ولم يدافعا عن القيادة وأهدافها أو يبينا للناس وجه الصواب، ولم يخذلا الباطل المتمثل بمعاوية وأصحابه والمسلم لا يعيش بهذه الصورة بل رسالته توجب عليه أن ينصر الحق ويدافع عنه و يخذل الباطل ويخزي النفاق فعمل الرجلين ليس شرعياً ولا صحيحاً فأنت لا يمكن أن تقتدي بهما. . .

ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب.

عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب.

أمه اسمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص.

ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي وكان يكنى أبا عبد الرحمن أسلم بمكة مع إسلام أبيه عمر.

لم يعهد عنه موقف مميز بل كان ضعيف الشخصية لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله وكان شعاره لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب فصلى حتى خلف الحجاج بن يوسف الثقفي.

وكان يقول: لا أسأل أحداً شيئاً ولا أرد ما رزقني الله ولذا كان يقبل من المختار الثقفي ومن عبد العزيز بن مروان ومن معاوية وابنه يزيد ولضعفه في دينه لما بويع يزيد بن معاوية بلغ ابن عمر ذلك فقال: إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاء صبرنا وقد خالف إجماع أهل المدينة عندما خلعوا يزيد فقد جمع بنيه وقال: إنا بايعنا هذا الرجل ـ يزيد ـ على بيع الله ورسوله وإني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقول: هذه غدرة فلان وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الشرك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله (ص) ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرعن أحد منكم في هذا الأمر فتكون الصيلم بيني وبينه.

وعبد الله هو الذي رفض بيعة علي (ع) ولم يبايعه مع أنه ذهب إلى الحجاج ليبايع لعبد الملك بحجة أنه يخاف الموت بدون إمام فيموت ميتة جاهلية. . .

مات ابن عمر بمكة ودفن بفخ سنة أربع وسبعين وكان سنه يوم مات أربع وثمانين سنة.

٢٦٣ ـ وقال عليه السلام: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ ٱلأَسَدِ: يُغْبَطُ[1] بِمَوْقِعِهِ[2]، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

اللغة

١ ـ **الغبطة** : أن يتمنى المرء مثل ما عند غيره دون أن يزول عنهم.

٢ ـ **بموقعه** : بمكانه.

الشرح

أعوان الحاكم وحاشيته في نظر الناس أنهم أصحاب رتب مرموقة يتمنى الكثيرون أن يصلوا إلى منزلتهم ومقامهم ولكنهم لا يعرفون الأخطار المحدقة بهم ففي لحظة واحدة يسقط عن منزلته وتصادر أمواله ويسجن وقد ينكّل به شر تنكيل وفي التاريخ نماذج كثيرة لهذه الحوادث كنكبة البرامكة في زمن الرشيد فقد كان لهم الوزارة والحظوة والسطوة وما هي إلا لحظات حتى غضب عليهم الرشيد فأفناهم وقضى عليهم فصاحب السلطان كراكب الأسد فهو في أعين الناس عظيم ومحله رفيع يتمنى كثيرون أن يكونوا هم راكبوا الأسد ولكن راكب الأسد وحده الذي يعرف الخطر وأنه ربما غفل لحظة فذهب ضحية سهلة...

٢٦٤ ـ وقال عليه السلام: أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ[1] غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.

اللغة

١ ـ **العقب** : النسل ومن يأتي بعدك من ذريتك.

الشرح

إذا أردت الإحسان إلى ذريتك ومن يأتي بعدك من أولادك وأحفادك أحسن إلى أولاد الناس وأحفادهم وعاملهم بأجمل ما تحب أن يعامل به أولادك وذريتك وهذا أمر مجرب فإنك بإحسانك تعطف قلوب الناس على أحفادك وتبقى صورة الإحسان في أذهانهم مما يحركهم للإحسان إلى ذريتك...

---

٢٦٥ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ كَلَامَ ٱلْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً[١] كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً[٢].

اللغة

١ ـ **الصواب** : غير الخطأ.

٢ ـ **داء** : مرض.

الشرح

لأن الحكماء قدوة للناس والناس يعملون بما يقولون فإذا كان القول صحيحاً استفادوا منه وسعدوا وتقدمت حياتهم وفازوا وأما إذا كان باطلاً وفاسداً فإنه يفسد المجتمع ويخرب الحياة وينشر البؤس والتعاسة...

---

٢٦٦ ـ وسأله رجل أن يعرفه الإيمان فقال عليه السلام: إِذَا كَانَ ٱلْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ ٱلْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ[١]، يَنْقُفُهَا[٢] هذا وَيُخْطِئُهَا هذَا.

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله: «الإيمان على أربع شعب».

اللغة

١ ـ **الشاردة** : النافرة.

٢ ـ **ينقفها** : يصيبها.

الشرح

وقد تقدم شرح ذلك في الكلمة ٣١.

٢٦٧ ـ وقال عليه السلام: يَا بْنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ ٱللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

الشرح

لكل يوم همومه وفيه مشاغله وأتعابه والإمام يريد أن لا تنقل أحزان المستقبل ومشاكله وما فيه من هموم إلى يومك هذا فتتضاعف الأحزان والهموم وقد تكسرك ولا تستطيع الوقوف أمامها، فأنت فكر في يومك وما أنت فيه وأما المستقبل فبيد الله هو الذي تكفل لك برزقك ولن تموت نفس حتى تستكمل قوتها... لا يشغل فكرك غد وأنت في الساعات الأولى من يومك الحاضر.

٢٦٨ ـ وقال عليه السلام: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً[1] مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً[2] مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوماً مَا.

اللغة

١ ـ الهون : الحقير والمراد هنا القليل.

٢ ـ البغيض : المبغوض المكروه.

الشرح

دعوة إلى الاعتدال وعدم الإفراط حتى في الحب والبغض وأنك إذا أحببت شخصاً فلا تذوب فيه ولا تعطيه أسرارك وتكشف له عيوبك فلربما انقلب عدواً فيعرف معايبك وينشر مساويك ويعرف كيف يضرك وكذلك إذا أبغضت إنساناً فلا تقطع جميع الخيوط

بينك وبينه بل ليكن ذلك بقدر بحيث لو رجع إلى الصواب أمكن الرجوع إليه دون تأسف أو أسى على ما مضى من كلام سخيف بذيء. . .

---

٢٦٩ ـ وقال عليه السلام: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلاَنِ: عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى(١) عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ(٢) ٱلْفَقْرَ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ، وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ(٣) ٱلْحَظَّيْنِ(٤) مَعاً، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً(٥) عِنْدَ ٱللهِ، لاَ يَسْأَلُ ٱللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ.

اللغة

١ ـ **يخشى** : يخاف.
٢ ـ **يخلفه** : يتركه خلفه.
٣ ـ **أحرز الشيء** : حازه.
٤ ـ **الحظين** : النصيبين.
٥ ـ **الوجيه** : سيد القوم ذو الجاه والوجاهة.

الشرح

الناس في الدنيا عاملان: عامل عمل في الدنيا للدنيا، ومن أجلها قاطعاً النظر عن الآخرة وثوابها وما ينتظره منها.

قد شغلته دنياه عن آخرته: فقد استولت الدنيا على قلبه فيقوم وهو يفكر فيها وينام وهو يفكر فيها وكيفما يتحرك يفكر فيها.

يخشى: ويخاف.

على من يخلفه: من أبناء وأحفاد.

الفقر: والحاجة.

ويأمنه على نفسه: فهو في أمن من الفقر لأنه يعرف موارد الرزق وكيف يكتسب الأموال ويجمع الحطام.

فيفني عمره في منفعة غيره: إنه يجمع للأبناء والأحفاد ويقتني الدور والعقار من أجلهم فعمره كله ينقضي في الجمع لهم.

وعامل: آخر.

عمل في الدنيا لما بعدها: وما يترقبه ويراه من الحساب والعذاب والجنة والنار فسعى من أجل الجنة ونعيمها وما فيها.

فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل: فإنه بعمله الذي كان يعمله للآخرة - فيه نفسه - يحصّل رزق الدنيا ورزق الآخرة.

فأحرز الحظين معاً: حظه في الدنيا وحظه في الآخرة.

وملك الدارين: الدنيا والآخرة.

جميعاً فأصبح وجيهاً عند الله لا يسأل الله حاجة فيمنعه: بل كل حاجاته مقضية بإذن الله لطاعته لله...

---

٢٧٠ - وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك، وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام:

إِنَّ هذَا ٱلْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -، وَٱلأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ ٱلْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ ٱلْوَرَثَةِ فِي ٱلْفَرَائِضِ(١)، وَٱلْفَيْءُ(٢) فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَٱلْخُمُسُ(٣) فَوَضَعَهُ ٱللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا ٱللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حَلْيُ ٱلْكَعْبَةِ(٤) فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ ٱللهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ. فقال له عمر: لولاك لافتضحنا. وترك الحلي بحاله.

اللغة

١ - **الفرائض** : ما فرض لكل واحد من الورثة وعلم الفرائض علم يعلم به توزيع التركة.

٢ ـ الفيء : الضرائب.
٣ ـ الخمس : يخرج خمس الأرباح.
٤ ـ حلى الكعبة : المصوغات التي تزين به الكعبة.

الشرح

كان الإمام لا يبخل بنصيحة يعود خيرها على المسلمين وبالرغم من أنه لم يقل بشرعية الخلافة للخلفاء الثلاثة ويرى أن الحق له دونهم لكنه مع ذلك كان يبذل النصيحة لهم ويدلهم على المواضع التي يكون فيها عز الإسلام والمسلمين ومن ذلك نصيحته لعمر عندما أراد أن يفتح فارس وأراد أن يكون هو على رأس الجيش نصحه الإمام ورده عن رأيه ومنها هذه النصيحة وهي أنه لما همّ عمر بأخذ حلى الكعبة نصحه الإمام بهذا البيان الجليل وهو أن الأموال أربعة أموال خاصة يكتسبها الإنسان فهذه توزع على الورثة بعد الوفاة وأموال عامة فمال الفيء الذي يكسبه المجاهدون يوزع عليهم على تفصيل مذكور في كتاب الفقه ومال الخمس وضعه الله حيث وضعه في بني هاشم بدل الزكاة ومال الصدقات فجعلها للأصناف الثمانية وبقي مال الكعبة وقد كان أمام نظر الله ونظر رسول الله فأبقياه مكانه وأن الله لم يغفل عنه ورسوله لم يحركه فوجب الإقتداء بذلك.

---

٢٧١ ـ وروي أنه عليه السلام رفع إليه رجلان سرقا من مال الله أحدهما عبد من مال الله، والآخر من عروض الناس.

فقال عليه السلام: أَمَّا هذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ ٱللهِ وَلاَ حَدَّ(١) عَلَيْهِ، مَالُ ٱللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَمَّا ٱلآخَرُ فَعَلَيْهِ ٱلْحَدُّ الشَّدِيدُ. فقطع يده.

اللغة

١ ـ الحد : عقوبة مفروضة نتيجة إثم معين.

الشرح

هذه مسألة فقهية مفادها أن اثنين سرقا من مال الله المعبر عنه بالفيء والغنيمة أحد الرجلين عبد من نفس المغنم والآخر من عامة الناس الآخرين فأمر الإمام بالنسبة للأول

أنه لا قطع عليه لأنه من جملة الفيء والمغنم فمال الله أكل بعضه البعض كالدابة المغنومة إذا أكلت من الغنيمة شيئاً وأما الآخر فيجب عليه القطع إذا حصلت شرائط السرقة

٢٧٢ ـ وقال عليه السلام: لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتِ(١) قَدَمَايَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدَاحِضِ(٢) لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ.

اللغة

١ ـ استوت قدماي : استقر حكمي.
٢ ـ المداحض : المزالق التي تزل بها الأقدام.

الشرح

يقول عليه السلام لو سكنت الفتنة واستتب الأمن وعاد الهدوء وانطمس الضلال وقضي على الباطل وخرجنا من هذه الحروب لغيرت كثيراً مما ابتدعه الخلفاء قبلي وخالفوا فيه الحق والعدل وهذا إنكار منه على كثير مما جرى في زمن من تقدمه ويُذكر أمور كثيرة من البدع والانحرافات عن الدين ذكر بعضها ابن أبي الحديد في طيات شرحه وذكر العلامة الأميني كثيراً منها في موسوعة الغدير الغراء...

٢٧٣ ـ وقال عليه السلام: ٱعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ ٱللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَٱشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ(١)، وَلَمْ يَحُلْ(٢) بَيْنَ ٱلْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ. وَٱلْعَارِفُ لِهٰذَا، ٱلْعَامِلُ بِهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ(٣) بِالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتَلًى(٤) مَصْنُوعٌ لَهُ(٥) بِٱلْبَلْوَى! فَزِدْ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ.

اللغة

١ ـ **الذكر الحكيم** : القرآن.
٢ ـ **يحل** : من الحائل وهو الفاصل.
٣ ـ **المستدرج** : الذي يمد الله له بالنعمة ويمهله فلا يأخذه بالمعصية.
٤ ـ **المبتلى** : المصاب بالمصائب.
٥ ـ **مصنوع له** : معتنى به.

الشرح

هذه دعوة إلى عدم الحرص والتكالب على الدنيا وأن الإنسان سيصله رزقه المقسوم له ولن ينال أزيد منه مهما تعب وكد وسعى ومهما كان واعياً ومتحركاً كما أنه لن ينقص من رزق آخر مهما كان قليل الحركة قليل السعي وهذا قد رأيناه بأم العين قد رأينا بعض البسطاء السذج الذي إذا تكلم لا يكاد يحسن تركيب عبارتين ولا أن يعبر عن مقصوده قد اتسعت أبواب الرزق أمامه فأضحى من الأغنياء بينما رأينا العالم اللبق المتحرك اللسن يستجدي من رزق المتقدم وتلك حكمة إلهية تخفى على أولي الألباب، ولا تخفى على المتدينين الأتقياء... فالإمام هنا يقول: اعلموا علماً يقيناً لا يخالطه شك أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته وكانت لديه القدرة لفتح أبواب الرزق واشتدت طلبته فسعى في طلب الرزق كل مسعى وقويت شوكته كانت له همة عالية في طرق أبواب الرزق فلا يتوانى أو يكسل فمهما كان فيه ذلك فلم يجعل له أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم، والآيات تتعرض لذلك كما في قوله تعالى: ﴿**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم**﴾ وفي المقابل لم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته فمهما كان العبد ضعيفاً وقليل الحيلة في السعي لم يحل بينه وبين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم من الرزق المقسوم الموعود به وكما قال الشاعر:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

والعارف لهذا المطمئن إلى أن الرزق مقسوم وعلى العبد أن يطلبه لأنه مأمور بالطلب العامل به أعظم الناس راحة في منفعة فهو إذا علم أن رزقه مقسوم وأنه لا بد وأن يصل إليه ارتاحت نفسه وانتفع بوقته وأما التارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا في مضرة، فإن الشاك في ذلك يسعى في مضرة نفسه حيث يغامر ويسافر فيركب البحر والبر والجو وحالته حرجة ولا يحصل إلا على ما قسمه الله... **ثم أراد عليه السلام أن ينبه**

أصحاب النعمة كما ينبه المقتر عليهم بقوله: «ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى» يعني فلا يظن أن كل نعمة هي خير ولسعادة المعطى إذ ربما كانت من أجل عذابه فالله يعطيه وهو يعصيه فتكون بظاهرها نعمة وفي واقعها نقم[illegible] روي أنه رب مبتلى مصنوع له بالبلوى فرب مبتلى بالفقر كان الإبتلاء له من أجل زيادة أجر، وزيادة ثوابه فظاهرها نقمة وباطنها نعمة فزد أيها المستنفع في شكرك ليزيد الله في رزقك وقصر من عجلتك في طلب الرزق لتبلغ أمنيتك من الأجر والثواب وقف عند منتهى رزقك ولا تتجاوزه إلى الحرام ظاناً أنه يصبح حلالاً سائغاً ولا تكابد كثيراً مشقات طلبه فإنه مقسوم ولا بد من أن يصل إليك . . .

---

٢٧٤ ـ وقال عليه السلام: لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقِينَكُمْ شَكًّا. إِذَا عَلِمْتُمْ فَٱعْمَلُوا، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.

الشرح

هذا نهي أن يتحول العالم إلى جاهل والمتيقن بأمر إلى شاك فيه لأن أثر العلم العمل به وأثر اليقين أن يسير وفق يقينه فإذا علم الإنسان أمراً عمل به وإذا تيقن بأمر عمل بمقتضاه . . .

---

٢٧٥ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ(١) غَيْرُ مُصْدِرٍ(٢)، وَضَامِنٌ(٣) غَيْرُ وَفِيٍّ. وَرُبَّمَا شَرِقَ(٤) شَارِبُ ٱلْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ(٥)، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ ٱلْمُتَنَافَس فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ(٦) لِفَقْدِهِ(٧). وَٱلأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ ٱلْبَصَائِرِ، وَٱلْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لاَ يَأْتِيهِ.

اللغة

١ ـ مورد : موصل.
٢ ـ مصدر : من الصدور وهو الرجوع.

٣ ـ **ضامن** : كافل.
٤ ـ **شرق بالماء** : غصّ به.
٥ ـ **الري** : الشبع من الماء.
٦ ـ **الرزية** : المصيبة العظيمة.
٧ ـ **فقد الشيء** : غاب عنه وعدمه.

الشرح

هذه الكلمة منه عليه السلام تنهى عن الطمع وتذكر بعض مساويه والطمع صفة ذميمة يبقى نظر الطامع باستمرار بما في أيدي الناس من النعمة إن الطمع يورد الطامع إلى الهلكة غير مصدور لا يخرج منها إلا بالموت والهلاك وضامن غير وفي فإن الطمع يرّغب في الطلب ويمني الإنسان بإدراك المطلوب وهو لا يفي بذلك ولا يصدق معه ثم نبه إلى عدم الاسترسال وراء المطموع به بقوله: «وربما شرق شارب الماء قبل ريه» وهو مثل يضرب لمن تدركه المنية وهو في حال نعيمه وسعادته وربما قضى الطامع قبل إدراك أمنيته فلا يأسف ولا يتحسر على الدنيا وما فيها وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده فبقدر ما يكون الشيء عظيماً في نفسك يكون جزعك لفقده فينبغي أن لا يعظم عليك شيء وما فاتك اجعله كأنه لم يكن ولا تحزن عليه وهوّنه في نفسك والأماني تعمي أعين البصائر فإن الأماني التي يتصورها الإنسان تعمي عليه مسالك التفكير السليم وكل ما كان كذلك يجب اجتنابه وفي النهاية الحظ يأتي من لا يأتيه هذا تهوين وتخفيف عن الإنسان ورد إلى الله وأن الحظ إذا حالف أحداً فاز وانتصر مهما كان صغيراً وإذا جانبه لم ينفعه شيء...

---

٢٧٦ ـ وقال عليه السلام: **ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ[١] مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لاَمِعَةِ ٱلْعُيُونِ[٢] عَلاَنِيَتِي[٣]، وَتُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظاً عَلَى رِئَاءِ[٤] النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِي[٥] لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُفْضِي[٦] إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ.**

اللغة

١ ـ **أعوذ بك** : أستجير.
٢ ـ **لامعة العيون** : رؤيتها.
٣ ـ **العلانية** : خلاف السر، الظاهر.
٤ ـ **رثى الميت** : عدد محاسنه.
٥ ـ **أبدي** : أظهر.
٦ ـ **أفضي إليه بسره** : أعلمه به.

الشرح

هذه استجارة بالله أن لا يجعل ظاهره في أعين الناس تقياً ورعاً أميناً وفي واقعه خلاف ذلك بل يسأله التطابق بين الظاهر والباطن وبين الواقع والصورة وهذا ابتلاء عم بين الناس وشاع يخشون الناس والله أحق أن يخشوه ويخافون من ألسنة الناس ولا يخافون من حساب الله، فتراهم يتزينون ليظهروا في أعين الناس على أتم ترتيب وأعظم هندام ولكنهم يغفلون عن نظافة باطنهم وتطهيره من الدنس والخطيئة وهذا هو الرياء المنهي عنه والمبطل للعبادة فيتقرب العامل بعمله إلى الناس ويبتعد عن الله. . .

---

٢٧٧ ـ وقال عليه السلام: لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ(١) لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ(٢)، تَكْشِرُ(٣) عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ(٤)، مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

اللغة

١ ـ **الغبر** : البقايا.
٢ ـ **الدهماء** : السوداء.
٣ ـ **التكشر** : الضحك الذي يظهر معه الأنياب والثنايا.
٤ ـ **الأغر** : الأبيض.

الشرح

حلف بالله الذي يبقي الإنسان على قيد الحياة إلى أن يمضي الليل المظلم ويظهر الصبح المشرق كما نقول أقسم بالله الذي يبقينا على قيد الحياة حتى يطلع الصبح ما كان هذا الأمر وهذا الأمر. . . وهو حلف على نفي الشيء الفلاني. . .

٢٧٨ ـ وقال عليه السلام: قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ(١) مِنْهُ.

اللغة

١ ـ الملل : السأم والضجر.

الشرح

يقال: ساقية جارية ولا نهر مقطوع... فالقليل من الأجر أو العمل مع المداومة عليه والاستمرارية فيه خير من الأجر الكبير الذي تحصل عليه دفعة ثم تتوقف عن الأجر بعده وكذلك العمل إذا كان كثيراً وتوقف، وركعتان تتعهد نفسك بإقامتهما باستمرار في كل يوم خير من نوافل نهار بكاملها تنقطع بعدها عن النوافل أبداً...

---

٢٧٩ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِٱلْفَرَائِضِ فَٱرْفُضُوهَا.

الشرح

لأن الفرائض واجبات فلا تزاحمها المستحبات فإذا كانت المستحبات تمنع من الواجبات فلا خير فيها كمن يصلي صلاة الليل ويترك صلاة الصبح الواجبة أو يتصدق استحباباً ويترك ما عليه من الواجبات المالية كالخمس والزكاة... وقد تقدمت هذه الكلمة بعينها في الكلمة ٣٩.

---

٢٨٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ ٱسْتَعَدَّ.

الشرح

كلما كان سفرك طويلاً ورحلتك أيامها مديدة لا بد وأن تهيء زاداً كافياً لها لئلا تنقطع في الطريق، **والطريق إلى الآخرة والسفر إليها ليس هناك أبعد منها وأشق وزادها**

الإيمان والتقوى والعمل الصالح وكلما كانت هذه أكثر كلما كان الإنسان أشد راحة وأكثر اطمئناناً وأسعد جداً. . .

---

٢٨١ ـ وقال عليه السلام: لَيْسَتْ الرَّوِيَّةُ[١] كَٱلْمُعَايَنَةِ[٢] مَعَ ٱلإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ ٱلْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلاَ يَغُشُّ ٱلْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ.

اللغة

١ ـ **الروية** : إجالة الفكر في طلب الصواب.

٢ ـ **المعاينة** : الرؤية والمشاهدة.

الشرح

بدون إشكال أن الحواس تكذب الإنسان في بعض الأحيان فالنظر يريك القادم الكبير من بعيد صغيراً جداً وقد ترى الإنسان فتظنه غيره وهكذا سائر الحواس الأخرى أما العقل فإنه الحاكم المطلق الذي لا يغش بل هو الذي يميز ويحكم على الأشياء ولذا وردت الآيات والأحاديث في الحث على إعمال الفكر وتحريكه وإثارته من مكامنه.

---

٢٨٢ ـ وقال عليه السلام: بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ ٱلْغِرَّةِ[١].

اللغة

١ ـ **الغرة** : بكسر الغين الغفلة.

الشرح

الغرة معناها الغفلة، والمواعظ البليغة بين أيدينا نراها في كل حركة وفي كل أثر من آثار الأقدمين، فهذه آثار القوم وهذه ديارهم سكنوها قبلنا ومروا عليها وسنمضي وتبقى لغيرنا لكننا مع ذلك في غفلة من أخذ العبرة منها والاستعداد ليوم الحساب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. . .

٢٨٣ ـ وقال عليه السلام: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ[١]، وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ[٢].

اللغة

١ ـ **مزداد** : من الزيادة وهي الكثرة.

٢ ـ **مسوّف** : مؤخّر.

الشرح

إذا ارتدت الأمة إلى الجاهلية انعكست فيها الموازين واختلت المقاييس ومن علائم ذلك أن الجاهل يزداد من العمل ويكثر منه فيصلي وهو لا يحسن صلاته ويكثر منها وهو لا يدرك عمقها وكذلك سائر العبادات وأما العالم فإنه مسوف للعمل مؤجل له فإذا طولب قدم المعاذير والحجج الفارغة فلا يرعوي ولا يعود إلى الله...

---

٢٨٤ ـ وقال عليه السلام: قَطَعَ ٱلْعِلْمُ عُذْرَ ٱلْمُتَعَلِّلِينَ[١].

اللغة

١ ـ **المتعللين** : المعتذرين.

الشرح

لا تستطيع أن تعتذر إذا استطعت أن تتعلم وطالما أن باب العلم مفتوح لكل الناس وتستطيع الوصول إلى الحقيقة بعينها بالبحث عنها بنفسك فلا عذر لك أبداً وكما في الحديث يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: هلاّ عملت فيقول: لم أعلم فيقال له: هلاّ تعلمت...

---

٢٨٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مُعَاجِلٍ[١] يَسْأَلُ ٱلإِنْظَارَ[٢]، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ[٣] يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ[٤].

اللغة

١ ـ **المعاجل** : من العجلة ضد البطىء.
٢ ـ **الإنظار** : التأخير.
٣ ـ **مؤجل** : مؤخر.
٤ ـ **التسويف** : التأخير.

الشرح

كل من جاء أجله قال ربي أرجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت أو قال يا رب أخرني حتى أعمل من الصالحات بينما إذا كان في الوقت سعة والعمر فيه فسحة من الزمن يسوّف ويؤخر حتى تدركه المنية فالإنسان بين حالتين، حالة يطلب فيها التأخير والتأجيل إذا تضيق الخناق عليه وحالة أخرى يسوف ويؤخر ولا يبادر إلى العمل إذا كان له متسع وفسحة من الوقت، والعاقل الذي يعرف أنه لا تأجيل ولا تأخير إن جاء الأجل ولا يسوّف إن كان عنده سعة وامتداد في الأجل...

---

٢٨٦ ـ وقال عليه السلام: مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ «طُوبَى[١] لَهُ» إِلاَّ وَقَدْ خَبَأَ[٢] لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ.

اللغة

١ ـ **طوبى** : سعادة وخير وهناء.
٢ ـ **خبأ** : أخفى.

الشرح

إذا توجهت أنظار الناس إلى شيء بالإعجاب والإكبار رماه الدهر بقاصمات الظهر فالملك على كرسيه والزعيم في زعامته والغني في ثرائه يتساقطون تحت ضربات الدهر فينزل الملك إلى الحضيض ويزيل ملكه وقد يقضي عليه وتتهاوى الزعامة ويفتقر الغني وتلك حكمة الله شاء أن يعطي لهذا الإنسان درساً أن لا يأمن لحوادث الدهر بل يحسب لفواجعه حساباتها ولا يغتر بما هو فيه من النعيم...

٢٨٧ ـ وسئل عن القدر فقال: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ[١] فَلاَ تَسْلُكُوهُ[٢]، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلاَ تَلِجُوهُ[٣]، وَسِرُّ ٱللهِ فَلاَ تَتَكَلَّفُوهُ[٤].

اللغة

١ ـ مظلم : معتم.
٢ ـ سلك الطريق : دخله.
٣ ـ ولج : دخل.
٤ ـ تكلف الشيء : تجشمه وتحمله على مشقة أو على خلاف عادته.

الشرح

هذا نهي للعوام أن يتحدثوا في قضية القدر وأن الله لم قدر على هذا الإنسان هذا الفعل وعلى ذاك غيره وكيف وقع هذا الفعل من العاصي وكيف سمح به الله وإلى غيرها من الأسئلة التي لا يستطيع ذهن العامي استيعابها وفهمها وقد خوفهم بأنه طريق مظلم ليس للإنسان فيه موطىء قدم لشدته وكثرة الخوف منه من أن يضل أو ينحرف وبحر عميق قد لا يستطيع الإنسان السباحة فيه والنجاة منه وأخيراً بأنه من الأسرار الإلهية وأنتم غير مطالبين بمعرفته ولا تحاسبون على جهلكم به...

---

٢٨٨ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَرْذَلَ[١] ٱللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ[٢] ٱلْعِلْمَ.

اللغة

١ ـ أرذله : جعله رذيلاً والرذيل هو الساقط غير المحترم.
٢ ـ حظر عليه : منعه منه وحرمه.

الشرح

من عدم توفيق الإنسان ومن أسباب سقوطه ورذالته أن يمنع من العلم ولا يوفق لتحصيله وقد رأينا أراذل الناس ينادون ليتعلموا ويدعون ليتفهموا فيهربوا أو يتهربوا...

٢٨٩ ـ وقال عليه السلام: كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي ٱللهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ(١) فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ. وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلاَ يَشْتَهِي(٢) مَا لاَ يَجِدُ، وَلاَ يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ. وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ(٣) ٱلْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ(٤) السَّائِلِينَ. وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً! فَإِنْ جَاءَ ٱلْجِدُّ(٥) فَهُوَ لَيْثُ(٦) غَابٍ(٧)، وَصِلُّ(٨) وَادٍ، لاَ يُدْلِي(٩) بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً(١٠). وَكَانَ لاَ يَلُومُ(١١) أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ ٱلْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ، حَتَّى يَسْمَعَ ٱعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لاَ يَشْكُو وَجَعاً(١٢) إِلاَّ عِنْدَ بُرْئِهِ(١٣)، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى ٱلْكَلاَمِ(١٤) لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ(١٥) أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى ٱلْهَوَى فَيُخَالِفُهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ ٱلْخَلاَئِقِ(١٦) فَٱلْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَٱعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ ٱلْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ ٱلْكَثِيرِ.

اللغة

١ ـ يعظمه : يرفع من شأنه.
٢ ـ اشتهى : رغب.
٣ ـ بذّ : غلب.
٤ ـ نقع الغليل : أزال العطش.
٥ ـ الجد : الاجتهاد.
٦ ـ الليث : الأسد.
٧ ـ الغاب : جمع غابة وهي الشجر الملتف الكثيف.
٨ ـ الصل : بالكسر الحية.
٩ ـ أدلى بحجته : أحضرها، أرسلها واحتج بها.
١٠ ـ يأتي قاضياً : يجيء فاصلاً حاكماً.
١١ ـ اللوم : العذل.
١٢ ـ الوجع : الألم.
١٣ ـ البرىء : الشفاء.

١٤ ـ **غلب على الكلام** : سبقه الآخرون في الكلام.
١٥ ـ **بدهه الأمر** : أتاه من غير تأهب، فاجأه.
١٦ ـ **الخلائق** : الطبائع.

الشرح

هذا وصف للأخ المثالي الذي يتصوره الإمام ويضع له هذه المواصفات العظيمة وقد يكون نظره إلى أحد أصحابه الطيبين التي تنطبق عليه هذه المواصفات وعلى كل حال فالعبرة أن نأخذ هذه الأوصاف ونعيشها حية متجسدة في سلوكنا فنمتثل الأمر العلوي بالتزامها والتنافس فيها.

قال عليه السلام: كان لي فيما مضى من الزمن والعمر أخ في الله جمعتنا وإياه الأخوة في الله التي هي أقوى من أخوة النسب وكان يعظمه في عيني ويرتفع شأنه في نظري وفي نفسي صغر الدنيا في عينه لقد كانت الدنيا كلها حقيرة صغيرة في عينه وكان خارجاً من سلطان بطنه فليس أسيراً لشهوة البطن فلا يهتم بأكله ومشربه ولذا فلا يشتهي ما لا يجد حتى يروح يبحث عنه ويشغل فكره في الحصول عليه ولا يكثر من تناوله إذا وجد وكان أكثر دهره صامتاً فلا يثرثر ولا يهذي وإنما يتكلم ما ينفع وما يفيد فإن قال ووجد للقول مجال وفائدة بذ القائلين فاقهم وتقدمهم ونقع غليل السائلين رد على كل سائل وأفاده بما لا يحتاج معه إلى سؤال غيره وأقنعه بما قاله له وكان ضعيفاً مستضعفاً في نظر الناس وفي منظره الخارجي فإن جاء الجد والحقيقة وحمي الوطيس ودارت الحرب برحاها فهو ليث غاب أسد الغابات التي لا يقف أمامه أحد من الأعداء وصل واد حية وادٍ لا تُقَارب تحمي نفسها وموقعها ولا يجرأ أحد على التخطي عنها أو مقاربتها لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً فهو في حجته يقضي على خصمه لوجود عناصر الانتصار فيها ودلائل صدقها في طيات كلماتها ففيها الفصل وكان من شدة ورعه واحتياطه لا يلوم أحداً ولا يعتب عليه على ما يجد العذر في مثله ويمكن أن يوجه بوجه شرعي لأنه فعل المسلم يحمل على الصحة أو على الاضطرار والضرورة حتى يسمع اعتذاره فإن كان لعذره وجه مشروع مقبول قبل منه وإلا فرده بإحسان ووعظه بما ينبغي للمسلم أن يعظ أخاه وكان لوعيه وإيمانه لا يشكو وجعاً لئلا يشق على الناس فيشمت عدو أو يساء حبيب وربما كان في الشكوى نوع من التبرم والسخط وهذا قد يسقط الأجر والثواب نعم كان عند برئه يحكي مرضه ويشكر ربه وكان يقول ما يفعل ولا يقول ما لا يفعل فكان قوله مطابقاً لفعله وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت إذا رأى أن الكلام لا يفيد

ولا ينفع عدل عنه إلى السكوت لأنه الأقوم والأحسن والأقرب من الله وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم لأنه بالسماع يعرف الأشخاص ويعرف الكلام فيميز قبيحه من حسنه وباطله من مفيده وكان إذا بدهه أمران ينظر أيهما أقرب إلى الهوى فيخالفه كان إذا فاجأه أمران كل منهما حلال سائغ نظر في هوى نفسه فمن كان يرغب فيه تركه وأخذ بالآخر ليقهر النفس ويذللها على الطاعة ليكون عند قوله تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ فعليكم أيها المسلمون بهذه الخلائق والطبائع والصفات فالزموها وتنافسوا فيها فإن لم تستطيعوها كلها ولم تقدروا على الإتصاف بها فاعلموا أن أخذ القليل منها خير من ترك الكثير منها وما لا يدرك كله لا يترك كله.

---

٢٩٠ ـ وقال عليه السلام: لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ(١) ٱللهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ.

اللغة

١ ـ التوعد : الوعيد وهو الوعد بالعقوبة.

الشرح

بعد أن يعرف الإنسان أن الله هو المنعم ويعرف أن شكر المنعم واجب يقوم بأداء الشكر ولا يحتاج إلى وعيد الله بالعقوبة وتخويفه بالنار حتى يطيعه ولا يعصيه...

---

٢٩١ ـ وقال عليه السلام، وقد عزى(١) الأشعث بن قيس عن ابن له:

يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِكَ فَقَدِ ٱسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذٰلِكَ الرَّحِمُ(٢)، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي ٱللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ(٣) خَلَفٌ(٤). يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ(٥)، وَإِنْ جَزِعْتَ(٦) جَرَى عَلَيْكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ(٧). يَا أَشْعَثُ، ٱبْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ(٨)، وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ.

اللغة

١ ـ **عزى مصاباً** : حمله على العزاء وهو الصبر.
٢ ـ **الرحم** : القرابة.
٣ ـ **مصيبة** : بلية، نازلة.
٤ ـ **خلف** : عوض.
٥ ـ **مأجور** : مثاب.
٦ ـ **جزعت** : حزنت حزناً شديداً ولم تصبر.
٧ ـ **مأزور** : مأثوم.
٨ ـ **فتنة** : امتحان واختبار.

الشرح

(يا أشعث) بن قيس (إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك الرحم) لأن صلة القربى والعاطفة التي أودعها الله في نفوس الأرحام أمر طبيعي للتكامل في طريق التعامل والمحبة (و) لكن (إن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف) إن ألزمت نفسك بالصبر فإن في ثواب الله وما جعله من الأجر للصابرين والمصابين عوض عن فقدك لابنك، واعلم يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور فحكم الله سينفذ شئت أم أبيت فإن رضيت بقضائه وحكمه وصبرت على بلائه كان لك الأجر والثواب وإن جزعت فشققت الثياب ولطمت الوجه ودعوت بالويل والثبور جرى عليك القدر المحتوم المكتوب عليك وأنت مأزور مأثوم يا أشعث ابنك سرك وهو بلاء وفتنة كما قال تعالى: **﴿إن من أموالكم وأولادكم لفتنة﴾** وحزنك وهو ثواب ورحمة فموت الطفل وإن كان يحزن أبويه ولكنه رحمة لهم يقف على باب الجنة يقول لا أدخل حتى يدخل أبواي كما في الحديث. . .

---

٢٩٢ ـ وقال عليه السلام، على قبر رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ساعة دفنه:

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلاَّ عَنْكَ، وَإِنَّ ٱلْجَزَعَ(١) لَقَبِيحٌ إِلاَّ عَلَيْكَ، وَإِنَّ ٱلْمُصَابَ(٢) بِكَ لَجَلِيلٌ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ(٣).

اللغة

١ ـ **الجزع** : أشد الحزن وعدم الصبر.
٢ ـ **المصاب** : البلية وكل أمر مكروه.

٣ ـ الجلل : بالتحريك الأمر الهين والأمر العظيم فهو من الأضداد والمقصود هنا الهين.

الشرح

كان فقد النبي (ص) بالنسبة للإمام موجعاً لقلبه، وقد تأثر أشد ما يكون وحزن وتألم لأن بفقده تنطفىء أنوار النبوة وتنقطع أخبار السماء وتذهب البركة والخيرات وقد كان منه هذه النفثة التي تعبر عن عميق الأسى والحزن إن الصبر لجميل إلا عنك لأن الحزن عليك يجعلك باستمرار في قلوبنا وتعاليمك في صدورنا وعقولنا وسلوكنا وإن الجزع لقبيح إلا عليك لأنك في أعلى درجات الكمال والفضيلة وبفقدك لا نجد بديلاً عنك وأن المصاب بك لجليل مصيبتنا بك جليلة وعظيمة وأنه قبلك وبعدك لجلل فكل مصيبة قبلك وكل مصيبة بعدك هينة سهلة بالنسبة إلى مصابك فمصيبتك هونت المصائب الماضية والآتية. . .

---

٢٩٣ ـ وقال عليه السلام: لَا تَصْحَبِ ٱلْمَائِقَ(١) فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ(٢) لَكَ فِعْلَهُ، وَيَوَدُّ(٣) أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.

اللغة

١ ـ المائق : الأحمق.

٢ ـ يزيّن : يزخرف.

٣ ـ يود : يرغب.

الشرح

المائق الأحمق وهذا نهي إرشادي لاجتناب صحبة الأحمق فإنه لحمقه وجهله المركب يزين لك فعله ويحسّنه في عينك حتى تتقبله بالتدريج ويود أن تكون مثله في أفعاله وأعماله وساعات غضبه وحمقه. . .

٢٩٤ ـ وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب، فقال عليه السلام: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

الشرح

هذا جواب إقناعي من أجل أن يسكت السائل ولا يلح لأن التحديد بغيره قد يصعب الاقتناع به عند السائل والحضور وخصوصاً في ذلك الزمان الذي يفقد الإنسان فيه وسيلة القياس والتقدير فربما لو أجابه الإمام بالجواب الدقيق شكك أو رد. . .

---

٢٩٥ ـ وقال عليه السلام: أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ، فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ. وَأَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ.

الشرح

أصدقاؤك ثلاثة: صديقك لأنك انسجمت معه وتوافقت طبائعك مع طبائعه ومزاجك مع مزاجه واتفق معك في الغايات والأهداف والوسائل، وصديق صديقك لبركة صديقك أضحى صديقه أيضاً صديقك، وعدو عدوك لجهة أنكما تتفقان معاً في عداوة هذا العدو يضحى صديقك لأنكما في توجه واحد والأهداف كما يقال توحد. . .

وأعداؤك ثلاثة: عدوك في توجهك وأمانيك وعدو صديقك عدو وحدتك وصداقتك، وصديقه عدوك لأن من صادق عدوك لم يحبك وأنت لن تحبه ولن تتخذه صاحباً. . .

---

٢٩٦ ـ وقال عليه السلام، لرجل رآه يسعى على عدوٍّ له، بما فيه إضرار بنفسه: إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ(١) نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ(٢).

اللغة

١ ـ **طعنه بالرمح** : ضربه ووخزه به.
٢ ـ **الردف** : بالكسر الراكب خلف الراكب.

الشرح

الردف مقصود به الرديف وهو الراكب خلف رجل على ناقة أو جمل أو فرس واحد وهذا من السخف بمكان أنه يسعى للإضرار بمن خلفه بأن يطعن نفسه ليخرج السهم منه إلى من خلفه فيقتله.

---

٢٩٧ ـ وقال عليه السلام: مَا أَكْثَرَ ٱلْعِبَرَ وَأَقَلَّ ٱلاعْتِبَارَ[1]!.

اللغة

١ ـ **الاعتبار** : الإتعاظ.

الشرح

كيفما نظرت اعتبرت ففي الأموات عبرة وفي الأحياء عبرة وفي الأصحاء عبرة وفي المرضى عبرة والدنيا كلها عبرة ولكن لذوي العقول والأفكار وليس لأصحاب الشهوات والأهواء وأصحاب العقول قلة والمعتبرون أقل.

---

٢٩٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ بَالَغَ فِي ٱلْخُصُومَةِ[1] أَثِمَ[2]، وَمَنْ قَصَّرَ[3] فِيهَا ظَلَمَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ ٱللهَ مَنْ خَاصَمَ.

اللغة

١ ـ **الخصومة** : الجدال.
٢ ـ **أثم** : ارتكب الإثم وهو الحرام.
٣ ـ **قصّر** : تهاون.

الشرح

إذا أكثر الإنسان الجدل وأراد الانتصار كيف كان أثم لأنه يتعدى الحدود الشرعية ويتجاوز الحلال إلى الحرام وأما إذا قصر ولم يدافع كما يجب فإنه سيُظلَم وعلى كل حال المخاصم لن يحصل على تقوى الله لأن النبي نهى عن الجدال والخصومة.

٢٩٩ ـ وقال عليه السلام: مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أَمْهَلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ ٱللهَ ٱلْعَافِيَةَ.

الشرح

الذنب عظيم وتبعاته كبيرة وعقابه النار ولكن من دواعي التوفيق والرحمة أن الإنسان إذا عصى بادر إلى التوبة والإنابة إلى ربه فصلى ركعتين وطلب العفو وحسن العاقبة من ربه...

٣٠٠ ـ وسئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ. فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلاَ يَرَوْنَهُ.

الشرح

لا تحديد لقدرة الله ولا عجز يتصف به بل هو الغني في كل شيء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون دون وسائط ولا وسائل ومن هنا كان حسابه للخلق جميعاً كما يرزقهم جميعاً ويرزقهم بدون أن يروه تعالى أن يرى إذ ليس هو بجسم ولا جوهر ولا عرض كذلك يحاسبهم وهم لا يرونه: **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾**.

٣٠١ ـ وقال عليه السلام: رُسُولُكَ(١) تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ(٢) مَا يَنْطِقُ عَنْكَ!.

اللغة

١ ـ **رسولك** : سفيرك.
٢ ـ **أبلغ** : أفصح.

الشرح

في كلمة أخرى الرسول دليل عقل المرسل، لأن الرسول هو المعبر والمبين والشارح مراد المرسل فإذا كان سخيفاً ضعيفاً عي اللسان عبر عن المرسِل.

وفي كلمة ثالثة أرسل عاقلاً ولا توصه لأنه ينطلق من عقله والعقل لا يخون والكتاب ينطق عنك ويحكي عما يجول في نفسك فأنت ترقم على كتابك شخصيتك وترسم عليه ذاتك فلا تشوه صورتك أو تمسخها ثم تقدمها للناس في كتاب بل ليكن أجمل ما يكون وأعظم ما يكون ما تكتبه.

---

٣٠٢ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱلْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْبَلَاءُ(١)، بِأَحْوَجَ إِلى الدُّعَاءِ الَّذِي لَا يَأْمَنُ ٱلْبَلَاءَ!.

اللغة

١ ـ **البلاء** : المصيبة، المكروه.

الشرح

المعافى والمبتلى في الحاجة إلى الدعاء على حد سواء فإن المبتلى بحاجة إلى الدعاء ليرفع البلاء عنه والمعافى بحاجة أيضاً لتدوم النعمة فكل منهما بحاجة إلى التوجه إلى الله والتضرع إليه وصاحب العافية يحتاج إلى شكر النعمة والدعاء نوع من الشكر...

٣٠٣ ـ وقال عليه السلام: النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ.

الشرح

إذا كان حب الدنيا لا يدخل الناس في الحرام فهذا ليس حباً محرماً وإنما يحرم الحب إذا اقترن بمعصية الله واتخذ بعداً يعبر عن التمرد على إرادته والخروج عن سلطانه كمن يحب الدنيا فيقطع الأرحام ويسفك الدماء وينتهك الأعراض أما من يحب الدنيا من أجل الآخرة ومن أجل الفقراء وسد عوزهم وقضاء حاجتهم فهذا شيء رائع وعظيم. . .

---

٣٠٤ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ ٱللهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى ٱللهَ.

الشرح

المسكين والفقير إذا اجتمعا في كلام كانا متغايرين وإذا افترقا فذكر أحدهما أريد به الآخر أيضاً والمسكين باعتبار أنه له حق مفروض من قبل الله هو الذي شرعه له وأوجب على الأغنياء دفعه إليه فمن هنا كان رسول من الله لقبض حق الله الذي وضعه له ولأمثاله فمن منعه حقه وبخل بما افترض الله عليه فهو يمنع الله حقه ومن أعطاه فقد أعطى الله ووفى لله بما أخذه على نفسه.

---

٣٠٥ ـ وقال عليه السلام: مَا زَنَى(١) غَيُورٌ(٢) قَطُّ(٣).

اللغة

١ ـ **الزنا** : الوطأ الحرام.
٢ ـ **الغيور** : الذي لا يقبل بالاعتداء.
٣ ـ **قط** : أبداً.

الشرح

الغيور هو كثير الغيرة وصاحب الغيرة لا يزني أبداً ولا يهتك ستراً محرماً عليه قط لأنه كما يغار على عرضه أن يهتك ويتصور فداحة ذلك وعظيم أثره على نفسه يرفض أن يمارس ذلك بأعراض الناس ويلحق بهم هذا العار الشنيع.

---

٣٠٦ ـ وقال عليه السلام: كَفَى بِٱلأَجَلِ حَارِساً!.

الشرح

هذه عبارة علوية سارت بين الناس مسيرة الشمس والقمر في الدنيا بحيث أضحت مثلاً يضربها كل منا ويعرفها حتى النساء، وبعض الحوادث لا نجد تفسيراً لها إلا هذه الكلمة، فيحصل الإنفجار الضخم في سيارة صغيرة يأخذ أحد الشخصين دون الآخر الجالس بجنبه. تسقط طائرة من السماء فيموت بعض الركاب ولا يصاب بأذى البعض الآخر وهكذا دواليك...

---

٣٠٧ ـ وقال عليه السلام: يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ[١]، وَلاَ يَنَامُ عَلَى ٱلْحَرَبِ[٢].

قال الرضي: ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد، ولا يصبر على سلب الأموال.

اللغة

١ ـ الثُّكل : بالضم فقد الأولاد.

٢ ـ الحرب : بالتحريك سلب المال.

الشرح

لشدة حب الإنسان لماله لا ينساه ولا ينام على من سلبه منه لأنه يمس غروره وفيه إهانة واحتقار له بينما فقد الأولاد باعتبار أنه بفعل الله وتقديره فإنه يصبر عليه.

٣٠٨ ـ وقال عليه السلام: مَوَدَّةُ(١) ٱلآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ ٱلأَبْنَاءِ، وَٱلْقَرَابَةُ إِلَى ٱلْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ إِلى ٱلْقَرَابَةِ.

اللغة

١ ـ المودة : المحبة.

الشرح

إذا تصافى الآباء واتحدت مشاعرهم وكانت المودة بينهم سارية انتقلت إلى الأبناء وتحولوا بفعلها إلى أقرباء واخوة، ولا خير في قرابة بدون مودة وعطف وحنان، ومع المودة قد يستغني الإنسان عن القرابة... فالعبرة بالمعاملة وطيب العشرة وليس بصلة القربى والدم...

---

٣٠٩ ـ وقال عليه السلام: ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

الشرح

لا تفعلوا المنكر وترتكبوا الحرام في السر والخفاء فإن المؤمنين يكشفون ذلك بفراستهم وشدة حدسهم كما قال النبي (ص): اتقوا فراسة المؤمن فإنه يبصر بنور الله... فهو من الإمارات التي عنده يكشف واقعكم ويظهرها على لسانه...

---

٣١٠ ـ وقال عليه السلام: لاَ يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ، حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ ٱللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.

الشرح

الإيمان الصادق بالله وبما جاء منه على ألسنة رسله هو أن يكون الإنسان مؤمناً بما أخبر الله به من عالم الغيب على نفس المستوى من عالم الشهادة وأن يكون الإنسان مؤمناً

بأن كل درهم ينفقه قربة إلى الله يضاعفه له أضعافاً مضاعفة بل وعد الله أحق وأصدق وفي النفس أثبت وعندها يصدق الإيمان لأن ما في يد العبد معرضاً للتلف وما في يد الله مصان محفوظ.

٣١١ ـ وقال عليه السلام لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئاً مما سمعه من رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ في معناهما، فلوى عن ذلك، فرجع إليه، فقال:

إِنِّي أُنْسِيتُ ذٰلِكَ ٱلأَمْرُ، فقال عليه السلام: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ ٱللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا ٱلْعِمَامَةُ.

قال الرضي: يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلا مبرقعاً.

الشرح

هذه دعوة علوية استجابها الله لوليه ونحن لا نشك في أن الأئمة لو توجهوا إلى الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بل أكثر من ذلك اعتقادنا وعقيدتنا وفي هذه الحادثة عبرة ومفادها أن الإمام كلّف أنساً أن يلتقي طلحة والزبير ويذكرهما بحديث رسول الله: إنكما ستقاتلان علياً وأنتما له ظالمان فلما بعثه لقي من صرفه ولوى رأيه فرجع فدعا عليه الإمام واستجاب الله دعوته.

ترجمة أنس بن مالك.

في الإصابة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله (ص) وأحد المكثرين من الرواية عنه.

يقول عن نفسه أنه خدم رسول الله عشر سنين أقام بالمدينة بعد وفاة رسول الله (ص) ثم قطن البصرة ومات فيها وكان آخر الصحابة الذين ماتوا فيها انتهى.

وقد أخفى أنس ما ناشده الإمام في الرحبة وقيل مسجد النبي فادعى أنه قد كبر ونسي فدعا عليه الإمام إن كان كاذباً أن يصيبه البرص فأصيب به وأخذ ـ كما يقال ـ على نفسه أن لا يخفي منقبة للإمام سمعها. مات سنة ٩٠.

٣١٢ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَٱحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَٱقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى ٱلْفَرَائِضِ.

الشرح

عندما تتصل القلوب بالله وتتوجه إليه تقوى عزيمة الإنسان وتهون عليه الصعوبات فتراه يقطع الصعاب ويجتاز المشقات لتحقيق رضى الله سبحانه فإذا أقبلت النفوس على العبادة في بعض لحظات الأنس بالله فليغتنم الفرصة وليؤدي الفرائض الواجبة عليه ومعها النوافل المرتبة وغيرها مما ترغب به النفس وإذا أدبرت القلوب لبعض الأزمات والأمور الحياتية الصعبة فليقتصر الإنسان على الفرائض لأنه عندما يعدم التوجه تصبح العبادة مجرد شكل عبادي خالٍ من المضمون الروحي. . .

---

٣١٣ ـ وقال عليه السلام: وَفِي ٱلْقُرْآنِ نَبَأُ(١) مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ.

اللغة

١ ـ النبأ : الخبر.

الشرح

في القرآن أخبار الماضين من الأمم التي سادت ثم بادت، المؤمنة والكافرة وفيه خبر ما بعدنا من الجنة والنار والحساب والعذاب وما سنصل إليه في الدار الآخرة كما أنه فيه حكم ما يجري بيننا الذي لا يخرج عن الأحكام التشريعية الخمسة، الوجوب والحرمة والكراهة والاستحباب والإباحة. . .

---

٣١٤ ـ وقال عليه السلام: رُدُّوا ٱلْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إِلاَّ الشَّرُّ.

الشرح

الحجر يقصد به هنا الشر وإذا لم يدفع الشر إلا بشر مثله وجب فمن لا يرتدع عن سب الناس وإهانتهم إلا بالتعزير وجب تعزيره لردعه ومن قطع يد إنسان وجب قطع يده ليرتدع وهكذا دواليك كما قال تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾**.

٣١٥ ـ وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: أَلِقْ دَوَاتَكَ(١)، وَأَطِلْ جِلْفَةَ(٢) قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرْمِطْ(٣) بَيْنَ الْحُرُوفِ: فَإِنَّ ذلِكَ أَجْدَرُ(٤) بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ.

اللغة

١ ـ دواة مليقة : أي أصلح مدادها.

٢ ـ جلفة القلم : سنانه.

٣ ـ القرمطة بين الحروف : تقريب بعضها من بعض.

٤ ـ أجدر : أولى.

الشرح

هذا إرشاد إلى كاتبه وبيان لتحسين خطه ومعنى ألق دواتك أي أصلح مدادها، وجلفة القلم هيئة فتحة القلم التي يستمد بها المداد والقرمطة بين الحروف المقاربة بينها وتضييق الفسحة أما الصباحة فهي الوضوح والجمال.

٣١٦ ـ وقال عليه السلام: أَنَا يَعْسُوبُ(١) الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ.

قال الرضي: ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني، والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها، وهو رئيسها.

اللغة

١ ـ اليعسوب : ملكة النحل.

الشرح

اليعسوب الرئيس وقال ابن أبي الحديد: هذه كلمة قالها رسول الله (ص) بلفظين مختلفين تارة «أنت يعسوب الدين وتارة أنت يعسوب المؤمنين» والكل راجع إلى معنى واحد كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم أو جعل الدين يتبعه ويقفو أثره حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب وهذا نحو قوله: وأدر الحق معه كيف دار.

---

٣١٧ ـ وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال عليه السلام له: إِنَّمَا ٱخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ، وَلٰكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ[1] أَرْجُلُكُمْ مِنَ ٱلْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ﴿**ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾.

اللغة

١ ـ جفت : يبست.

الشرح

لم يختلف المسلمون في نبوة النبي (ص) أبداً ومن شك في نبوته كفر ولذا رد الإمام بأن الاختلاف عنه وفيما ورد عنه حيث قال بعض السامعين سمعت عنه كذا ورد الآخر بعدم السماع فوقع الخلاف بما صدر عنه وليس فيه بينما اليهود الذين عاشوا مع موسى وقدم بين أيديهم المعجزات بمجرد أن خرجوا من البحر وكان دخولهم فيه وخروجهم منه معجزة وجدوا قوماً يعبدون أصناماً على شكل البقر فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما لهؤلاء، شكاً في نبوته وإنكاراً لما جاء به...

٣١٨ ـ وقيل له: بِأَيِّ شَيْءٍ غَلَبْتَ ٱلأَقْرَانَ[١]؟ فقال عليه السلام: مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلاَّ أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ.

قال الرضي: يومىء بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب.

اللغة

١ ـ الأقران : جمع قرن النظير.

الشرح

إعانة الرجل على نفسه لأنه كان عندما يريد أن يدخل المعركة مع الإمام يدخلها وهو مهزوم نفسياً منهار أمام وطئة صيت الإمام وأنه قاتل الفرسان والشجعان فكان الرجل تخونه قواه ولا تساعده للوقوف في المواجهة وكأنه يتهيء للموت ويريد أن يعرف كيف يموت لا كيف يميت. . .

---

٣١٩ ـ وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ ٱلْفَقْرَ، فَٱسْتَعِذْ بِٱللهِ مِنْهُ، فَإِنَّ ٱلْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ[١] لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ[٢] لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ[٣]!.

اللغة

١ ـ منقصة : نقص وعيب.

٢ ـ مدهشة : دهش إذا تحير.

٣ ـ المقت : البغض.

الشرح

ما أقبح صورة الفقر وما أزعجها، صورة ممسوخة منكرة تحمل معها الكفر والتشرد والغربة وكل ألوان الرذيلة والنقيصة ولذا يأمر الإمام ولده محمد بأن يلتجيء إلى

الله في دفعها عنه وردها عن ساحته وقد ذكر لها ثلاثة معايب أساسية تنفتح منها معايب كثيرة ورذائل لا تحصى فالفقر منقصة للدين لا يستطيع الإنسان الفقير أن يؤدي حق الله على الوجه الأكمل ولا يقدر على إعانة عباد الله كما يريد الله ولا يستطيع أن يدفع حاجة محتاج كما يريد الله والفقر أيضاً مدهشة للعقل لأن من كان محتاجاً لم يقدر على استجماع قواه العقلية بشكل جيد لأن حاجاته الكثيرة تسلبه التركيز والتدقيق وكذلك الفقر داعية لمقت الناس للفقير وإهانتهم له وعدم الاعتبار لوجوده وهذه السيرة بين أيدينا والرجال أمامنا. . .

---

٣٢٠ ـ وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة[١]: سَلْ تَفَقُّهاً، وَلاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتاً[٢]، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ ٱلْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِٱلْعَالِمِ، وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْمُتَعَسِّفَ[٣] شَبِيهٌ بِٱلْجَاهِلِ ٱلْمُتَعَنِّتِ.

اللغة

١ ـ **المعضلة** : المسألة الصعبة على الحل الضيقة المخارج.
٢ ـ **التعنت** : طلب الأمر الشاق على من يطلب منه.
٣ ـ **التعسف** : الأخذ على غير الطريق.

الشرح

المتفلسفون والممتحنون كثيرون والذين يريدون حب الظهور والإعلام لا يحصون فرب عالم بمسألة يحاول أن يمتحنك فيها ليخجلك أو يهينك وهذا النموذج من الناس مرّ على الإمام فواجهه بهذه النصيحة وهي أن تكون المسألة من أجل الفهم والدراية والمعرفة لا من أجل الامتحان أو الاستهزاء أو رؤية الحال وعلل له ذلك بأن الجاهل إذا كانت مسألته من أجل الفهم والدراية شبيهاً بالعالم لأن طبيعة العلماء أنهم يسألون من أجل أن يفهموا بينما العالم إذا سأل لا يقصد الفهم بل تعنتاً كان شبيهاً بالجاهل لأن دأب الجهلاء أن يسألوا لغير الفهم والدراية. . .

٣٢١ ـ وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس، وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه:

لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي.

الشرح

على الحاشية وأصحاب الرأي والدراية والعقل أن يقدموا الاستشارة للحاكم فقط وعليه هو أن يختار فإذا اختار عكس آرائهم فليس لهم أن يخالفوه ويشقوا عصا الطاعة والجماعة لأنه هو المسؤول وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة.

---

٣٢٢ ـ وروي أنه عليه السلام، لما رود الكوفة قادماً من صفين مر بالشّباميين(١)، فسمع بكاء النساء على قتلى صفين، وخرج إليه حرب بن شُرَحْبِيل الشّبامي، وكان من وجوه قومه، فقال عليه السلام له:

أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُم عَلَى مَا أَسْمَعُ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هذَا الرَّنِينِ(٢)؟.

وأقبل حرب يمشي معه، وهو عليه السلام راكب، فقال عليه السلام:

ٱرْجِعْ، فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ(٣) لِلْوَالِي، وَمَذَلَّةٌ(٤) لِلْمُؤْمِنِ.

اللغة

١ ـ الشباميين : حي من العرب.
٢ ـ الرنين : صوت البكاء.
٣ ـ فتنة : اختبار.
٤ ـ مذلة : موجبة للذل.

الشرح

الشباميّون حي من العرب وقد توجه الإمام إلى هذا الوجيه المؤمن بالاستنكار عليه بأن نساءهم لا تطيعهم في ترك البكاء على قتلى صفين ثم استفهم منه قاصداً الأمر بأن يأمروا النساء بالكف ولعله لئلا يظهر المنافقون الشماتة ثم التفت الإمام إلى موقفه مع هذا الرجل الكريم وأنه عليه السلام راكب والآخر يمشي فواجهه بما يحفظ كرامة المؤمن

وما يحفظ نفسه من التعالي بان ركوبي فيه مذلة لك وفيه شيء من الزهو بالنسبة لي ولا يمكن القبول بذلك وأمره بالرجوع إلى منزله. . .

٣٢٣ ـ وقال عليه السلام وقد مر بقتلى الخوارج يوم النَّهْرَوَان: بُؤْساً(١) لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، فَقِيل له: مَنْ غَرَّهُمْ يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشَّيْطَانُ ٱلْمُضِلُّ، وَٱلأَنْفُسُ ٱلأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِٱلأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِٱلْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ ٱلإِظْهَارَ(٢)، فَٱقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ.

اللغة

١ ـ البؤس : التعاسة الشدة والضيق.
٢ ـ الإظهار : الغلبة.
٣ ـ اقتحمت بهم : أدخلتهم.

الشرح

خاطبهم عليه السلام ليعظ السامعين من جهة ويبين خطأهم من جهة أخرى وقد دعا عليهم بالتعاسة وقد تعسوا بمخالفتهم وشق عصا المسلمين وقد بين من غرهم وأن من غرهم لم يكن خارجاً عنهم، لم يكن معاوية وابن العاص ولكنه الشيطان الذي وسوس في صدورهم فانحرف بهم سواء السبيل والأنفس الأمارة بالسوء وهي لشبهة علقت في أذهانهم في قضية التحكيم فرفعوا شعار التمرد وقالوا لا حكم إلا لله ثم أخذت تتحكم العقدة في نفوسهم وتمدهم بالمعصية وحب الظهور والاستعلاء فأوردتهم النار. . .

٣٢٤ ـ وقال عليه السلام: ٱتَّقُوا مَعَاصِيَ ٱللهِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ(١)، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ ٱلْحَاكِمُ.

اللغة

١ ـ الخلوات : جمع الخلوة مكان الاختلاء أي الانفراد.

الشرح

تحذير من ارتكاب المعاصي في السر والخفاء لأن الله مطلع عليها ومشاهد لها وشاهد على فعلها والشاهد هو نفسه الحاكم غداً فهل بعد ذلك مهرب، إنك مأخوذ إن لم ترجع إليه وتتوب.

---

٣٢٥ ـ وقال عليه السلام، لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر:

إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ، إِلاَّ أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً(١)، وَنَقَصْنَا حَبِيباً.

اللغة

١ ـ البغيض : الشديد البغض.

الشرح

كان سرور معاوية وأصحابه بمقتل محمد بن أبي بكر عظيماً لأنه ساعد علي وحبيبه وربيبه ولذا كان حزن الإمام عظيماً جداً وعبر عنه بمقدار فرحهم لشدة فرحهم وشدة حزنه ثم قال: إلا أنهم فقدوا مبغضاً لهم وفقدنا حبيباً لنا وفرق كبير بين الفقدين وبين الحزن والفرح...

---

٣٢٦ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ(١) ٱللهُ فِيهِ إِلَى ٱبْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً.

اللغة

١ ـ أعذر : سمح له بالعذر وقبله منه.

الشرح

يريد الإمام أنه لا عذر للإنسان إذا بلغ الستين لأن قواه قد خارت وأجله اقترب من الآخرة فبماذا يطمع، لو كان شاباً قوياً كانت شهوته تطغى ولو كان قوياً قوته كانت تطغى ولو كان غنياً استطاع أن يحصل على ملذاته ويسر بها وأما إذا بلغ الستين فلا الصبايا ترغب فيه ولا الجسم عامر ولا المال مفيد لأنه عاجز عن نيل الشهوات عجزاً تكوينياً . . .

---

٣٢٧ ـ وقال عليه السلام: مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ ٱلإِثْمَ(١) بِهِ، وَٱلْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.

اللغة

١ ـ الإثم : الذنب.

الشرح

الظفر إنما يكون بالخير وبما يحقق السعادة ورضى الله وأما من ظفر بالإثم والمعصية والتمرد على الله فهذا لم يظفر إلا بالعذاب والخزي والعقاب وهل يستطيع من فعل شراً وغلب غيره به أن يكون إلاّمغلوباً مقهوراً نادماً مخذولاً . . .

---

٣٢٨ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ(١) فِي أَمْوَالِ ٱلأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ(٢) ٱلْفُقَرَاءِ: فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مُتِّعَ(٣) بِهِ غَنِيٌ، وَٱللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ.

اللغة

١ ـ فرض : أوجب.
٢ ـ أقوات : جمع قوت ما يؤكل.
٣ ـ تمتع : تلذذ وانتفع أكثر مما يحتاج.

الشرح

هذه دعوة إلى الأغنياء وتحذير لهم من عذاب الله: دعوة للإنفاق على الفقراء لأن الله فرض عليهم إعالتهم وإعانتهم وسد عوزهم وحاجتهم وحذرهم من أن الله سيسألهم عن ذلك إذا قصروا أو تأخروا ومن سأله الله أدانه ومن أدانه عذبه، وهذه الفقرة دستور عظيم للتكافل الاجتماعي لو أردنا الكتابة عنها بشكل مستوفٍ لجاءت كتيباً صغيراً...

٣٢٩ ـ وقال عليه السلام: ٱلاسْتِغْنَاءُ عَنِ ٱلْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.

الشرح

لا تفعل شيئاً تعتذر منه وإن كنت في عذرك صادقاً لأن نفس الاعتذار يحمل في روحه شيء من الإذلال والامتهان.

٣٣٠ ـ وقال عليه السلام: أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.

الشرح

حق النعمة أن توضع موضعها ويطاع الله فيها ويؤدى شكرها وإذا أساء الإنسان الاختيار فليستعملها في المباح من الأمور أما أن يستعملها في الحرام فهذا أمر من أعظم الأمور وأشقها على الغيور وهذا زجر عن استعمال النعمة في المعصية كمن يعطيه الله مالاً فيستغله في الربا أو في فتح خمارة أو مركز دعارة...

٣٣١ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ ٱلأَكْيَاسِ(١) عِنْدَ تَفْرِيطِ(٢) ٱلْعَجَزَةِ(٣)!.

اللغة

١ ـ الأكياس : جمع كيس العقلاء.
٢ ـ التفريط : التقصير.
٣ ـ العجزة : جمع العاجز وهو المقصّر.

الشرح

الأكياس هم العقلاء وأولو الألباب وهذه دعوة إلى اغتنام الفرص والاستفادة منها وأيضاً ذم للمتخاذلين فإن الله سبحانه جعل للعقلاء حركة ذات فائدة تكون غنيمة لهم وفائدة يستغلونها في لحظات قعود العجزة والمتخاذلين كمن تكلفه بفعل شيء يؤجر عليه فيتأخر ويتوانى فيقدم عليه آخر ذو همة فيقضيه ويؤجر عليه ولا يعود للعاجز حاجة. . .

---

٣٣٢ ـ وقال عليه السلام: السُّلْطَانُ وَزَعَةُ(١) ٱللهِ فِي أَرْضِهِ.

اللغة

١ ـ الوزعة : بالتحريك جمع وازع وهو الحاكم.

الشرح

الوزعة من الوازع مثل قتلة وقاتل ومعناه الكافي والمانع، . السلطان والحاكم هو الذي يردع العصاة ويمنعهم عن المخالفات وخصوصاً إذا كان قوياً عادلاً عاملاً بأمر الله منتهياً عما نهى فإنه يضرب بيد من حديد على يد كل مخالف للحق مرتكب للحرام وإن عامة الناس لا تخاف إلا على جلودها. . .

---

٣٣٣ ـ وقال عليه السلام، في صفة المؤمن: ٱلْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ(١) فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً. يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ(٢)، وَيَشْنَأُ(٣) السُّمْعَةَ(٤). طَوِيلٌ غَمُّهُ(٥)، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ.

شَكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ[٦] بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ[٧] بِخَلَّتِهِ[٨]، سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ[٩]، لَيِّنُ[١٠] ٱلْعَرِيكَةِ[١١]! نَفْسُهُ أَصْلَبُ[١٢] مِنَ الصَّلْدِ[١٣]، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ ٱلْعَبْدِ.

اللغة

١ ـ البشر	:	بكسر الباء البشاشة والطلاقة.
٢ ـ الرفعة	:	علو القدر.
٣ ـ ينشأ	:	يبغض ويكره.
٤ ـ السمعة	:	الصيت والذكر يقال فعله رئاء وسمعه أي ليراه الناس ويسمعوه.
٥ ـ الغم	:	الحزن.
٦ ـ مغمور	:	من غمره الماء إذا غطاه.
٧ ـ ضنين	:	بخيل.
٨ ـ الخلة	:	بالفتح الحاجة.
٩ ـ الخليقة	:	الطبيعة.
١٠ ـ ليّن	:	طري، سهل.
١١ ـ العريكة	:	النفس.
١٢ ـ أصلب	:	أشد وأقسى والصلب ضد اللين.
١٣ ـ الصلد	:	الحجر الصلب.

الشرح

هذه صفات أعلائية للمؤمن وقليل ما نجد منها فضلاً عنها كلها في واحد ممن نعيش معهم أو نعرفهم وعلى كل حال يذكرها الإمام ونكررها نحن عسى يستيقظ أحد ويرجع إلى نفسه فيجمع هذه الخصال ويلم هذه المواصفات وهذه الصفات هي:

المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه: فالتبسم وحسن الملاقاة ظاهرة بادية على قسمات وجهه تواضعاً للمؤمنين وابتهاجاً بهم ولكن الحزن في قلبه والأسى في داخله لما يمكن أن يكون منه من التقصير والأخطاء.

أوسع شيء صدراً: يتحمل المشقات والأتعاب والأزمات ويصبر على الثقلاء.

وأذل شيء نفساً: بينه وبين الله ذليل النفس لا يتكبر على أبناء أمه ولا يرى نفسه فوقهم.

يكره الرفعة ويشنأ السمعة: لا يحب الترفع والتكبر امتثالا لقوله تعالى: ﴿**وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض**﴾ كما يبغض ويكره السمعة والصيت لأن ذلك مشوب بالرياء وفيه عدم الإخلاص لله.

طويل غمه بعيد همه: فهو مغموم محزون باستمرار لما يرى من معاصي الله ولما هو فيه من التقصير وليس بالضرورة أن يكون مرتكباً لحرام بل ربما كان لأنه قد فاته اكتساب المكرمات وتحقيق أعظم قسط من القربات وأما همه ففي أمور الآخرة وما بعدها وما سوف يقدم عليه. . .

كثير صمته: يفكر بالله وبما ينفع عباده.

مشغول وقته: ليس عنده وقت فراغ يتلهى به بل باستمرار وقته في شغل يقضي حوائج الناس ويعين الضعفاء ويسعى من أجل نفسه وعائلته ويذكر ربه في جميع ذلك.

شكور: لربه على نعمه وعطاياه.

صبور: على البلاء والمحن.

مغمور بفكرته: مشغول بما يسأله عنه أمام الله يوم العرض والحساب.

ضنين بخلته: بخيل بحاجته أن يعرضها للناس فهو كما قال تعالى: ﴿**تحسبهم أغنياء من التعفف**﴾.

سهل الخليقة لين العريكة: فهو سهل الطبيعة لا قساوة في تصرفه لين التصرف مع الناس حسن المعاملة معهم. . .

نفسه أصلب من الصلد: بل نفس المؤمن لا يفل منها شيء والجبال يفل منها بل تزول الجبال ولا تتحول نفس المؤمن عن معتقدها وتوجهها.

وهو أذل من العبد: نحو الله وعظمته وتواضعاً أمام ربه. . .

---

٣٣٤ ـ وقال عليه السلام: لَوْ رَأَى ٱلْعَبْدُ ٱلأَجَلَ[١] وَمَصِيرَهُ[٢]، لأَبْغَضَ ٱلأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

اللغة

١ ـ الأجل : وقت الموت.

٢ ـ المصير : ما يصير إليه النهاية.

الشرح

لو أبصر العبد أجله وعرف أن عمره ينقضي شيئاً فشيئاً وعرف مصيره وأنه إلى الموت صائر ثم إلى الحساب فإما إلى جنة أو إلى نار لو أبصر ذلك لأبغض الآمال الباطلة التي تحرفه عن التوجه لله ورمى بغرور الأمل الذي يقوده إلى الجشع والطمع وحب الدنيا.

---

٣٣٥ ـ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: ٱلْوَارِثُ وَٱلْحَوَادِثُ.

الشرح

مهما جمعت وأكثرت حتى لو أصبح لديك مال قارون فإنك مفارقه ولن يغني عنك من الله شيئاً، اجمع واتعب وقاتل وناصب واسرق إن استطعت واحتل ما قدرت فإن المال الذي حصلت عليه لن تأخذ منه قرشاً واحداً وقد تموت حرقاً أو غرقاً أو بانفجار فلا يعرف بدنك ولا تأخذ حتى الكفن المعتاد وسيبقى الجميع لورثتك يتنعمون به إن لم تصبه آفة في حياتك تفجعك به وتحزنك عليه ورحم الله الشريف الرضي حيث يقول:

خذ من تراثك ما استطعت فإنما شـركـاؤك الأيـام والـوراث

---

٣٣٦ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ(١).

اللغة

١ ـ يعد : من وعد وهوان يقطع على نفسه أمراً.

الشرح

ترغيب في الوفاء بالوعد وأنك قبل الوعد حر في عطائك وعدم عطائك للسائل أما إذا وعدته فقلت له لك غداً درهم فعندها ينبغي عليك أن تفي بما وعدت وتفقد حريتك السابقة التي كانت قبل الوعد. . .

٣٣٧ ـ وقال عليه السلام: الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ[1].

اللغة

١ ـ الوتر : شرعة القوس.

الشرح

نسمعها كثيراً ومن كثير من الفساق والعصاة: يا رب أدخلنا الجنة وزوجنا من الحور العين وهم لم يتوجهوا إلى ربهم بركعتين من الصلاة في حياتهم كما لم يؤدوا فريضة شهر رمضان في عمرهم مرة واحدة ولم يؤدوا واجباتهم الأخرى فهؤلاء يدعون بدخول الجنة بدون عمل ودعاؤهم هذا لا فائدة فيه ولا دخول للجنة إلا من الباب الذي رسمه الله وهو باب الطاعة له والالتزام بما أمر أما الدعاء منفرداً فهذا يشبه الرامي بالقوس ولكنه بدون وتر له فإنه لن يصيب هدفه بل لن يتحرك الريش من موضعه لعدم وجود الوتر المؤثر في تحريك الريش. . .

٣٣٨ ـ وقال عليه السلام: اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ[1] وَمَسْمُوعٌ[2]، وَلاَ يَنْفَعُ اَلْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ اَلْمَطْبُوعُ.

اللغة

١ ـ مطبوع العلم : ما رسخ في النفس.
٢ ـ المسموع : المنقول والمحفوظ.

الشرح

قسم العلم إلى قسمين: العلم الضروري البديهي الموجود في النفس والمعبر عنه بالفطري والغريزي وعلم كسبي يحصل عليه الإنسان بالتجربة والخبرة والدراسة والتلقين والتعليم ولا ينفع الثاني إن فقد الأول فلذا يتوقف على الأول وعلى مدى الاستعداد الطبيعي للتحصيل...

---

٣٣٩ ـ وقال عليه السلام: صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا.

الشرح

إذا أقبلت الدنيا على أمة ترى آراءها صائبة وضرباتها قاصمة والنجاح حليفها في كل حال لأن الدولة لها وهي تملك المقدرات وتستطيع أن تصفو أفكارها فتصيب الحق بينما إذا أدبرت فتنكرت فإنك ترى الآراء تدبر وتنتكس ولا تحصل على الرأي الصائب نتيجة تضعضعها واضطرابها... فالرأي الصائب مع الدولة إذا أقبلت ويتبدل الرأي إذا تبدلت الدولة وانتكست.

٣٤٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلعَفَافُ[1] زِينَةُ ٱلْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَى.

اللغة

١ ـ **العفاف** : الكف عما لا يحل أو يجمل والعفة ترك الشهوات الدنيئة.

الشرح

إذا كنت فقيراً فكن عفيفاً لا تسأل الناس ولا تمد يدك إليهم بل أظهر الغنى إن استطعت لتكون عند مدح الله في قوله: ﴿**تحسبهم أغنياء من التعفف**﴾ وإذا كنت غنياً فكن عبداً شكوراً تأخذ أموالك من حلها وتصرفها في محلها وتؤدي واجبك الشرعي منها

ولا تبطر أو تصرف في معصية الله فالله قادر أن يسلبك إياها بلحظة واحدة إذا أراد ذلك . . .

٣٤١ ـ وقال عليه السلام: يَوْمُ ٱلْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلْجَوْرِ(١) عَلَى ٱلْمَظْلُومِ!.

اللغة

١ ـ الجور : الظلم.

الشرح

يوم العدل هو يوم القيامة وهو أشد على الظالم من يوم المظلوم في الدنيا لأن يوم القيامة يعقبه الحساب وأخيراً دوام النار والعذاب وهذا لا انقطاع له ولا أمد محدود يقف عنده بينما عذاب المظلوم في الدنيا كان مؤقتاً ولفترة بسيطة بل قد يمر بسرعة البرق كمن أطلق عليه النار فمات فوراً . . . وهذا تحذير منه للظالمين وتخويف لما سيلاقونه . . .

٣٤٢ ـ وقال عليه السلام: ٱلْغِنَى ٱلأَكْبَرُ ٱلْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

الشرح

عدم حاجتك للناس والاستغناء عنهم أعظم مما لو كنت تملك مالاً وعندك ثروة إذ رب ثري غني عينه في أموال غيره أو عينه في انماء ثروته لتتضاعف عما يملك، فهو غني، ولكن الذي يئس عما في أيدي الناس فهو أعظم وأغنى . . .

٣٤٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلأَقَاوِيلُ(١) مَحْفُوظَةٌ، وَٱلسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ(٢)، و ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ(٣) مَدْخُولُونَ(٤) إِلاَّ مَنْ

عَصَمَ ٱللهُ(٥): سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ(٦)، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ(٧)، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَى وَالسُّخْطُ(٨)، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ(٩) اللَّحْظَةُ(١٠)، وَتَسْتَحِيلُهُ(١١) ٱلْكَلِمَةُ ٱلْوَاحِدَةُ.

اللغة

١ ـ الأقاويل : جمع الجمع للقول وهو الكلام أو كل لفظ.
٢ ـ مبلوة : من بلاها الله أي اختبرها.
٣ ـ المنقوص : المأخوذ من رشده وكماله.
٤ ـ المدخول : المصاب بالدخل بالتحريك وهو مرض العقل والقلب.
٥ ـ عصمه الله : منعه الله.
٦ ـ المتعنت : الذي يسأل على جهة التلبيس للإحراج.
٧ ـ المتكلف : الذي يتجشم الأمر ويتحمله على مشقة أو على خلاف طبعه.
٨ ـ السخط : الغضب وعدم الرضى.
٩ ـ تنكؤه : تجرحه فيسيل دمه.
١٠ ـ اللحظة : النظرة.
١١ ـ تستحيله : تغيره وتحوله.

الشرح

الأقاويل محفوظة فكل كلمة محفوظة ستسأل عنها فإن كانت خيراً جزيت خيراً وإن كانت شراً جزيت شراً قال تعالى: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** والسرائر مبلوة ما أضمره الإنسان في نفسه وما أسره فيها من خير وشر فإن الله مطلع عليه عارف به كما قال تعالى: **﴿إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر﴾** وكل نفس بما كسبت رهينة فالنفوس مرهونة ومحكومة لعملها فإن عملت صالحاً نجت من النار وإلا فإنها فيها ساقطة هاوية والناس منقوصون أصابهم النقص في رشدهم وليسوا كاملين مدخولون أصابهم الدخل في عقولهم وهو المرض يصيب العقول فلا تعي والقلوب فلا تفقه إلا من عصم الله هم أقلية قليلة وثلة ضئيلة ثم شرح حال هذا النقص والدخل الموجود عند الناس وبعض الصفات السيئة فيهم سائلهم متعنّت لا يسأل لكي يتفقه ويفهم وإنما يسأل للامتحان والاختبار أو للإهانة والازدراء أو لغير ذلك مما لا محل للسؤال ومجيبهم متكلف المجيب يلفق الجواب ويدور في الإجابة دون إعطاء الحقيقة لعدم معرفتها يكاد

أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضى والسخط لخفتهم وانقيادهم للهوى والعاطفة ترى أفضلهم في الرأي والحكم والقضاء، إذا غضب على أحد سلبه حقه وأعطاه لغيره ممن يرضى عنه فهم ينقادون لعواطفهم لا لدينهم ويكاد أصلبهم عوداً تنكؤه اللحظة وتستميله الكلمة الواحدة فأشدهم التزاماً يدينه وأقواهم على طاعته ينهار أمام لحظة تعجبه أو ممن إذا نظر أخاف تُبدّل الكلمة الواحدة منه مواقفه من جهة إلى أخرى، فهو متقلب رغم أنه أصلبهم فكيف بغيره.

---

٣٤٤ ـ وقال عليه السلام: مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لاَ يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مَا لاَ يَسْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً[1]، فَبَاءَ[2] بِوِزْرِهِ[3]، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ، آسِفاً لاَهِفاً، قَدْ ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

اللغة

١ ـ **الآثام** : الذنوب.
٢ ـ **باء** : رجع.
٣ ـ **الوزر** : الذنب.

الشرح

وهذه كلمات في سياق الكلمات المتقدمة وبعضهم جعلها تتمة للأولى معاشر الناس الذين تستحقون المعاشرة والالفة اتقوا الله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه وبيده الحياة والموت والضر والنفع فكم من مؤمل ما لا يبلغه وكثيرون بل ما أكثر الذين يؤملون في الحياة فيرسمون في أذهانهم مستقبل حياتهم ويبنون أمجاد أيامهم ولكن لم يتحقق شيء منها على الإطلاق وكم بان من الدور والقصور ما لا يسكنه ويقيم فيه وكم جامع من الأموال ما سوف يتركه خلفه للوارث ولعله من باطل جمعه من سرقة وغش واحتيال ومن حق للفقراء والمساكين منعه إياهم أصابه حراماً من الأبواب الممنوعة واحتمل به آثاماً

ارتكب به الحرام فباء بوزه رجع من عمله ذاك بإثمه وقدم على ربه آسفاً لاهفاً أنه متأسف حزين متلهف على فعله الأثيم قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وأي خسارة أعظم من ذلك وأكبر. . .

٣٤٥ ـ وقال عليه السلام: مِنَ ٱلْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ ٱلْمَعَاصِي.

الشرح

العصمة منحة ربانية تتوافق مع اختيار الإنسان لا يرتكب صاحبها محرماً ولا يترك واجباً ومن تعذرت المعصية عليه فهو أيضاً لا يرتكب حراماً فهما إذن شريكان في عدم الخطيئة. . .

٣٤٦ ـ وقال عليه السلام: مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَٱنْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ[١].

اللغة

١ ـ قطّر الماء : أساله قطرة قطرة.

الشرح

السؤال يحمل الذل والخجل وعند بعض النفوس الشريفة يعادل الرق فلذا يترفع عنه أصحاب الكرامة ويأباه الشرفاء والإمام هنا في هذا الاتجاه من المنع عن السؤال وأن يتجنبه الإنسان مهما أمكن ولكن إذا الضرورة دعته والحاجة الماسة أحوجته فليترقب الإنسان الذي يحفظ كرامة الناس ويحافظ على مقامهم وعزة نفوسهم ثم يقصده بالسؤال ولا يسأل أنذال الناس وعوامهم. . .

٣٤٧ ـ وقال عليه السلام: الثَّنَاءُ[١] بِأَكْثَرَ مِنَ ٱلاسْتِحْقَاقِ[٢] مَلَقٌ[٣]، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ ٱلاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ[٤] أَوْ حَسَدٌ.

اللغة

١ ـ الثناء : المدح والإطراء.
٢ ـ استحق الشيء : استوجبه واستأهله.
٣ ـ الملق : التذلل أو إبداء الإكرام باللسان دون القلب.
٤ ـ عيي : عجز.

الشرح

الاعتدال في الثناء والمدح هو المطلوب والزيادة أو النقيصة خروج عن حد العدل إلى أحد طرفي الإفراط أو التفريط فإن زاد في المدح تحولت الزيادة إلى تملق ورياء من أجل اكتساب ودّ الممدوح وإن قصر ولم يؤدِ الثناء حقه كان لداع نفسي في التقصير وهو الحسد له فلذا يمنعك إظهار الثناء بحقه أو لأنك عاجز عن أداء الحق وكلاهما عيب في المثني والمادح...

٣٤٨ ـ وقال عليه السلام: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ[1] صَاحِبُهُ.

اللغة

١ ـ استهان به : استحقره.

الشرح

الذنوب كلها عظيمة لأنها تمثل التمرد والعصيان والنفسية السافلة ولكن أشد هذه الذنوب إذا كان الإنسان مستهيناً مستصغراً لها لأنه يستحقر التمرد ويستسهل العصيان وبالآخرة يستخف بالله وعقابه وعذابه ولذا كانت من أشد الذنوب.

٣٤٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ ٱشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ ٱللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ[1] ٱلْبَغْيِ[2] قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ ٱلْأُمُورَ[3] عَطِبَ[4]، وَمَنِ ٱقْتَحَمَ[5] ٱللُّجَجَ[6] غَرِقَ، وَمَنْ

دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ ٱتُّهِمَ. وَمَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ. وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ، فَأَنْكَرَهَا(٧)، ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ، فَذلِكَ ٱلأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ. وَٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ. وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِٱلْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ(٨).

اللغة

١ ـ سل السيف : انتزعه من غمده.

٢ ـ البغي : الظلم.

٣ ـ كابد الأمور : قاسى شدائدها.

٤ ـ عطب : انكسر.

٥ ـ اقتحم : رمى بنفسه بشدة ومشقة.

٦ ـ اللجج : جمع لجة معظم الماء ووسطه.

٧ ـ أنكرها عليه : عابه ونهاه عنها.

٨ ـ يعنيه : يهمه.

الشرح

هذه كلمات خالدات فيها العظات والعبر وفيها الأخلاق والآداب وفيها الكثير مما يفيد الإنسان في حياته وبعد وفاته.

من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره: لأن عيوب الإنسان كثيرة فمتى انتبه إليها اشتغل بها وهي لكثرتها لا يفرغ منها لعيوب الناس حتى يعيبهم بها.

ومن رضي برزق الله: المقسوم له.

لم يحزن على ما فاته: مما يتصور أنه له وأنه تحت يده لأنه لو كان من رزقه لما فاته.

ومن سل سيف البغي قتل به: وكما قيل وعلى الباغي تدور الدوائر والظلم لا يعمر وإن عمّر دمر.

ومن كابد الأمور عطب: من واجه الأيام والليالي وما فيهما من خطوب بدون سلاح وعتاد سقط فيهما فريسة سهلة للأحداث.

ومن اقتحم اللجج غرق: من نزل في خضم الشدائد والحروب سقط ولم تسمح له الظروف بالنجاة.

ومن دخل مداخل السوء: كمن جلس متفرجاً على من يلعب القمار أو يشرب الخمر.

اتهم: بجلسته ونسب إلى شرب الخمر ولعب القمار.

ومن كثر كلامه كثر خطؤه: لأن كثير الكلام يهذي ويلقي الكلام على رسله دون ملاحظة عواقبه وما يخلفه وراءه.

ومن كثر خطؤه قل حياؤه: لأنه لكثرة ممارسته للخطيئة تصبح عادة فيألفها ولا يعود يستحي من الخطأ.

ومن قل حياؤه قل ورعه: لأنه يتمادى في الذلة وتهون عليه المحرمات فيفقد الورع والتدين.

ومن قل ورعه مات قلبه: فإن الدين الورع عن المحارم فمن قل ورعه مات قلبه وسقط عن مرتبته الإنسانية.

ومن مات قلبه دخل النار: لأنه إذا ارتكس في المعاصي دخل النار.

ومن نظر في عيوب الناس: فعددها وذكر.

فأنكرها: عليهم ولهم.

ثم رضيها لنفسه: وقام بارتكابها وفعلها.

فذلك الأحمق بعينه: لأنه لو كان عاقلاً فطناً لكرهها لنفسه وابتعد عنها كما كرهها لغيره وأنكرها عليهم.

والقناعة مال لا ينفد: والمال ينفد لأنه بالصرف ينتهي وبالآفات يزول بينما القناعة لا تنتهي ولا تصيبها الآفات.

ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير: لأنه يعرف أنه لن يأخذ معه شيئاً بعد الموت مما يجمعه في الدنيا فيتصور نهايته وقرب رحيله فيقنع بما تيسر من مال الدنيا الحلال...

ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه: فهو لا يقول إلا ما يعمل وإذا كان عمله قليل قل الكلام فيما لا يعنيه ولا يفيده وينفعه.

---

٣٥٠ ـ وقال عليه السلام: لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِٱلْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِٱلْغَلَبَةِ(١)، وَيُظَاهِرُ(٢) ٱلْقَوْمَ الظَّلَمَةَ(٣).

اللغة

١ ـ **الغلبة** : القهر.

٢ ـ **يظاهر** : يعاون.

٣ ـ **الظلمة** : جمع ظالم.

الشرح

بإحدى ثلاثة علامات يعرف الظالم يعرف بظلمه من له حق الطاعة عليه ومن هو فوقه فإنه يرتكب المعصية لله بمخالفته لأمره ويظلم من دونه ومن تحت يده بأن يظلمه ويسلبه حقه ويعتدى عليه والثالثة أنه يعاون الظالمين ويكون نصيراً لهم في ظلمهم واعتدائهم...

---

٣٥١ ـ وقال عليه السلام: عِنْدَ تَنَاهِي(١) الشِّدَّةِ(٢) تَكُونُ ٱلْفَرْجَةُ(٣)، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ ٱلْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ(٤).

اللغة

١ ـ **تناهي** : بلوغ النهاية.

٢ ـ **الشدة** : ما يحل بالإنسان من مكاره الدهر.

٣ ـ **الفرجة** : الخلوص من الشدة والهم.

٤ ـ **الرخاء** : السعة.

الشرح

يريدنا أن لا نيأس مهما كانت الشدة قوية وأن الشدة إذا بلغت ذروتها لا بد وأن تنفرج وهذه قاعدة عامة إذا وصلت الأمور إلى منتهاها لا بد وأن تعود إلى اليسر والسهولة. . .

٣٥٢ ـ وقال عليه السلام لبعض أصحابه: لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلِدِكَ: فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ، فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُضِيعُ(١) أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ ٱللهِ، فَمَا هَمُّكَ وَشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ ٱللهِ؟!.

اللغة

١ ـ لن يضيع : لن يهمل.

الشرح

كأنه عليه السلام رأى رجلاً يصرف أكثر أوقاته إن لم يكن كلها في خدمة أهله وولده يدبر شؤونهم، يهتم بهم، يجمع لهم الأموال، يترك الواجبات والمستحبات في سبيلهم فنهاه عن الإكثار وليس عن الزيادة وبين له وجهاً مرغباً لمثله بأنهم إن كانوا من أولياء الله فالله لن يترك أولياءه وإن كانوا من أعدائه فلا يجوز العمل لهم والسعي من أجل تقويتهم. . .

٣٥٣ ـ وقال عليه السلام: أَكْبَرُ ٱلْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ.

الشرح

العيب الكبير بل أكبر العيوب أن تعيب الناس بعيب وذلك العيب موجود فيك، ترمي الناس بالبخل والكذب وأنت تلتقي فيك الصفتان معاً، فاقلع الجسر من عينك قبل أن تحرك القشة من عين الآخرين. . .

٣٥٤ ـ وهنأ بحضرته رجل رجلاً بغلام ولد له فقال له: لِيَهْنِئْكَ ٱلْفَارِسُ، فقال عليه السلام: لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ ٱلْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي ٱلْمَوْهُوبِ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ(١)، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ(٢).

اللغة

١ ـ **بلغ أشده** : أي قوته يمعنى الإدراك والبلوغ.

٢ ـ **بر الوالدين** : حسن معاملتهما عن حب.

الشرح

هذا من الإمام تعليم وإرشاد إلى أصول التهنئة بالمولود الجديد واستهله بأنه على الوالد أن يشكر الله الذي وهب له هذا الولد والدعاء للولد أن يجعله الله ولداً مباركاً طيباً وأيضاً دعاء للولد أن يبلغ أشده ويصبح رجلاً وأخيراً أن يكون مطيعاً لأبيه براً به يحفظه في حياته وفي آخرته بطاعة الله سبحانه. . .

---

٣٥٥ ـ وبنى رجل من عماله بناءً فخماً(١)، فقال عليه السلام: أَطْلَعَتِ ٱلْوَرِقُ(٢) رُؤُوسَهَا! إِنَّ ٱلْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ ٱلْغِنَى.

اللغة

١ ـ **الفخم** : العظيم الضخم.

٢ ـ **الورق** : بفتح فكسر الفضة.

الشرح

الورق معناه الفضة ولما كان البناء لا يشاد إلا بالمال فمن بنى بناء عظيماً كبيراً دل ذلك على أن أمواله من الدراهم والدنانير كثيرة وكأنها أظهرت رؤوسها من الطين تعلن عن وجودها والبناء إذا كان ضخماً عظيماً دل على أن صاحبه غني ثري. . .

٣٥٦ ـ وقيل له عليه السلام: لو سُدَّ على رجلٍ باب بيته، وتُرِكَ فيه، من أين كان يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ[١].

اللغة

١ ـ الأجل : الموت.

الشرح

هذا رد إلى الله وتوكل عليه وأن الله الذي بيده الأعمار بيده الأرزاق لا غرابة في أن الإنسان إذا سجن وكان لله في حياته مصلحة أن يرزقه كيف يشاء ولو من غير الطرق المتعارفة. . .

---

٣٥٧ ـ وَعَزَّى قوماً عن ميت مات لهم فقال عليه السلام: إِنَّ هذَا ٱلأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأَ، وَلاَ إِلَيْكُمُ ٱنْتَهَى، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هذَا يُسَافِرُ، فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلاَّ قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

الشرح

لم يبتدأ الموت بأحد منا ولن ينتهي عندنا بل كان منذ ولد آدم وكتب على أبنائه من بعده إلى أن تقوم الساعة ولم يعد على وجه الأرض روح وما أجمل هذا العزاء العظيم لو أراد الإنسان أن يفكر فيه بشكل جدي رصين وأن الميت افرضوه في سفر من سفراته فإن لم يعد عليكم ويرجع إليكم فإنكم سوف تقدمون أنتم عليه وما أسرع الأيام وشدة انقضائها وتكونون معه في عداد الأموات فتأهبوا للرحيل وتزودوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

---

٣٥٨ ـ وقال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ ٱللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ[١]، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ[٢] فَرِقِينَ[٣]! إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ

فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ ٱسْتِدْرَاجاً(٤) فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ ٱخْتِبَاراً(٥) فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً.

اللغة

١ ـ الوجل : الخوف.
٢ ـ النقمة : العقوبة.
٣ ـ فرقين : فزعين.
٤ ـ الاستدراج : ازدياد النعم على العاصي وهو يعصي ليأخذه الله بها.
٥ ـ اختباراً : امتحاناً.

الشرح

النعمة والنقمة امتحان للإنسان كي يعرف مقدار شكره ومقدار صبره ومن هنا يبقى المؤمن خائفاً من النعمة أن لا يكون قد أدى شكرها لئلا يعرضها للزوال من جهة ولئلا يحاسب عليها من جهة أخرى وكذلك النقمة والمصيبة يجب أن تتحول عند المؤمن إلى درس يعرف مقدار صبره من خلاله هل يتحمل أم يكفر وليكن المؤمن في حذر من تكاثر النعم عليه أن تكون استدراجاً له ليدخل مداخل الحرام ويفعل ما لا يجوز له أن يفعله ومن رأى التوسعة عليه فاطمأن ولم يحذر أو يخاف على نفسه فقد أمن أمراً عظيماً لا يأمنه العقلاء وهو خوف الاستدراج وكذلك من ضيق الله عليه رزقه ولم ير ذلك اختباراً فقد ضيع ما هو مأمول من الله في الآخرة من ثوابه وأجره وإحسانه...

---

٣٥٩ ـ وقال عليه السلام: يَا أَسْرَى(١) الرَّغْبَةِ(٢) أَقْصِرُوا(٣) فَإِنَّ ٱلْمُعَرِّجَ(٤) عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ(٥) مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ(٦) أَنْيَابِ ٱلْحِدْثَانِ(٧). أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا(٨) مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَٱعْدِلُوا بِهَا(٩) عَنْ ضَرَاوَةِ(١٠) عَادَاتِهَا.

اللغة

١ ـ أسرى : جمع أسير.
٢ ـ الرغبة : الطمع.

٣ ـ أقصروا : كفّوا.
٤ ـ المعرج : المائل إلى الشيء.
٥ ـ لا يروعه : لا يفزعه.
٦ ـ الصريف : صوت الأسنان عن الاصطكاك.
٧ ـ الحدثان : بالكسر النوائب.
٨ ـ تولى الشيء : تحمل ولايته ليقوم به.
٩ ـ اعدلوا بها : انحرفوا بها.
١٠ ـ الضراوة : اللهج بالشيء والولوع به.

الشرح

والإمام يخاطب أولئك الذين يقعون في أسر الرغبات والشهوات ولا يستطيعون الخلاص منها بأن يكفوا عن طاعتهم لها ويتمردوا عليها لأن من اطمأن إلى الدنيا ومال إليها مرتاحاً إلى ظلها ونعيمها فإنه لا يستفيق منها إلا على ما يروعه ويفزعه حيث تأخذه المصائب والبلايا إليها فينتابه المرض وتدب به الشيخوخة ويصاب بالبلاء تلو البلاء، أيها الناس تولوا أنتم تأديب أنفسكم وأخذها بما يرضي الله والتزام أوامره وغيروا عاداتها التي ألفتها ولم تكن منسجمة مع خط الله وإرادته وذلك مستطاع لكم وتحت قدرتكم. . .

---

٣٦٠ ـ وقال عليه السلام: لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً.

الشرح

إذا كانت الكلمة ظاهرها سوء ولكنها تحتمل وجهاً أو وجوهاً أخرى سليمة ومقبولة فاحملها على الخير وعلى الوجه الحسن وهذا المبنى يريح الناس ويوطد العلاقة ويحسنها فيما بينهم جميعاً. . .

---

٣٦١ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللهَ

أَكْرَمَ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ ٱلأُخْرَى.

الشرح

أمر عليه السلام أن يفتتح صاحب المسألة مسألته بالصلاة على النبي (ص) فتكون مقبولة ومستجابة فتستجاب الثانية بجريرة الأولى وتبعاً لها وكما قيل: وقد يؤخذ الجار بجرم الجار، وإذا حشر مع الكرام لئيم أكرم لكرامتهم وبجريرتهم...

٣٦٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ضَنَّ(١) بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ ٱلْمِرَاءَ(٢).

اللغة

١ ـ ضنّ : بخل.
٢ ـ المراء : الجدال في غير حق.

الشرح

المراء هو الجدل لا بقصد إحقاق الحق وهو يؤدي إلى المماحكة والسباب والشتائم والكريم يبخل بعرضه أن يتعرض لذلك ويترفع أن يقع في مثل تلك المحاذير.

٣٦٣ ـ وقال عليه السلام: مِنَ ٱلْخُرْقِ(١) ٱلْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ ٱلإِمْكَانِ(٢)، وَٱلأَنَاةُ(٣) بَعْدَ ٱلْفُرْصَةِ.

اللغة

١ ـ الخرق : بالضم الحمق وقلة العقل.
٢ ـ الإمكان : التمكن والقدرة.
٣ ـ الأناة : التأني.

الشرح

الخرق، معناه الحمق وعدم الرفق وقد جعل الإمام من عاجل أمراً قبل أوانه وإمكانه خرقاً على حد تأخير اجتنائه بعد إمكان الفرصة منه وهو أمر بلزوم الأمور وإيقاعها في مواقعها دون تأخير أو تقديم.

---

٣٦٤ ـ وقال عليه السلام لا تَسْأَل عَمَّا لاَ يَكُونُ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ.

الشرح

نهى عن التكلف والسؤال عن عالم الامكان وما يمكن أن يتصور في عالم الفكر والخيال كبعض المترفين عقلياً فإنهم يفترضون مسألة ويعيشون في أجوائها ويتركون ما هم بحاجة إليه وما يهمهم في أمور معاشهم ومعادهم بل العاقل هو الذي يحل مشاكله العالقة والمطلوبة منه حالياً ولا يقدر على ذلك لكثرتها وفيها شغل وافٍ وكبير يشغله عن الافتراضات والإمكانات فبدلاً من أن نختلف أن الملائكة إناث أم ذكور فلننظر في أمورنا المهمة التي تدخل في أساس حياتنا.

---

٣٦٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَٱلاعْتِبَارُ(١) مُنْذِرٌ(٢) نَاصِحٌ. وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِهكَ تَجَنُّبُكَ(٣) مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ.

اللغة

١ ـ الاعتبار : أخذ العبرة وهي الموعظة.
٢ ـ منذر : مخوف محذّر.
٣ ـ التجنب : الترك.

الشرح

الفكر كالمرآة ينقل الحقائق دون تشويه أو تزييف ويصل إلى باطن الأمور بدقة

وصفاء، والاعتبار بما يقع في الحياة وما يمر على الإنسان من مرارتها وحلاوتها وما يقع على الغير من المصائب والموت منذر لهذا الإنسان وناصح له فلا يغش لأنه سيصل إلى ما أنذره والعاقل هو الذي إذا كره أمراً من غيره أدب نفسه على اجتنابه والابتعاد عنه . . .

---

٣٦٦ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِٱلْعَمَلِ: فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَٱلْعِلْمُ يَهْتِفُ(١) بِٱلْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاَّ ٱرْتَحَلَ عَنْهُ(٢).

اللغة

١ ـ **يهتف** : يصيح وينادي.
٢ ـ **ارتحل عنه** : تركه وذهب.

الشرح

من حق العالم أن يكون عاملاً فمن عرف أن الصلاة واجبة وجب عليه أن يقيمها ومن عرف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه واجب وجب عليه أن ينهض بهما فحق العلم العمل به، والعلم يصرخ بالعمل ويحذر المتكاسلين فإن أجاب العمل للعلم فهو المطلوب وإلا ارتحل العلم وفقد الأثر المترتب عليه فالعمل روح العلم ومن أجله يتعلم الإنسان فإذا لم يعمل فكأنه لم يعلم وكم عالم ميت وإن عدّ مع الأحياء لأنه لم يستعمل علمه . . .

---

٣٦٧ ـ وقال عليه السلام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ(١) الدُّنْيَا حُطَامٌ(٢) مُوبِىءٌ(٣) فَتَجَنَّبُوا(٤) مَرْعَاهُ(٥)! قُلْعَتُهَا(٦) أَحْظَى(٧) مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا(٨)، وَبُلْغَتُهَا(٩) أَزْكَى(١٠) مِنْ ثَرْوَتِهَا(١١). حُكِمَ عَلَى مُكْثِرٍ مِنْهَا بِٱلْفَاقَةِ(١٢)، وَأُعِينَ(١٣) مَنْ غَنِيَ عَنْهَا(١٤) بِالرَّاحَةِ. مَنْ رَاقَهُ(١٥) زِبْرِجُهَا(١٦) أَعْقَبَتْ(١٧) نَاظِرَيْهِ كَمَهاً(١٨)، وَمَنِ ٱسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ(١٩) بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً(٢٠)، لَهُنَّ رَقْصٌ(٢١) عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ(٢٢) هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَغَمٌّ(٢٣) يَحْزُنُهُ، كَذلِكَ

حَتَّى يُؤْخذَ بِكَظَمِهِ(٢٤) فَيُلْقَى بِٱلْفَضَاءِ، مُنْقَطِعاً(٢٥) أَبْهَرَاهُ(٢٦)، هَيِّناً(٢٧) عَلَى ٱللهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى ٱلإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ(٢٨). وَإِنَّمَا يَنْظُرُ ٱلْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَينِ ٱلاعْتِبَارِ(٢٩)، وَيَقْتَاتُ(٣٠) مِنْهَا بِبَطْنِ ٱلاضْطِرَارِ(٣١)، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ ٱلْمَقْتِ(٣٢) وَٱلإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ أَثْرَى(٣٣) قِيلَ أَكْدَى(٣٤)! وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِٱلْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِٱلْفَنَاءِ! هذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ ﴿يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ(٣٥)﴾.

اللغة

١ ـ المتاع : كل ما ينتفع به من عروض الدنيا.
٢ ـ الحطام : ما تكسر من يابس النبات.
٣ ـ الموبىء : أي ذو وباء معدي.
٤ ـ تجنبوا : اتركوا.
٥ ـ مرعاه : محل رعيه والأكل منه.
٦ ـ القلعة : بالضم عدم سكونك للتوطن.
٧ ـ أحظى : أسعد.
٨ ـ طمأنينتها : سكونها.
٩ ـ البلغة : ما يتبلغ به من القوت.
١٠ ـ أزكى : أنمى وأكثر.
١١ ـ الثروة : اليسار والغنى.
١٢ ـ الفاقة : الحاجة والفقر.
١٣ ـ أعين : سوعد.
١٤ ـ غني عنها : استغنى عنها.
١٥ ـ راقه : أعجبه.
١٦ ـ الزبرج : بكسر فسكون فكسر الزينة.
١٧ ـ أعقبت الشيء : تركته عقبها أي بعدها.
١٨ ـ الكمه : محركة العمى.
١٩ ـ الشغف : الولوع والحب النافذ في القلب.
٢٠ ـ الأشجان : الأحزان والعوارض المؤلمة.
٢١ ـ الرقص : بالفتح وبالتحريك، الغليان والحركة المتوثبة.
٢٢ ـ سويداء القلب : حبته.

٢٣ ـ الغم : الحزن.
٢٤ ـ الكظم : مجرى النفس.
٢٥ ـ انقطع : انفصل.
٢٦ ـ الأبهران : عرقان متصلان بالقلب.
٢٧ ـ الهين : اليسير السهل.
٢٨ ـ إلقاؤه : رميه وطرحه.
٢٩ ـ الاعتبار : الإتعاظ.
٣٠ ـ يقتات : يأخذ منها القوت.
٣١ ـ بطن الاضطرار : بطن المضطر.
٣٢ ـ المقت : الكره والسخط.
٣٣ ـ أثرى : استغنى.
٣٤ ـ أكدى : افتقر.
٣٥ ـ أبلس : يئس وتحيّر.

الشرح

في هذا الفصل تنفير عن الدنيا وزينتها (يا أيها الناس متاع الدنيا) وكل ما فيها (حطام موبيء فتجنبوا مرعاه) شبه متاع الدنيا ومقتنياتها بالحشيش اليابس الذي يتحطم لتفاهته وسرعة زواله ولم يكتف بذلك حتى جعل فيها الوباء الذي ينقل العدوى لمجرد الملاقاة معه حيث أنه يجذب الناس إليه ويأسرهم بهواه ولذا أمره باجتناب تناوله وأكله وهذه الدنيا بما فيها (قلعتها أحظى من طمأنينتها) عدم الاستقرار فيها والتوطن عليها أسعد ممن يطمئن إليها ويستقر فيها (وبلغتها أزكى من ثروتها) إذا استطاع الإنسان فيها أن يأخذ قدر كفايته منها ومن يقدر فقط أن يبقى على قيد الحياة خير له من أن يصبح صاحب ثروة ومال فيها (حكم على مكثر منها بالفاقة) كلما أكثر الإنسان منها احتاج إلى ما بقي منها فطالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما شرب كلما عطش (وأعين من غني عنها بالراحة) من استغنى عنها أعانه الله على الراحة منها (من راقه زبرجها أعقبت ناظريه كمهاً) من أعجبه منها زينتها ومحاسنها أعقبته العمى في بصيرته فلا يعود يعتبر بما فيها وما سوف يطرأ عليها من تغيرات وما يمر عليها من عبر (ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجاناً) من دخلت إلى قلبه وتملكت عليه حبه لها ملأت قلبه أحزاناً وأوجاعاً لما فاته منها وتحسراً على ما لم يصل إليه منها وهذه الأشجان والأحزان (لهن رقص على سويداء قلبه) تناوب على قلبه (همّ يشغله) عن نفسه وعن الله والآخرة (وغم) منها (يحزنه) ويجعله كئيباً باستمرار ويبقى الأمر (كذلك حتى يؤخذ بكظمه) حتى يؤخذ

بأنفاسه فيقضي عليه فيموت (فيلقى بالفضاء) في القبر (منقطعاً أبهراه) منقطعة نياط قلبه وعروقه الرئيسية التي تتصل بالقلب وتغذي سائر الجسد وهو كناية عن الموت (هيناً على الله فناؤه) والقضاء عليه (وعلى الأخوان إلقاؤه) في حفرته وقبره. . .

ثم أشار إلى صفات المؤمن ومصاحبته للدنيا وعلاقته بها (وإنما ينظر المؤمن إلى الدنيا) وما فيها من متاع وزينة (بعين الاعتبار) فيستفيد منها عدم دوامها وبقائها وأنه لا بد من الرحيل عنها والخروج منها فلا بد من الاستعداد والتزود للقاء الملك الجبار (ويقتات منها ببطن الاضطرار) فمقدار الضرورة يكون أكله منها وليس من القوم الذين يبحثون عن طيبات الأكل وملذاته (ويسمع فيها بإذن المقت والإبغاض) يسمع حديثها وهو مبغض لها كاره لوجودها يتعامل معها كعدو يصاحبه وهو لا يحبه ويكره حديثه ثم رجع إلى حال أبناء الدنيا ومن ملكت عليهم شغاف قلوبهم (إن قيل أثرى) واغتنى هذا الإنسان فجأة (قيل أكدى) وافتقر وأملق (وإن فرح له بالبقاء) وطول العمر (حزن له بالفناء) والموت والقضاء عليه فهذه حالات غير مستقرة فنعيمها لا يدوم وخيرها يزول (هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون) هذا كله في دار الدنيا وتقلباتها وبعد لم يأت يوم القيامة الذي فيه ييأسون من رحمة الله وينالهم عذابه وهوانه. . .

---

٣٦٨ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَٱلْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً(١) لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ(٢)، وَحِيَاشَةً(٣) لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

اللغة

١ ـ الذود : الدفع والمنع.

٢ ـ النقمة : العقوبة.

٣ ـ حشت الإبل : جمعتها.

الشرح

بيّن الحكمة التي من أجلها وضع الثواب والعقاب وإنهما وضعا من أجل أن يدفع الإنسان عن العقاب ويبعده عن العذاب ويقربه من الجنة ويدنيه من الثواب. . .

٣٦٩ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ[١]، وَمِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ[٢]، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي[٣] الْخَطِيئَةُ[٤]، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ[٥] عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا. يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ[٦] الْغَفْلَةِ.

اللغة

١ ـ الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من أثر الدار.

٢ ـ الفتنة : الابتلاء والمصيبة.

٣ ـ تأوي : تجتمع وتبيت.

٤ ـ الخطيئة : المعصية.

٥ ـ شذّ : انحرف.

٦ ـ العثرة : السقطة وزلة القدم.

الشرح

هذا خبر من أخبار الغيب التي أطلع عليها الإمام بما عنده من العلم اللدني وهي حاكية بصدق عن واقعنا المعاش فمن نظر أبصر كيف تنطبق وكأنها تصف قائماً أمامها يأتي على الناس زمان لقبحه وظلمه وسوءه لا يبقى فيهم، في الناس من القرآن إلا رسمه وكتابته وفي زماننا إلا طباعته يتباهى الملوك والأمراء بطبع القرآن ويبتعدون عن العمل به وتطبيقه بل يحاربون من يعمل به ويطاردونهم في كل بلاد الله ولم يبق من الإسلام إلا اسمه، فالإسلام قد اندرست أحكامه وتعطلت شرائعه وباسم الإسلام ظلماً وعدواناً يعقدون المؤتمرات ويقيمون الندوات وكأنهم باسم الإسلام يريدون محاربة الإسلام وفي هذه السنة وهي سنة ١٩٨٧ وفي الشهر الأول منها وأنا أكتب هذه الفصول يجتمع ملوك ورؤساء الدول الإسلامية في الكويت وقد تمثل في المؤتمر ٤٤ دولة وقاطعته إيران الإسلام وكأن هذا المؤتمر يعقد باسم الإسلام ويقصد به محاربة الإسلام والمسلمين وقد

حضره أمين الجميل المسيحي الكتائبي رئيس جمهورية لبنان وتكلم في المؤتمر باسم الإسلام والمسلمين في مؤتمر القمة الإسلامية وهذا من عجائب الدنيا وغرائبها، فإن أمين الجميل الذي ذبح المسلمين وقضى على الإسلام الذي يلتقي مع الصهاينة في قتال الإسلام والمسلمين يجتمع في القمة الإسلامية ويتكلم باسم الإسلام فهل سمعنا وسمع المسلمون في تاريخهم مثل هذا الخبر وهل هؤلاء الرؤساء حقيقة ينصحون الإسلام ويدافعون عنه أو يقضون عليه وعلى كل تعاليمه وتشريعاته وعلى كل حال إنا لله وإنا إليه راجعون لما وصلت إليه حالة المسلمين من البؤس والتعاسة. . .

ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى فمساجدهم مبنية من الحجر المنحوت الجميل ولكنها خالية من الهدى لأن أئمتها قد عينتهم السلطة الظالمة فهم يثنون عليهم ويمدحون ظلمهم وجورهم ويعملون بخلاف ما أمر الله سكانها وعمارها شر أهل الأرض فالسعوديون بيدهم خدمة الحرم وهم يشيدون المساجد وكذلك غيرهم من الذين يتشوقون للوجاهة والزعامة هم شر عمارها وفسقتهم ولا يدخلها إلا الوهابي الفاسد الفاسق الذي يحمل التجسيم لله والازدراء برسول الله وبالأولياء الصالحين. . . منهم تخرج الفتنة لأنهم بلباس الدين يفتنون الناس عن دينهم ويضلونهم عن إسلامهم وإليهم تأوي الخطيئة فكل خطيئة وانحراف عن الإسلام يكون منهم لأنهم الدعاة إلى الضلال والانحراف يردون من شذ عنها منها ويسوقون من تأخر عنها إليها لشدة انحرافهم وضلالهم كأنهم يجمعون الفتنة من كل مكان يقول الله سبحانه: فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة فالله يحلف بنفسه ليرسل عليهم فتنة عمياء لا يهتدي فيها الحليم إلى مواضع قدميه ونحن الآن نعيش هذه الفتنة القاسية ونستغفره من خطايانا وسيئات أعمالنا. . .

٣٧٠ ـ وروي أنّه عليه السلام قلما اعتدل[١] به المنبر إلا قال أمام الخطبة: أَيُّهَا النَّاسُ، ٱتَّقُوا ٱللهَ فَمَا خُلِقَ ٱمْرُؤٌ عَبَثاً[٢] فَيَلْهُوَ[٣]، وَلاَ تُرِكَ سُدًى[٤] فَيَلْغُوَ[٥]! وَمَا دُنْيَاهُ ٱلَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ[٦] مِنَ ٱلآخِرَةِ ٱلَّتِي قَبَّحَهَا[٧] سُوءُ ٱلنَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا ٱلْمَغْرُورُ ٱلَّذِي ظَفِرَ[٨] مِنَ ٱلدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَٱلآخَرِ ٱلَّذِي ظَفِرَ مِنَ ٱلآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ[٩].

اللغة

١ ـ اعتدل : استقام.

٢ ـ العبث : ارتكاب أمر بدون فائدة.

٣ ـ اللهو : اللعب.

٤ ـ سدى : مهمل.

٥ ـ اللغو : ما لا فائدة فيه.

٦ ـ خلف : بفتح اللام ما يخلف الشيء ويأتي بعده.

٧ ـ القبيح : ضد الحسن.

٨ ـ ظفر : فاز.

٩ ـ السهمة : بالضم النصيب.

الشرح

كان يبتدأ عليه السلام باستمرار في التزهيد بالدنيا وما فيها والترغيب بالآخرة وما فيها أيها الناس اتقوا الله الذي لا إله سواه فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو كما قال تعالى: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾ ولا ترك سدى مهملاً بدون تكليف مطلوب منه ومناط به فيلغو في الحياة وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده. وفي نظره السيء استقبح الآخرة وتحسنت الدنيا في عينه ولكن ليس فيما استحسن بديل عما استقبح إذ الذي استقبحه بسوء نظره لا بديل له ولا شبيه له وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته لا مناسبة بين الدنيا والآخرة وأن من ظفر من الدنيا بأعلى وأعظم أمنيته ليس كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى درجات أهل الثواب وكما يقال: الذنب في الخير أعظم من الرأس في الشر ولا قياس بينهما...

---

٣٧١ ـ وقال عليه السلام: لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ ٱلإِسْلَامِ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلَا مَعْقِلَ[١] أَحْسَنُ مِنَ ٱلْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ ٱلْقَنَاعَةِ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ[٢] مِنَ الرِّضَى بِٱلْقُوتِ. وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ[٣] ٱلْكَفَافِ[٤] فَقَدِ ٱنْتَظَمَ[٥] الرَّاحَةَ، وَتَبَوَّأَ[٦] خَفْضَ[٧] الدَّعَةِ[٨].

وَالرَّغْبَةُ[٩] مِفْتَاحُ النَّصَبِ[١٠] وَمَطِيَّةُ[١١] التَّعَبِ، وَٱلْحِرْصُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ[١٢] فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِىءِ ٱلْعُيُوبِ.

اللغة

١ ـ **المعقل** : الملجأ.
٢ ـ **الفاقة** : الحاجة.
٣ ـ **البلغة** : ما يتبلغ به الإنسان أي يكفيه.
٤ ـ **الكفاف** : قدر الحاجة.
٥ ـ **انتظمه بالرمح** : أنفذه فيه.
٦ ـ **تبوأ** : نزل.
٧ ـ **الخفض** : السعة.
٨ ـ **الدعة** : بالتحريك كالخفض.
٩ ـ **الرغبة** : الطمع.
١٠ ـ **النصب** : التعب.
١١ ـ **المطية** : ما يمتطى أي يُركب من دابة ونحوها.
١٢ ـ **التقحم** : الدخول بقوة.

الشرح

وصايا متفرقة وحكم متناثرة وأخلاقيات عظيمة رفيعة (لا شرف أعلى من الإسلام) لأنه يستلزم شرف الدنيا والآخرة (ولا عز أعز من التقوى) لأن التقوى تستلزم جميع المكرمات والابتعاد عن جميع الخسائس ورذائل الصفات فكانت أعز من غيرها (ولا معقل أحسن من الورع) فإن الورع درع حصينة ومعقل لا يمكن لصفة ذميمة أن تقتحمه أو تعتدي عليه (ولا شفيع أنجح من التوبة) فإن التوبة هي التي إن جئت بها محوت السيئات وقضيت على المعاصي والآثام وهي خير من يشفع في العفو ومحو السيئات (ولا كنز أغنى من القناعة) لأنك بالقناعة لا تحتاج إلى أحد بل تستغني عن كل أحد حتى عن المال والدنيا ولذا كانت أغنى كنز (ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت) إذا رضيت بقوت نفسك كان ذلك أشد لنفي الفقر وأقوى رادع للحاجة لأن القوت تكفل لك به الله (ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة) من اقتصر على الكفاف ومقدار حاجته فحسب فقد دخل في راحة البدن والنفس من هم الطلب والسعي

ونال الدعة والهدوء والعيش اللين الطيب (والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب) إذا كانت لك رغبة في الدنيا وزينتها فقد فتحت على نفسك باب التعب وسعيت وراء الشقاء والنصب.

(والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب) فإن هذه الأمور الثلاثة الحرص وما يجر إليه من التكالب على الدنيا وما يدعو إليه من الظلم والكذب والفجور وما يدعو إليه الكبر من عدم التواضع والتهور وقلة الإنصاف وما يدعو إليه الحسد من البغي والظلم فإن كل هذه تدخل الإنسان بسرعة في الذنوب (والشر جامع مساوىء العيوب) فإن الشر بقول مطلق يجمع كل هذه العيوب ومن اتصف به اتصف بها جميعاً. . .

٣٧٢ ـ وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: يَا جَابِرُ، قِوَامُ[١] الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ[٢] أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، فَإِذَا ضَيَّعَ ٱلْعَالِمُ عِلْمَهُ ٱسْتَنْكَفَ ٱلْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخِلَ ٱلْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ ٱلْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ.

يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ ٱللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ للهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَٱلْبَقَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَٱلْفَنَاءِ.

اللغة

١ ـ القوام : الاعتدال.

٢ ـ استنكف : رفض وأبى.

الشرح

تقوم الدنيا والدين بأربعة أركان، متى استقامت وثبتت هذه الأربعة؟ ومتى صلحت واعتدلت اعتدلت أمور الدين وأمور الدنيا (عالم مستعمل علمه) فهو تعلّم وتفقّه ووقف على أسرار الشريعة ليس ليكنز العلم لنفسه ويدخره في باطنه فإن من بخل بعلمه جاء أنتن

الناس ريحاً يوم القيامة بل إنما تعلم من أجل أن يستعمل العلم فيطبقه على نفسه وينفذ ما يعرفه ثم يعلمه لغيره من الناس ويبثه بين البشر (وجاهل لا يستنكف أن يتعلم) وهو الأمي الذي لا يعرف أحكام الدين ولم يطلع عليها فهو لا يتكبر عن التعلم بل يبادر إلى أن يسأل عن كل مسألة لم يعرفها ويبحث عن كل تكليف متعلق به فيتعلمه ويعمل به (وجواد لا يبخل بمعروفه) كريم منّ الله عليه وأعطاه من فضله فلا يبخل بالعطاء والبذل على الفقراء والمحتاجين وإعانة الضعفاء (وفقير لا يبيع آخرته بدنياه) فإن في المجتمع فقراء واستقامة الحياة إنما تكون بأن يكون الفقير متعففاً ملتزماً بأحكام الله بعيداً عن السرقة والخيانة والاعتداء فلا يبيع آخرته بشيء من حطام الدنيا وما فيها فإذا هذه الأركان الأربعة كانت عادلة ملتزمة استقامت الحياة والدين وأما إذا تبدلت الأحوال وتغيرت فانقلبت الموازين بضد ما هي عليه اضطربت الحياة وفسد الدين (فإذا ضيّع العالم علمه) ولم يعمل به ولم يعلمه للناس كانت النتيجة لهذه المخالفة أن (استنكف الجاهل أن يتعلم) لأنه يرى العالم مخالف لعلمه فيشك فيه ويسقط قوله ولا يعود له قيمه (وإذا بخل الغني بمعروفه) فلم يبذل على الفقراء ولم يخرج الحق الشرعي من ماله كانت النتيجة أن (باع الفقير آخرته بدنياه) فتجاوز المرسوم له ليسرق وينهب ويعتدي (يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه) فمن لم يعط مالاً لم تقصده الناس، ومن لم يكن وجيهاً لم تقصده الناس ومن لم يكن عالماً كبيراً لم تقصده الناس وهكذا دواليك بمقدار النعم تعود إليك الرجال بالمراجعة والسؤال (فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء) فإن من قام بحق النعمة عرضها للدوام والزيادة كما قال تعالى: ﴿**ولئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ وأما إذا لم يقم بحق هذه النعمة فطرد الناس عن أبوابه وأقفل الأبواب وجعل الحجاب انصرف الناس عنه وعرضها للزوال حيث ارتد الناس عنه وبحثوا عن غيره. . .

ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري.

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام بن عمر بن سواد بن سلمة الأنصاري السلمي من بني سلمة.

وأمه نسيبة بنت عقبة بن عبد بن سنان بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم.

من أصحاب رسول الله حضر بدراً والمشاهد كان منقطعاً إلى أهل البيت ومن السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وفي الخلاصة عن البرقي أنه كان من الأصفياء.

شهد صفين مع الإمام علي.

كان جابر يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم ويقول: «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبى فلينظر في شأن أمه»[١].

وفي سنة ٤٠ بعث معاوية بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة فأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فقال لها ماذا ترين أن هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل.

فقالت: أرى أن تبايع فأتاه جابر فبايعه.

وفي كتاب الملهوف لابن طاووس: ولما رجعت نساء الحسين وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع عليهم نساء ذلك السواد وأقاموا على ذلك أياماً...

توفي جابر في المدينة زمن عبد الملك بن مروان سنة ٧٨ وقيل سنة ٧٧ وقيل سنة ٧٤.

---

٣٧٣ ـ وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ـ وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ـ أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد: إني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه ثواب الشهداء والصدّيقين، يقول يوم لقينا أهل الشام:

أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُون، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً[١] يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ[٢] بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِىءَ[٣]، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أَجِرَ[٤]، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَكَلِمَةُ

---

(١) أعيان الشيعة.

الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذلِكَ الَّذي أَصَابَ(٥) سَبِيلَ ٱلْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ ٱلْيَقِينُ.

اللغة

١ ـ **العدوان** : الظلم.
٢ ـ **أنكر المنكر** : عابه عليه ونهاه عنه.
٣ ـ **برىء** : سلم.
٤ ـ **أجر** : أثيب.
٥ ـ **أصاب** : أدرك.

الشرح

إذا رأيت المنكر وهو كل فعل قبيح محرم في نظر الشرع يجب عليك أن تنكره بقلبك فتبغضه وتبغض فاعله وهذه أقل المراتب وأسفلها لأنها لا تتطلب جهداً ولا كلفة ولا يلحقك منها ضرر وهي من حقائق الإيمان فإن المؤمن لا يرضى بوقوع المنكر ـ وهو المعصية ـ لأن فيها تمرد على الله ومن أنكره بقلبه فقد سلم من الذنب وبرىء من الإثم وأما من استطاع أن يقف أمام الظالم وينصحه ويرده عن ظلمه ويصرخ في وجهه أن يكف عن المنكر فهو أفضل من الأول وله أجر على موقفه وصرخته وأما من أنكر المنكر بالسيف وجاهد الباطل بيده لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب طريق الحق والرشاد والهدى واستقام على الطريق وكان على يقين من نور الحق والإيمان الذي هو فيه. . .

---

٣٧٤ ـ وفي كلام أخر له يجري هذا المجرى: فَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، فَذلِكَ ٱلْمُسْتَكْمِلُ(١) لِخِصَالِ ٱلْخَيْرِ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً، وَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَذلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ(٢) أَشْرَفَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلاثِ، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمُ تَارِكٌ لإِنْكَارِ ٱلْمُنْكَرِ

بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ، فَذلِكَ مَيِّتُ ٱلأَحْيَاءِ. وَمَا أَعْمَالُ ٱلْبِرِّ كُلُّهَا وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، عِنْدَ ٱلأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، إِلَّا كَنَفْثَةٍ[٣] فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ[٤]. وَإِنَّ ٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ.

اللغة

١ ـ استكمل : أتم.
٢ ـ ضيّع الشيء : فقده.
٣ ـ النفثة : كالنفخة.
٤ ـ اللجة : معظم الماء ومجتمعه.
٥ ـ الأجل : وقت الموت.

الشرح

وهذا تقسيم آخر للناهين عن المنكر وأن هناك من أنكر المنكر بيده ولسانه وقلبه واستعمل كل الوسائل الممكنة له في دفع المنكر ورفعه من الحياة وهذا هو الذي استكمل خصال الخير فكانت كلها فيه وهو العظيم الأوحدي من الناس وهناك قسم ثانٍ وهو من أنكر المنكر بلسانه وقلبه ولكن تركه بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع لخصلة شريفة عظيمة وهي خصلة إنكار المنكر باليد وهناك قسم ثالث وهو المنكر للمنكر بقلبه والتارك له بلسانه ويده فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وهناك قسم تعيس شقي وهو المضيّع لخصال الخير كلها وهو الذي لا ينكر المنكر أبداً لا بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وذلك بتعبير الإمام ميت الأحياء ففي الصورة حي يتحرك وفي الواقع ميت لأن من لا خير فيه فهو ميت وإن لم يوفى من سجل الأحياء ثم إنه عليه السلام عظّم الأمر بالمعروف وجعل أعظم الأمور شيئاً ضئيلاً حقيراً بجانبه لما له من أهمية وعظمة ودور في إحقاق الحق وإزهاق الباطل وما أعمال البر المتمثلة بالصدقات والصلاة وحتى الجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا شيء ضئيل حقير كنفثة في بحر لجي مثل ما يخرج من الفم عند النفخ مقابل البحر المتماوج. . .

ثم رغب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنهما لن يقربا أجلاً ولن ينقصا من رزق وإذا كان العمر بيد الله والرزق منه فلا يضرك ما أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ثم ذكر أن أفضل من ذلك أن يقف المسلم أمام ظالم جبار فيواجهه بكلمة العدل ويتحداه بالحق ويرده عن طغيانه بأن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وكان ذلك أعظم لأنه يفتح أمام المتخوفين على أنفسهم وشخصيتهم ووظائفهم يفتح أمامهم باب الإنكار عليه ويكون قدوة صالحة لكل الأحرار وإمام في تحدي الجبابرة والظالمين. . .

٣٧٥ ـ وعن أبي جحيفة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ[١] عَلَيْهِ مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مِنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ[٢]، وَأَسْفَلُهُ أَعْلاَهُ.

اللغة

١ ـ **غلب على الشيء** : أخذ منه بالغلبة أي بالقهر.
٢ ـ **أسفل الإناء** : قعره.

الشرح

لقد شلت أيدي المسلمين عن الجهاد وهذه هي الأمة الإسلامية بعدتها وعديدها تقف متفرجة على ما يجري في فلسطين حيث سلب اليهود القدس ودنسوا الحرم وأذاقوا المسلمين المحن والبلايا وهذه الألسنة المؤمنة قد كفّت عن إنكار المنكر لوجود جواسيس السلطان ومخابراته الذين يحصون على الناس أنفاسهم ومن اشتبهوا به غيبوه في ظلمات السجن مع العذاب والهوان ولذا لا نرى أصوات علماء الإسلام ترتفع في وجه الظالمين من الحكام والرؤساء حتى يقتلوا ويعذبوا أو يشردوا. . .

ولم يبق عند المسلمين إلا الإنكار بالقلب وحتى هذا قد فُقِد عند الكثيرين فأصبحوا يمرون على المعصية دون أن تؤذي شعورهم أو تحركها ومثل هؤلاء يقلب أعلاهم أسفلهم وأسفلهم أعلاهم كناية عن نزوله إلى درك الحيوانية بدل أن يرتفع إلى درجات الكمال وأعلى المراتب السامية. . .

٣٧٦ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ[١] وَإِنَّ ٱلْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ[٢].

اللغة

١ ـ مريء : سهل هنيىء.
٢ ـ وبيء : كثير الوباءو هو المرض العام.

الشرح

الحق وإن كان ثقيلاً على النفس لكنه هنيء طيب والباطل وإن كان سهلاً ميسوراً لكنه مهلك مميت، فمن أعطى الحق كان قاسياً عليه ولكنه في الآخرة عاقبته حسنة وطيبة ومن دفع الحق وأخذ الباطل وإن كان الدفع سهلاً ميسوراً والباطل مؤنس ولكن عاقبته جهنم وبئس الدار.

---

٣٧٧ ـ وقال عليه السلام: لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَذَابَ ٱللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ[١] لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾.

اللغة

١ ـ روح الله : بالفتح رحمته.

الشرح

الإنسان المسلم بين الخوف والرجاء فمهما عمل من الصالحات ينبغي أن يستمر خوفه ولا يأمن عقاب الله وعذابه ومهما عصى وأساء ينبغي أن لا ييأس من رحمة الله وكرمه... **والآيتان تشهدان بهذا...**

٣٧٨ ـ وقال عليه السلام: اَلْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِىءِ ٱلْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ[١] يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

اللغة

١ ـ الزمام : المقود.

الشرح

البخل مجمع الرذائل فإن البخيل يمنع حق نفسه وحق الناس و حق الله والبخيل يبخل بما له ويبخل بنفسه ويبخل بكل خير والبخيل يطارد الناس من أجل جمع أموالها إليه وضمها إليها فهو كدودة القز يجمع ليموت دون أن يستفيد مما يجمع والبخل كالزمام الذي يقود البخيل إلى كل سوء ففتش عن كل رذيلة تجد منشأها البخل . . .

---

٣٧٩ ـ وقال عليه السلام: يَا بْنَ آدَمَ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِٱلْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِىءَ[١] عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.

قال الرضي: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب، إلا أنه ها هنا أوضح وأشرح، فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في أول الكتاب.

اللغة

١ ـ يبطىء : يتأخر.

الشرح

الرزق رزقان، رزق يحتاج إلى أن تسعى وراءه وتهيء الأسباب للحصول عليه وهذا ما تعارف الناس عليه وسار عليه العقلاء ودعا إليه رب السماء وهناك رزق يقدره الله لك لم يكن باجتهادك وكدك وطول باعك، وقد سمعنا بأرزاق كثيرة لم تكن في منظور أصحابها من قريب أو بعيد بعثها الله، وقد علمنا لله أنك إذا أخلصت له النية وتوكلت عليه يرزقك من حيث لا تحتسب وكم من باب للرزق يقفل وإذا بالعبد يتغير وضعه ويسيء الظن بالله من أين يأتيه الرزق وإذا بالأبواب تفتح أمامه وتكون أعظم وأحسن من الباب الذي أقفل ثم إن الإمام نهانا أن نشغل فكرنا ونحمل همّ سنتنا التي لم تأت بل علينا أن نهتم بيومنا فإن حصلنا على رزقنا فيه فقد أوتينا خيراً كثيراً وأما همّ السنة فإن كانت من أعمارنا يأتينا رزقنا فيها وإلا فلماذا نجمع ونتعب وأن الله بيده الأرزاق لا يستطيع أحد أن يأكل رزقك المقدر لك ولن يبطىء الرزق إذا كتبه الله لك فالرزق من الله وهو الذي يضعه أين يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء. . .

---

٣٨٠ ـ وقال عليه السلام: رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ(١) فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ، قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ.

اللغة

١ ـ الغبطة : أن تتمنى ما عند الغير من النعمة دون أن تزول عنهم.

الشرح

قد يطلع عليك الفجر وتستقبل يومك الجديد ويكون هو يومك الأخير الذي لا يخرج عنك إلا وأنت تحت التراب وقد تسهر ليلتك بالبهجة والسرور مع عائلتك وأطفالك وأصدقائك وأحبابك ثم في آخر الليل تقوم عليك البواكي من نسائك وأطفالك لفقدك ونهاية حياتك وهذا تحذير للإنسان أن لا يطمئن إلى الدنيا ويبقى باستمرار ذاكراً الموت والحساب.

---

٣٨١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ(١) مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا

تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاْخْزُنْ(٢) لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ(٣)، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ(٤) نِقْمَةً(٥).

اللغة

١ ـ الوثاق : ما يشد به ويربط.
٢ ـ اخزن : احفظ.
٣ ـ الورق : بفتح فكسر الفضة.
٤ ـ جلبت : أتت به.
٥ ـ النقمة : المصيبة.

الشرح

نهى عن الاسترسال في الكلام وأن يفكر الإنسان فيما يقول قبل أن يقول فإن الكلام قبل أن تطلقه فهو مملوك لك وليس لأحد حق عليك وأما إذا تكلمت به فقد صرت في وثاقه وتحولت أنت إلى عبد له تحتاج إلى الدفاع عن نفسك وإلى تأويل ما تكلمت به فلذا يجب أن يحفظ اللسان كما يحفظ الفضة والذهب ويحافظ عليه كما يحافظ عليها إذ ربما صدرت منك كلمة سلبت منك رزقك ونعمتك بل ربما جاءتك بمصيبة دامية قد تأخذك إلى عالم الآخرة . . .

---

٣٨٢ ـ وقال عليه السلام: لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ ٱللهَ فَرَضَ(١) عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

اللغة

١ ـ الفرض : الواجب.

الشرح

(لا تقل ما لا تعلم) لأنك سوف تندم وتذم ويضحك عليك من يعلم لأنك ستنكشف له وسيقف على جهلك (بل لا تقل كل ما تعلم) إذ ليس كل العقول تتقبل ما

تعلم فلئلا ترمى بالكذب أو المبالغة القريبة من الكذب تجنب ذلك ولأن الله فرض على جوارحك من العين إلى اللسان إلى اليدين فرائض يحتج بها عليك إن قصرت يوم القيامة وهو يوم عصيب والله عليك حسيب. . .

٣٨٣ ـ وقال عليه السلام: ٱحْذَرْ(١) أَنْ يَرَاكَ ٱللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ(٢) فَٱقْوَ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَٱضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ.

اللغة

١ ـ احذر : اخش وخف.

٢ ـ قويت : قدرت.

الشرح

تحذير عن المعصية ودعاء إلى الطاعة لما في المعصية من العقاب ولما في الطاعة من الثواب وأن من يراه الله على المعصية ويفقده في الطاعة هو من الأخسرين يوم القيامة الذين يعضون أيديهم من الندامة والخزي ثم ارشد الناس إلى أن من أراد أن يكون قوياً فليكن قوياً على طاعة الله المتمثلة بجهاد الأعداء وإقامة أسس العدل والحق وحمل شعار الأحرار والثوار للقضاء على الكفار والاستعمار وبمقدار طاعة الله يجب أن يكون ضعيفاً عن معصيته لما فيها من التمرد والعصيان وما وراءها من مخلفات الاستعباد والاستبداد. . .

٣٨٤ ـ وقال عليه السلام: الرُّكُونُ(١) إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ(٢) مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ ٱلْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ ٱلاخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ.

اللغة

١ ـ **ركن** : سكن واطمأن.

٢ ـ **تعاين** : ترى بعينك.

الشرح

أجهل الناس وأسخفهم من رأى الدنيا ونكباتها وما ترمي به أهلها من المصائب والمحن والبلايا ثم ينام بهدوء ويركن إليها مطمئناً إلى أنه من أصحاب الحظوظ العظيمة فهذا هو الجهل المطبق على العقل الذي يمنع من الاعتبار والتفكير.

والمغبون الذي يخسر ولا يربح هو ذلك الذي يثق بأن على الطاعة الثواب والأجر ولكن مع ذلك لا يكمله ولا يتمه ولا يخرجه على وجهه الشرعي المطلوب الذي أمر به الله أجزاءاً وشرائط وواجبات...

والعجز في الرأي من اعتمد على أحد بعد الاختبار والامتحان فكيف بمن لم يختبر ولم يجرب الأشخاص ثم يعتمد عليهم فهو أشد عجزاً ولا يستطيع أن يخرج إن كبى.

---

٣٨٥ ـ وقال عليه السلام: مِنْ هَوَانِ[١] الدُّنْيَا عَلَى ٱللهِ أَنَّهُ لاَ يُعْصَى إِلاَّ فِيهَا، وَلاَ يُنَالُ[٢] مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِتَرْكِهَا.

اللغة

١ ـ **الهوان** : الحقارة والذل.

٢ ـ **يُنال** : يدرك.

الشرح

الدنيا مرتع الشيطان وفيها تكون المعصية والتمرد ويكون الشقاء، فيها يجري سفك الدماء وهتك الأعراض والاعتداء على الممتلكات، فيها يعصى الله ويُتجرأ على العصيان وذلك كله يدلل على هوانها عند الله واحتقاره لها ومن أراد أن ينال الجنة والثواب وما أعده الله للأولياء، فعليه أن يتركها ويترك ما فيها...

٣٨٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ[١] أَوْ بَعْضَهُ.

اللغة

١ ـ ناله : حصل عليه وأدركه.

الشرح

كل من أراد شيئاً في الدنيا وسعى له وذلل الصعوبات من أمامه استطاع الوصول إليه كله وإلا فبعضه وقد سمعنا ورأينا كثيراً من هذه النماذج فهناك عشاق الكراسي قد وصلوا إلى أمنياتهم وطموحاتهم وهناك عشاق المال أضحوا بعد تصميمهم وجهادهم للفقر فوق ما كانوا يتمنونه وهكذا كثيرون من الذين صمموا على إدراك أمر قد أدركوه أو بعضه...

---

٣٨٧ ـ وقال عليه السلام: مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ[١] ٱلْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ[٢]، وَكُلُّ بَلاءٍ[٣] دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ.

اللغة

١ ـ دون : غير.
٢ ـ محقور : الحقير المحقّر.
٣ ـ بلاء : مصيبة، كل أمر مكروه.

الشرح

لا نستطيع أن نقول إن هناك خير في عمل إذا أعقبته النار وكانت النهاية وكان المصير جهنم ولا نستطيع أن نقول لشيء أنه شر إذا أعقبته الجنة وكانت خاتمته ونهايته رحمة الله، فالعمدة في الجنة والنار وفي رضى الله وغضبه فإن حسن العمل بما يعقبه وكل نعيم إذا كان غير الجنة فهو حقير صغير قليل تافه وكل بلاء مهما كان عظيماً إذا لم يؤدي إلى النار فهو مقبول وعافية، وهذا ترغيب في الجنة وتنفير من النار...

٣٨٨ ـ وقال عليه السلام: أَلَا وَإِنَّ مِنَ ٱلْبَلَاءِ[١] ٱلْفَاقَةَ[٢]، وَأَشَدُّ مِنَ ٱلْفَاقَةِ مَرَضُ ٱلْبَدَنِ، وأَشَدُّ مَنْ مَرَضِ ٱلْبَدَنِ مَرَضُ ٱلْقَلْبِ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ صِحَّةِ ٱلْبَدَنِ تَقْوَى ٱلْقَلْبِ.

اللغة

١ ـ البلاء : المصيبة، وكل أمر مكروه.

٢ ـ الفاقة : الفقر والحاجة.

الشرح

الابتلاء في الدنيا لا ينتهي والأمراض مستمرة متعاقبة ولكن بعضها أخف من بعض إذ رب مرض أخذ معه الإنسان ورب مرض أخذ معه الإيمان ومن البلاء الحاجة إلى الناس وأشد من الحاجة إلى الناس وأمضى منها وأقسى مرض البدن الذي لا يشعر الإنسان معه بلذة الحياة ونعيمها وخيرها وأشد من مرض البدن وأقسى منه مرض القلب، المعبر عنه بالنفاق والتذبذب وعدم الاستقامة وفي مقابل هذه الابتلاءات هناك نعم توازيها فالغنى نعمة والصحة نعمة وتقوى القلب والإيمان والورع عن المحارم من سلامة القلب وتقواه نعمة نسأل الله إدامة النعمة وإزالة النقمة . . .

---

٣٨٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَبْطَأَ[١] بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ. وفي رواية أخرى: مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبَائِهِ.

اللغة

١ ـ أبطأ : تأخر.

الشرح

من كان سيىء العمل مؤذٍ غير عامل بأمر الله فإن نسبه وإن كان يرجع إلى الآباء العظام والمحققين الكبار بل لو كان يرجع إلى أعظم الأنبياء وسيدهم محمد فإنه لن ينفعه

نسبه ولم يفده آباؤه وهذه دعوة إلى العمل الجيد وإلى أن يصل الإنسان بعمله إلى أعلى المراتب ولا يعتمد على النسب فإنه لا يفيد. . .

٣٩٠ ـ وقال عليه السلام: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ(١) مَعَاشَهُ(٢)، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ. وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً(٣) إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرَمَّةٍ(٤) لِمَعَاشٍ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ(٥)، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

اللغة

١ ـ يرم : بكسر الراء وضمها أي يصلح.
٢ ـ المعاش : ما تكون به الحياة ما يتعيش به من المأكل والمشرب.
٣ ـ شاخصاً : راحلاً.
٤ ـ المرمة : بالفتح الإصلاح.
٥ ـ المعاد : يوم القيامة.

الشرح

تقسيم الزمن والالتزام بكل قسم بما يناسبه من أروع الأمور وأشدها فائدة فلا يضيع رأس المال ـ وهو العمر ـ سدى وبدون ثمرة والإمام هنا يقسم لنا الزمن ويضع لنا برنامج إجمالي ومفاده أن يومك المكور عليك من بياض النهار وسواد الليل يجب أن تقسمه إلى ثلاثة أقسام، فساعة تناجي فيها ربك تتعبد، تصلي، تدعو، تتضرع إلى الله وساعة ثانية ترمّ معاشك، أي تصلحه فتبحث عما تستفيده لتستغني عن الناس وتكف يدك عنهم ووجهك أن يضرع إليهم بذل العطية وساعة ثالثة أن تكون خاصة لمتعتك ولذتك المحللة مع زوجتك ونزهتك والعيش مع أطفالك وليس للعاقل أن يكون شاخصاً أي مرتحلاً، متنقلاً إلا في ثلاث مرمة لمعاش، لإصلاح معاشه أو خطوة في معاد، من أجل الآخرة وما بعدها أو لذة في غير محرم كأن يقصد أهله البعيدين عنه فهذه الثلاثة يحل معها السفر والارتحال. . .

٣٩١ ـ وقال عليه السلام: ٱزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ[١] ٱللهُ عَوْرَاتِهَا[٢]، وَلاَ تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ!.

اللغة

١ ـ يبصّرك : يعرفك.

٢ ـ العورات : جمع العورة ما يستحي الإنسان من كشفه أمام الناس والمراد هنا عيوبها.

الشرح

قد قيل: حبك للشيء يعمي ويصم ونحن لم ندرك عيوب الدنيا ونقف على مسالبها لأننا نحبها فإذا أردنا أن نعرف عيوبها وسيئاتها فما علينا إلا أن نزهد فيها، فإذا زهدنا فيها استطاع بصرنا أن ينفذ إلى داخلها ويحكم عليها بنزاهة وموضوعية، وينبغي على الإنسان أن لا يغفل عما يراد به وعما هو مطلوب به لأنه غير مغفول عنه سيحاسب على كل كبيرة وصغيرة وسيقف أمام علام الغيوب وكاشف الكروب...

---

٣٩٢ ـ وقال عليه السلام: تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ مَخْبُوءٌ[١] تَحْتَ لِسَانِهِ.

اللغة

١ ـ مخبوء : مستور ومختفي.

الشرح

الناس صناديق مغلقة ومحكمة الغلق لا يعرف ما فيها إلا بفتحها فإذا فُتحت عُرفت وإذا كان الإنسان صامتاً لا تعرفه ولا تعرف داخله ولا تستطيع الدخول إلى قلبه وسره ولكن دعه يتكلم فتعرف من خلال حديثه وعيه الإسلامي وتعرف منطقه وتعرف نفسيته وجميع شؤونه، فهذا اللسان إذا انطلق كشف حقيقة الإنسان ووضعه في موضعه...

٣٩٣ ـ وقال عليه السلام: خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ[١] عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ[٢] فِي الطَّلَبِ.

اللغة

١ ـ **تولّ** : أعرض.
٢ ـ **أجمل في الطلب** : اعتدل.

الشرح

إذا أقبلت عليك الدنيا بشيء فخذه وإذا أدبرت عنك بشيء فاصرف وجهك عنه ولا تذهب نفسك عليه حسرات وإذا كنت لا تريد ذلك ولا تقنع به فقصر الطلب واجعله ضمن الحلال دون التجاوز به إلى الحرام...

---

٣٩٤ ـ وقال عليه السلام: رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ[١] مِنْ صَوْلٍ[٢].

اللغة

١ ـ **نفذ السهم** : خرق الهدف وخرج منه.
٢ ـ **الصول** : السطوة.

الشرح

الصول معناه السطوة أي قد يبلغ الإنسان بالقول ما لا يبلغه بالسطوة والقوة وأن الرفق أنفذ من العنف وأقوى أثراً وقد يقال: إن الشخص قد تؤذيه الكلمة أكثر مما يؤذيه السيف إذ رب شخص يكون الكلام على عرضه وشرفه أشد أثراً عنده من أن تطعنه بالسيف لما في الأول من الهتك والفضيحة دون الثاني...

---

٣٩٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مُقْتَصِرٍ[١] عَلَيْهِ كَافٍ.

اللغة

١ ـ اقتصر عليه : اكتفى به.

الشرح

هذا من باب القناعة وأن من قنع بما قسمه الله له اكتفى به واقتصر عليه وأما من كان طامعاً فلا يكفيه ما بيديه حتى يطلب ما بيد غيره ويبقى طيلة عمره في حاجة لأنه كلما سدت حاجة انفتحت له حاجات...

---

٣٩٦ ـ وقال عليه السلام: اَلْمَنِيَّةُ(١) وَلاَ الدَّنِيَّةُ(٢)! وَالتَّقَلُّلُ(٣) وَلاَ التَّوَسُّلُ(٤). وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً، وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلاَ تَبْطَرْ(٥)، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ!.

اللغة

١ ـ المنية : الموت.

٢ ـ الدنية : التذلل والنفاق والخسة.

٣ ـ التقلل : الاكتفاء بالقليل.

٤ ـ التوسل : الخضوع لأهل الدنيا وجعلهم وسيلة لبلوغ مرامه.

٥ ـ بطر النعمة : استخفها فلم يشكرها طغى بالنعمة فصرفها إلى غير وجهها.

الشرح

هذه كلمات علوية أرق من النسيم وأطيب ريحاً من المسك انتشرت بين الناس وأضحت شواهدا يستشهد بها الكتاب والأدباء والشعراء والخطباء من منا لم يقل المنية ولا الدنية ويستشهد بها لعزة النفس والإباء وللترفع عن الدنايا والعار فالموت أطيب من العار والمذلة.

(والتقلل ولا التوسل) القليل مما تملك والقناعة فيه خير من التضرع على أبواب الزعماء والوجهاء وأصحاب الكراسي وقد رأينا خساسة بعض المعممين الذين عملوا

كخدم في بيوت الزعماء من أجل وظيفة وبعضهم باع كرامته بل فقدها من أجل أن يتزلف إلى صاحب مقام ووجيه. . . وإذا كنا نتكلم عن العلماء فلأنهم الطبقة الراقية ولأنهم الأكمل في سلم الكمال وأما غيرهم من العوام فغضّ الطرف ولا تسأل. . .

(ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً) هذا حث على الإجمال في الطلب وأن الرزق مقسوم وأن الله إذا لم يعطك بالسعي البسيط لم يعطك بالسعي الحثيث. . .

(والدهر يومان يوم لك ويوم عليك) وهذه حكمة عظيمة تنحني لها الرؤوس بخضوع وخشوع. . . الدهر يومان فتارة تقبل عليك الدنيا ويقول لك الكريم خذ ما شئت من أموال وأولاد وجاه وسلطان ليختبر طاعتك والتزامك ومقدار محافظتك على النعمة فإذا كان اليوم يومك. . . وأنزلت عليك النعم والبركة فلا يأخذك البطر وتروح تسرف وتبذر وتمنع حق الله وحق العباد ولا تتسلط على رقاب الناس بسلطانك وجاهك. . . وأما إذا كان الدهر عليك فسلبك عزك وأموالك وأولادك وسلطانك فلا تيأس واصبر واحتسب فإنما هو امتحان أرادك الله له ليرى هل تنجح فيه أم ترسب. . . وعلى كل حال سيزول ولن يبقى أبداً. . . فالصبر سيقطعه وستنتصر إن بقيت على تقوى الله والالتزام بأوامر الله. . .

---

٣٩٧ ـ وقال عليه السلام: نِعْمَ الطِّيبُ[١] ٱلْمِسْكُ[٢]، خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ.

اللغة

١ ـ الطيب : كل ذي رائحة عطرة.

٢ ـ المسك : طيب يستخرج من دابة كالظبي.

الشرح

هذا مدح للمسك بما أنه طيب وذو رائحة طيبة تنعش الروح وتفرح القلب وقد كان رسول الله يحب الروائح الطيبة وخصوصاً المسك والمؤمن رائحته كالمسك، من جهة الكرم والشجاعة والعفة والنزاهة ورائحته أيضاً عطرة تتنسمها الأنوف فتعشقها وهذه دعوة إلى أن تكون رائحة المؤمن طيبة باستمرار. . .

٣٩٨ ـ وقال عليه السلام: ضَعْ(١) فَخْرَكَ(٢)، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ(٣)، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ.

اللغة

١ ـ ضع : اترك.
٢ ـ الفخر : التباهي، التمدح بالمناقب والخصال والمكارم.
٣ ـ الكبر : التكبر.

الشرح

بماذا تفتخر، بالمال أم بالجاه، أم بالسلطان أم بالحسب أم بالنسب فكلها لن تغني عنك من الله شيئاً ولن تنفعك يوم حشرك ونشرك وعرضك على الواحد الديان وإذا كانت كلها لا تنفعك فاتركها واهجرها وضعها جانباً لا تتكلم بها ولا تفتخر فيها...

وكبريائك بماذا اكتسبتها؟ ولماذا تتكبر؟ تتكبر لأصلك فأصلك نطفة أم تتكبر لنهايتك ونهايتك جيفة نتنة تشتمئز منها النفوس إذن انزل عن كبريائك وتنازل عنها واذكر قبرك عند كل موقف تجمح نفسك إلى العلو وتطغى في الضلال، اذكره فإنه مقام مرعب ومكان رهيب ما تصوره جبار أو عظيم إلا وارتعش، إنها نهاية في بيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الغربة لا يؤنس فيه إلا العمل الصالح...

٣٩٩ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى ٱلْوَالِدِ حَقًّا، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى ٱلْوَلَدِ حَقًّا. فَحَقُّ ٱلْوَالِدِ عَلَى ٱلْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلاَّ فِي مَعْصِيَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقُّ ٱلْوَلَدِ عَلَى ٱلْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ ٱسْمَهُ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ، وَيُعَلِّمَهُ ٱلْقُرْآنَ.

الشرح

حق الوالد على الولد ليس له حدود وإنما يجب على الولد أن يطيعه في كل أمر أو نهي إلا أن يكون في ذلك معصية لله فلا طاعة عندئذٍ لمخلوق في معصية الخالق وهذا

مأخوذ من قوله تعالى: **﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾**.

وأما حق الولد فتحسين الاسم لئلا ينبذ به أو يساء إليه به أو يستهجن منه أو يتخذ سخرية واستهزاء وقد وردت أحاديث كثيرة في اختيار الأسماء الجميلة ذات المعاني اللطيفة كأحمد ومحمود وعبد الله وأما تحسين أدبه فهذا الثمرة العظيمة وأفضل ما ورثه الآباء للأبناء وهو أن يكون الولد مؤدباً مع الناس معظماً ومحترماً لهم لا يؤذي ولا يعتدي وأما تعليمه القرآن فلأنه الأساس لاستقامته وعدالته وتقواه وهو الأخذ بيده إلى العمل الموصل للجنة وحسن العاقبة...

---

٤٠٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقَى[١] حَقٌّ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ، وَٱلْفَـأْلُ[٢] حَـقٌّ، وَالطِّيَـرَةُ[٣] لَيْسَـتْ بِحَـقٍّ، وَٱلْعَـدْوَى[٤] لَيْسَـتْ بِحَـقٍّ، وَالطِّيبُ[٥] نُشْرَةٌ[٦]، وَٱلْعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى ٱلْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ.

اللغة

١ ـ الرقي: من الرقية وهي ما يستعان به للحصول على أمر أو دفعه بقوى تفوق القوى الطبيعية.

٢ ـ الفأل: ضد الشؤم وهو ما يستبشر برؤيته ويتوقع من خلالها المسرة.

٣ ـ الطيرة: ما يتشاءم به.

٤ ـ العدوى: انتقال المرض من مريض إلى سليم.

٥ ـ الطيب: كل ذي رائحة عطرة.

٦ ـ نشرة: نشاط وقوة وفي الأصل رقية يعالج بها المجنون أو المريض سميت بذلك لأنها تكشف ما به من الداء.

الشرح

العين حق: أي إصابة العين وتأثيرها في بدن المصاب بمرض أو وجع واقع وهذا من المجربات وقد كان النبي يعوذ الحسنين بالمعوذتين...

الرقى حق: وهي أدعية أو أذكار أو قرآن يقرأ فيرتفع الأذى عن المصاب باالعين وما أشبه ذلك.

والسحر حق: وهذا واقع ومن مسلمات الأمور على اختلاف تفسيره وتأويله.

الفأل حق: دعوة إلى الفرح بالأمور التي يراها الإنسان ويستبشر بها وأما الطيرة فهو التشاؤم وهي حالة نفسية رفعها الشرع برفضها كفكرة وعالجها بالصدقة ثم المضي في الأمر المتوجه إليه.

والعدوي ليست بحق: انتقال المرض لا يكون إلا في بعض الأمراض الخبيثة ومثل هذه دعا الشرع إلى الفرار من المصاب بها كالجذام فقال: فرّ من الجذام فرارك من الأسد وأما هنا فهي دعوة إلى ما يسري بين الناس من أمراض اعتادوا عليها ولا تُنقل بسرعة فيجب أن لا يعيش الإنسان حالة الخوف منها، . وأما بقية الأمور من العسل وأخويه فهي تجدد نشاط الإنسان وتحرك فيه روح الجد ويجد فيها لذة ونشوة.

---

٤٠١ ـ وقال عليه السلام: مُقَارَبَةُ(١) النَّاسِ فِي أَخْلاَقِهِمْ أَمْنٌ(٢) مِنْ غَوَائِلِهِمْ(٣).

اللغة

١ ـ قاربه : داناه.
٢ ـ أمن : سلامة.
٣ ـ الغوائل : جمع الغائلة وهي العداوة والشر والغوائل هي الدواهي.

الشرح

ومتى قربت أخلاق الناس بعضها من بعض انسجمت وائتلفت وأمن كل شر الآخر وأما إذا تنافرت الأخلاق واختلفت تباغض الأشخاص وبغى بعضهم على بعض وهي دعوة إلى مداراة الناس والرفق بهم في حدود الالتزام الشرعي المسموح به... والمجاملة مطلوبة ومرغوبة...

٤٠٢ ـ وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه، وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها:

لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وَهَدَرْتَ سَقْباً.

قال الرضي: والشكير ها هنا: أول ما ينبت من ريش الطائر، قبل أن يقوى ويتسحصف. والسقب: الصغير من الإبل، ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل.

الشرح

وهذا مثل قولهم في المثل: تزبزب قبل أن يتحصرم...

---

٤٠٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَوْمَأَ(١) إِلَى مُتَفَاوِتٍ(٢) خَذَلَتْهُ ٱلْحِيَلُ(٣).

اللغة

١ ـ أومأ : أشار.
٢ ـ المتفاوت : المتباعد.
٣ ـ خذلته الحيلة : تخلت عنه المكيدة ولم يفلح بها.

الشرح

من أراد أن يجمع بين المتناقضات عجز عن ذلك ولم يقدر عليه كمن يريد أن يطيع الله ويطيع العصاة من الأمة فإنه لا يقدر على الجمع بينهما.

---

٤٠٤ ـ وقال عليه السلام، وقد سئل عن معنى قولهم: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللهِ»: إِنَّا لاَ نَمْلِكُ مَعَ ٱللهِ شَيْئاً، وَلاَ نَمْلِكُ إِلاَّ مَا مَلَّكَنَا، فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا.

الشرح

المالك الحقيقي هو الله تعالى، فهو يملكنا ويملك ما نتصور أنه مملوك لنا وكلمة لا حول تعني لا حركة، ولا قوة تعني القدرة والطاقة فالحركة والقوة والقدرة من الله وحده فإذا كنا لا نملك شيئاً من ذلك إلا بمقدار ما سمح به جوده فمتى ملّكنا وأعطانا كلّفنا بمقدار طاقتنا إذ العاجز لا يكلف ولذا متى سلب التمليك سلب منا التكليف وهذا إقرار بالعجز والحاجة إلى الله . . .

---

٤٠٥ ـ وقال عليه السلام لعمار بن ياسر، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلاَّ مَا قَارَبَهُ(١) مِنَ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ(٢)، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ(٣).

اللغة

١ ـ قاربه : داناه والمقصود هنا ما نفعه.
٢ ـ لبس على نفسه : خلط عليها الأمر فجعلها تشتبه.
٣ ـ السقطات : الزلات.

الشرح

المغيرة بن شعبة الداهية الفاجر الذي يستخدم الدين والمبادىء والكرامة وكل شيء في سبيل تحقيق دنياه والحصول عليها وقد يموّه على نفسه ببعض المواقف التي تستلزم أكثر من تفسير لتكون عذراً له عند محاسبته ومخرجاً يستطيع الاعتذار به عندما يحرج أو يضطر للعذر وقد كان عمار يحاوره في بعض الأمور وقد سمعه الإمام فنهاه عن محاورته لأنه أخبر بنفسيته وما تنطوي عليه روحه النجسة . . .

ترجمة المغيرة بن شعبة.

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر(١) بن مسعود بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٨٤.

وأمه اسمها أسماء بنت الأفقم.

ويكنى أبا عبد الله وكان داهية.

غدر بثلاثة عشر رجلاً من بني مالك كان معهم في أثناء عودتهم من الإسكندرية بعد زيارتهم للمقوقس ثم سلبهم أموالهم وما كان معهم ودخل مسجد النبي فأسلم ووضع المال بين يديه فقال له النبي (ص): أما إسلامك فقبلته ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمسه لأن هذا غدر.

رماه الإمام بالكذب عندما ادعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله يوم وفاته.

تولى لعمر ولاية البصرة وعزله عنها لما كتب له أبو بكرة بأن المغيرة قد زنى في قصة طويلة مفادها أن ثلاثة من الشهود شهدوا وتردد زياد بن أبيه ليخلص المغيرة فجلد الشهود ونجا المغيرة.

وكان سنة ٢٢ والياً لعمر على الكوفة ولما تولى عثمان الخلافة عزله عنها سنة ٢٤.

كان المغيرة من جملة من تخلف عن بيعة الإمام.

وبعد الصلح بين الإمام الحسن ومعاوية سنة ٤١ ولّى معاوية للمغيرة الكوفة ولما أراد أن يعزله أعطاه عهداً أن يدعو لبيعة يزيد وهكذا أعاده إلى الكوفة ووطأ لذلك.

توفي سنة ٥٠ وقيل سنة ٥١ وقيل سنة ٤٩.

---

٤٠٦ ـ وقال عليه السلام: مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ ٱلأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ ٱللهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ(١) ٱلْفُقَرَاءِ عَلَى ٱلأَغْنِيَاء ٱتّكَالاً عَلَى ٱللهِ.

اللغة

١ ـ التيه : الزهو والتكبر.

الشرح

من عادة الأغنياء أن يطغو ويتكبروا ويتمادوا في الذلة ومن عادة الفقراء أن يذلوا

ويخنعوا ويضرعوا إلى من بيده المال وكلتا العادتين سيئة مكروهة لا يرتضيها الإسلام لأتباعه وأمته ومن هنا كان الخروج عن هذه العادة والالتزام بأوامر الله شيئاً عظيماً في نظر الله وكبيراً في ميزانه والشيء الجميل والحسن والذي يستحق التعجب والرضى أن يتواضع الأغنياء للفقراء ويعاملوهم كما يعاملوا أمثالهم من الأغنياء في الاحترام والتقدير والتواضع ولكن أحسن من ذلك أن يتمتع الفقراء بنفسية الترفع والعلو على الأغنياء، اتكالاً على الله لكي يُشْعِروا الأغنياء بالاستغناء عنهم وعما في أيديهم. . .

---

٤٠٧ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱسْتَوْدَعَ ٱللهُ أَمْراً عَقْلاً إِلاَّ ٱسْتَنْقَذَهُ(١) بِهِ يَوْماً مَا!.

اللغة

١ ـ استنقذه : خلّصه ونجّاه.

الشرح

العقل زينة الإنسان ورأس ماله الذي لا يعادله شيء آخر فهو أحسن من المال وأحسن من النعمة وأحسن من الأمان وأحسن من كل شيء لأن الإنسان إذا فقد هذه الأمور يبقى إنساناً ويبقى في عداد العقلاء أما إذا فقد العقل فقد خرج من زمرة العقلاء وتحوّل إلى حيوان ولكن في صورة إنسان بل انحطت مرتبته عن الحيوان ومن هنا كان العقل أعظم ما في الإنسان وهو المنقذ للإنسان من الورطات والأزمات ويستطيع أن يتخلص به من الشدائد والمحن في الدنيا والآخرة إذا أحسن استخدامه وعرف كيف يستعمله ومتى يستعمله. . .

---

٤٠٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ صَارَعَ ٱلْحَقَّ صَرَعَهُ.

الشرح

من أراد أن يقف في وجه الحق ويقاومه فلا بد أنه مصروع وكما قيل: إن كان للباطل جولة فللحق دولة والنهاية لصالح الحق مهما انتفخ الباطل وتمدد فما هو إلا ورم

انتفخ يحسبه الإنسان صحة. . . وبعد هذا كله فالله هو الحق وإلى جانب الحق ولنا في قصص فرعون وقارون والأجيال الماضية عبرة عظيمة حيث كانوا على رقاب الناس يسومونهم العذاب والهوان وقد حاربوا الحق فما هي إلا أيام حتى قُضي عليهم وأصبحوا عبرة لمن سواهم. . .

٤٠٩ ـ وقال عليه السلام: ٱلْقَلْبُ مُصْحَفُ ٱلْبَصَرِ.

الشرح

إن كل ما يقع تحت البصر ينطبع في القلب ويحتفظ به في اللاشعور حتى إذا جاء وقته خرج من مخزنه إلى الخارج، فالقلب كالمصحف المحفوظ فيه كل ما نطق به الوحي.

٤١٠ ـ وقال عليه السلام: التُّقَى رَئِيسُ ٱلأَخْلاَقِ.

الشرح

التقوى ملكة في النفس يقوم الإنسان من خلالها بالواجبات ويجتنب عن المحرمات ويتورع عن الشبهات بالاجتناب عنها وهي كافية عن غيرها من الصفات وليس غيرها بكاف عنها ومن هنا كانت كالرئيس. . .

٤١١ ـ وقال عليه السلام: لاَ تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ(١) لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، وَبَلاَغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ(٢).

اللغة

١ ـ الذرب : الحدة.

٢ ـ التسديد : التقويم والتثقيف.

الشرح

هذا أدب لمن يتعلم بعض العلوم من إنسان ثم يستعلي عليه بما تعلّم منه وأن من أنطقه الله يجب أن يحوّل لسانه لطاعته وشكره لا أن يستعمل لسانه وحدته وقوته في معصيته وكذلك كل شيء وهبه الله لك استخدمه في طاعته وليس في معصيته. . .

٤١٢ ـ وقال عليه السلام: كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ ٱجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ.

الشرح

أنت وأنا نرى عيوب الناس، نحصيها ونعددها ونشمئز منها ونكرهها، وهذا بدوره يتطلب منا أن نرتدع عنها ونتجنبها وفي اجتنابنا لها أدب عظيم نأخذ به أنفسنا إلى السعادة. . .

٤١٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ ٱلأَحْرَارِ، وَإِلاَّ سَلاَ(١) سُلُوَّ ٱلأَغْمَارِ(٢).

اللغة

١ ـ سلا : نسي.
٢ ـ الأغمار : جمع غمر وهو الجاهل الذي ليس له خبرة بالأمور.

الشرح

الإنسان إما أن يصبر صبر الأحرار الذين يتجرعون كأس المصيبة ويفكرون فيها بعقل ورويّة ويعرفون أنهم لن يردوا ميتاً ولن يرجعوا فقيداً وإلا فلا بد وأن يمر الزمن ويرتفع الجزع بالنسيان للمصيبة العظيمة كما ينسي الجهال المشاكل والأحداث بعد مرور وقت من الزمن. . . وهي دعوة إلى الصبر الجميل الذي لا يحوي الجزع ولا الهلع بل التسليم والرضى بقضاء الله وقدره.

٤١٤ ـ وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً عن ابن له:
إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ ٱلأَكَارِمِ، وَإِلاَّ سَلَوْتَ سُلُوَّ ٱلْبَهَائِمِ.

الشرح

صبر الأكارم الذين لا يجزعون ولا يضجون ولا يولولون بل يحتسبون الأمور عند الله ليؤجروا عليها وأما إذا لم يصبر الإنسان فيكون كالبهيمة التي ينسيها الزمن ما يغيب عن عينها...

---

٤١٥ ـ وقال عليه السلام في صفة الدنيا: تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لأَوْلِيَائِهِ، وَلاَ عِقَاباً لأَعْدَائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ(1) بَيْنَا هُمْ حَلُّوا(2) إِذْ صَاحَ(3) بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَٱرْتَحَلُوا(4).

اللغة

١ ـ الركب : هم ركبان الإبل وما أشبه.
٢ ـ حلوا : نزلوا.
٣ ـ صاح : نادى.
٤ ـ رحل عن المكان : تركه وانتقل عنه.

الشرح

هذه دعوة إلى الزهد في الدنيا وما فيها وقد نفر عنها بذكر بعض معايبها بأنها تغر الإنسان بزينتها فيتصور أنه ينال منها شيئاً يسعده، وكذلك تضره بما فيها من مصائب وآلام ومحن وتمر عليه مروراً سريعاً فتنغصّ عليه طيب حياته وسعادته ومن هوانها على الله أنه سبحانه لم يرض أن تكون ثواباً لأعمال أوليائه ولا عقاباً لأعدائه وإنما جعل الثواب والعقاب في الدار الآخرة ثم شبه أهلها بقوم مسافرين أرادوا الارتياح بعض الوقت فخلوا رحالهم وأنزلوا أمتعتهم وبمجرد أن أنزلوها صاح بهم قائدهم بالرحيل فلم يسعدوا بالراحة ولم ينالوا الهدوء حتى ارتحلوا وكذلك حال أبناء الدنيا يبنون ويجمعون حتى إذا

أراد أحدهم أن يستفيد ويرتاح فإذا بيد المنون تمتد إليه لتخطفه من الحياة تاركاً وراءه أمواله وأولاده وكل ممتلكاته لم يتمتع بشيء منها . . .

---

٤١٦ ـ وقال لابنه الحسن عليهما السلام: لَا تُخَلِّفَنَّ(١) وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ ٱللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْناً(٢) لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ حَقِيقاً(٣) أَنْ تُؤْثِرَهُ(٤) عَلَى نَفْسِكَ.

قال الرضي: ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ ٱللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللهِ، فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ. وَلَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَٱرْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ ٱللهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ ٱللهِ.

اللغة

١ ـ **خلّف الشيء** : تركه وراءه.
٢ ـ **العون** : المساعد.
٣ ـ **حقيقاً** : جديراً.
٤ ـ **تؤثره** : تقدمه.

الشرح

نَهْيٌ عن الإدخار للمال ودعوة إلى التصرف فيه في حال الحياة فما تعبت فيه فانفقه في حياتك ولا تتركه إلى من بعدك فإنك تتركه لأحد رجلين كل منهما يتصرف فيه دونك فأنت تجمع وغيرك يصرف ويتمتع فإن كان الرجل صالحاً استفاد منه لدنياه وآخرته وإن

كان شقياً استفاد منه في دنياه وتمتع به وكنت أنت قد أعنته على المعصية والعاقل هو الذي يستفيد مما جمعت يداه لدنياه وآخرته ولا يؤثر غيره عليه.

هذا على الرواية الأولى وأما الثانية فهي قريبة منها بزيادة قليلة وهي أن هذه الدنيا كانت لغيرك مما تقدم عليك وهي ستزول عنك وتنتقل لغيرك من بعدك فلا تجمع لغيرك لأنك تجمع لأحد رجلين وليس أحدهما أحق به منك فارج لمن مضى ومات رحمة الله ولمن بقي رزق الله وعطائه ولا تهتم إلا بنفسك وما ينفعك في آخرتك...

---

٤١٧ ـ وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته: «أستغفر الله»: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ(١)، أَتَدْرِي مَا ٱلاسْتِغْفَارُ؟ ٱلاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ ٱلْعِلِّيِّينَ(٢)، وَهُوَ ٱسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي ٱلْعَزْمُ(٣) عَلَى تَرْكِ ٱلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَالثَّالِثُ أَنْ تَؤَدِّي(٤) إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى ٱللهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ(٥)، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ(٦) إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ(٧) عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا(٨) فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَٱلْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ(٩) فَتُذِيبَهُ بِٱلأَحْزَانِ، حَتَّى تُلْصِقَ ٱلْجِلْدَ بِٱلْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ ٱلْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ ٱلْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ».

اللغة

١ ـ **ثكلتك أمك** : فقدتك بالموت.

٢ ـ **العليين** : أعلى درجات الجنة.

٣ ـ **العزم** : الثبات والشدة فيما يعزم عليه وينوي إتيانه.

٤ ـ **أدى الشيء** : أوصله.

٥ ـ **التبعة** : ما يترتب على الفعل من شر.

٦ ـ **تعمد** : تقصد.

٧ ـ **الفريضة** : ما أوجبه الله.

٨ ـ ضيّعه : أهمله.
٩ ـ السحت : بالضم المال من كسب الحرام.

الشرح

هذه كلمة صدرت من إنسان لا يعرف معناها ولا مدلولها ولا شروطها أطلقها لقلقة لسان ككثيرين من أهل الذكر الذين ينطقون بما لا يفهمون ويتكلمون بما لا يفقهون فأراد الإمام أن يعلمه ويبين له الوجه الصحيح لكلمته استغفر الله حتى تكون صادقة وواقعة موقعها، فاستغفر الله التي يرتقي الإنسان ببركتها إلى أعلى الجنة وأرفع درجاتها ينبغي أن تتضمن.

أولاً: الندم على ما مضى من السيئات والآثام لكي يشعر الإنسان أنه كان على خطأ في مسيرته الماضية فيصحح المسيرة.

الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً فيطلق ما مضى طلاقاً بائناً لا رجعة فيه حتى يصدق الندم السابق وإلا فيكون مغالطاً لنفسه مستخفاً بها.

والثالث: أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه ممن أكل حقوقهم لتصدق التوبة وإلا فإذا كانت أموال الناس في يده وهي تتراىء أمامه فمعناه أن الذنب يعيش معه ويتحرك بحركته.

الرابع: أن يعمد إلى كل فريضة واجبة عليه قد فوتها باختياره أو قهراً عنه فيقضيها ليكون ذلك ترجمة عملية لتوبته وترميماً لما هدمه من قبل وما لم يقم فيه من الواجبات عليه.

والخامس: أن يعمد إلى بدنه فيلاحظ أنه قد تربى على الحرام فيذيبه بالصيام والعبادة والسهر في سبيل الله حتى يذوب الحرام ثم ينشأ لحم آخر تغذى من الحلال.

السادس: أن يذيق هذا البدن ألم الطاعة والعبادة كما أذاقه حلاوة المعصية فيجتهد في العبادة حتى تتورم قدماه ويصوم حتى يقال إنه لا يفطر وبعد هذه الأعمال كلها يحق له أن يقول استغفر الله وتقع هذه الكلمة منه موقعها الطبيعي اللائق بها...

٤١٨ ـ وقال عليه السلام: اَلْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.

الشرح

من يحلم يكثر أنصاره وأحبابه وتتحول الناس إليه بشكل طبيعي تطيعه وتحترمه وتقدره وإذا أصابه شيء تداعت كلها لخدمته والسؤال عنه وتفريج همه وإعانته وهل للعشيرة أثر وفائدة أكثر من هذا. . .

٤١٩ ـ وقال عليه السلام: مِسْكِينٌ(١) ٱبْنُ آدَمَ: مَكْتُومُ(٢) ٱلأَجَلِ(٣)، مَكْنُونُ(٤) ٱلعِلَلِ(٥)، مَحْفُوظُ ٱلْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ(٦) ٱلْبَقَّةُ(٧)، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ(٨)، وَتُنْتِنُهُ(٩) ٱلْعَرْقَةُ(١٠).

اللغة

١ ـ **مسكين** : فقير.
٢ ـ **مكتوم** : من كتم الشيء إذا أخفاه.
٣ ـ **الأجل** : وقت، الموت.
٤ ـ **مكنون** : مستور.
٥ ـ **العلل** : الأمراض.
٦ ـ **تؤلمه** : تؤذيه.
٧ ـ **البقة** : حشرة صغيرة تمتص دم الإنسان.
٨ ـ **الشرقة** : الغصة بالريق.
٩ ـ **النتن** : ما خبثت رائحته.
١٠ ـ **العرقة** : الواحد من العرق وهو ما يترشح من بدن الإنسان.

الشرح

الإنسان ضعيف صغير وإن تراىء في نظر نفسه في بعض الأحيان كبيراً وشيئاً مهماً عظيماً وضعفه في نفسه يتشخّص في أنه لا يعرف متى يفاجئه أجله فيموت وكذلك لا يعرف العلل والأمراض التي تهجم عليه وتغزو بدنه فرب أكلة كان فيها حتفه ومن ضعفه أن عمله محفوظ ومحاسب عليه لا يستطيع الخلاص منه ولا الهروب من تبعاته وآثاره. . .

وأما ضعفه مع غيره ممن هو حقير في نظره وتافه لا يعتد به فالبقة هذه الحشرة الحقيرة تؤلمه ولا تدعه ينام أو يستقر، ولضعفه أيضاً هذه الشربة من الماء قد يشرق بها فيموت ولضعفه إذا عرق قليلاً آذت رائحته الناس لنتنه وقبيح عرقه...

٤٢٠ ـ وروي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام:

إِنَّ أَبْصَارَ هذِهِ ٱلْفُحُولِ(١) طَوَامِحُ(٢)، وَإِنَّ ذلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا(٣)، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ ٱمْرَأَةٌ كَٱمْرَأَتِهِ.

فقال رجل من الخوارج: «قاتله الله كافراً ما أفقهه» فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام:

رُوَيْداً(٤) إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ!.

اللغة

١ ـ الفحول : جمع فحل الذكر من كل حيوان.

٢ ـ طوامح : جمع طامح تقول طمح البصر إذا ارتفع.

٣ ـ الهباب : صوت التيس عند طلبه للشاة وهبّ التيس إذا هاج للضراب.

٤ ـ رويداً : مهلاً.

الشرح

هذه حادثة وقف عليها الإمام من أصحابه فأراد أن يخفف من هيجانهم ويعالجهم بما أمكن وقد علل سبب طلبهم للمرأة بأن أنظارهم قد تتبعتها فعشقها القلب وأرادوها لأنفسهم فأرشدهم الإمام إلى أن هذه الحالة علاجها أن يلامس الرجل زوجته فتزول الحرارة وتخمد الشهوة لأنها امرأة كأي امرأة وعندما سمع الخارجي هذه الحكمة والبيان تعجب من فقه الإمام ورماه بالكفر على حد زعمه وهنا ينبري الأصحاب ليقتلوه فينهاهم الإمام ويقول لهم هذه العبارة العظيمة التي تنعكس فيها كل معالم الحرية والإنطلاق وهي سب بسب أو عفو عن ذنب، ولا يقبل أن يواجه الخارجي بأكثر من ذلك وهل في الدنيا عدالة وحرية يمثلها خليفة مثل الإمام... حاشا وكلا...

٤٢١ ـ وقال عليه السلام: كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ(١) لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ(٢) مِنْ رُشْدِكَ(٣).

اللغة

١ ـ أوضح : جعله واضحاً أي ظاهر بيناً.
٢ ـ الغي : الضلال.
٣ ـ الرشد : الاستقامة والهدى ضد الغي.

الشرح

إذا استطعت بعقلك أن تميز بين الخير والشر والقبيح والحسن والحق والباطل فقد حصلت على نعمة كبرى لا تعادلها غيرها من النعم فالتمييز هو الخطوة الأولى الصحيحة والمستقيمة في طريق الخير والعدل وكفى بذلك شرفاً للعقل ودليلاً على الحق...

---

٤٢٢ ـ وقال عليه السلام: ٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ وَلاَ تَحْقِرُوا(١) مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَٱللهِ كَذلِكَ. إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ.

اللغة

١ ـ لا تحقروا : لا تستصغروا.

الشرح

حث على فعل الخير وإن لا يحتقر الإنسان منه شيئاً مهما كان قليلاً فإن صغيره يكون عظيماً وقليله كثيراً لما له عند المحتاج من وقع وأثر ولا يصح عند العقلاء أن يمتنع الشخص عن فعل القليل من الخير بحجة أنه قليل ثم لا يتصور الإنسان أن أحداً من الناس أولى به من فعل الخير ولماذا يكون غيره أولى؟! وهل يسمح لنفسه في تصور

ذلك؟! وإذا بنى على ذلك فإن الغير يتقدم فعلاً عليه ويكون أولى بفعل الخير ثم حذّر ورغّب بأن لكل من الخير والشر أهل فإن تركتم الخير والشر صنعه أهلهما ومن هنا كان على العاقل أن يختار فعل الخير ويمتنع عن فعل الشر.

٤٢٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ ٱللهُ عَلاَنِيَتَهُ[١]، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ ٱللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللهِ أَحْسَنَ ٱللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.

اللغة

١ ـ **العلانية** : الظاهر خلاف السر.

الشرح

على العبد أن يقوم بأمر ليتكفل الله بأمر آخر يحققه له ويكفيه أتعابه وهذه نعمة عظيمة وتفضل من الله فمن أصلح سريرته وطابت نفسه وعقد العزم على فعل الخير والإحسان وعدم الإيذاء تكفل الله له أن يصلح علانيته فلا ينكشف له ستر عن عورة ولا يفتضح بين الناس من زلة ولا يعاب عليه من الناس بشيء وإذا كانت العلانية والسمعة الطيبة بين الناس عاش عزيزاً مكرماً محترم الجانب، ومن عمل لدينه، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأدى ما عليه من واجبات وابتعد عن المحرمات كان على الله أن يكفيه أمر دنياه فيرزقه ويدفع عنه البلاء ويقيل عثرته ويوفقه لأفضل الأعمال والخيرات ومن أحسن فيما بينه وبين الله، فتصدق سراً وصنع المعروف مع الناس وأعانهم على مصاعب الحياة ومتاعبها وسهل طرق الخير كان على الله أن يحسن العلاقة بينه وبين الناس وجعلهم يسألون عنه ويتفحصون عن أحواله ويحلون مشاكله ويجعل له وداً عندهم يعطفون عليه ويحبونه...

٤٢٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَٱلْعَقْلُ حُسَامٌ[١] قَاطِعٌ، فَٱسْتُرْ خَلَلَ[٢] خُلُقِكَ[٣] بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ.

اللغة

١ ـ الحسام : السيف.
٢ ـ الخلل : الوهن والفساد.
٣ ـ الخلق : الطبع والسجية.

الشرح

ورد الحث على الحلم ومدحوا الحلماء وذكروا أعياناً منهم وبعض مواقفهم العظيمة التي أكبرتهم بها الناس والحلم غطاء يستر بعض العيوب، يستر الغضب وآثاره السيئة ويمنع الطرف الآخر من التمادي بالإساءة، ومن هنا قال الإمام: فاستر خلل خلقك وبعض تصرفاتك السيئة والقبيحة بهذا الحلم وأما العقل فهو الفيصل الذي يحدد طرق الخير ويدعو إليها ويحث على فعلها ومن هنا يقول الإمام قاتل هواك واقضِ عليه بعقلك ولا تسمح للهوى أن يتحكم فيك أو يسيطر عليك.

---

٤٢٥ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ للهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ(١) ٱللهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ ٱلْعِبَادِ، فَيُقِرُّهَا(٢) فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا(٣)، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا(٤) مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا(٥) إِلَى غَيْرِهِمْ.

اللغة

١ ـ يختصهم : يفردهم، يختارهم.
٢ ـ يقرها : يبقيها ويتركها.
٣ ـ بذل الشيء : جاد به وأعطاه.
٤ ـ نزع الشيء من مكانه: قلعه.
٥ ـ حولها : نقلها من مكان إلى آخر.

الشرح

يغدق الله على بعض عباده بالنعم ويجعلها في أيديهم لتجري منهم إلى الفقراء والمحتاجين وتكون هذه النعم مشروطة البقاء والدوام والاستمرار ما دام البذل مستمراً

فإذا بخل العبد بهذه النعم فامتنع عن البذل سحبها الله منه ومنعه عنها ثم حولها إلى غيره وحرمه أجر جريانها على يديه وشرف خدمة الفقراء والمحتاجين الذين هم عيال الله كما في بعض الأحاديث. . .

٤٢٦ ـ وقال عليه السلام: لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ: ٱلْعَافِيَةِ وَٱلْغِنَى. بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ(١)، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذِ ٱفْتَقَرَ.

اللغة

١ ـ السقم : المرض.

الشرح

تحذير من الوثوق بهاتين الخصلتين، وأنهما في علم الله وتقديره، فلا يعتمد على غناه إذ رب لحظة من غضب الله أفقدته كل ما يملك ونحن في هذه الحرب المدمرة في لبنان وأنا أكتب هذه الكلمات في شتاء سنة ١٩٨٧ نعرف من الأغنياء الأثرياء مَنْ قد دمرت بيوتهم وأتلفت أموالهم ولم يبق لديهم من ثروتهم الضخمة شيء حتى أحوجتهم الأيام إلى أخذ الحقوق وتناول الصدقات وأما الصحة فارم بطرفك إلى المستشفيات فتجد الأمراض والمصائب فالشاب القوي الذي كان يرعد ويزبد تراه يصرخ من المرض ويستغيث ربه أن يفرّج عنه ويريحه من بلواه. . .

٤٢٧ ـ وقال عليه السلام: مَنْ شَكَا(١) ٱلْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى ٱللهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ، فَكَأَنَّمَا شَكَا ٱللهَ.

اللغة

١ ـ شكى الأمر أو العلة : ذكرهما أو توجع منهما وشكى أمره إلى الله أظهره له.

الشرح

المؤمن باعتبار قربه من الله وإتصاله به وتوجهه إليه فعندما تشكو إليه حاجة فكأنك تشكوها إلى الله من حيث أنك تجعله وسيلة وتوسطه في قضائها أو تجعله يدعو لك وهذا عكس الشكوى إلى الكافر فإنه باعتبار عداوته لله سيشمت بك ويفرح بمصيبتك ويضحك بينه وبين نفسه لما حصل لك فكأنك تشكو الله إلى الله . . .

---

٤٢٨ ـ وقال عليه السلام في بعض الأعياد: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ ٱللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَى ٱللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.

الشرح

العيد يوم البهجة والفرحة والسرور يوم ينتصر الإنسان فيه على نفسه ويلتحق في ركب الصالحين، يوم يحتفل فيه الإنسان بطاعة الله والتزام خطه ويتمرد فيه على الشيطان وجنوده وكل الطواغيت والظالمين وإذا كان العيد بهذه المثابة فنستطيع أن نحول جميع أيامنا إلى أعياد عندما لا نعصي الله ولا نتمرد على إرادته وهذا هو معنى العيد في الإسلام وهكذا ينبغي أن نفهم العيد ونعيشه ونحياه وبهذا التوجه كانت كلمة الإمام وبهذا الصدد العظيم كان يرشد ويبيّن.

---

٤٢٩ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَعْظَمَ ٱلْحَسَرَاتِ[1] يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ ٱلْجَنَّةَ، وَدَخَلَ ٱلأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

اللغة

١ ـ الحسرة : التلهف والتأسف.

الشرح

يا لها حسرة عظيمة تزيد في حزن الإنسان وآلامه أن يرى ماله الذي اكتسبه وتعب

فيه وتصبب عرقاً من أجل تحصيله قد وصل إلى يد غيره يتصرف فيه بطاعة الله ويتقرب إليه بإنفاقه في وجوه البر والخير ويكتسب الجنة فيكون الوزر على جامعه لأنه جمعه من الحلال والحرام ولم يؤدِ ما وجب عليه فيه ويكون الأجر والثواب لوارثه الذي أنفقه في طاعة الله وتحصيل ثوابه.

٤٣٠ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً[١]، وَأَخْيَبَهُمْ[٢] سَعْياً[٣]، رَجُلٌ أَخْلَقَ[٤] بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ ٱلْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى ٱلآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ[٥].

اللغة

١ ـ **الصفقة** : عقد البيع وأصله ضرب اليد باليد.
٢ ـ **خاب أمله** : لم ينجح.
٣ ـ **السعي** : الكد والعمل.
٤ ـ **أخلق** : أبلى.
٥ ـ **تبعته** : ما يترتب عليه من الإثم.

الشرح

بيع باطل وصفقة خاسرة وخيبة في الأمل لا يعدلها خيبة، كان هذا الإنسان يكدّ ويتعب من أجل جمع المال ليكسب به شهرة أو ينال به مرتبة رفيعة أو يحقق أمنية تعيش في نفسه وما أن جمعه وحصّله حتى فاجأه الموت منغص الحياة ومكدر الشهوات فبارت تجارته وخرج من الدنيا دون أن يستفيد منه بل خرج ومعه حسرة وألم لما سيقدم عليه من الآخرة وما يلحقه من جرائه من التبعة والإثم والعقوبة...

٤٣١ ـ وقال عليه السلام: الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، وَمَطْلُوبٌ. فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ ٱلْمَوْتُ، حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ ٱلآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ[١] رِزْقَهُ مِنْهَا.

اللغة

١ ـ يستوفي : يأخذ الشيء تاماً كاملاً.

الشرح

جعل الرزق طالباً لأنه سيحصل عليه وجعله مطلوب باعتبار توقف قسم من الرزق على السعي والكدّ والجهاد وقد نفر من طلب الدنيا والانصراف إليها بكل ما يملك لأنه لا يصل إليها إلا وقد أدركه الموت فأخرجه عنها ذليلاً صاغراً لم يدرك ما يريد ولم يحقق أمنيته ورغب في الآخرة والسعي إليها وأن الله قد تكفل بإيصال رزق العامل إليها متى أخلص في سعيه و توكل على ربه ولا بد أن يستوفي رزقه المكتوب له...

---

٤٣٢ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَٱشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا[١] إِذَا ٱشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا[٢] أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَرَأَوُا ٱسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا ٱسْتِقْلاَلاً، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَسَلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ! بِهِمْ عُلِمَ ٱلْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ ٱلْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ.

اللغة

١ ـ الآجل : ضد العاجل وأجل الشيء آخره.

٢ ـ خشوا : خافوا.

الشرح

إن أولياء الله وعباده المخلصين لهم ميزات وصفات تفردهم عن غيرهم وتميزهم عمن سواهم وقد رسم لهم الإمام صورة عظيمة ذات مميزات رائعة ووصفهم بعدة أوصاف...

الشرح

(إن إولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا) وعرفوا حقيقتها ووقفوا على ما يطلب منهم بها فعرفوا أنها دار جعلت من أجل الآخرة يتزود الإنسان منها لسعادته عكس غيرهم (إذ نظر الناس إلى ظاهرها) فوجدوها طيبة بملذاتها ومتعها وما فيها (و) أيضاً من مميزاتهم أنهم (اشتغلوا بأجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم) فالناس تبحث عن لقمة عيش وعن قصر وعن جاه وعن سلطان وعن غير هذه من زينة الدنيا فحسب بينما الأولياء يتوجهون إلى طاعة الله وإلى الاجتهاد في عبادته وتقواه ويقومون بكل ما يسعدهم في آخرتهم وقد أماتوا نفوسهم الشريرة وما فيها من أحقاد وحسد وبغض وغيرها من الصفات الرذيلة قبل أن تميتهم في الآخرة وتقضي على سعادتهم وحياتهم الخالدة في الجنان وكذلك تركوا الدنيا وما فيها لأنها ستتركهم وتتخلى عنهم (و) من صفاتهم تفكيرهم أنهم (رأوا استكثار غيرهم منها) من مال وثروة ومتاع (استقلالاً) أي أرادوه قليلاً لهم ولم يقبلوا باستكثاره كما يفعل أبناء الدنيا لأنه شيء تافه ولا يدوم (و) كذلك رأوا (دركهم لها) وحصولها لهم (فوتاً) أي مفوت لهم عن نيل المطالب العالية والأماني السعيدة إنهم (أعداء ما سالم الناس) من الرذائل وخسيس الصفات حيث إن الناس يسالمون الرذيلة ولا يقاتلون الفسق ولا يعادون الباطل بينما الأولياء لله أعداء ذلك كله (وسلم ما عادى الناس) فإن الناس يعادون الحق والعدل والفضيلة وهذه سلم للأولياء ومحبوبة لهم ومطلوبة عندهم (بهم علم الكتاب) حيث بينوه للناس وأوضحوا غوامضه وبينوا أحكامه (وبه علموا) ومنه استفادوا وعن صفحاته فهموا (وبهم قام الكتاب) فانتشرت أحكامه ونفذّت تعاليمه وطبقت بنوده وتشريعاته (وبه قاموا) وداموا وأخذوا المجد والعزة والقوة (لا يرون مرجواً فوق ما يرجون) فهم يرجون الله ويرون كل أحد بعده صغيراً (ولا مخوفاً فوق ما يخافون) فهم يخافون الله ويرون الخوف من غيره قليل وحقير وصغير. . . وهذه صفات في منتهى العظمة للأولياء ينبغي علينا أن نجمعها في قلوبنا ونفوسنا وأعمالنا وكل سلوكنا حتى نكون أولياء لله. . .

---

٤٣٣ ـ وقال عليه السلام: ٱذْكُرُوا ٱنْقِطَاعَ اللَّذَاتِ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ(١).

اللغة

١ ـ التبعات : جمع التبعة ما يلحق الفعل من خير أو شر.

الشرح

تنفير عن الرذيلة وتخويف لمن يتعاطاها ودعوة إلى البعد عنها فإن الزنا لذته لحظات ولكن عقوبته نار جهنم والغيبة تشفي نفس المغتاب ويرتاح لها للحظات ولكن عقوبتها عذاب شديد والعاقل هو الذي يحسب حساب النتيجة قبل الإقدام على أي خطوة وإن كانت تسر النفس وتريحها. . .

---

٤٣٤ ـ وقال عليه السلام: اُخْبُرْ تَقْلِهِ.

قال الرضي: ومن الناس من يروي هذا للرسول ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ. ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي، قال المأمون: لولا أن علياً قال: «اخبر تقله» لقلت: اقْلِه تَخْبُرْ.

الشرح

القلى بكسر القاف البغض والمعنى أن من خبرت باطنه أبغضته وهذا مسوق مساق الأكثرية حيث أغلب الناس باطنهم سوء وخبث وعداوة للحق وأهله. . .

---

٤٣٥ ـ وقال عليه السلام: مَا كَانَ ٱللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَلاَ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلإِجَابَةِ، وَلاَ لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلْمَغْفِرَةِ.

الشرح

ليس في ساحة الله بخل بل كله جود وكرم وإذا فتح للعبد باباً استقبله منه فإذا فتح له باب الشكر وطلبه منه لم يغلق باب الزيادة بل هو القائل: **﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾** وإذا فتح باب الدعاء لم يغلق عنه باب الإجابة، بل هو أخذ على نفسه الاستجابة وقال سبحانه: **﴿ادعوني أستجب لكم﴾** وكذلك عندما فتح باب التوبة لم يوصد دونه باب المغفرة بل جعل المغفرة لمن تاب وأصلح كما قال تعالى: **﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم. . .﴾**.

٤٣٦ ـ وقال عليه السلام: أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلْكَرَمِ مَنْ عُرِّقَتْ فِيهِ ٱلْكِرَامُ.

اللغة

١ ـ أعرقت وعرقت : أي ضربت عروقه في الكرم.

الشرح

أحق الناس بالكرم والجود من كان له أباء وأجداد كرام فلا يخرج عن أصله ولا يتنكر لآبائه ومسيرتهم في هذا المجال.

---

٤٣٧ ـ وسئل عليه السلام: أيهما أفضل: العدل، أو الجود؟ فقال عليه السلام: ٱلْعَدْلُ يَضَعُ ٱلأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَٱلْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وٱلْعَدْلُ سَائِسٌ(١) عَامٌّ، وٱلْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فٱلْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

اللغة

١ ـ السائس : الذي يتولى الأمور ويدير شؤون الناس.

الشرح

بيّن عليه السلام أفضلية العدل ورغب فيه بذكر تلك الأفضلية فالعدل يكون بوضع الأمور مواضعها دون انحراف أو ظلم أو إجحاف بينما الجود يخرجها عن حد العدل إلى جهة البذل على الناس وتقديمها لهم دون مقابل وهو وإن كان فيه فضيلة ولكن فيه إخراج عن العدل إلى حد الطرف الآخر، والعدل يشمل جميع الناس فمن عدل سار عدله على الجميع بينما من جاد فإن جوده يختص ببعض الأفراد فالعدل أفضل لعموميته وأشرف لشموله وفائدته لكل المجتمع...

---

٤٣٨ ـ وقال عليه السلام: النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

الشرح

مر شرح هذه الفقرة بعينها في الكلمة ١٧٢.

٤٣٩ ـ وقال عليه السلام: الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ: قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا(١) عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى ٱلْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِٱلآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

اللغة

١ ـ **الأسى** : الحزن.

الشرح

الزهد أن يكون وجود الشيء وعدمه عندك على حد سواء فلا تفرح بموجود ولا تحزن لمفقود وهذا يدل على عدم تعلق نفسك بشيء من حطام الدنيا وهذا هو الزهد الحقيقي الذي إن عملت به تكون قد أخذته من طرفيه يعني من كل جهاته وأدركته بحقيقته...

---

٤٤٠ ـ وقال عليه السلام: مَا أَنْقَضَ(١) النَّوْمَ لِعَزَائِمِ(٢) ٱلْيَوْمِ!.

اللغة

١ ـ **نقض** : هدم وأبطل.

٢ ـ **العزائم** : جمع العزيمة التصميم على الشيء والثبات عليه.

الشرح

قد يكون عندك أمور قد عزمت عليها وصممت على فعلها فإذا نمت وارتاحت قواك البدنية والعقلية وفكرت فيها ملياً فإنك قد تبطلها وتنقضها، وأصله أن الإنسان قد ينوي السفر بقطعة من الليل فينام ويأخذه النوم فيفوت وقت عزمه وينتقض ما كان عزم عليه...

---

٤٤١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْوِلَايَاتُ(١) مَضَامِيرُ(٢) الرِّجَالِ.

اللغة

١ ـ **الولايات** : البلاد المحكومة من قبل الوالي.

٢ ـ **مضامير** : جمع مضمار وهو المكان الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

الشرح

الحكم والولاية والوظيفة هي أمكنة الاختبار للرجال فيها يعرف الصالح من الطالح والجبار من المتواضع والقائم بخدمة الناس وقضاء حوائجهم من المتسلط على رقابهم وأموالهم وفي التاريخ شواهد على أناس كانوا قبل الحكم ودعاء حلماء ثم تحولوا بفعل السلطة إلى جبابرة طغاة وقتلة مجرمين. . .

٤٤٢ ـ وقال عليه السلام: لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ. خَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.

الشرح

الأرض كلها لله وفي أي بقعة حللت جاز لك شريطة أن تقيم معالم دينك وشعائرك الإسلامية ولا تكون مظلوماً أو مستعبداً أو عبداً للطغاة فبلدك هو ما تعيش فيه عزيزاً وتكسب لقمة عيشك فيه لا تستجدي أحداً ولا تذل لأحد. . . وهذا فيه تهوين وتخفيف على المهاجرين والغرباء. . .

٤٤٣ ـ وقال عليه السلام، وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله:

مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ! وَٱللهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً(١)، وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً(٢)، لاَ يَرْتَقِيهِ ٱلْحَافِرُ(٣)، وَلاَ يُوفِي(٤) عَلَيْهِ الطَّائِرُ.

قال الرضي: والفند: المنفرد من الجبال.

اللغة

١ ـ الفند : القطعة من الجبل طولاً.

٢ ـ الصلد : الصلب الأملس.

٣ ـ الحافر : هو للدابة كالرجل للإنسان.

٤ ـ أوفى : أشرف.

الشرح

أثنى الإمام على مالك في طي كتبه الماضية وقد حزن عليه أكثر من حزنه على جميع أصحابه وبكاه وتأثر عليه وقد كان مالك أهلاً لذلك لشدة إخلاصه للإمام وقوة شكيمته على عدوه والإمام هنا يثني عليه ويصفه بهذه الأوصاف العظيمة بأنه لو كان جبلاً لكان منفرداً في علوه وخصائصه ومميزاته ولو كان حجراً لكان صلباً قوياً لا يتفتت لشدة إيمانه وتقواه لا يذل لأحد ولا يمكن لأحد أن يطعن فيه أو يدل عليه بسوء. . .

٤٤٤ ـ وقال عليه السلام: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

الشرح

لأن القليل يستفيد منه الإنسان إذا كان مرغوباً فيه مطلوباً له محبوباً للنفس أكثر مما يستفيد من الكثير المملول الممقوت فإنه لا يثبت منه في النفس شيء فلو صليت ركعتين نافلة مع الإقبال عليهما والتوجه بهما إلى الله كانتا أفضل من صلاة عشر ركعات بدون إقبال وتوجه. . .

٤٤٥ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ[١] رَائِقَةٌ[٢] فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا.

اللغة

١ ـ **الخلة** : بالفتح الخصلة.

٢ ـ **الرائق** : الخالص.

الشرح

إذا وجدت في رجل صفة جميلة كريمة فانتظر أخواتها فإنها غصن من شجرة وفرع من أصل لأنها لا تنفرد برأسها ولا تقوم بذاتها ولكن تتبعها ملازماتها من الصفات ممن كان عفيفاً ارتقب منه الكرم والمسامحة والبذل والصداقة والمحبة ونحوها. . .

٤٤٦ ـ وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق، في كلام دار بينهما:

مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ ٱلْكَثِيرَةُ؟ قَالَ: ذَعْذَعَتْهَا[1] ٱلْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ عليه السلام: ذٰلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا.

اللغة

١ ـ ذعذع الشيء : فرقه وبدده.

الشرح

كان لأبي الفرزدق في نفسه الأثر السيء من جراء إخراج الحقوق الشرعية من أبله وكأنها نقصت في عينه فلذا أجاب بهذا الجواب إن الحقوق قد بددتها وفرقتها وقللتها فأجابه الإمام بأن تبديدها وتفريقها ونقصها في إخراج الحقوق من أفضل الطرق وأحسنها لأن في ذلك مرضاة لله وأداء للواجب عليه. . .

---

٤٤٧ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ٱتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ٱرْتَطَمَ[1] فِي الرِّبَا.

اللغة

١ ـ ارتطم : وقع في الورطة فلا يمكنه الخلاص.

الشرح

دعوة إلى التفقه في الدين وخصوصاً في أبواب التجارة خوفاً من المعاملات الربوية التي يمكن أن يقع فيها الإنسان دون أن يعرف، إذ ربما باع مثلاً بأزيد من مثله مما يكال أو يوزن فيقع في الربا. . .

---

٤٤٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ ٱلْمَصَائِبِ ٱبْتَلَاهُ ٱللهُ بِكِبَارِهَا.

الشرح

إن من لم يرض بقضاء الله الصغير ابتلاه الله بكبير الأمور وعظيمها لكي يعود إلى الله ويسلم أموره إليه ويصبر على بلائه وأن الجزع والحزن لا يحل مشكلة ولا يرفع مصيبة فلذا يجب التجلد والصبر والرجوع إلى الله. . .

---

٤٤٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ.

الشرح

الشهوة تذل وتجعل الإنسان عبداً لها فإذا قادتك شهوتك إلى الطعام ولم يتوفر لديك استعطيت الناس ومددت إليهم يديك وفي ذلك ذل وعار وإذا قادتك شهوتك إلى الزنا انحرفت عن خط الله ووقفت أمام الناس لتنال العقاب الصارم وهكذا جميع الشهوات المحرمة وقد تدخل المباحة في بعض أفرادها فتذل النفس وتهينها ومن كرمت عليه نفسه امتنع عن الشهوات وهانت عليه واحتقرها. . .

---

٤٥٠ ـ وقال عليه السلام: مَا مَزَحَ(١) امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلاَّ مَجَّ(٢) مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً.

اللغة

١ ـ المزاح : المضاحكة.

٢ ـ مجّ الشراب من فمه: رمى به.

الشرح

مجّ الماء معناه رماه من فمه، والمزاح خلاف الجد وهو ذكرك أو فعلك أمراً مضحكاً وباعتبار أنه لا يكون على نحو الجد والعاقل لا يطلق كلامه إلا على نحو الجد وهو دليل العقل فالمازح كأنه يلقي عقله ويستعمل غيره وهو على وجه الحقيقة هكذا. . . فمن هنا ينبغي مجانبة المزاح. . .

٤٥١ ـ وقال عليه السلام: زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

الشرح

من تمام الحظ وسعادة المرء أن يكثر أحبابه وأصدقاؤه فإذا زهدت بمن رغب فيك كان ذلك نقصان حظ لك وعلى العكس من ذلك فيما لو رغبت فيمن زهد فيك فإن رغبتك فيه مع إعراضه عنك ذل لنفسك وإهانة لك وكلام الإمام هنا ترغيب في الراغب فيك وتبعيد لك عن الزاهد فيك . . .

---

٤٥٢ ـ وقال عليه السلام: ٱلْغِنَى وَٱلْفَقْرُ بَعْدَ ٱلْعَرْضِ عَلَى ٱللهِ.

الشرح

هذا هو مقياس الإسلام وهذه كلمة الأنبياء فليس العبرة بغنى الدنيا وفقرها طالما أنها إلى انقضاء وزوال وإنما الغنى في الآخرة لمن ربح الجنة وفاز بالثواب والفقر في الآخرة لمن دخل النار ونال العقاب . . .

---

٤٥٣ ـ وقال عليه السلام: مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ٱبْنُهُ ٱلْمَشْؤُومُ عَبْدُ اللهِ.

الشرح

الزبير ابن العوام ابن صفية عمة رسول الله كان من أصحاب النبي (ص) والمجاهدين معه وقد وقف إلى جانب الإمام في بيعة السقيفة ولم يبايع لأبي بكر وبقي على ولائه لأهل البيت حتى نشأ ولده عبد الله وكان ولد سوء أثر على حياة والده وتوجهه وولائه فحرفه عن أهل البيت حتى أخرجه مع طلحة وعائشة إلى حرب الجمل التي فتحت باب النزاع بين المسلمين وكانت لعبد الله مواقف منحرفة شائنة يذكرها التاريخ حتى أنه ترك الصلاة على النبي في صلاته وعندما عوتب على ذلك قال: إن له أهل بيت

سوء يشمخون بأنوفهم عند ذكره. . . وهكذا قد يضل الأبناء الآباء ويحرفونهم عن صراط الله المستقيم. . .

ترجمة عبد الله بن الزبير.

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي(١).

أمه: أسماء بنت أبي بكر الصديق هاجرت أمه وهي حامل به ولد سنة اثنتين للهجرة وقيل في السنة الأولى.

قيل إنه أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة نقلاً عن ابن عبد البر: وشهد عبد الله الجمل مع أبيه وخالته عائشة وكان شهماً ذكراً ذا أنفة وكان له لسنُ وفصاحة وكان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه وكان كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات إلا أنه كان فيه خلال لا يصلح معها للخلافة فإنه كان بخيلاً ضيّق العطن سيء الخلق حسوداً كثير الخلاف أخرج محمد بن الحنفية من مكة والمدينة ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف.

بويع له بالخلافة سنة أربع وستين وقيل سنة خمس وستين وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثماني حجج وقتل في أيام عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين. . . قتله الحجاج بن يوسف الثقفي وصلب في مكة.

كان ابن الزبير شديد البخل كان يطعم جنده تمراً ويأمرهم بالحرب فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم: أكلتم تمري وعصيتم أمري فقال بعضهم:

ألم تر عبد الله والله غالب ... على أمره يبغي الخلافة بالتمر

كان شديد البغض لبني هاشم حصرهم وأراد أحراقهم فخلصهم المختار الثقفي وقطع ابن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ جمعاً كثيرة فاستعظم الناس ذلك فقال: إني لا أرغب عن ذكره ولكن له أهل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم فأنا أحب أن أكبتهم.

---

(١) الإصابة في تميز الصحابة.

٤٥٤ ـ وقال عليه السلام: مَا لاِبْنِ آدَمَ وَٱلْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ(١)، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ(٢).

اللغة

١ ـ **الجيفة** : ميتة الإنسان.

٢ ـ **الحتف** : الموت.

الشرح

من كان يفتخر ويشمخ بأنفه ويتعالى على الناس، فليفكر قليلاً ويعيد النظر من جديد في أصله وتكوينه وهل هو إلا نطفة قذرة يغسل يده وبدنه الإنسان منها وكفى بهذا الأصل مهانة وهل يعود بعد أن يكبر ويطويه الموت الآتي إلاّ إلى جيفة يتقزز منها الأهل ويتمنون مواراتها ويعجلون دفنه ثم إنه لعجزه فما بين الموت والحياة لا يستطيع أن يرزق نفسه لعجزه وعدم قدرته إذ لولا كرم الله وجوده لمات من يوم ولادته وبعد هذا وذاك لا يدفع عن نفسه الموت فهل رأيت مخلوقاً أعجز منه وأحقر منه وهل يحق له بعد ذلك أن يفتخر ويتباهى على الناس... العاقل من فكّر ورجع إلى نفسه...

---

٤٥٥ ـ **وسئل من أشعر الشعراء؟ فقال عليه السلام:**

إِنَّ ٱلْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا(١) فِي حَلْبَةٍ(٢) تُعْرَفُ ٱلْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا(٣)، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَٱلْمَلِكُ ٱلضِّلِّيلُ(٤).

يريد امرأ القيس.

اللغة

١ ـ **جرى الفرس** : ركض وعدا.

٢ ـ **الحلبة** : بالفتح أصلها القطعة من الخيل تجتمع للسباق عبر بها عن الطريقة الواحدة.

٣ ـ **القصبة** : ما ينصبه طلبة السباق ليأخذه السابق دليل فوزه.

٤ ـ **الملك الضليل** : أمرؤ القيس.

الشرح

غرضه عليه السلام أن عادة الشعراء أن يأخذ كل واحد منهم ما يتلاءم مع ذوقه فمنهم من يأخذ بالمديح وآخر بالهجاء وثالث بالرثاء وهكذا فمع اختلاف توجهاتهم لا نستطيع أن نحكم من هو أشعرهم نعم لو جروا كلهم في نوع واحد فنظموا مثلاً في المديح أمكن معرفة أشعرهم . . .

وإذا كان ولا بد من معرفة أشعرهم مع اختلاف مشاربهم قلنا أنه الملك الضليل وهو امرؤ القيس فإنه من أشدهم فيما قال في كل الأنواع ومختلف الأصناف . . .

---

٤٥٦ ـ وقال عليه السلام: أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هذِهِ اللُّمَاظَةَ(١) لأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ ٱلْجَنَّةَ، فَلاَ تَبِيعُوهَا إِلاَّ بِهَا.

اللغة

١ ـ اللماظة : ما يبقى من الطعام في الفم يريد بذلك الدنيا.

الشرح

شبه الإمام الدنيا لحقارتها بما تبقى في الفم من الطعام ثم نبه إلى عظمة نفس الإنسان وأن عليه أن لا يبيعها بالدنيا وما فيها لأنها أغلى منها وأن هذه النفس لا يعادلها إلا الجنة كما قال تعالى: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . .﴾**.

---

٤٥٧ ـ وقال عليه السلام: مَنْهُومَانِ(١) لاَ يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا.

اللغة

١ ـ **المنهوم** : المفرط في الشهوة وأصله في شهوة الطعام.

الشرح

المنهوم هو المفرط في الشهوة ومن كان أكولاً منهوماً للطعام لا بد وأن يشبع إذ البطن له مقدار لا يسع غيره وأما طالب العلم والمنهوم به فإنه كلما غرف منه انفتحت الأبواب أمامه واتسعت آفاقه ولم ينته من العلم إلى آخر عمره بل يموت وتبقى في نفسه غصة العلم وطلبه والحصول على المعرفة وكذلك طالب الدنيا فإنه كلما اتسعت ممتلكاته وثروته اتسعت آماله وأخذ يطلب المزيد منها ويخرج من الدنيا وتبقى عينه فيها . . .

---

٤٥٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ، عَلَى ٱلْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ(١) عَنْ عَمَلِكَ، وَأَنْ تَتَّقِيَ ٱللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ.

اللغة

١ ـ **الفضل** : الزيادة.

الشرح

للإيمان أثر عظيم في حياة الإنسان وسلوكه ومن آثاره أن يؤثر المؤمن الصدق وإن كان فيه ضرر على الكذب وإن كان فيه نفع إنطلاقاً من الانسجام بين القول والعمل وبين التوحد في الشخصية فلا ينفصل القول عن العمل وابتعاداً عن الرذيلة وإن كانت تجر له نفعاً وفائدة وكذلك من أثر الإيمان أن لا يزيد كلام الإنسان على فعله بل يفعل فيقول: إن كان هناك مصلحة في القول مقدار الفعل وكذلك من علامة الإيمان أن يتقي الله في حديث غيره فيرويه كما هو دون زيادة أو نقصان أو يتقي الله في عدم اختلاق شيء من الحديث عن لسان أحد من الناس . . .

٤٥٩ ـ وقال عليه السلام: يَغْلِبُ ٱلْمِقْدَارُ[١] عَلَى التَّقْدِيرِ[٢]، حَتَّى تَكُونَ ٱلآفَةُ[٣] فِي التَّدْبِيرِ.

قال الرضي: وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف هذه الألفاظ.

اللغة

١ ـ المقدار : القدر الذي قضاه الله عليه.

٢ ـ التقدير : تدبير الإنسان لنفسه.

٣ ـ الآفة : البلية.

الشرح

ما قدره الله على العبد لا بد وأن يسبق تقدير العبد وحساباته وباعتبار أن العبد يجهل ما قدره له الله فربما دبر أمراً يظن فيه سلامته وسعادته وإذا به يكون الهلاك والعطب والقضاء على الحياة...

---

٤٦٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِلْمُ[١] وَٱلأَنَاةُ[٢] تَوْأَمَانِ[٣] يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ ٱلْهِمَّةِ.

اللغة

١ ـ الأناة : عدم العجلة والتروي في الشيء.

٢ ـ التوأمان : المولودان في بطن واحد.

٣ ـ الحلم : بكسر الحاء حبس النفس عند الغضب.

الشرح

علو الهمة يذلل الصعاب ومن كان عالي الهمة تمتع بالحلم والأناة فلم يبادر إلى العقاب بل حلم عن الجاهل وصفح عن ذنبه وترفع عن مجازاته...

٤٦١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْغِيبَةُ[١] جُهْدُ[٢] ٱلْعَاجِزِ.

اللغة

١ ـ **الغيبة** : ذكرك أخاك المؤمن في غيبته بما يكره.

٢ ـ **الجهد** : الطاقة والقدرة.

الشرح

الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بعيب فيه يكره ذكره سواء كان العيب في دينه أو دنياه في خَلقه أو في خُلقه وهي شغل العاجز الذي لا يستطيع مواجهة الغير ومقابلتهم وجهاً لوجه فيعمد إلى غيبتهم فيدير لسانه بذكر معايبهم ويأخذ في تجريحهم وأكل لحومهم، ولو كان قادراً على المواجهة لما اغتنم غيابهم لذكر معايبهم. . .

---

٤٦٢ ـ وقال عليه السلام: رُبَّ مَفْتُونٍ[١] بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ.

اللغة

١ ـ **المفتون** : المغرور الذي انصرف عما كان عليه من الخير.

الشرح

بعض الناس إذا مدحتهم وأحسنت القول فيهم تجمدت أعمالهم وتوقفت حركاتهم وتعطلت أشغالهم وكأن مدحك لهم أشبع غريزتهم التي كانوا يتطلعون إلى إروائها وأن حسن القول فيهم ثبطهم عن الزيادة والتقدم وفتنهم عن الاجتهاد والنشاط. . .

---

٤٦٣ ـ وقال عليه السلام: الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا.

الشرح

الدنيا خلقت من أجل الآخرة وبمقدار جهادك هنا تحقق الفوز هناك فإذا أطعت الله

وخدمت عباده وأعنتهم فزت في الدار الآخرة، ولم تخلق الدنيا لأجل الدنيا وإلا لكانت هي دار الخلود بدل الدار الآخرة فلذا ينبغي الاهتمام بتلك الدار الآخرة وبجعل المرء هذه الدار وسيلة لنيل تلك. . .

---

٤٦٤ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

قال الرضي: والمِرْوَدُ هنا مِفْعَل من الإرْواد، وهو الإمهال والإظهار، وهذا من أفصح الكلام وأغربه، فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

الشرح

هذا إخبار منه عليه السلام بأمر غيبي كشفت عن صدقه الأيام فهو يقول إن لبني أمية مدة يمهلون فيها تكون دولتهم ويبقى عزهم وقوتهم ما بقوا مجتمعين وأما إذا اختلفوا فإن الضعفاء والجبناء من الناس لو أرادتهم لقهرتهم وغلبتهم ويذكر ابن ميثم في شرحه فإن دولتهم لم تزل على الاستقامة إلى حين اختلافهم وذلك حين ولي الوليد بن يزيد فخرج عليه يزيد بن الوليد فخرج عليه إبراهيم بن الوليد وقامت حينئذٍ دعاة بني العباس. . . إلى أن يقول: وكان زوالها على يد أبي مسلم وكان في بدء أمره أضعف خلق الله وأشدهم فقراً ولفظ الضباع قد يستعار للأراذل والضعفاء. . .

---

٤٦٥ ـ وقال عليه السلام في مدح الأنصار: هُمْ وَٱللهِ رَبَّوُا(١) ٱلإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّى ٱلْفِلْوُ(٢) مَعَ غَنَائِهِمْ، بِأَيْدِيهِمْ السِّبَاطِ(٣)، وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِ(٤).

اللغة

١ ـ ربوا : من التربية والإنماء.

٢ ـ الفلو : بالكسر المهر.

٣ ـ السباط : ككتاب جمع سبط بفتح السين يقال: رجل سبط اليدين أي سخي.

٤ ـ السلاط : جمع سليط ذو اللسان الفصيح الحديد.

الشرح

الأنصار هم سكان المدينة المنورة الذين استقبلوا النبي عندما هاجر إليهم وقد حموه ودافعوا عنه وقاتلوا المشركين كافة دفاعاً عن الإسلام وقد تحملوا الأذى والمصائب والقتل واستمروا مع ذلك في دفاعهم وحمايتهم للإسلام والنبي لم ينس جهادهم بل بقي وفياً لهم فأوصى المسلمين بهم ودعاهم إلى احترامهم والإمام هنا في كلمته يثني عليهم هذا الثناء الجميل فيقول: إنهم أقاموا على تقوية الإسلام ودعمه ونصرته كما يربى الفرس ويعتنى به حتى يكتمل ويستغني بدون منة ولا حاجة إلى هذا العذاب والتعب إلا رضى الله ورضى رسوله وكانوا يسعون في سبيل ذلك بأيديهم الكريمة السمحة جهاداً وقتالاً ونضالاً وبألسنتهم الفصيحة القوية الحديدية.

٤٦٦ ـ وقال عليه السلام: «ٱلْعَيْنُ وِكَاءُ(١) السَّهِ(٢)».

قال الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه يشبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر ذلك المبرد في كتاب «المقتضب» في باب «اللفظ بالحروف». وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم: «بمجازات الآثار النبوية».

اللغة

١ ـ الوكاء : رباط القربة.

٢ ـ السه : الإست، الدبر.

الشرح

كأنه عليه السلام يريد أن يقول: إن العين إذا لم تنم بل بقيت مفتوحة يبقى الإنسان ضابطاً لنفسه من خروج الأرياح كالرباط للقربة فإنه لا يخرج منها شيء إذا كان مشدوداً عليها ولكن إذا نامت العين لا يقدر على ضبط نفسه والتحفظ من خروج شيء يكرهه...

٤٦٧ ـ وقال عليه السلام في كلام له: وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَٱسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ[١].

اللغة

١ ـ الجران : مقدم عنق البعير يجعله على الأرض إذا برك واستقر.

الشرح

مراده بالوالي هنا رسول الله (ص) وأنه تولى أمر المسلمين فأقام الدين واستقام حتى بسط سلطانه في الأرض واستقر واستطاع أن يوطد أحكامه وينشر تعاليمه...

---

٤٦٨ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ[١]، يَعَضُّ[٢] ٱلْمُوسِرُ[٣] فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذلِكَ، قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلاَ تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. تَنْهَدُ[٤] فِيهِ ٱلأَشْرَارُ، وَتُسْتَذَلُّ ٱلأَخْيَارُ، وَيُبَايِعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَنْ بَيْعِ ٱلْمُضْطَرِّينَ.

اللغة

١ ـ العضوض : الشديد.
٢ ـ العض : الإمساك بالأسنان.
٣ ـ الموسر : الغني.
٤ ـ تنهد : ترتفع وتعلو.

الشرح

يذكر سيئات ما يأتي في الزمن القادم وأنه زمان شديد قاس عنيد تنعكس فيه الأمور فيمسك الغني يده ويمتنع عن البذل والعطاء والسخاء خلافاً لقوله تعالى: **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾** والفضل هو الإحسان والعطاء وفي ذلك الزمن ترتفع الأشرار وتتولى

أمور الأمة ويصبح بأيديهم الحل والعقد وطبعاً تستذل الأخيار والطيبون من عباد الله ويُكرهون على بيعة الحكام الظالمين اضطراراً منهم حفظاً لنفوسهم وبقاء عليها وهذا خلاف قول النبي الذي نهى عن بيعة المضطرين ولا تكون البيعة شرعية إن حصل شيء من ذلك . . .

٤٦٩ ـ وقال عليه السلام: يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ(١)، وَبَاهِتٌ(٢) مُفْتَرٍ.

قال الرضي: وهذا مثل قوله عليه السلام: هلك فيَّ رجلان: مُحِبّ غَالٍ، ومُبْغِضٌ قَالٍ.

اللغة

١ ـ أفرط : تجاوز الحد.

٢ ـ بهته : افترى عليه أي نسب إليه ما لم يقله.

الشرح

الهلكة محتومة لخروج كل طرف عن حد الاعتدال إلى الظلم والجور فمن ازداد حبه له حتى رفعه إلى منزلة الألوهية أو وصفه بغير ما هو فيه استحق النار ومن اتهمه بالباطل وكفّره أو افترى عليه بما هو بريء منه وما وضعه الله فيها على لسان رسوله فقد استحق العذاب ووقع في الهلاك.

٤٧٠ ـ وسئل عن التوحيد والعدل فقال عليه السلام:

التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ، وَٱلْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَهُ.

الشرح

التوحيد أن لا تتوهم الله على صورة معينة لأنك إذا توهمته فقد حددته.وكل محدود مجسّم والله منزه عن ذلك والعدل أن لا تتهمه في فعل من أفعاله إنه في غير موضعه أو في غير زمانه ومكانه . . .

٤٧١ ـ وقال عليه السلام: لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجهْلِ.

الشرح

كل شيء في موضعه جميل ولائق فإذا خرج عن موضعه أصبح نافراً وباطلاً وإذا كان المورد مورد الحكم والكلام فلا خير في الصمت بل يتحول إلى شر وجريمة كمن سكت عن أداء الشهادة بالحق مع الطلب منه، كما أنه لا خير في القول إذا لم يعلم ما يقول ولم يدر ما يقول فيكون قوله سفهاً وباطلاً وانحرافاً وضلالاً.

---

٤٧٢ ـ وقال عليه السلام في دعاء استسقى به:
اللَّهُمَّ ٱسْقِنَا ذُلُلَ[١] السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا[٢].

قال الرضي: وهذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك أنه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص برحالها وتقص بركبانها، وشبه السحاب خالية من تلك الروائع، بالإبل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة.

اللغة

١ ـ الذلول : الهين، السهل الركوب.
٢ ـ الصعب : الممتنع عن الركوب أو الاحتلاب.

الشرح

دعاء في أن يكون السحاب نافعاً مفيداً للعباد والبلاد وأن لا يكون مهلكاً للحرث والنسل كما لو اصطحب معه الشدة والصواعق والبروق فإنه يكون مضراً مفسداً...

---

٤٧٣ ـ وقيل له عليه السلام: لو غيرت شيبك[١] يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:
ٱلْخِضَابُ[٢] زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ! (يريد وفاة رسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ).

اللغة

١ ـ الشيب : بياض الشعر.
٢ ـ الخضاب : ما يصبغ به الشعر.

الشرح

الخضاب مستحب لأنه زينة وقد كان رسول الله (ص) يستعمله ويأمر أصحابه به وقد فسر الإمام وبين عدم استعماله لأنه في مصيبة يتنافى الخضاب معها...

---

٤٧٤ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱلْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ: لَكَادَ ٱلْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ.

الشرح

لأن العفة صفة للنفس وجهاد لها ومتى استطاع الإنسان أن يتغلب على نفسه وينتصر عليها استطاع أن ينتصر على الأعداء ولذا عندما عادت إحدى السرايا التي بعثها رسول الله للغزو قال لهم: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل له: وما الجهاد الأكبر قال: جهاد النفس... فمن جاهد نفسه وانتصر عليها واستطاع أن يطوّعها على طاعة الله وخدمته كان في الأجر كالمجاهد الشهيد بل كاد أن يكون ملكاً في نزاهته وسموه وطهارته...

---

٤٧٥ ـ وقال عليه السلام: «ٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ».

قال الرضي: وقد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ.

الشرح

مرت هذه الكلمة بعينها في الكلمة ٥٧.

٤٧٦ ـ وقال عليه السلام لزياد بن أبيه ـ وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها، في كلام طويل كان بينهما، نهاه فيه عن تقدم الخراج ـ: ٱسْتَعْمِلِ ٱلْعَدْلَ، وَٱحْذَرِ ٱلْعَسْفَ(١) وَٱلْحَيْفَ(٢)، فَإِنَّ ٱلْعَسْفَ يَعُودُ بِٱلْجَلَاءِ، وَٱلْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ.

اللغة

١ ـ العسف : الشدة في غير حق.
٢ ـ الحيف : الظلم.

الشرح

أمره بالعدل ونهاه عن الشدة والظلم وبين آثار الشدة والأخذ بالقهر بأنها تؤدي إلى إخلاء البلاد والهجرة عنها وهو يؤدي إلى خرابها وأما الظلم والجور فإنه يؤدي إلى التمرد والثورة التي تزيل الدولة وتقضي على حكامها.

---

٤٧٧ ـ وقال عليه السلام: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ.

الشرح

مر هذا في الكلمة ٣٤٧ ووجه كونه أشد لأن من استكبر ذنبه استعظم الله وارتدع عنه أما من استسهل الذنب فإنه استخف بالله وبالتالي لسهولته عنده يستمر عليه ويستمرء تناوله...

---

٤٧٨ ـ وقال عليه السلام: مَا أَخَذَ ٱللهُ عَلَى أَهْلِ ٱلْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ ٱلْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا.

الشرح

حث لأهل العلم أن يبذلوا علمهم ويعلموا غيرهم ولا يبخلوا بهذه النعمة الإلهية وليس في كلامه عذر للجاهل أن يبقى على جهله بل هناك تلازم فالمعلم يعلم والجاهل يتعلم وبذلك تتكامل الحياة وتتقدم. . .

٤٧٩ ـ وقال عليه السلام: شَرُّ ٱلإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ.

قال الرضي: لأن التكليف مستلزم للمشقة، وهو شر لازم عن الأخ المتكلف له، فهو شرّ الإخوان.

الشرح

الأخ كالنفس فكما لا يتكلف الإنسان لنفسه بل يأكل الموجود ويصبر على المعدوم هكذا ينبغي أن يتحول الإخوان فيما بينهم فإذا انعكس الأمر وتكلف الأخ لأخيه أمراً استلزم مشقة وتعباً كان شر لازم للأخ فيكون الأخ من شرار الإخوان. . . . . .

٤٨٠ ـ وقال عليه السلام: إِذَا ٱحْتَشَمَ ٱلْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ.

قال الرضي: يقال: حشمه وأحشمه إذا أغضبه، وقيل: أخجله، «أو احتشمه» طلب ذلك له، وهو مظنة مفارقته.

الشرح

إذا تحفظ المؤمن من أخيه ولم ينشرح له ويرتاح إليه هذا بنفسه يجعل عند الطرف الآخر عقدة تجعله يفارقه لأنه لم يعمل بروح الإسلام التي فرضت المؤاخاة والانشراح فيما بين المسلمين. . .

ها هنا نذكر آخر كلام الرضي المذكور في النهج . . .

وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حامدين لله سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه، وتقريب ما بعد من أقطاره. وتقرر العزم كما شرطنا أولاً على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب، ليكون لاقتناص الشارد، واستلحاق الوارد، وما عسى أن يظهر لنا بعد الغموض، ويقع إلينا بعد الشذوذ، وما توفيقنا إلا بالله: عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل . .

وذلك في رجب سنة أربع مئة من الهجرة، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل، والهادي إلى خير السبل، وآله الطاهرين، وأصحابه نجوم اليقين.

وأنا العبد الفقير إلى رحمة ربه الكريم السيد عباس علي الموسوي (أبو علي) قد فرغت من شرح نهج البلاغة مع تصحيحه وإعادة النظر السريع فيه في يوم مولد سيدة نساء العالمين جدتنا فاطمة الزهراء الموافق في العشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤١٤ هجرية أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن لا يحرمنا أجر ما كتبنا ويثيبنا عليه بالعفو والصفح ويستر علينا الخطأ والزلل ويجعله وسيلتنا يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وفي الختام هذا هو نسبي الذي اتصل به إلى صاحب النهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عسى أن ينفعنا وترق الرحم علينا . . .

السيد عباس (أبو علي) ابن السيد علي ابن السيد حسين ابن السيد علي ابن السيد حسين ابن السيد أحمد ابن السيد إسماعيل ابن السيد أحمد ابن السيد حسن ابن السيد محمد ابن السيد أحمد ابن السيد محمد ابن السيد حسن ابن السيد زين ابن السيد علي ابن السيد حسن ابن السيد محمد ابن السيد يوسف ابن السيد حسن ابن السيد إبراهيم ابن السيد محمد ابن السيد يوسف ابن السيد محمد ابن السيد معالي ابن السيد علي ابن السيد عبد الله ابن السيد محمد ابن السيد علي ابن السيد عبد الله ابن السيد محمد ابن السيد طاهر ابن السيد حسين الأمير القطيعي ابن السيد موسى أبي سبحة ابن السيد إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي بن الحسين ابن الإمام الحسين بن علي بن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء ابن محمد سيد رسل الله.

عباس علي الموسوي (أبو علي)
في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٤١٤ هـ
٣ كانون أول سنة ١٩٩٣

الفهــرس

٥٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن ٥
جباية الخراج ٣٠
جهاد العدو ٣٠
استصلاح أهلها ٣١
عمارة بلادها ٣٢
شرار الوزراء ٤٣
الطبقة الأولى: طبقة الجند ٤٩
صفات الجندي المسلم ٥٠
الطبقة الثانية: طبقة القضاة ٥٤
شروط القاضي ٥٥
الطبقة الثالثة: طبقة العمال ٥٧
الطبقة الرابعة: طبقة أهل الخوارج ٥٩
الطبقة الخامسة: طبقة الكتاب ٦١
الطبقة السادسة: طبقة التجار والصّناع ٦٢
الطبقة السابعة: طبقة الفقراء ٦٤
السلام في الإسلام ٧٠
حرمة سفك الدماء ٧٣
ترجمة مالك الأشتر ٧٨
نسبه ٧٩
حياته ٧٩
الأشتر في الكوفة ٨٠
الأشتر في عهد الخلفاء ٨٠

الكوفة والأمراء ٨١
صلحاء الكوفة في الجزيرة ٨٤
الأشتر بين بيعة علي ومعركتي الجمل وصفين ٨٥
الأشتر والأشعري المنحرف ٨٦
لمحات من دور الأشتر ٩٠
الإمام يختار الأشتر للتحكيم ٩٤
الأشتر وصحيفة التحكيم ٩٤
مصر في عهد علي ٩٥
قيس بن سعد بن عبادة ٩٥
محمد بن أبي بكر ٩٥
علي يولي الأشتر ٩٥
شهادة الأشتر ٩٨
معاوية يستعمل السم ١٠٠
شهادة النبي (ص) بإيمان الأشتر ١٠١
ثناء الإمام على الأشتر ١٠٢
الأشتر شاعراً ١٠٥
٥٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكره أبو جعفر الاسكافي في كتاب «المقامات» في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١٠٧
٥٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١١١
٥٦ ـ ومن وصية له عليه السلام وصى بها شريح بن هانىء لما جعله على مقدمته إلى الشام ١١٥
٥٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة ١١٧
٥٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين ١١٩
٥٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان ... ١٢٣
ترجمة الأسود بن قطيبة ١٢٥
٦٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم ١٢٦

٦١ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة ١٢٩
ترجمة كميل بن زياد ١٣١
٦٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها ١٣٢
٦٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل ١٣٩
٦٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً ١٤٣
٦٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام له أيضاً ١٤٩
٦٦ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية ١٥٥
٦٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة ... ١٥٧
٦٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته ١٦٠
ترجمة سلمان الفارسي ١٦٢
٦٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني ١٦٧
ترجمة الحارث الهمداني ١٧٤
٧٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية ١٧٦
ترجمة سهيل بن حنيف ١٧٨
٧١ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله ١٧٩
ترجمة الجارود العبدي ١٨٢
٧٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ١٨٣
٧٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٨٥
٧٤ ـ ومن حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة اليمن ونقل من خط هشام بن الكلبي ١٨٨
٧٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول ما بويع له ذكره الواقدي في كتاب «الجمل» ١٩١

٧٦ ـ ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة ١٩٣
٧٧ ـ ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج ١٩٥
٧٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب «المغازي» ١٩٧
٧٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد ٢٠١

باب حكم أمير المؤمنين

١ ـ كن في الفتنة ٢٠٥
٢ ـ الطمع ٢٠٥
٣ ـ البخل والجبن والفقر ٢٠٧
٤ ـ العجز والصبر والزهد والورع والرضى ٢٠٨
٥ ـ العلم والآداب والفكر ٢٠٩
٦ ـ صدر العاقل والبشاشة والاحتمال ٢١٠
٧ ـ الصدقة وأعمال العباد ٢١١
٨ ـ اعجبوا لهذا الإنسان ٢١٢
٩ ـ إقبال الدنيا وادبارها ٢١٣
١٠ ـ خالطوا الناس ٢١٣
١١ ـ القدرة والعفو ٢١٤
١٢ ـ أعجز الناس ٢١٥
١٣ ـ النعم والشكر عليها ٢١٥
١٤ ـ من ضيّعه الأقرب ٢١٦
١٥ ـ ما كل مفتون يعاتب ٢١٦
١٦ ـ الحتف في التدبير ٢١٧
١٧ ـ غيّروا الشيب ٢١٧
١٨ ـ خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل ٢١٨
١٩ ـ من جرى في عنان أمله عثر بأجله ٢١٩
٢٠ ـ أقيلوا ذوي المروءات ٢١٩
٢١ ـ الهيبة والحياء والفرصة ٢٢٠

٢٢ ـ لنا حق ٢٢١
٢٣ ـ من أبطأ به عمله لم يسرع به عمله ٢٢١
٢٤ ـ من كفارات الذنوب ٢٢٢
٢٥ ـ احذر نعم الله مع المعصية ٢٢٢
٢٦ ـ فلتات اللسان وصفحات الوجه تنطق ٢٢٣
٢٧ ـ امشِ بدائك ما مشى بك ٢٢٣
٢٨ ـ أفضل الزهد ٢٢٤
٢٩ ـ ما أسرع الملتقى ٢٢٤
٣٠ ـ الحذر الحذر ٢٢٥
٣١ ـ سئل عن الإيمان فقال: ٢٢٥
٣٢ ـ فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه ٢٣١
٣٣ ـ كن سمحاً ومقدراً ٢٣١
٣٤ ـ أشرف الغنى ٢٣٢
٣٥ ـ من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعملون ٢٣٢
٣٦ ـ من أطال الأمل أساء العمل ٢٣٣
٣٧ ـ خُلُق قبيح ٢٣٣
٣٨ ـ احفظ أربعاً ٢٣٤
٣٩ ـ النوافل والفرائض ٢٣٦
٤٠ ـ لسان العاقل وقلب الأحمق ٢٣٦
٤١ ـ قلب الأحمق ولسان العاقل ٢٣٧
٤٢ ـ قال لبعض من عاده: ٢٣٧
٤٣ ـ قال يرث خبّاب بن الأرت ٢٣٨
ترجمة خباب بن الأرت ٢٣٩
٤٤ ـ طوبى لمن ٢٣٩
٤٥ ـ بغض علي وحبه ٢٤٠
٤٦ ـ سيئة تسؤك خير عند الله من حسنة تعجبك ٢٤١
٤٧ ـ قدر الرجل وصدقه وشجاعته وعفته ٢٤١
٤٨ ـ وقال عليه السلام في الظفر ٢٤٢
٤٩ ـ احذروا اثنين ٢٤٣
٥٠ ـ قلوب الرجال ٢٤٤

٥١ ـ عيبك مستور ٢٤٤
٥٢ ـ أولى الناس بالعفو ٢٤٥
٥٣ ـ السخاء ٢٤٥
٥٤ ـ لا أفضل من هذه ٢٤٥
٥٥ ـ الصبر صبران ٢٤٦
٥٦ ـ الغنى في الغربة والفقر في الوطن ٢٤٧
٥٧ ـ القناعة كنز لا ينفد ٢٤٧
٥٨ ـ المال مادة الشهوات ٢٤٧
٥٩ ـ من حذرك كمن بشرك ٢٤٨
٦٠ ـ اللسان سبع ٢٤٨
٦١ ـ المرأة عقرب ٢٤٩
٦٢ ـ التحية بأحسن منها ٢٤٩
٦٣ ـ الشفيع جناح الطالب ٢٥٠
٦٤ ـ أهل الدنيا ٢٥١
٦٥ ـ فقد الأحبة غربة ٢٥١
٦٦ ـ فوت الحاجة ٢٥٢
٦٧ ـ لا تستح من إعطاء القليل ٢٥٢
٦٨ ـ العفاف والشكر ٢٥٢
٦٩ ـ إذا لم يكن ما تريد ٢٥٣
٧٠ ـ الجاهل ٢٥٤
٧١ ـ تمام العقل ٢٥٤
٧٢ ـ الدهر وفعله ٢٥٤
٧٣ ـ إمامة الناس وشروط الإمامة ٢٥٦
٧٤ ـ نفس المرء خطاه إلى أجله ٢٥٦
٧٥ ـ كل معدود وكل متوقع ٢٥٧
٧٦ ـ إن الأمور إذا اشتبهت ٢٥٧
٧٧ ـ يا دنيا إليكِ عني ٢٥٨
٧٨ ـ القضاء والقدر ٢٦٠
٧٩ ـ خذ الحكمة أنى كانت ٢٦٢
٨٠ ـ الحكمة ضالة المؤمن ٢٦٢

٨١ ـ قيمة كل امرىء ما يحسنه ٢٦٣
٨٢ ـ أوصيكم بخمس ٢٦٣
٨٣ ـ أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك ٢٦٥
٨٤ ـ بقية السيف ٢٦٥
٨٥ ـ من ترك قول لا أدري أُصيبت مقاتله ٢٦٥
٨٦ ـ رأي الشيخ وجلد الغلام ٢٦٦
٨٧ ـ عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار ٢٦٦
٨٨ ـ كان في الأرض أمانان ٢٦٧
٨٩ ـ من أصلح ما بينه وبين ٢٦٧
٩٠ ـ الفقيه كل الفقيه ٢٦٨
٩١ ـ إن هذه القلوب تمل ٢٦٩
٩٢ ـ أوضع العلم ٢٧٠
٩٣ ـ الفتنة ومضلات الفتن ٢٧٠
٩٤ ـ وسئل عن الخير ما هو؟ فقال: ٢٧١
٩٥ ـ العمل مع التقوى ٢٧٣
٩٦ ـ أولى الناس بالأنبياء ٢٧٣
٩٧ ـ نوم على يقين خير من صلاة في شك ٢٧٣
٩٨ ـ عقل الخبر ٢٧٤
٩٩ ـ الإقرار منا بالهلاك والملك ٢٧٥
١٠٠ ـ وقال عليه السلام ومدحه قوم في وجهه فقال: ٢٧٥
١٠١ ـ لقضاء الحوائج بثلاث ٢٧٦
١٠٢ ـ يأتي على الناس زمان ٢٧٧
١٠٣ ـ ورئي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال ٢٧٨
١٠٤ ـ يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا ٢٨٠
١٠٥ ـ إن الله افترض عليكم فرائض ٢٨١
١٠٦ ـ ترك الدين بإصلاح الدنيا ٢٨٢
١٠٧ ـ وقال عليه السلام رب عالم قد قتله علمه ٢٨٣
١٠٨ ـ أعجب ما في الإنسان قلبه ٢٨٣
١٠٩ ـ أهل البيت النمرقة الوسطى ٢٨٦
١١٠ ـ إقامة أمر الله ومن هو القادر عليها ٢٨٧

١١١ ـ لو أحبني جبل لتهافت ٢٨٨
١١٢ ـ قال عليه السلام: من أحبنا أهل البيت: ٢٨٨
١١٣ ـ لا شيء أحسن من هذه الأمور ٢٨٩
١١٤ ـ صلاح الزمان وسؤه مع حسن الظن وسؤه ٢٩٢
١١٥ ـ قيل له عليه السلام: كيف نجدك يا أمير المؤمنين فقال: ٢٩٣
١١٦ ـ الاستدراج ٢٩٣
١١٧ ـ المحب الغال والمبغض القال ٢٩٤
١١٨ ـ إضاعة الفرصة ٢٩٥
١١٩ ـ مثل الدنيا كمثل الحية ٢٩٥
١٢٠ ـ وسئل عن قريش فقال: ٢٩٦
١٢١ ـ وقال عليه السلام: شتان ما بين عملين ٢٩٨
١٢٢ ـ وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال: ٢٩٨
١٢٣ ـ طوبى لمن ٢٩٩
١٢٤ ـ غيرة المرأة وغيرة الرجل ٣٠١
١٢٥ ـ نسبة الإسلام التي لم ينسبها أحد ٣٠١
١٢٦ ـ عجبت لأناس ٣٠٢
١٢٧ ـ وقال عليه السلام من قصر في العمل ٣٠٤
١٢٨ ـ وقال عليه السلام: توقوا البرد في أوله ٣٠٥
١٢٩ ـ عظم الخالق وصغر المخلوق ٣٠٦
١٣٠ ـ وقال عليه السلام وقد رجع من صفين وأشرف على القبور بظاهر الكوفة . ٣٠٦
١٣١ ـ وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا ٣٠٨
١٣٢ ـ وقال عليه السلام: إن لله ملكاً ينادي في كل يوم ٣١٣
١٣٣ ـ وقال عليه السلام الدنيا دار ممر ٣١٣
١٣٤ ـ وقال عليه السلام: لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه ٣١٤
١٣٥ ـ وقال عليه السلام: من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً ٣١٥
١٣٦ ـ الصلاة وأخواتها ٣١٦
١٣٧ ـ استنزلوا الرزق بالصدقة ٣١٧
١٣٨ ـ من أيقن بالخلف جاد بالعطية ٣١٨
١٣٩ ـ تنزل المعونة على قدر المؤنة ٣١٨
١٤٠ ـ ما عال من اقتصد ٣١٩

١٤١ ـ وقال عليه السلام: قلة العيال أحد اليسارين ٣١٩
١٤٢ ـ وقال عليه السلام: التودد نصف العقل ٣١٩
١٤٣ ـ وقال عليه السلام: الهم نصف الهرم ٣٢٠
١٤٤ ـ الصبر والمصيبة ٣٢٠
١٤٥ ـ حبذا نوم الأكياس وإفطارهم ٣٢١
١٤٦ ـ سوسوا إيمانكم بالصدقة ٣٢٢
١٤٧ ـ وقال لكميل بن زياد: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ٣٢٢
١٤٨ ـ وقال عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه ٣٣٢
١٤٩ ـ قال عليه السلام: هلك امرؤ لم يعرف قدره ٣٣٣
١٥٠ ـ وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه ٣٣٣
١٥١ ـ لكل امرىء عاقبة حلوة أو مرة ٣٤٠
١٥٢ ـ وقال عليه السلام: لكل مقبل ادبار ٣٤١
١٥٣ ـ وقال عليه السلام: لا يعدم الصبور الظفر ٣٤١
١٥٤ ـ الراضي بفعل قوم ٣٤١
١٥٥ ـ وقال عليه السلام: اعتصموا بالذمم في أوتادها ٣٤٢
١٥٦ ـ وقال عليه السلام: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته ٣٤٣
١٥٧ ـ وقال عليه السلام: قد بصرتم إن أبصرتم ٣٤٣
١٥٨ ـ عاتب أخاك ٣٤٤
١٥٩ ـ وقال عليه السلام: من وضع نفسه مواضع التهمة ٣٤٤
١٦٠ ـ وقال عليه السلام: من ملك استأثر ٣٤٥
١٦١ ـ وقال عليه السلام: من استبد برأيه هلك ٣٤٥
١٦٢ ـ وقال عليه السلام: من كتم سره كانت الخيرة بيده ٣٤٦
١٦٣ ـ وقال عليه السلام: الفقر الموت الأكبر ٣٤٦
١٦٤ ـ وقال عليه السلام: من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده ٣٤٧
١٦٥ ـ وقال عليه السلام: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٣٤٧
١٦٦ ـ وقال عليه السلام: لا يعاب المرء بتأخير حقه ٣٤٨
١٦٧ ـ وقال عليه السلام: الإعجاب يمنع الازدياد ٣٤٨
١٦٨ ـ وقال عليه السلام: الأمر قريب ٣٤٩
١٦٩ ـ وقال عليه السلام: قد أضاء الصبح لذي عينين ٣٤٩
١٧٠ ـ وقال عليه السلام: ترك الذنب أهون من طلب التوبة ٣٤٩

١٧١ ـ وقال عليه السلام: كم من أكلة منعت أكلات ٣٥٠
١٧٢ ـ وقال عليه السلام: الناس أعداء ما جهلوا ٣٥٠
١٧٣ ـ وقال عليه السلام: من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ ٣٥٠
١٧٤ ـ وقال عليه السلام: من أحد سنان الغضب ٣٥١
١٧٥ ـ وقال عليه السلام: إذا هبت أمراً فقع فيه ٣٥٢
١٧٦ ـ وقال عليه السلام: آلة الرياسة سعة الصدر ٣٥٢
١٧٧ ـ وقال عليه السلام: ازجر المسيىء بثواب المحسن ٣٥٣
١٧٨ ـ وقال عليه السلام: احصد الشر من صدر غيرك ٣٥٣
١٧٩ ـ وقال عليه السلام: اللجاجة تسل الرأي ٣٥٤
١٨٠ ـ وقال عليه السلام: الطمع رق مؤبد ٣٥٥
١٨١ ـ وقال عليه السلام: ثمرة التفريط وثمرة الحزم ٣٥٥
١٨٢ ـ وقال عليه السلام: لا خير في الصمت ٣٥٥
١٨٣ ـ وقال عليه السلام: ما اختلفت دعوتان إلا ٣٥٦
١٨٤ ـ وقال عليه السلام: ما شككت في الحق مذ رأيته ٣٥٦
١٨٥ ـ وقال عليه السلام: ما كذبت ولا كذّبت ٣٥٦
١٨٦ ـ وقال عليه السلام: للظالم البادي غداً بكفه عضّة ٣٥٧
١٨٧ ـ وقال عليه السلام: الرحيل وشيك ٣٥٧
١٨٨ ـ وقال عليه السلام: من أبدى صفحته للحق هلك ٣٥٨
١٨٩ ـ وقال عليه السلام: من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع ٣٥٨
١٩٠ ـ وقال عليه السلام: واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة ٣٥٨
١٩١ ـ وقال عليه السلام: إنما المرء في الدنيا غرض ٣٥٩
١٩٢ ـ وقال عليه السلام: يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه
خازن لغيرك ٣٦١
١٩٣ ـ وقال عليه السلام: إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً ٣٦٢
١٩٤ ـ وكان عليه السلام يقول: متى أشفي غيظي ٣٦٢
١٩٥ ـ وقال عليه السلام: وقد مرّ بقذر على مزبلة ٢٦٣
١٩٦ ـ وقال عليه السلام: لم يذهب من مالك ما وعظك ٣٦٤
١٩٧ ـ وقال عليه السلام: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ٣٦٤
١٩٨ ـ وقال عليه السلام: لما سمع قول الخوارج: «لا حكم إلا لله» ٣٦٥
١٩٩ ـ وقال عليه السلام: في صفة الغوغاء ٣٦٥

٢٠٠ ـ وقال عليه السلام: وأُتي بجان معه غوغاء ٣٦٦
٢٠١ ـ وقال عليه السلام: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه ٣٦٦
٢٠٢ ـ وقال عليه السلام: وقد قال له طلحة والزبير: نبايعك على إنا شركاؤك في هذا الأمر ٣٦٧
٢٠٣ ـ وقال عليه السلام: أيها الناس اتقوا الله الذي ٣٦٧
٢٠٤ ـ وقال عليه السلام: لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك ٣٦٧
٢٠٥ ـ وقال عليه السلام: كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا ٣٦٩
٢٠٦ ـ وقال عليه السلام: أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل ٣٦٩
٢٠٧ ـ وقال عليه السلام: إن لم تكن حليماً فتحلم فإنه قل ٣٦٩
٢٠٨ ـ قال عليه السلام: من حاسب نفسه ربح ومن ٣٧٠
٢٠٩ ـ وقال عليه السلام: لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف ٣٧١
٢١٠ ـ وقال عليه السلام: اتقوا الله تقيه من شمر تجريداً وجد ٣٧٢
٢١١ ـ وقال عليه السلام: الجود حارس الأعراض والحلم فدام وو ٣٧٢
٢١٢ ـ وقال عليه السلام: عُجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ٣٧٥
٢١٣ ـ وقال عليه السلام: أغضِ على القذى وإلّا لم ترضى أبداً ٣٧٥
٢١٤ ـ وقال عليه السلام: من لان عوده كثفت أغصانه ٣٧٦
٢١٥ ـ وقال عليه السلام: الخلاف يهدم الرأي ٣٧٧
٢١٦ ـ وقال عليه السلام: من نال استطال ٣٧٧
٢١٧ ـ وقال عليه السلام: في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال ٣٧٧
٢١٨ ـ وقال عليه السلام: حسد الصديق من سقم المودة ٣٧٧
٢١٩ ـ وقال عليه السلام: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع ٣٧٨
٢٢٠ ـ وقال عليه السلام: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن ٣٧٨
٢٢١ ـ وقال عليه السلام: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد ٣٧٩
٢٢٢ ـ وقال عليه السلام: من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم ٣٧٩
٢٢٣ ـ وقال عليه السلام: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه ٣٨٠
٢٢٤ ـ وقال عليه السلام: بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة. . وو ٣٨٠
٢٢٥ ـ وقال عليه السلام: العَجبُ لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد ٣٨٢
٢٢٦ ـ وقال عليه السلام: الطامع في وثاق الذل ٣٨٢
٢٢٧ ـ وسئل عن الإيمان فقال: ٣٨٢

٢٢٨ ـ وقال عليه السلام: من أصبح على الدنيا حزيناً وو ٣٨٣
٢٢٩ ـ وقال عليه السلام: كفى بالقناعة مُلكاً ويحسن الخلق وو ٣٨٤
٢٣٠ ـ وقال عليه السلام: شاركوا الذي أقبل عليه الرزق فإنه ٣٨٥
٢٣١ ـ وقال عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ .. ٣٨٥
٢٣٢ ـ وقال عليه السلام: من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة ٣٨٦
٢٣٣ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام: ٣٨٦
٢٣٤ ـ وقال عليه السلام: خيار خصال النساء شرار خصال الرجال ٣٨٧
٢٣٥ ـ وقيل له: صف لنا العاقل فقال عليه السلام ٣٨٨
٢٣٦ ـ وقال عليه السلام: والله لدنياكم هذه أهون في عيني من ٣٨٨
٢٣٧ ـ وقال عليه السلام: إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك ٣٨٩
٢٣٨ ـ وقال عليه السلام: المرأة شر كلها ٣٨٩
٢٣٩ ـ وقال عليه السلام: من أطاع التواني ضيع الحقوق ٣٩٠
٢٤٠ ـ وقال عليه السلام: الحجر الغصيب في الدار رهن على خرابها ٣٩٠
٢٤١ ـ وقال عليه السلام: يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم ٣٩١
٢٤٢ ـ وقال عليه السلام: اتقِ الله بعض التقى وإن ٣٩١
٢٤٣ ـ وقال عليه السلام: إذا ازدحم الجواب خفي الصواب ٣٩٢
٢٤٤ ـ وقال عليه السلام: إن لله في كل نعمة حقاً فمن ٣٩٢
٢٤٥ ـ وقال عليه السلام: إذا كثرت المقدرة قلّت الشهوة ٣٩٢
٢٤٦ ـ وقال عليه السلام: احذروا نفار النعم فما ٣٩٣
٢٤٧ ـ وقال عليه السلام: الكرم أعطف من الرحم ٣٩٣
٢٤٨ ـ وقال عليه السلام: من ظن بك خيراً فصدق ظنه ٣٩٤
٢٤٩ ـ وقال عليه السلام: أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه ٣٩٤
٢٥٠ ـ وقال عليه السلام: عرفت الله سبحانه بفسخ ٣٩٤
٢٥١ ـ وقال عليه السلام: مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدنيا ٣٩٥
٢٥٢ ـ وقال عليه السلام: فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك وو ٣٩٥
٢٥٣ ـ وكان عليه السلام يقول: احلفوا الظالم إذا ٣٩٩
٢٥٤ ـ وقال عليه السلام: يا ابن آدم كن ٣٩٩
٢٥٥ ـ وقال عليه السلام: الحدة ضرب من ٤٠٠
٢٥٦ ـ وقال عليه السلام: صحة الجسد من قلة الحسد ٤٠٠
٢٥٧ ـ وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: يا كميل مرّ أهلك ٤٠٠

٢٥٨ ـ وقال عليه السلام: إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة ٤٠١
٢٥٩ ـ وقال عليه السلام: الوفاء لأهل العذر ٤٠٢
٢٦٠ ـ وقال عليه السلام: كم من مستدرج بـ ٤٠٢

فصل نذكر فيه شيئاً من غريب كلامه:

١ ـ وفي حديثه عليه السلام: فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين ٤٠٣
٢ ـ وفي حديثه عليه السلام: هذا الخطيب الشحشح ٤٠٣
٣ ـ وفي حديثه عليه السلام: إن للخصومة قحماً ٤٠٣
٤ ـ وفي حديثه عليه السلام: إذا بلغ النساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى ٤٠٤
٥ ـ وفي حديثه عليه السلام: إن الإيمان يبدو لحظة في القلب كلما ازداد ٤٠٤
٦ ـ وفي حديثه عليه السلام: إن الرجل إذا كان له الدين الظنون ٤٠٥
٧ ـ وفي حديثه عليه السلام: أنه شيع جيشاً بغزية فقال: ٤٠٥
٨ ـ وفي حديثه عليه السلام: كالياسر الفالج ينتظر أول فوزه من قداحِه ٤٠٦
٩ ـ وفي حديثه عليه السلام: كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله ٤٠٦
٢٦١ ـ وقال عليه السلام: لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار ٤٠٧
٢٦٢ ـ وقيل إن الحارث بن حوط أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال ٤٠٨
ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب ٤٠٩
٢٦٣ ـ وقال عليه السلام: صاحب السلطان كراكب الأسد ٤١٠
٢٦٤ ـ وقال عليه السلام: احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم ٤١٠
٢٦٥ ـ وقال عليه السلام: إن كلام الحكماء إذا ٤١١
٢٦٦ ـ وسأله رجل أن يعرفه الإيمان فقال عليه السلام ٤١١
٢٦٧ ـ وقال عليه السلام: يا ابن آدم لا تحمل ٤١٢
٢٦٨ ـ وقال عليه السلام: احبب حبيبك.. وابغض بغيضك ٤١٢
٢٦٩ ـ وقال عليه السلام: الناس في الدنيا عاملان ٤١٣
٢٧٠ ـ عمر بن الخطاب وحلي الكعبة فقال عليه السلام ٤١٤
٢٧١ ـ وروي أنه عليه السلام رفع إليه رجلان سرقا من مال الله... فقال ٤١٥
٢٧٢ ـ وقال عليه السلام: لو قد استوت قدماي ٤١٦
٢٧٣ ـ وقال عليه السلام: اعلموا علماً يقيناً إن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته ٤١٦

٢٧٤ ـ وقال عليه السلام: لا تجعلوا علمكم ٤١٨
٢٧٥ ـ وقال عليه السلام: إن الطمع مورد غير مصدر ٤١٨
٢٧٦ ـ وقال عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من أن ٤١٩
٢٧٧ ـ وقال عليه السلام: لا والذي أمسينا منه في غير ٤٢٠
٢٧٨ ـ وقال عليه السلام: قليل تدوم عليه أرجى ٤٢١
٢٧٩ ـ وقال عليه السلام: إذا أخرت النوافل ٤٢١
٢٨٠ ـ وقال عليه السلام: من تذكر بُعد السفر استعد ٤٢١
٢٨١ ـ وقال عليه السلام: ليست الرؤية كالمعاينة ٤٢٢
٢٨٢ ـ وقال عليه السلام: بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة ٤٢٢
٢٨٣ ـ وقال عليه السلام: جاهلكم... وعالمكم ٤٢٣
٢٨٤ ـ وقال عليه السلام: قطع العلم أعذار المتعللين ٤٢٣
٢٨٥ ـ وقال عليه السلام: كل معاجل يسأل ٤٢٣
٢٨٦ ـ وقال عليه السلام: ما قال الناس لشيء طوبى له إلا ٤٢٤
٢٨٧ ـ وسئل عن القدر فقال: ٤٢٥
٢٨٨ ـ وقال عليه السلام: إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم ٤٢٥
٢٨٩ ـ وقال عليه السلام: في وصف أخ له في الله ٤٢٦
٢٩٠ ـ وقال عليه السلام: لو لم يتوعد الله على معصيته لكان ٤٢٨
٢٩١ ـ وقال عليه السلام وقد عزى الأشعث بن قيس عن ابن له ٤٢٨
٢٩٢ ـ وقال عليه السلام على قبر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ساعة دفنه .. ٤٢٩
٢٩٣ ـ وقال عليه السلام: لا تعجب ٤٣٠
٢٩٤ ـ وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال عليه السلام ٤٣١
٢٩٥ ـ وقال عليه السلام: اصدقاؤك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة ٤٣١
٢٩٦ ـ وقال عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه إضرار نفسه ٤٣١
٢٩٧ ـ وقال عليه السلام: ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ٤٣٢
٢٩٨ ـ وقال عليه السلام: من بالغ في الخصومة.. ومن ٤٣٢
٢٩٩ ـ وقال عليه السلام: ما أهمني ذنب أمهلت بعده ٤٣٣
٣٠٠ ـ وسئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟
فقال عليه السلام ٤٣٣
٣٠١ ـ وقال عليه السلام: رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ ما ينطق عنك .. ٤٣٤
٣٠٢ ـ وقال عليه السلام: ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج ٤٣٤

٣٠٣ ـ وقال عليه السلام: الناس أبناء الدنيا ٤٣٥
٣٠٤ ـ وقال عليه السلام: إن المسكين رسول الله ٤٣٥
٣٠٥ ـ وقال عليه السلام: ما زنى غيور قط ٤٣٥
٣٠٦ ـ وقال عليه السلام: كفى بالأجل حارساً ٤٣٦
٣٠٧ ـ وقال عليه السلام: ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب ٤٣٦
٣٠٨ ـ وقال عليه السلام: مودة الآباء قرابة ٤٣٧
٣٠٩ ـ وقال عليه السلام: اتقوا ظنون المؤمنين ٤٣٧
٣١٠ ـ وقال عليه السلام: لا يصدق إيمان عبد حتى ٤٣٧
٣١١ ـ وقال عليه السلام لأنس بن مالك الذي قال: إني نسيت ذلك الأمر فقال: ٤٣٨
٣١٢ ـ وقال عليه السلام: إن للقلوب إقبالاً وإدباراً ٤٣٩
٣١٣ ـ وقال عليه السلام: وفي القرآن نبأ ما قبلكم ٤٣٩
٣١٤ ـ وقال عليه السلام: ردوا الحجر من حيث جاء ٤٣٩
٣١٥ ـ وقال عليه السلام لكاتبه عبد الله بن أبي رافع ٤٤٠
٣١٦ ـ وقال عليه السلام: أنا يعسوب المؤمنين ٤٤٠
٣١٧ ـ وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام . ٤٤١
٣١٨ ـ وقيل له: بأي شيء غلبت الأقران؟ فقال عليه السلام ٤٤٢
٣١٩ ـ وقال عليه السلام لولده محمد بن الحنفية: ٤٤٢
٣٢٠ ـ وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة: ٤٤٣
٣٢١ ـ وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس وقد أشار عليه في شيء
لم يوافق رأيه ٤٤٤
٣٢٢ ـ وقال عليه السلام لحرب بن شرحبيل الشبامي ٤٤٤
٣٢٣ ـ وقال عليه السلام وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان ٤٤٥
٣٢٤ ـ وقال عليه السلام: اتقوا معاصي الله في الخلوات ٤٤٥
٣٢٥ ـ وقال عليه السلام: لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر ٤٤٦
٣٢٦ ـ وقال عليه السلام: العمر الذي أعذر الله فيه ٤٤٦
٣٢٧ ـ وقال عليه السلام: ما ظفر من ظفر الإثم به والغالب بالشر مغلوب ٤٤٧
٣٢٨ ـ وقال عليه السلام: إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء ٤٤٧
٣٢٩ ـ وقال عليه السلام: الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به ٤٤٨
٣٣٠ ـ وقال عليه السلام: أقل ما يلزمكم الله إلاّ ٤٤٨
٣٣١ ـ وقال عليه السلام: إن الله سبحانه جعل الطاعة ٤٤٨

٣٣٢ ـ وقال عليه السلام: السلطان وزعة الله في أرضه ٤٤٩
٣٣٣ ـ وقال عليه السلام: في صفة المؤمن ٤٤٩
٣٣٤ ـ وقال عليه السلام: لو رأى العبد الأجل ومصيره ٤٥١
٣٣٥ ـ وقال عليه السلام: لكل امرىء في ماله شريكان ٤٥٢
٣٣٦ ـ وقال عليه السلام: المسؤول حر حتى يعد ٤٥٢
٣٣٧ ـ وقال عليه السلام: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر ٤٥٣
٣٣٨ ـ وقال عليه السلام: العلم علمان ٤٥٣
٣٣٩ ـ وقال عليه السلام: صوب الرأي بالدول ٤٥٤
٣٤٠ ـ وقال عليه السلام: العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ٤٥٤
٣٤١ ـ وقال عليه السلام: يوم العدل على الظالم أشد من ٤٥٥
٣٤٢ ـ وقال عليه السلام: الغنى الأكبر ٤٥٥
٣٤٣ ـ وقال عليه السلام: الأقاويل محفوظة والسرائر ٤٥٥
٣٤٤ ـ وقال عليه السلام: معاشر الناس اتقوا الله ٤٥٧
٣٤٥ ـ وقال عليه السلام: من العصمة تعذّر المعاصي ٤٥٨
٣٤٦ ـ وقال عليه السلام: ماء وجهك جامد يقطره السؤال ٤٥٨
٣٤٧ ـ وقال عليه السلام: الثناء بأكثر من الاستحقاق ٤٥٨
٣٤٨ ـ وقال عليه السلام: أشد الذنوب ما استهان به صاحبه ٤٥٩
٣٤٩ ـ وقال عليه السلام: من نظر في عيب نفسه وو ٤٥٩
٣٥٠ ـ وقال عليه السلام: للظالم من الرجال ثلاث علامات ٤٦٢
٣٥١ ـ وقال عليه السلام: عند تناهي الشدة تكون ٤٦٢
٣٥٢ ـ وقال عليه السلام لبعض أصحابه: لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك . ٤٦٣
٣٥٣ ـ وقال عليه السلام أكبر العيب ٤٦٣
٣٥٤ ـ وهنأ بحضرته رجل رجلاً بغلام ولد له فقال له: ٤٦٤
٣٥٥ ـ وبنى رجل من عماله بناء فخماً فقال عليه السلام: ٤٦٤
٣٥٦ ـ وقيل له عليه السلام لو سد على رجل باب بيته وترك فيه من
أين كان يأتيه رزقه؟ فقال: ٤٦٥
٣٥٧ ـ وعزى قوماً عن ميت مات لهم فقال لهم عليه السلام: ٤٦٥
٣٥٨ ـ وقال عليه السلام في النعمة والنقمة ٤٦٥
٣٥٩ ـ وقال عليه السلام: يا أسرى الرغبة اقصروا ٤٦٦
٣٦٠ ـ وقال عليه السلام: لا تظنن بكلمة خرجت من أحدٍ سؤاً ٤٦٧

٣٦١ ـ وقال عليه السلام: إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله ٤٦٧
٣٦٢ ـ وقال عليه السلام: من ظن بعرضه فليدع المراء ٤٦٨
٣٦٣ ـ وقال عليه السلام: من الخرق ٤٦٨
٣٦٤ ـ وقال عليه السلام: لا تسأل عما لا يكون ٤٦٩
٣٦٥ ـ وقال عليه السلام: الفكر مرآة صافية وو ٤٧٠
٣٦٦ ـ وقال عليه السلام: العلم مقرون بالعمل ٤٧٠
٣٦٧ ـ وقال عليه السلام: أيها الناس متاع الدنيا حطام موبىء وو ٤٧٠
٣٦٨ ـ وقال عليه السلام: إن الله وضع الثواب على طاعته و ٤٧٣
٣٦٩ ـ وقال عليه السلام: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم: ٤٧٤
٣٧٠ ـ وروي أنه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام الخطبة ٤٧٥
٣٧١ ـ وقال عليه السلام: لا شرف أعلى من الإسلام ولا. . ولا ٤٧٦
٣٧٢ ـ وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة ٤٧٨
ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري ٤٧٩
٣٧٣ ـ وقال عليه السلام من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه ٤٨٠
٣٧٤ ـ وفي كلام يجري مجرى ما تقدم ٤٨١
٣٧٥ ـ وقال عليه السلام: أول ما تغلبون عليه ٤٨٣
٣٧٦ ـ وقال عليه السلام: في الحق والباطل ٤٨٤
٣٧٧ ـ وقال عليه السلام: لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله ٤٨٤
٣٧٨ ـ وقال عليه السلام: البخل جامع لمساوىء العيوب ٤٨٥
٣٧٩ ـ وقال عليه السلام: يا ابن آدم الرزق رزقان ٤٨٥
٣٨٠ ـ وقال عليه السلام: رب مستقبل يوماً ليس بمستدبره ٤٨٦
٣٨١ ـ وقال عليه السلام: الكلام في وثاقك ما لم ٤٨٦
٣٨٢ ـ وقال عليه السلام: لا تقل ما لا تعلم بل ٤٨٧
٣٨٣ ـ وقال عليه السلام: احذر أن يراك الله ٤٨٨
٣٨٤ ـ وقال عليه السلام: الركون إلى الدنيا مع ما نعاني منها جهل ٤٨٨
٣٨٥ ـ وقال عليه السلام: من هوان الدنيا على الله ٤٨٩
٣٨٦ ـ وقال عليه السلام: من طلب شيئاً ناله أو بعضه ٤٩٠
٣٨٧ ـ وقال عليه السلام: ما خير بخير. . وما شر بشر ٤٩٠
٣٨٨ ـ وقال عليه السلام: ألا وإن من البلاء ٤٩١

٣٨٩ ـ وقال عليه السلام: من أبطأ به عمله ٤٩١
٣٩٠ ـ وقال عليه السلام: للمؤمن ثلاث علامات ٤٩٢
٣٩١ ـ وقال عليه السلام: ازهد في الدنيا ٤٩٣
٣٩٢ ـ وقال عليه السلام: تكلموا تعرفوا ٤٩٣
٣٩٣ ـ وقال عليه السلام: خذ من الدنيا ٤٩٤
١٩٤ ـ وقال عليه السلام: رب قول انفذ من صول ٤٩٤
٣٩٥ ـ وقال عليه السلام: كل مقتصر عليه كاف ٤٩٥
٣٩٦ ـ وقال عليه السلام: المنية ولا الدنية و ٤٩٥
٣٩٧ ـ وقال عليه السلام: نعم الطيب المسك ٤٩٦
٣٩٨ ـ وقال عليه السلام: ضع فخرك واحطط ٤٩٧
٣٩٩ ـ وقال عليه السلام: إن للولد على الوالد حقاً وإن للوالد على الولد حقاً . ٤٩٧
٤٠٠ ـ وقال عليه السلام: ما هو حق وما ليس بحق ٤٩٨
٤٠١ ـ وقال عليه السلام: مقاربة الناس في أخلاقهم ٤٩٩
٤٠٢ ـ وقال عليه السلام: لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة
يستصغر مثله عن قول مثلها ٥٠٠
٤٠٣ ـ وقال عليه السلام: من أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل ٥٠٠
٤٠٤ ـ وقال عليه السلام: وقد سئل عن معنى قولهم «لا حول ولا قوة إلا بالله» . ٥٠٠
٤٠٥ ـ وقال عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً ٥٠١
ترجمة المغيرة بن شعبة ٥٠١
٤٠٦ ـ وقال عليه السلام: ما أحسن تواضع الأغنياء وأحسن منه تيه الفقراء ... ٥٠٢
٤٠٧ ـ وقال عليه السلام: ما استودع الله امرءاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما ٥٠٣
٤٠٨ ـ وقال عليه السلام: من صارع الحق صرعه ٥٠٣
٤٠٩ ـ وقال عليه السلام: القلب مصحف البصر ٥٠٤
٤١٠ ـ وقال عليه السلام: التقى رئيس الأخلاق ٥٠٤
٤١١ ـ وقال عليه السلام: لا تجعلن ذرب لسانك على من ٥٠٤
٤١٢ ـ وقال عليه السلام: كفاك أدباً لنفسك اجتناب ٥٠٥
٤١٣ ـ وقال عليه السلام: من صبر صبر الأحرار وإلا ٥٠٥
٤١٤ ـ وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً عن ابن له ... ٥٠٦
٤١٥ ـ وقال عليه السلام في صفة الدنيا ٥٠٧
٤١٦ ـ وقال لابنه الحسن عليهما السلام ٥٠٧

٤١٧ ـ وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته «استغفر الله» ٥٠٨
٤١٨ ـ وقال عليه السلام: الحلم عشيرة ٥٠٩
٤١٩ ـ وقال عليه السلام: مسكين ابن آدم ٥١٠
٤٢٠ ـ وروي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام ٥١١
٤٢١ ـ وقال عليه السلام: كفاك من عقلك ما أوضح لك ٥١٢
٤٢٢ ـ وقال عليه السلام: افعلوا الخير ٥١٢
٤٢٣ ـ وقال عليه السلام: من أصلح سريرته . . . ومن عمل لدينه . . .
ومن أحسن فيما بينه وبين الله ٥١٣
٤٢٤ ـ وقال عليه السلام: الحلم . . . والعقل ٥١٣
٤٢٥ ـ وقال عليه السلام: إن لله عباداً ٥١٤
٤٢٦ ـ وقال عليه السلام: لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين ٥١٥
٤٢٧ ـ وقال عليه السلام: من شكا الحاجة إلى مؤمن ومن شكاها إلى الله ٥١٥
٤٢٨ ـ وقال عليه السلام في بعض الأعياد ٥١٦
٤٢٩ ـ وقال عليه السلام: إن أعظم الحسرات يوم القيامة ٥١٦
٤٣٠ ـ وقال عليه السلام: إن أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعياً ٥١٧
٤٣١ ـ وقال عليه السلام: الرزق رزقان: طالب ومطلوب ٥١٧
٤٣٢ ـ وقال عليه السلام: إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا ٥١٨
٤٣٣ ـ وقال عليه السلام: اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات ٥١٩
٤٣٤ ـ وقال عليه السلام: أخبر تقله ٥٢٠
٤٣٥ ـ وقال عليه السلام: في الشكر والدعاء والتوبة ٥٢٠
٤٣٦ ـ وقال عليه السلام: أولى الناس بالكرم ٥٢١
٤٣٧ ـ وسئل عليه السلام: أيهما أفضل: العدل أو الجود؟ فقال عليه السلام . . ٥٢١
٤٣٨ ـ وقال عليه السلام: الناس أعداء ما جهلوا ٥٢١
٤٣٩ ـ وقال عليه السلام: الزهد كله بين كلمتين من القرآن ٥٢١
٤٤٠ ـ وقال عليه السلام: ما انقض النوم لعزائم اليوم ٥٢٢
٤٤١ ـ وقال عليه السلام: الولايات مضامير الرجال ٥٢٢
٤٤٢ ـ وقال عليه السلام: ليس بلد بأحق بك من بلد خير البلاد ما حملك ٥٢٣
٤٤٣ ـ وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله ٥٢٣
٤٤٤ ـ وقال عليه السلام: قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه ٥٢٤

٤٤٥ ـ وقال عليه السلام: إذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا اخواتها ٥٢٤
٤٤٦ ـ وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما .. ٥٢٥
٤٤٧ ـ وقال عليه السلام: من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ٥٢٥
٤٤٨ ـ وقال عليه السلام: من عظّم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها ٥٢٥
٤٤٩ ـ وقال عليه السلام: من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته ٥٢٦
٤٥٠ ـ وقال عليه السلام: ما مزح امرؤ مزحة إلا مج من عقله مجة ٥٢٦
٤٥١ ـ وقال عليه السلام: زهدك في راغب فيك نقصان حظ ٥٢٧
٤٥٢ ـ وقال عليه السلام: الغنى والفقر بعد العرض على الله ٥٢٧
٤٥٣ ـ وقال عليه السلام: ما زال الزبير رجلاً من أهل البيت حتى نشأ
ابنه المشؤوم عبد الله ٥٢٧
ترجمة عبد الله بن الزبير ٥٢٨
٤٥٤ ـ وقال عليه السلام: ما لابن آدم والفخر ٥٢٩
٤٥٥ ـ وسئل من أشعر الشعراء فقال عليه السلام ٥٢٩
٤٥٦ ـ وقال عليه السلام: ألا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها ٥٣٠
٤٥٧ ـ وقال عليه السلام: منهومان لا يشبعان ٥٣٠
٤٥٨ ـ وقال عليه السلام: الإيمان أن تؤثر الصدق ٥٣١
٤٥٩ ـ وقال عليه السلام: يغلب المقدار على التقدير ٥٣٢
٤٦٠ ـ وقال عليه السلام: الحلم والأناة توأمان ٥٣٢
٤٦١ ـ وقال عليه السلام: الغيبة جهد العاجز ٥٣٣
٤٦٢ ـ وقال عليه السلام: رب مفتون يحسن القول فيه ٥٣٣
٤٦٣ ـ وقال عليه السلام: الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها ٥٣٣
٤٦٤ ـ وقال عليه السلام: إن لبني أمية مروداً يجرون فيه ٥٣٤
٤٦٥ ـ وقال عليه السلام: في مدح الأنصار ٥٣٤
٤٦٦ ـ وقال عليه السلام «العين وكاء السه» ٥٣٥
٤٦٧ ـ وقال عليه السلام في كلام له: ووليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب
الدين بجرانه ٥٣٦
٤٦٨ ـ وقال عليه السلام: يأتي على الناس زمان عضوض ٥٣٦
٤٦٩ ـ وقال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان ٥٣٧
٤٧٠ ـ وسئل عن التوحيد والعدل فقال عليه السلام ٥٣٧

٤٧١ ـ وقال عليه السلام: لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير
في القول بالجهل ٥٣٨
٤٧٢ ـ وقال عليه السلام: في دعاء استسقى به ٥٣٨
٤٧٣ ـ وقيل له عليه السلام: لو غيرّت شيبك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام . ٥٣٨
٤٧٤ ـ وقال عليه السلام: ما المجاهد الشهيد في سبيل الله
بأعظم أجراً ممن قدر فعف ٥٣٩
٤٧٥ ـ وقال عليه السلام: «القناعة مال لا ينفد» ٥٣٩
٤٧٦ ـ وقال عليه السلام لزياد بن أبيه ٥٤٠
٤٧٧ ـ وقال عليه السلام: أشد الذنوب ما استخف به صاحبه ٥٤٠
٤٧٨ ـ وقال عليه السلام: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى ٥٤٠
٤٧٩ ـ وقال عليه السلام: شر الإخوان من تُكلف له ٥٤١
٤٨٠ ـ وقال عليه السلام: إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه ٥٤١